جمهورية العراق

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة كربلاء

كلية التربية للعلوم الانسانية

قسم التاريخ

مروياتُ مَسيرِ عائشةِ بنتِ أبي بكرٍ لحربِ الجملِ (36هـ /656م)

(دراسة تحليلية)

رسالة ماجستير تقدمت بها الطالبة

إحسان جابر راضي عبيد

الى مجلس كلية التربية للعلوم الإنسانية – جامعة كربلاء

وهي جزء من متطلبات نيل شهادة الماجستير في التاريخ الإسلامي

بأشراف

أ . م . د . عبير عبد الرسول محمد التميمي

1445هـ **2023م**

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴾

صدق الله العلي العظيم

سورة النساء: الآية (56)

اقرار المشرف

أشهد أن اعداد هذه الرسالة الموسومة بـ **(مرويات مسير عائشة بنت أبي بكر لحرب الجمل(٣٦هـ/٦٥٦م))** التي تقدمت بها الطالبة **(إحسان جابر راضي عبيد)** جرت تحت إشرافي في كلية التربية للعلوم الإنسانية ـ جامعة كربلاء، وهي جزء من متطلبات نيل درجة الماجستير في التاريخ الإسلامي.

التوقيع:

المشرف: أ.م.د عبير عبد الرسول محمد

توصية رئيس قسم التاريخ

بناءً على التوصيات المتوفرة أرشح هذه الرسالة للمناقشة

التوقيع:

الإسم: أ.م.د. محمد مهدي الشمري

رئيس قسم التاريخ

التاريخ: 23/ 10/ ٢٠٢٣م

إقرار لجنة المناقشة

نشهد نحن رئيس و أعضاء لجنة المناقشة بأننا قد أطلعنا على **الرسالة** المقدمة من الطالبة **(إحسان جابر راضي)**الموسومة بـ **(مرويات مسير عائشة بنت أبي بكر لحرب الجمل(٣٦هـ/٦٥٦م))** وقد قد ناقشنا الطالبة في محتوياتها و فيما له علاقة بها ووجدنا أنها جديرة بالقبول لنيل درجة الماجستير بالتاريخ الإسلامي بتقدير ( ) .

التوقيع :

الاسم: أ.د. هشم عرض مصطفى

رئيساً

التوقيع :

الاسم: أ.د. زهير يوسف عليوي

عضوًا

التوقيع :

الاسم: أ.م.د. عبيد عبد الرسول محمد

عضوًا ومشرفًا

التوقيع :

الاسم: أ.م.د. كوثر حسن هندي

عضوًا

صدقت الرسالة من قبل مجلس كلية التربية الإنسانية / جامعة كربلاء على اقرار اللجنة

التوقيع:

الاسم/ أ. د صباح واجد علي

عميد كلية التربية للعلوم الإنسانية/جامعة كربلاء

التاريخ/ 7 / 12 /٢٠٢٣م

إهداء

من باب الإخلاص و الولاء أهدي هذا الجهد المتواضع . . إلى الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا بدءًا من أبوي هذه الأمة ومعلمي البشرية محمد المصطفى سيد الأنبياء والمرسلين . . وحامل لوائه ومبلغ رسالته أبي الحسن الأنزع البطين . .ومن بعدهم . .البضعة فاطمة سيدة نساء العالمين . . وابنيها اللذين سبقا الأنام بالمكرمات سيدي شباب أهل الجنة الحسن والحسين . . والى الشموس التسعة الذين بهم السماء والأرض تشرق من أولهم إلى القائم بأمرهم **(عجل الله فرجه الشريف)** صلوات الله عليهم أجمعين . .

إلى عائلتي . . أمي الحبيبة التي علمتني الصبر والتفاني . . وإلى والدي الذي علمني أول حرف اختطته أناملي . . أطال الله بعمرهما . .

إلى زوجي ورفيق دربي . .وفاءًا وحبًا . .إلى أبنائي الغوالي . . نجليَ اللذين أرى الأمل بعينيهما محمد ومصطفى . .ابنتيَ وزهرتي النرجس اللتين تفيض على حياتي عبقًا وعطرًا . . آخر العنقود طفلي المدلل رضا . .

راجية من الله أن أكون قد تركت ما ننتفع به أنا وأياكم لتكون على المحجة البيضاء التي ارتضاها الله لعباده .

الباحثة

شكر وعرفان

الحمد لله الأول قبل الإنشاء والآخر بعد فناء الأحياء العليم الذي لا ينسى من ذكره ولا ينقص من شكره، القائل لئن شكرتم لأزيدنكم ،أحمد وأشكره على جزيل نعمه وما وفقني إليه باتمام كتابة الرسالة بمنه وفضله وببركة الصلاة على نبيه محمد وآل بيته الطبيين الأطهار(صلوات الله عليهم أجمعين).

و بعد... فمن باب الالتزام بنهج معلم البشرية الأول (صلى الله عليه وآله وسلم) و قوله من لم يشكر الناس لم يشكر الله فإني أتقدم بخالص الشكر والعرفان لكل من أسهم بتقديم يد العون والمساعدة لي طيلة مسيرة حياتي العلمية عامة، ومرحلة دراسة الماجستير وكتابة رسالتي المتواضعة بصورة خاصة وعلى رأسهم الأستاذة المساعدة الدكتورة **(عبير عبد الرسول محمد التميمي)** لتفضلها بالإشراف على هذه الدراسة ولرحابة صدرها وما غمرتني به من ثقة وإرشادات قيمة وآراء سديدة ونصح طيلة فترة الدراسة فأسأل الله لها السداد و حسن الجزاء في الدنيا والآخرة .

كما يشرفني التوجه بفائق الشكر والتقدير لعمادة كلية التربية ورئاسة قسم التاريخ لجهودهم المبذولة ، ولا أنسى فضل جميع أساتذتي، مع حفظ الألقاب والمقامات العلمية لاسيما الأستاذ المساعد الدكتور **(محمد مهدي الشبري)** الذي كان لنا أستاذًا ومعلمًا وأخًا طيلة فترة الدراسة في السنة التحضيرية كما وأخص بالشكر والامتنان الأستاذ الدكتور(**أياد عبد الحسين الخفاجي)** لتفضله باقتراح عنوان الرسالة فضلًا عن تقديمه الإرشاد والتوجيه لكتابة محاورها الرئيسة .

ولا أنسى التقدم بوافر التقدير والامتنان لكل من أسهم بتقويم رسالتي علميًا ولغويًا ولتفضلهم بقراءة الرسالة وإبداء آرائهم وتصويباتهم السديدة بما يرفد الرسالة بالرصانة العلمية ؛ فجزاهم الله جميعًا خير الجزاء وأوفر الجزاء.

ولا يفوتني إبداء الشكر والعرفان للقائمين على كل من: مكتبة كلية التربية للعلوم الإنسانية في جامعة كربلاء، ومكتبتي العتبتين الحسينية والعباسية و المكتبة الرقمية في المكتبة الحيدرية التابعة للعتبة العلوية المقدسة لتعاونهم في رفد الرسالة بالمصادر والمراجع والرسائل العلمية .

و يطيب لي الاعتراف بالفضل والامتنان لعائلتي لاسيما زوجي ورفيق دربي لتفانيه وتقديمه التشجيع والعون والمساندة لي طيلة فترة الدراسة، مما كان له أكبر الأثر بتخفيف المسؤوليات وتوفير الوقت اللازم لإتمام متطلبات كتابة الدراسة .

وأخيرًا أتقدم بالشكر والتقدير لجميع إخواني وأخواتي وجميع أصدقائي وزملاء الدراسة وكل من أعانني ودعمني ولو بكلمة أو دعوة .

الباحثة

المحتويات

الآية	آ
الاهداء	ب
شكر وعرفان	ج
المحتويات	د
المقدمة	1
الفصل الأول إرهاصات حرب الجمل (36هـ/656م)	**6**
المطلب الأول/ الثورة على عثمان ومسبباتها	6
أولاً المخالفات الشرعية للأحكام الدينية	6
ثانيًا الأسباب السياسة الإدارية	8
ثالثًا الاسباب والعوامل الاقتصادية	13
المطلب الثاني/ موقف أصحاب الجمل في الثورة على عثمان	23
أولًا: موقف السيدة عائشة بنت أبي بكر	23
ثانيًا: موقف طلحة بن عبيد الله	31
ثالثًا: موقف الزبير بن العوام	34
المطلب الثالث / البيعة للإمام علي(عليه السلام) وتداعياتها السياسية	38
أولًا: المنهج الإصلاحي وتداعياته السياسية	39
ثانيًا: ظهور المعارضة السياسية	41
ثالثًا: دور معاوية و الأمويين في حرب الجمل المطلب الرابع/ روايات الجذور التاريخية لدوافع خروج السيدة عائشة على الإمام علي(عليه السلام)	44 51
أولاً : رواية قصة الإفك	51
ثانيًا : العامل النفسي العاطفي و أثره على توتر العلاقة بين السيدة عائشة الإمام علي وفاطمة (عليهما السلام)	60
ثالثًا: حوادث رحيل النبي (صلى الله عليه آله وسلم)	65
الفصل الثاني / مرويات المسير للبصرة	**75**

المطلب الأول/ مرويات وأحداث ما قبل المسير	75
أولاً :روايات مسير عائشة الى مكة	75
ثانيًا: رواية لقاء عائشة بابن عباس في الصلصل	79
ثالثًا: روايات نعي عثمان في مكة	81
رابعًا: روايات رجوع عائشة للمدينة ولقاءها بابن أم كلاب عند سرف	83
خامسًا: رواية خطبة عائشة في مكة	87
سادسًا: رواية اجتماع المعارضين في مكة	95
المطلب الثاني / روايات أحداث المسير الى البصرة	103
أولًا: رواية الخروج الى ذات عرق(يوم النحيب)	103
ثانيًا: روايات نزاعات الطريق	110
أـ النزاع على إمامة الصلاة بين طلحة والزبير وابنيهما	110
ب ـ انسحاب سعيد بن العاص والمغيرة بن شعبة عن جيش الناكثين في أوطاس	114
ثالثًا: روايات النزول في الحوأب	124
أـ روايات الحوأب في كتب الحديث	124
ب ـ روايات الحوأب عند أصحاب السير والأخبار	130
ج ـ روايات الحوأب في تاريخ الرسل والملوك	133
المطلب الثالث/ روايات نزول معسكر الجمل في حفر ابي موسى	142
أولاً: روايات بعثة والي البصرة لمعسكر الجمل	142
ثانيًا: رواية الطبري عن سيف بن عمر	143
ثالثًا: تضمين نظرية اعتزال الفتنة في رواية سيف بن عمر	145
رابعًا :روايات بعثة والي البصرة عند غير سيف من الرواة	148
خامسًا: حوارات المبعوثان مع اصحاب الجمل في نكث البيعة	156
الفصل الثالث/ روايات السيطرة على البصرة ونهاية المسير	
المطلب الأول / روايات السيطرة على البصرة و معركة الجمل الصغرى	161
أولًا: الزحف نحو المربد (الحملة الأولى)	162

ثانيًا: النزول في دار الرزق (الحملة الثانية)	165
ثالثًا: كتاب الصلح بين ابن حنيف ومعسكر الجمل	167
رابعًا: نقض الهدنة وشن (الحملة الثالثة)	168
المطلب الثاني / الدور الدعائي والإعلامي للسيدة عائشة في البصرة	177
المحور الأول: مراسلات زعماء ووجوه البصرة	177
المحور الثاني: مكاتبات اهل الأمصار	182
أـ رسالة السيدة عائشة لأهل المدينة	182
ب ـ رسالة عائشة لحفصة بنت عمر بن الخطاب	185
ج ـ كتاب السيدة عائشة إلى أهل اليمامة	190
د ـ رسائل السيدة عائشة لأهل الكوفة	193
ز ـ مكاتبة السيدة عائشة لشخصيات من أهل الكوفة	196
1. الكتاب الموجه لأبي موسى الأشعري	197
2ـ كتاب عائشة لزيد بن صوحان	200
المطلب الثالث / نهاية مسير عائشة للبصرة	204
أولاً :أحداث ما قبيل المعركة	204
ثانيًا: قيادة للمعركة	207
ثالثًا: موقف الإمام علي(عليه السلام) من السيدة عائشة وجيش الجمل عقب هزيمتهم في المعركة	214
رابعًا: تسيير السيدة عائشة من البصرة	219
خامسًا: رواية خطبة السيدة عائشة عند رحيلها من البصرة وتسوية الخلاف	223
المطلب الرابع/ موقف السيدة عائشة من الإمام علي(عليه السلام) وخصومه بعد حرب الجمل	226
الخاتمة	334
المصادر والمراجع	336

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد للّه الذي استفاضت براهين وجوده بآثار قدرته والصلاة والسلام على أفضل رسله وأكرم بريته، وعلى الأصفياء من عترته التابعين لهديه وسيرته وبعد ...

تعد وقعة الجمل من أخطر الأحداث التاريخية التي عصفت بالأمة الإسلامية عقب رحيل نبيها الأكرم(صلى الله عليه وآله وسلم) إلى جوار العلي الكريم ، فالخلاف فيها دار بين شخصيات احتلت منزلة مهمة في الأوساط الإسلامية المتعددة، مما كان له أكبر الأثر في رسم المستقبل السياسي والديني والثقافي للأمة الإسلامية منذ ذلك الوقت وحتى وقتنا الحالي .

فمن جانب كان هنالك أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) وهو إبن عم رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)وصهره، ووصيه ومبلغ رسالته، ومن الجانب الآخر كان هنالك إحدى أزواجه وابنة أول الخلفاء، والمحدثة لأحاديثه عقب رحيله، السيدة عائشة بنت أبي بكر، يساندها اثنين من الشخصيات القرشية التي برز تأثيرها السياسي بحكم انتمائهما لمجلس الشورى المشكل من قبل الخليفة الثاني عمر بن الخطاب.

وبناءً على ما تقدم فإن الخوض في المرويات التاريخية التي تتناول الحديث عن الأدوار السياسية لتلك الشخصيات؛ يعد من المواضيع الشائكة التي تم تجنبها في العصور السابقة ، فضلًا عن أن الموروث التاريخي لأحداث العهد النبوي وصدر الإسلام بصورة عامة، وفترة حكومة الإمام(عليه السلام) على الأخص ناله شيء كثير من الوضع والتحريف على يد الأقلام المأجورة وأبواق السلطات الحاكمة المتعاقبة لتضليل وطمس الحقائق التاريخية وإبدالها على وفق ما يناسب مصالحها وشرعنة سلطانها، وتبعهم بذلك آخرون على مر العصور والأزمنة تحت تأثير عوامل عدة قد تكون سياسية أو شخصية أو فكرية وعقائدية، فطغت تلك الروايات المشوهة والمزيفة وانتشرت فأمست تشكل أشبه ما يكون بالتاريخ الرسمي لتلك الوقائع الأكثر حراجة في التاريخ الإسلامي.

بالمقابل تم تجاهل والتشكيك بروايات أخرى رغم أنها أكثر واقعية و موضوعية في نقل مجريات الأحداث، فغيبت حتى تلاشت وطمست إلى حد ما في كثيرٍ من الكتابات التاريخية، مما أوجد ثغرات وغموض في تلك الحوادث، نتج عنه صعوبة في فهم وتفسير تلك الوقائع والمواقف التاريخية إذا ما أراد الكاتب أو الباحث كتابة التاريخ لأجل إنصاف التأريخ، وتدوينه كما هو دون تزييف وتنميق للحقائق. فلاشك أن للحق وجها واحدًا لا ثانٍ له والأهم؛ أن تاريخ الأمة الإسلامية ليس كغيرة من التواريخ لارتباطه بعقيدة الشعوب الإسلامية الدينية والفكرية .

وبناءً عليه فلابد من مواصلة الجهود لتنقية ذلك الموروث بصورة موضوعية للوصول إلى الحقيقة أو جزء منها على أقل تقدير، وبما أن الله قد أبى الكمال إلا لكتابه الكريم، فقد جاءت هذه الدراسة المتواضعة كمحاولة للإسهام في تنقية جزء من ذلك الموروث، وتبيان وتسليط الضوء على ما طمس منه وفق ما تم الاطلاع عليه من الروايات في المصادر التاريخية المختلفة.

ومن خلال المنهج الوصفي التحليلي، اقتضت متطلبات الدراسة تقسيم البحث الى ثلاثة فصول تسبقها مقدمة وتليها خاتمة فجاء الفصل الأول تحت عنوان :(إرهاصات حرب الجمل) وقد تناول دراسة مجريات الأحداث والوقائع التي سبقت اندلاع حرب الجمل والمتمثلة بالثورة على حكومة عثمان بن عفان وتحليل العوامل والظروف المسببة لاندلاعها، كما تناول دراسة ظروف بيعة الإمام علي(عليه السلام) ودوافع المعارضين لقيام حكومته، فضلًا عن تبيان الجذور التاريخية لدوافع لخلاف السيدة عائشة له .

أما الفصل الثاني من الدراسة، فقد أطر بعنوان: (مرويات المسير للبصرة) وقد جاء لدراسة مضامين الروايات التاريخية الواردة حول ملابسات خروج زوج النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ومن تبعها لحرب الجمل، بدءًا من روايات خروجها من المدينة نحو مكة في خضم الثورة على حكومة عثمان بن عفان، حتى وصول موكبها إلى البصرة .

في حين حمل الفصل الثالث عنوان: (مرويات السيطرة على البصرة ونهاية المسير)، وقد خصص لدراسة مضامين روايات دخول عساكر موكب الجمل للبصرة وتسليط الضوء على موقف أهل البصرة وملابسات معركة الجمل الصغرى التي سبقت وصول جيوش الإمام علي للبصرة، كما تم تناول بعض روايات المعركة التي تبين حقيقة موقف زوج النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) عائشة من الحرب، وروايات عودتها للمدينة المنورة بعد إنتهاء المعركة ، وجاء المطلب الأخير منه تسليط الضوء على موقفها السياسي من الحوادث التي تلت حرب الجمل.

وعقبت الفصول خاتمة لتبيان خلاصة البحث وأهم ما توصلت إليه الدراسة، يتبعها قائمة المصادر والمراجع التي أفادت الدراسة و كان أهمها كتاب تاريخ الرسل والملوك لمحمد بن جرير الطبري (ت :310هـ / 922م) لجمعه وحفظه عدد كبير من الروايات التاريخية للرواة المتقدمين عليه والذين كانت كتبهم مفقودة حتى وقت قريب، كأبي مخنف الأزدي (ت157هـ /773م) وكتابه أخبار الجمل، و سيف بن عمر التميمي الظبي (ت: أواخر القرن الأول الهجري) وكتابه الجمل ومسير عائشة وعلي (عليه السلام) ولقد استعان الباحث بالنسخ المحققة لكلاهما، ولقد عنت الدراسة الى حدٍ كبير، بدراسة الروايات الواردة عن الأخير فرغم ما اشتهر به من وضعه للحديث والأخبار المكذوبة نجد كثير من الدراسات والمصادر القديمة والحديثة تعول على مروياته ؛ لذا ارتأى الباحث تسليط الضوء على ما يتعلق منها بموضوع الدراسة كمحاولة لتمحيص رواياته من خلال مقارنتها بالروايات والأخبار المتواترة والمشهورة في المصادر التاريخية المعتبرة ، ومعرفة مدى اتفاقه ومحالفته لها.

كما أفادت الدراسة من من كتب أخرى لا تقل أهمية من الناحية العلمية وغزارة مروياتها التاريخية منها كتاب الإمامة والسياسة لإبن قيبة الدينوري (ت:276هـ/889م)،وأنساب الأشراف للبلاذري(ت:279هـ / 892م)، وكتاب الجمل للشيخ المفيد (ت: 413هـ / 1022م)، والتي أفاد منها الباحث في مقارنة الروايات وتتبع سير الأحداث التاريخية .

كما ويعد كتاب نهج البلاغة لخطب الإمام علي (عليه السلام) وشروحه من بين الكتب المهمة التي اعتمدها الباحث، لاسيما شرح ابن أبي الحديد المعتزلي، وشرح شيخ الأزهر محمد عبده .

أما كتب التراجم والطبقات فقد أعانت الباحث بشكل كبير في ترجمة بعض الشخصيات الواردة في ثنايا الدراسة، فضلًا عما تحتويه من روايات وأخبار تاريخية لموضوع الدراسة، من بينها كتاب الطبقات لإبن سعد (ت: 230هـ /844م)، وكتاب سير أعلام النبلاء للذهبي (ت: 748هـ / 1347م) وكتاب الإصابة في معرفة الصحابة لإبن حجر العسقلاني (ت: 852هـ / 1448م) .

كما اقتضت طبيعة الدراسة الرجوع إلى مجموعة من كتب تفسير النصوص القرآنية التي تم الاستدلال والاستشهاد بها في الدراسة كالتبيان في تفسير القرآن لأبي جعفر الطوسي (ت:460هـ / 1067م)، و الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (ت: 671 هـ/1273م) والدر المنثور للسيوطي (ت: 911هـ / 1505م) .

كما أسهمت كتب الحديث في إثراء الرسالة بشكل كبير إذ حملت في طياتها العديد من الأخبار والروايات الواردة على لسان النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) وأهمها مسند ابن حنبل (ت : 241هـ / 855م)،وصحيح مسلم (ت: 261هـ / 874م)، وصحيح البخاري (ت: 256هـ/869م)، والمستدرك على الصحيحين للحاكم النيسابوري (ت: 405هـ / 1014م) .

كما كان لكتب اللغة فائدة جمة في توضيح وفهم معاني المصطلحات والألفاظ الواردة في الروايات التاريخية وتبيان دلالاتها اللغوية ومن تلك الكتب: كتاب الفائق في غريب الحديث والأثر للزمخشري (ت: 538هـ/ 1144م)، وكتاب النهاية في غريب الحديث لصاحبه ابن الأثير أبو السعادات (ت:630هـ / 1232م)، وكتاب لسان العرب لابن منظور(ت: 711هـ / 1311م) .

ولا يفوتنا ذكر كتب البلدان التي أفادت الدراسة في تبيان مواقع بعض الأماكن الواردة في الرسالة ومن أبرزها كتاب معجم البلدان لياقوت الحموي (ت : 626هـ/ 1228م) وكتاب معجم ما استعجم من

أسماء البلاد والمواضع لصاحبه أبي عبيد الله البكري الأندلسي (ت: 478هـ / 1085م)، وكتاب الروض المعطار في خبر الاقطار للحميري (ت900هـ /1494م) .

هذا واعتمدت الدراسة على مجموعة من المراجع والموسوعات الحديثة التي لا غنى لأي باحث عنها منها كتاب الفتنة الكبرى لطه حسين، وكتاب الفتنة جدلية الدين والسياسة في الاسلام المبكر لهشام جعيط، وكتاب عائشة والسياسة لجمال الدين الأفغاني، وكتاب أحاديث أم المؤمنين عائشة للعلامة المحقق السيد مرتضى العسكري، فضلاً عن مجموعة أبحاثة ومؤلفاته القيمة حول شخصية عبد الله ابن سبأ ودوره في أحداث الفتنة .

ولا ننسى ذكر الموسوعات المختصة بسيرة الإمام علي (عليه السلام) التي أثرت الدراسة بشكل واسع، كموسوعة الغدير في الكتاب و السنة و الأدب للعلامة عبد الحسين الأميني (ت 1392هـ/1972م)، وموسوعة الأمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب للشيخ المحقق باقر شريف القرشي، والصحيح من سيرة الأمام علي(عليه السلام) للمحقق الشيخ جعفر العاملي .

فضلًا عن بعض الرسائل الجامعية التي اطلع عليها الباحث وأفادته بمقارنة الروايات، بعد الرجوع لمصادرها الأصلية منها الرسالة الموسومة بـ (مرويات أبي مخنف في تاريخ الطبري عصر الخلافة الراشدة دراسة نقديه) لصاحبها يحيى بن إبراهيم بن علي اليحيى ، ودراسة أخرى بعنوان (استشهاد عثمان ووقعة الجمل في مرويات سيف بن عمر) لصاحبها خالد بن محمد الغيث.

وأخيرا فغاية ما أرتجيه أن أكون قد وفقت في عملي هذا فأن أصبت فأجري على الله وأن أخطأت فأطلب منه الصفح والمغفرة، والله من وراء القصد .

الباحثة

الفصل الاول

إرهاصات حرب الجمل (36هـ/656م)

الفصل الأول

إرهاصات حرب الجمل (36هـ/656م)

المطلب الأول/ الثورة على عثمان ومسبباتها:

تعد الثورة على الخليفة عثمان ومقتله هي أول إرهاصات حرب الجمل إذ كان الطلب بدم الخليفة المقتول هو الشعار الذي رفعه المعارضون لحكومة الإمام علي بعد توليه الخلافة لتبرير خروجهم عليه وتسيير الجيوش لمحاربته في معركة الجمل، لذا اقتضت الدراسة تسليط الضوء على تلك الواقعة ومحاولة معرفة مسبباتها ومواقف بعض الشخصيات منها و لاسيما اولئك الذين خرجوا للمطابة بدمه فيما بعد.

لقد اختلفت اراء المؤرخين والكتاب حول اسباب الثورة على الخليفة وكثر الاجتهاد والجدل يرى البعض أن مدة خلافة عثمان تنقسم الى ست سنوات هادئة وخالية من الاضطرابات وست سنوات من السخط والاستياء ففي رواية للزهري[1] :" **لما ولي عثمان عاش اثنتي عشرة سنة أميرا يعمل ست سنين لا ينقم الناس عليه شيئا**" [2] الا أن سير الوقائع التاريخية تنفي هذا الادعاء، ويعد هشام جعيط ذلك التقسيم تبسيط مخل للأمور، فيقول "**إن الفكرة القائلة ان عثمان قد قطع سنة سابقيه وكان يناقض روح الاسلام كانت قد تكونت في وقت مبكر جدا**" [3]. فسير الحوادث التاريخية يكشف أن اول مخالفة للخليفة الجديد كانت منذ اليوم الاول لتسنمه منصبه وكانت تتعلق بأحكام الدين الشرعية لذا ارتأينا أن نبدأ بتسليط الضوء على هذا الجانب قبل الجوانب الاخرى (الإدارية والاقتصادية) .

أولاً: المخالفات الشرعية للأحكام الدينية :

أ ـ ترك إقامة الحد في قضية قتل الهرمزان[4] استقبل الخليفة خلافته بمخالفة صريحة للأحكام الشرعية التي جاء بها الدين الإسلامي عندما أفتى بالعفو من القصاص عن قاتله عبيد الله بن عمر[1]

([1]) أبو بكر محمد بن مسلم بن شهاب الزهري أحد الفقهاء والمحدثين والأعلام التابعين بالمدينة ، نزل الشام وعرف بملازمته للحكام الامويين قال عنه المحدث ابن مكحول:" **أي رجل الزهري لولا انه افسد نفسه بصحبة الملوك** " فعين له عبد الملك بن مروان راتبا ثم لازم الوليد بن عبد الملك وهشام بن عبد الملك الذي اسند اليه مهمة تعليم اولاده، وقام بجمع الحديث الشريف بطلب من عمر بن عبد العزيز، ثم صار قاضيا في عهد يزيد بن عبدالملك، توفي سنة(124او125هـ) ينظر: ابن عساكر،تاريخ دمشق،ج55،ص294.؛الذهبي،تذكرةالحفاظ، ص113؛المقريزي،المقفى الكبير،ج7، ص133.139.

([2]) ابن سعد، الطبقات، ج3، ص64؛ ابن عساكر، ج39، ص251.

([3]) الفتنة جدلية الدين و السياسة في الاسلام المبكر، ص65.

([4]) من ملوك فارس، وأسر في فتوح العراق، في عهد الخليفة عمر بن الخطاب، ثم كان مقيما عنده بالمدينة، واستشاره في قتال الفرس، وقيل كان لا يفارق عمر حتى قتل فاتهمه بعض الناس بممالاة قاتله ابو لؤلؤة، فقتله عبيد الله بن عمر ثأرًا لأبيه. ابن حجر، الإصابة في معرفة الصحابة، ج6، ص448.449؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج7، ص101.

الذي ثار لقتل ابيه فقتل بغير حق الهرمزان، فأورد البلاذري أن عثمان صعد المنبر فَقَالَ: " **أيها النَّاس ...وقَدْ كَانَ من قضاء اللَّه أَن عُبَيْد اللَّهِ بْن عُمَر أصاب الهرمزان، وَكَانَ الهرمزان من الْمُسْلِمِينَ ولا وارث لَهُ إلا المسلمون عامة وأنا إمامكم وَقَدْ عفوت أفتعفون؟ قَالُوا: نعم، فَقَالَ عَلِي: أقد الفاسق فَإِنَّهُ أتى عظيمًا، قتل مسلمًا بلا ذنب، وَقَالَ لعبيد اللَّه: يا فاسق لئن ظفرت بك يومًا لأقتلنك بالهرمزان**"[2].

يتضح من هذا النص معارضة الإمام علي(عليه السلام) لترك عثمان اقامة حدود الله وهو من كبار الصحابة، ولم يكن وحده من اعترض بل في رواية لابن سعد[3] " **فأجمع رأي المهاجرين والأنصار على كلمة واحدة يشجعون عثمان على قتله**"، وأشار إلى أن المقداد بن عمرو[4] اعترض بقوله :" **ان الهرمزان مولى لله ولرسوله، وليس لك ان تهب ما كان لله ورسوله**" [5] ومن هنا كان أول خلاف بين الراعي والرعية ذلك الخلاف الذي أخذ يشتد ويشتد حتى عظم خطبه وأتسع نطاقه فشمل المدينة والأمصار.[6]

ب ـ مخالفته للسنة المعروفة المستفيضة عن النبي (صلى الله عليه آله وسلم)في مسألة اتمامه الصلاة [7] فقد روى الطبري في حوادث سنة (29هـ/650م): "**إن أول ما تكلم الناس في عثمان ظاهرا أنه صلى بالناس بمنى**[8] **في ولايته ركعتين حتى إذا كانت السنة السادسة أتمها فعاب ذلك غير واحد من أصحاب النبي (صلى الله عليه آله وسلم)وتكلم في ذلك من يريد أن يكثر عليه** " [9]ولما جاءه علي (عليه السلام) يسأله عن سبب تلك

([1]) عبيد الله بن عمر بن الخطاب ولد على عهد رسول الله (صلى الله عليه آله وسلم)، وهو الذي قتل الهرمزان وابنة ابي لؤلؤة قاتل أبيه ورجل من النصارى يدعى جفينة، وكان عمر قد أوصى باقامة البينة عليه بعد وفاته، ولكن عندما تولى عثمان الخلافة أخذ بنصيحة عمرو بن العاص وعفى عنه، و أخرجه إلى الكوفه وأقطعه فيها دارا وأرضا تدعى الكويفة، ولما بويع للأمام علي (عليه السلام) خاف أن يقتص منه فهرب إلى معاوية بالشام وقتل معه في صفين. اليعقوبي، تاريخه، ج2، ص162؛ المفيد، الجمل، ص102؛ ابن عبد البر، الاستيعاب، ج3، ص148.149 .

([2]) أنساب الاشراف، ج5، ص510.

([3]) الطبقات الكبرى، ج5 ص17.

([4]) المقداد بن عمرو بن ثعلبة بن مالك بن ربيعة ، وكنيته أبا معبد، حالف أبوه كندة فتبناه في الجاهلية الأسود بن يغوث الزهري فكان يقال له المقداد بن الأسود، ولما نزلت الآية ((ادعوهم لآبائهم)) قيل له المقداد بن عمرو، هاجر إلى الحبشة الهجرة الثانية وشهد المواقع كلها مع رسول الله(صلى الله عليه آله وسلم)، ثم صحب أمير المؤمنين علي(عليه السلام)، قيل توفي سنة 33هـ في خلافة عثمان وهو ابن سبعين سنة. ابن حجر، تقريب التهذيب، ج2، ص210.

([5]) البلاذري، انساب الأشراف، ج2، ص294؛ اليعقوبي، تاريخه ج، ص163

([6]) الغزاوي، مقتل عثمان، ص47.

([7]) سليم بن قيس، كتاب سليم بن قيس، ج2، ص، 895؛ البلاذري، أنساب الأشراف، ج5، ص527.

([8]) بالكسر، والتنوين، وهو موضع في الوادي الذي ينزله الحاجّ ويرمي فيه الجمار، على بعد فرسخ من مكة، سمّي بذلك لما يمنى به من الدماء أي يراق، وقيل: لأن آدم، عليه السّلام، تمنّى فيها الجنّة .الحموي، معجم البلدان، ج5، ص1 .

([9]) الطبري، تاريخ الرسل، ج3، ص322. ينظر: أبو الصلاح الحلبي، تقريب المعارف، 262؛ التستري،الأوائل، ص130.

المخالفة على الرغم من ان النبي (صلى الله عليه آله وسلم)كان يتمها ومن بعده ابو بكر وعمر وهو ايضا اول حكمه فرد عليه: "**رأي رأيته**" [1]، كما روي انه رفض الرجوع عن هذه الفتوى بالرغم معارضة الصحابة [2] .

ج ـ ومن مخالفته للشريعة استحداثه الأذان الثالث بعد الأذان والإقامة، فروي أن الّذي زاد التأذين الثالث يوم الجمعة عثمان بن عفان[3] فعاب الناس عليه ذلك وعدوه بدعة على ما جاء به النبي(صلى الله عليه آله وسلم)[4] من مخالفته للشريعة في مسائل الصلاة تقديمه الخطبة على الصلاة في العيدين[5]

د ـ نهى عن الجمع بين الحج والعمرة، وروي أن الإمام علي (عليه السلام) اعترض على تركه لتلك السنة لكنه أبى الرجوع عن نهيه قائلًا للإمام:" **دعنا منك**"(6) الا أن الإمام (عليه السلام) لم يركن لرأيه ورد عليه بقوله:" **مَا كنت لِأدع سنة رسول اللَّهِ** (صلى الله عليه آله وسلم) **لِقَوْلِ أَحَدٍ مِنَ النَّاسِ**"(7).

ز ـ ومن مخالفاته أخذ الزكاة من الخيل ولم يأخذها النبي (صلى الله عليه آله وسلم)ولا من بعده لكن عثمان أوجبها على الناس فنقموا ذلك عليه فروى عن الزهري ان عثمان كان يأخذ من الخيل الزكاة، وعن ابن حزم :"**وكان عثمان بن عفان يصدق الخيل**"[8] . فأنكر ذلك من فعله الصحابة ومنهم ابن عباس فقد روى عن رسول الله (صلى الله عليه آله وسلم)قال:" **عفوت لكم عن صدقة الخيل والرقيق**" [9].

تلك الممارسات والاجتهادات المتراكمة مع إصرار الخليفة على عدم الإذعان لآراء الصحابة مع ما رافقها من انحرافات اخرى ادت بالنهاية الى انتفاض المسلمين ضده، ومن الشواهد على ذلك ما روي عن زيد بن أرقم أنّه سُأل: "**بأيّ شيء أكْفرتم عثمان؟ قال : بثلاثة جعلَ المال دُولة بين الأغنياء، وجعل المهاجرين من أصحاب رسول الله** (صلى الله عليه آله وسلم)**بمنزلة من حارب الله ورسوله، وعمل بغير كتاب الله**"[10].

([1]) الطبري، تاريخ الرسل، ج3، ص322؛ أبو الصلاح الحلبي، تقريب المعارف، 262؛ التستري،الأوائل، ص130.

([2]) البلاذري، أنساب الأشراف، ج5، ص527؛ التستري، بهج الصباغة في شرح نهج البلاغة، ج9، ص174.

([3]) صحيح البخاري،ج2،ص9؛ ابي داوود،سنن أبي داوود،ج2،ص313؛النسائي، السنن الكبرى، ج2، ص575.

([4]) البلاذري، أنساب الأشراف، ج5، ص528؛ التستري، نهج الصباغة، ج9، ص174.

([5]) ابن أبي شيبة، المصنف، ج8، ص353؛ ابن حجر، فتح الباري، ج2، ص276

([6]) ابن حنبل، المسند، ج2، ص357؛ مسلم، صحيح مسلم، ج2، ص897.

([7]) ابن حنبل، المسند، ج2، ص353؛ صحيح البخاري،ج2، ص142.

([8]) المحلى، ج5، ص227.

([9]) البلاذري، أنساب الأشراف،ج5، ص513.

([10]) الشريف المرتضى، الشافي،ج4، ص291؛ ابو الصلاح الحلبي، تقريب المعارف،295؛ ابن ابي الحديد ج3، ص51.

ثانيًا: الأسباب السياسة والإدارية:

بعد الانتهاء من حادثة قتل الهرمزان، كان أول إجراءات الخليفة الجديد انه قام برد عمه الحكم بن أبي العاص[1] وبنيه إلى المدينة في مخالفة صريحة لأمر النبي (صلى الله عليه آله وسلم)،إذ عرف عمه بطريد رسول الله(صلى الله عليه آله وسلم)، وقد أمر بنفيه وولده الى الطائف، لشدة أذاه لله ورسوله(صلى الله عليه آله وسلم)، وقد ذكر ابن الجوزي انه كان احد الخمسة عشر الذين انتدبتهم قريش لقتل النبي (صلى الله عليه آله وسلم)[2] وبعد فتح مكة استمر بأذاه للنبي (صلى الله عليه آله وسلم) فكان من القلة الذين اهدر دمهم فقال: "**من عذيري من هذه الوزغة اللعينة ؟ ثم قال لا يساكنني ولا ولده**" [3] كما ورد أنه لُعن على لسانه [4] ،إلا أن عثمان تغاضى تغاضى عن هذا الموقف الصريح للنبي (صلى الله عليه آله وسلم)من بني أمية فآواهم وقربهم فذكر المؤرخون: "**ومما نقمه الناس على عثمان أنه آوى طريد النبي(صلى الله عليه آله وسلم)ولم يؤوه أبوبكر ولا عمر**"[5] . فخالف بذلك أوامر النبي (صلى الله عليه آله وسلم) وما قام به سابقيه، بل أنه أكرم الحكم وولاه على صدقات قضاعة ووهبه إياه فبلغت ثلاثمائة ألف دينار[6]، كما قرب ابنه مروان بن الحكم وجعله كاتبا له واستوزره حتى صار له حق التصرف بالأمور فكان ذلك مما نقمه الناس على عثمان [7]

شرع الخليفة بعد ذلك باتباع سياسة إدارية جوبهت بالمعارضة، وذلك عندما بدأ بتولية، أقربائه من بني أمية إدارة الأمصار والولايات الكبرى، فخالف بذلك الشرط الذي وضعه عبد الرحمن بن عوف عندما بايعه للخلافة فروي أنه: "**احلف عثمان وأخذ عليه العهود والمواثيق أن لا يحمل بني أمية على رقاب الناس وعلى أن يسير بسيرة رسول الله** (صلى الله عليه آله وسلم) **وابي بكر وعمر ولا يخالف شيئا من ذلك**"[8].

([1]) ينظر ترجمته: ابن عبد البر، الإستيعاب، ج1، ص360359؛ ابن الأثير، أسد الغابة، ج2، ص48.

([2]) المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ج2،ص49. وينظر: المرعشي، شرح إحقاق الحق، ج3، ص590.

([3]) البلاذري، أنساب الأشراف، ج1، ص205؛ الدياربكري، تاريخ الخميس، ج2، ص306.

([4] فروى ابن عساكر خبر مشادة كلامية حدثت بين الحسن والحسين (عليهما السلام) ومروان بن الحكم فقال لهم: " **أنكم أهل بيت ملعونين،فغضب الحسن**(عليه السلام)**وقال: ويلك أقلت أهل بيت ملعونون فوالله لقد لعنك الله على لسان نبيه وأنت في صلب أبيك**". تاريخ دمشق،ج57ص244.ينظر: سبط ابن الجوزي،تذكرة الخواص،ج2،ص127؛المتقي الهندي،كنز العمال،ج11، ص357

([5]) ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج5، ص37؛ سبط ابن الجوزي؛ تذكرة الخواص، ج2، ص 50

([6]) البلاذري أنساب الاشراف، ج5، ص521؛ الشريف المرتضى، الشافي في الإمامة،ج4، ص436.

([7]) الذهبي، تاريخ الإسلام، 229؛ ابن تغري بردي؛ مورد اللطافة ، ج1، ص104،

([8]) الذهبي، تاريخ الإسلام، 229؛ العسكري، معالم المدرستين، ص140.

ويبدو أن فراسة عمر قد صحت في عثمان فيروى أنه قال عنه قبل وفاته :"**والله لئن كان الامر اليه ليحملن بني أبي معيط[1] على رقاب الناس**" [2] فبعد مرور عام واحد على توليه الحكم جعل الوليد بن عقبة[3] واليا على الكوفة، وفي عام (25هـ/ 646م) أسند ولاية مصر لأخيه بالرضاعة ابن ابي سرح[4] كما أسند ولاية البصرة لابن خاله عبد الله بن عامر[5] وأطلق يد معاوية في بلاد الشام بعد أن كان له دمشق فحسب في زمن عمر[6] .

لقد أثارت هذه التقسيمات الإدارية معارضة الصحابة ففي رواية للزهري:" **لما ولي عثمان كره ولايته نفر من أصحاب رسول الله (صلى الله عليه آله وسلم)لان عثمان كان يحب قومه، فولي الناس أثنتي عشرة حجة، وكان كثيرا ما يولي من بني أمية من لم يكن له مع النبي صحبة، فكان يجيء من أمراءه ما ينكره أصحاب محمد (صلى الله عليه آله وسلم)وكان يستعتب فيهم فلا يعزلهم، فلما كان في الست الاواخر استأثر**

([1]) أبان بن أبي عمرو بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف، روي أن والده أبو عمرو كان عبدا يهوديا من الروم، وكان أسمه ذكوان فأستلحقه أمية وكناه أبا عمرو، أي أن بنوه موالي وليسوا من أمية لصلبه، فقد خلف على امرأة أمية وهي أم الأعياص العاص وأبو العاص وأبو العيص، فجاءت بأبان وهو أبو معيط، وكان من ابناءه عقبة بن أبي معيط الذي أمر النبي(صلى الله عليه آله وسلم) بقتله بعد معركة بدر لشدة عداءه للإسلام.ينظر:ابن الكلبي،مثالب العرب ج1،ص127؛الدينوري،المعارف،ج2،ص473؛الثقفي،الغارات،ج2،ص434؛القاضي النعمان،المناقب والمثالب، ص59.

([2]) ابن شبه، تاريخ المدينة،ج3،ص99؛ ينظر: ابن شاذان، الايضاح، ص498؛الدينوريي،الإمامة والسياسة،ج1، ص43.

([3]) الوليد بن عقبة بن ابي معيط (تم ترجمة نسب بني أبي معيط)، أخو عثمان بن عفان لأمه، أروى بنت كريز، قتل أبوه بعد الفراغ من غزوة بدر ، وأسلم الوليد وأخوه عمارة يوم الفتح، وهو الذي نزلت فيه الآية (49) من سورة الزمر: ((**يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جاءَكُمْ فاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا**))، ولاه عثمان على الكوفة فأساء السيرة فيها، وروي أنه صلى بالناس سكرانًا، فعزله وأقيم عليه الحد، وبعد مقتل عثمان، اعتزل في الشام، وشهد معركة صفين مع معاوية وقيل لَمْ يشهدها، ولكنه كَان حرض معاوية بكتبه وشعره، توفي سنة (61هـ/680)، ينظر: الأصبهاني، معرفة الأصحاب، ج5، ص2728؛ ابن الاثير أسد الغابة، ج5، ص420؛ ابن حجر، الاصابة، ج6، ص482.

([4]) عبد الله بن أبي سرح بن الحارث العامري،أخو لعثمان بْن عفان من الرضاعة قيل أنه أسلم قبل الفتح، وكان يكتب الوحي لرسول اللَّهِ (صلى الله عليه آله وسلم)، فكان يحرف ما يمليه عليه ثم ارتد مشركًا، وهرب إلى بمكة، فلما كان يَوْم الفتح أمر رَسُول اللَّهِ (صلى الله عليه آله وسلم)بقتله ولو تعلق بأستار الكعبة، فهرب إلى عثمان فغيبه ثم أستأمنه عند رسول الله (صلى الله عليه آله وسلم)، فصمت عنه طويلا ثم قبل، بعد مقتل عثمان فر إلى الرملة وقيل عسقلان فلم يشهد الجمل ولا صفين.ابن الأثير أسد الغابة،ج 3، ص155.

([5]) عبد الله بن عامر بن كريز بن ربيعة بن حبيب بن عبد شمس بن مناف وهو ابن خال عثمان بن عفان استعمله على البصرة سنة (29 هـ / 649م) بعد ان عزل ابا موسى الاشعري عنها ولم يزل عليها حتى قتل عثمان، فعقد له معاوية البصرة، ثم عزله عنها، توفي سنة 87هـ ينظر:ابن سعد: الطبقات، ج5،ص44؛ابن الاثير:أسد الغابة ج،3، ص184.185.

([6]) ابن كثير، البداية والنهاية،ج8،ص21.

ببني عمه " [1]، إن هذه الرواية توضح البعد الزمني الذي بدئت فيه مخالفات عثمان بتوليته بني أمية الامصار وبداية السخط على تلك السياسة الإدارية، كما أنها تبدو أكثر واقعية من رواية ابن سعد عن الزهري التي أوردناها سابقا والتي نصت على أن الخليفة عمل ست سنين من خلافته لا ينقم الناس عليه شيئا[2]، كان معظم هؤلاء الولاة وأقرباء الخليفة الذين ارتقوا المناصب من الطلقاء[3] فضلاً عن ذلك أنهـــم وباستثناء معاوية بن ابي سفيان والي الشام لم تكن لديهم خبرة في شؤون الحكم والادارة [4] كما كان كان بعضهم في سنٍ لا يأهله لتسنم هكذا مناصب وكان ذلك من ضمن انتقادات أبي ذر بقوله: "**يستعمل الصبيان ويقرب أولاد الطلقاء**" [5] وورد أيضا على لسان عائشة في خطبتها بالبصرة: "**فأنا نقمنا على عثمان ضرب السوط وأمرة الفتيان**"[6].

قد يقول قائل أن من ولاة عثمان من أثبت كفاءة حربية في الفتوحات، ردا على ذلك نقول فهل جاء الاسلام لإشاعة الحروب وتملك البلاد وجمع الغنائم أم جاء لترسيخ ونشر مبادئ الدعوة الالهية كالعدل والمساواة ورفع الظلم والقضاء على العادات الجاهلية والقبلية المقيتة، فيقول في ذلك المودودي: "**ان الكفاءات لم تكن في هؤلاء فقط دون سواهم، فلقد كان هناك من هم أكفأ منهم ومن قدموا خدمات جليلة أكثر فمجرد الكفاءة لم تكن حجة كافية لأن تخضع الدولة الاسلامية كلها لحكام بيت واحد**"[7].

فرواية عزل سعد بن الوقاص لرفضه ارجاع ما أستلفه من بيت المال غير راجحة، والحق أن بني أمية وأل أبي معيط كانوا يتعجلون الولاية ويحتالون في الوصول اليها ويلحون على عثمان ان يمهد لهم الطريق، فعندما عُزل سعد لم يول على الكوفة أحدا من كبار الصحابة [8] . ولعل في مقولة ابي سفيان الشهيرة في إجتماع بني أمية عند عثمان عند توليه للحكم: "**يابني أمية تلقفوها تلقف الكرة، فو الذي**

([1]) البلاذري، أنساب الأشراف، ج5، ص518 .

([2]) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج3، ص47؛ ابن عساكر، ج39، ص251.

([3]) تسمية تطلق على الذين خلى عنهم النبي (صلى الله عليه آله وسلم)يوم فتح مكة وأطلقهم فلم يسترقهم، والذين أدخلوا في الاسلام كرها،واحدهم طليق،وهو الاسير أذا أطلق سبيله.ابن الأثير ابو السعادات،النهاية في غريب الحديث والأثر،ج3،ص136؛ابن منظور، لسان العرب، ج10، ص227.

([4]) شحاته، قريش وعلي، 337 .

([5]) البلاذري انساب الاشراف، ج5، ص543

([6]) ابن أبي الحديد، الشرح، ج6، ص227؛ الأمين، أعيان الشيعة، ج1، ص451.

([7]) الخلافة والملك، ص65.

([8]) الفتنة الكبرى، ص 80.

يحلف به أبو سفيان مازلت أرجوها لكم ولتصيرن الى صبيانكم وراثة" [1] مما يؤكد الطموح السياسي المبكر لبني أمية بل أنهم كانوا يرون الفوز بمنصب الخلافة فرصة لاستعادة نفوذهم ومكانتهم التي فقدوها بعد دعوة النبي (صلى الله عليه آله وسلم). كما يروى أن ابا سفيان مر على قبر عم النبي (صلى الله عليه آله وسلم)حمزة فضربه برجله قائلا: "**يا أبا عمارة، إن الامر الذي اجتلدنا عليه بالسيف أمسى في يد غلماننا اليوم يتلعبون به**" .[2] لاشك كان تولي عثمان لمنصب الخلافة فرصة سانحة لاستعادة نفوذ هم لاسيما أنه عرف بمحاباة قومه، فذكر في تاريخ المدينة عندما اكثر الناس عليه المعارضة لكثرة أعطياته لقومه قال لهم: "**لو أن مفاتيح الجنة في يدي لأعطيتها بني أمية حتى يدخلوا من عند آخرهم، والله لأعطينهم ولأستعملنهم على رغم أنف من رغم** " [3] .

وبطبيعة الحال انعكست هذه السياسة على رؤية الخليفة لمنصبه فأصبح يرى ان الخلافة قميصا ألبسه ياه الله ولا يحق لأحد أن يخلعه منه[4] وفي مصادر" **سربالا سربلنيه الله** " [5] و ذلك عندما طلب منه الثائرون التنحي عن الخلافة، وقد فسر أبراهيم بيضون هذه المقولة بأن الخليفة كان متمسك بنظرية الحق الإلهي في الحكم **وأنه** :" **كان يغذي هذه النزعة لديه،الشعور السائد في أسرته الأموية بأنها استعادت ملكا مفقودا وحقا قديما في السلطة والنفوذ**" [6] وفي الواقع إن في المصادر ما يؤيد هذا الرأي فلم تكن هذه الفكرة حصرا على عثمان بل استحوذت على رؤية المقربين منه كذلك ، فعندما دخل الوليد الكوفة حاملا مرسوم توليته بدلا عن سعد بن ابي وقاص الذي استهجن قائلا: "**والله ما أدري أكست بعدنا أم حمقنا بعدك؟! قال له: لا تجزعن أبا أسحاق، فإنما هو الملك يتغداه قوم، يتعشاه آخرون، قال سعد: أراكم والله ستجعلونها ملكا**" [7] وقد صدق سعد في ظنه، فعندما احاط الثوار بعثمان طالبين منه الاستقالة من الحكم او ابعاد الامويين عنه خرج اليهم مروان وقال:" **شاهت الوجوه...جئتم تريدون تنزعوا ملكنا من**

([1]) المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، ج2، ص343، ينظر: البلاذري انساب الاشراف، ج5، ص 19.18؛ الطبري تاريخ الرسل، ج8، ص 185؛ ابن ابي الحديد، الشرح، ج9،ص53، القاضي النعمان، شرح الأخبار،ج2، ص147.

([2]) ابن ابي الحديد المعتزلي، الشرح، ج16، ص136.

([3]) ابن شبه،،ج3، ص317؛ الهيثمي، مجمع الزوائد، ج9، ص807.

([4]) البلاذري، انساب الأشراف، ج5، ص556؛ الطبري، تاريخ الرسل، ج3، ص404.

([5])الضبي،الفتنة ومقتل عثمان،ص21؛ابن أبي شيبة،ج8،ص583؛ابن ابي الحديد،الشرح،ج2،ص152.

([6])ملامح التيارات السياسية في القرن الاول الهجري، ص110

([7]) ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج3،ص83؛ النويري نهاية الارب،ج19،ص430؛ الورداني،،السيف والسياسة، ص97. ص97.

أيدينا، أخرجوا عنا ... ارجعوا إلى منازلكم، فو الله ما نحن مغلوبين على ما بأيدنا "[1] .فأثار هذا الرد استياء الثوار وأجج الموقف ضد الخليفة وكان أحد الاسباب المباشرة التي دفعت بالثوار لمحاصرة بيت الخليفة لمدة اربعين يوما ومن ثم مقتله .

ثالثًا: الاسباب والعوامل الاقتصادية :

من جانب آخر كان للأسباب الاقتصادية دورا واسعا في الثورة على الخليفة وعلو الاصوات المعارضة لسياسته المالية، ولابد من الاشارة الى أن الحالة الاقتصادية العامة في السنوات الاولى من حكم الخليفة اتسمت بالاستقرار لإبقائه على ولاة عمر بن الخطاب لمدة سنة ولأنه زاد في العطاء اول عهده[2] الا أن ما حدث أن نظرة الخليفة لمنصبه قد انعكست على نظرته للمال، ونستطيع من خلال النظر في العديد من المصادر التاريخية التي أسهبت بذكر الروايات المتعلقة بسياسة الخليفة أن نشخص أهم الاخطاء التي وقع فيها الخليفة والتي كانت محل نقمة الثوار وهي كالآتي:

أ ـ التصرف بأموال بيت المال وكثرة الهدايا والمنح : يعد موقف عثمان من بيت المال أحد أهم الجوانب الجديدة التي تميز النموذج السياسي الذي حاول عثمان صوغه وتقديمه، لعبت تلك النقطة البالغة الاهمية دورا كبيرا في خلق الفتنة داخل الامة. اذ أن عثمان لم يفهم نفسه على أنه خازن وحارس لبيت مالهم بل كان ينطلق من أن وظيفته القيادية العليا تعطيه حرية التصرف في بيت المال[3]، فلقد كان له تأويله الخاص إذ كان يرى ان المال مال الله وبما انه خليفة لله فأن له حق التصرف فيه، فعندما كان يعترض الناس على توزيعه الاموال العامة على افراد عائلته والمقربين منه كان تبريره وفقا لذلك المفهوم ففي رواية عن الزهري انه كان في خزائن بيت المال حلي وجواهر، فأخذ الخليفة من هذه الحلي لأهله، فاعترض الناس عليه ذلك وكلموه بكلام شديد فغضب الخليفة وخطب قائلا: "**هَذَا مال اللَّه أعطيه من شئت وأمنعه من شئت، فأرغم اللَّه أنف من رغم** " [4] وفي رواية قال: " **لنأخذن حاجتنا من هَذَا الفيء وإن رغمت**

([1]) الطبري، تاريخ الرسل،ج3، ص397؛ المفيد، الجمل،ص137؛ ابن كثير،البداية والنهاية،ج7،ص103؛الخليلي،من حياة الخليفة عثمان بن عفان، ص266.

([2]) ابن قتيبة،الامامة والسياسة،ج1،ص45؛ابن أعثم،الفتوح،ج2،ص370.

([3]) أبراهيم، الاسلام والسلطان والملك، ص234.

([4]) البلاذري، أنساب الأشراف،ج5، ص580؛الاميني، الغدير، ج8، ص281.

أنوف أقوام " [1]، لقد أثارت تلك لمقولة المعترضين بما فيهم كبار الصحابة في مقدمتهم عمار بن ياسر مما دفع بعثمان الى ضربه لأنه عده تجرءً على سلطته، فقيل أنه ضربه حتى غشي عليه[2].

واذا ما عدنا الى سُنَة النبي(صلى الله عليه آله وسلم)وسيرته وهو المشرع الاعظم نجده يقول فيما أخرجه البخاري في صحيحه "**إِنَّمَا أَنَا قَاسِمٌ وَخَازِنٌ وَاللَّهُ يُعْطِي**" [3] وفي لفظ :"" **وَاللهِ مَا أُوتِيكُمْ مِنْ شَيْءٍ وَلَا أَمْنَعُكُمُوهُ، إِنْ أَنَا إِلَّا خَازِنٌ أَضَعُ حَيْثُ أُمِرْتُ** " [4] بل انه حذر من التصرف بمال الله بغير وجه حق بقوله :"**انَّ رِجَالًا يَتَخَوَّضُونَ فِي مَالِ اللَّهِ بِغَيْرِ حَقٍّ، فَلَهُمُ النَّارُ يَوْمَ القِيَامَةِ**"[5]

ولم يكن الخليفة بتأوله في التصرف بمال الله يريد تحقيق مصلحة لعامة المسلمين او لدرء خطر أو دفع عدو بل ان تأوله كان من اجل ارضاء أقرباءه، فأستلف من بيت المال وقسمه فيهم [6]، وكان يحتج على من يقول له أن ابو بكر وعمر لم يوزعوا الاموال لأ قرباءهم بقوله:" **أن ابا بكر وعمر كانا يتأولان في هذا المال ظلف أنفسهما وذوي أرحامهما وأني تأولت فيه صلة رحمي**" [7] فآثرهم بالفيء ومنحهم الثراء الواسع ووهبهم الاموال الطائلة من بيت مال المسلمين وقضى دينًا لزوج ابنته عبد الله بن خالد بن أسيد وأمرَ لهُ بستمائة ألف درهم، وكتب الى واليه على البصرة عبد الله بن عامر أن يدفعها من بيت المال[8] واعطى لعبد الله بن أبي سرح خمس غنائم الغزوة الاولى لأفريقيا، ويبدو أن المبلغ كان كبيرا جدا اذ يذكر ان اهلها صالحوا المسلمين على الفي الف وخمسمائة الف دينار وعشرين ألف دينار[9] .

كما وهب خمس الغزوة الثانية فقد وهبها لمروان بن عبد الحكم[10] واعطى الحارث بن الحكم[1] ثلاثمائة ألف درهم ووهبه أبل الصدقة التي وردت المدينة[2] اما عن ثروة الخليفة نفسه فيروى أنه نضد

([1])البلاذري،أنساب الأشراف،ج5،ص538؛الشريف المرتضى،الشافي في الإمامة،ج4،ص289؛ابن أبي الحديد،الشرح، ج3، ص49.

([2]) البلاذري،أنساب الأشراف،ج5،ص538؛ الشريف المرتضى، الشافي في الإمامة،ج3، ص289؛ابن أبي الحديد، الشرح، ج3، ص49

([3]) ج4، ص84

([4]) ابن حنبل، المسند، ج3، ص494؛ الطبراني، مسند الشاميين، ج3، ص318.

([5])ابن حنبل،المسند،ج45،ص299؛البخاري صحيح البخاري، ج4، ص85،ابن حبان، صحيح ابن حبان،ج10،ص 371.

([6]) ابن سعد، الطبقات، ج3، ص291؛ البلاذري، أنساب الأشراف، ج5، ص512.

([7])ابن سعد، الطبقات، ج3، ص291؛ البلاذري، أنساب الأشراف، ج5، ص512.

([8]) اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج2، ص168

([9]) ابن الاثير،الكامل في التاريخ، ج3، ص91.

([10]) ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج3، ص91.

أسنانه بالذهب[3] واقتنى الاموال وبنى القصور وترك من الاموال والضياع مالا حد له فيذكر أنَّه يوم قتل كان له عند خازنه من المال خمسون ومائة ألف دينار وألف ألف درهم، وقيمة ضياعه بوادي القرى وحنين وغيرهما مائة ألف دينار، وقيل ثلاثون ألف ألف درهم وخمسمائة ألف وخلّف خيلاً كثيراً، وترك ألف بعير بالربذة[4] والحديث عما ذكر المؤرخون من هذه الهدايا والمنح يطول مما لا يتسع ذكره.

لاشك أن هذه العطاءات التي فاقت الحد جوبهت بمعارضة الصحابة ولاسيما خزان بيت المال فتشير الروايات أن أحدهم امتنع عن اعطاء الحكم بن ابي العاص مالًا أمر به الخليفة فألح عليه عثمان قائلا: " **إنما أنت خازن لنا فأذا أعطيناك فخذ واذا سكتنا فأسكت**" [5] مما أثار حمية الرجل فجاء للمسجد وعثمان يخطب وقال: " **إن عثمان زعم أني خازن له ولأهل بيته وإنما كنت خازنا للمسلمين وهذه مفاتيح بيت مالكم**" فأخّذها عثمان ودفعها لزيد بن ثابت [6] لم تكن تلك الحادثة فريدة، إذ أن مفهوم عثمان ونظرته لبيت المال وخزانه قد استحوذت على ولاته وافراد عائلته فقد أورد البلاذري موقفا مشابها لعبد الله بن مسعود في الكوفة عندما طلب من الوالي الجديد الوليد ان يرد مالا كان قد استلفه من بيت المال فرفض إرجاعه وكتب بذلك للخليفة الذي بعث لعبد الله بن مسعود بكتاب يقول: " **إنما انت خازن لنا فلا تعرض للوليد فيما اخذ من المال فطرح ابن مسعود المفاتيح وقال: كنت اظن أني خازن للمسلمين فإذا كنت خازنا لكم فلا حاجة لي في ذلك**"[7] وكذلك هو الحال مع معاوية الذي كان يرى ان المال مال الله وأنه خليفة الله في أرضه، وله الحق في أن يأكله ويهبه من يشاء، هذا الامر هو الذي دفع أبا ذر أن يواجه معاوية فيروى أنه قال له :"**ما يدعوك أن تسمي مال المسلمين مال الله**" [8] يشير علي شريعتي في تفسيره لنظرية أبي ذر أنه أراد بذلك ان يعلم معاوية أن مال الله هو مال الناس وليس مال الملأ، ولكنك يا معاوية تريد أن تأكل مال الناس بدعوى أن المال مال الله وأنك خليفة الله في أرضه ويحق لك أن تأكله وتهبه من شئت[9] .

([1]) الحارث بن الحكم بن أبي العاص ابن أمية بن عبد شمس الأموي أخو مروان بن الحكم، وهو ابن عم عثمان وزوج ابنته عائشة .ينظر ابن: ابن حزم، جمهرة أنساب العرب،ج1، ص87، ص109؛ابن عساكر،تاريخ دمشق،ج11، ص412.

([2]) البلاذري، أنساب الأشراف، ج5، ص515، الأميني، الغدير، ج8، ص267.

([3]) ابن سعد، الطبقات، ج3، ص85؛ المتقي الهندي، كنز العمال، ج6، ص494.

([4]) المسعودي، مروج الذهب، ج2، ص232.

([5]) اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج2، ص168؛ ينظر: البلاذري، أنساب الأشراف، ج5، ص548.

([6]) اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج2، ص168.

([7]) البلاذري،انساب الأشراف، ج5، ص518الاميني،الغدير،ج8، ص272. ينظر: ابن عبد ربه، العقد الفريد،ج5، ص57.

([8]) الطبري، تاريخ الرسل، ج3، ص335؛ابن الاثير الكامل في التاريخ،ج3،ص114؛النويري،نهايةالأرب،ج19،ص444.

([9]) شريعتي، دين ضد دين، ص62.

من باب آخر اتخذ العطاء في عهد الخليفة عثمان اتجاها سياسي إذ جعل الحرمان من العطاء وسيلة لتأديب من يعترض على سياسته أو سياسة أحد من ولاته كما فعل مع عبد الله بن مسعود وأبي ذر[1]، كما وروي أنه أمر عماله بالتضييق على الناقمين على حكمه في الامصار وأمرهم بتجمير الناس في البعوث وعزم على تحريم العطاء ليطيعوه ويحتاجوا اليه[2] ولابد من الاشارة الى ان سبب منافرة عائشة لعثمان وبداية الخلاف بينهما كان سببه أنه قلل عطاءها الذي كان يعطيه إياها الخليفة عمر وجعلها أسوة بباقي نساء النبي(صلى الله عليه آله وسلم)[3] .

ب ـ التصرف بأراضي وممتلكات الدولة :

1. اقطاع الاراضي: بعد عمليات الفتح التي قام بها المسلمين توسعت أراضي الدولة الإسلامية بشكل كبير، فظهرت مشكلة حيازة الارض المفتوحة، لا سيما مع مطالبة بعض الفاتحين بتقسيمها عليهم، إلا أن الخليفة عمر رأى أن يجعل الارض ملكا للدولة ويتركها بيد أهلها مقابل دفعهم الخراج، وذلك بعد مشاورة الصحابة وكان من بينهم الإمام علي (عليه السلام) الذي أشار عليه بإبقائها لتكون مادة للمسلمين[4] **بقوله:**" **إن إن قسمتها اليوم لم يكن لمن يجئ بعدنا شيء، ولكن تقرها في أيديهم يعملونها، فتكون لنا ولمن بعدنا**" [5]

لقد جنب هذا القرار الدولة الكثير من المشاكل الاقتصادية والاجتماعية والسياسية التي قد تحدث، فضلًا عن انسجامه مع سياسة المسلمين في تأليف قلوب سكان البلاد المحررة ودعوتهم للتعاون معهم، فضلًا عن استثمار الأراضي الزراعية بصورة جيدة مما يؤمن موردا مستمرا للدولة الإسلامية بما يدفعه لها أصحاب هذه الأراضي من ضريبة الخراج. [6]

في الواقع على الرغم من اتباع الخليفة عمر لتلك السياسة الا أن بعض المصادر تشير الى أنه أقطع لبعض الصحابة كزيد بن ثابت ، فيروى أنه كان كلما رجع من سفر له أعطاه أرضا ذات نخل، لأنه كان يستخلفه مكانه على المدينة[7] كما أقطع وادي العقيق للزبير بن العوام وغيره من الناس[1] ويعلل ابن

([1]) الدياربكري، تاريخ الخميس، ج268؛ الحلبي، السيرة الحلبية،ج2، ص87.

([2]) الطبري، تاريخ الرسل، ج3، ص374؛ ابن مسكويه، تجارب الأمم، ج1، ص430.

([3]) اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي،ج2، ص175؛ابن أعثم، الفتوح،ج2،ص421؛الرازي،المحصول،ج4،ص243.

([4]) ابو يوسف، الخراج، ص35.36؛ ابن سلام، الاموال، ص73؛ ابن قدامة، الخراج وصناعة الكتابة،ج1، ص362.

([5]) اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج2، ص152؛ محمديان، حياة الإمام علي على لسانه، ج3، ص290.

([6]) الوسيط في السيرة النبوية والخلافة الراشدة، ص380.

([7]) الذهبي، سير أعلام النبلاء،ج2،ص343؛ابن حجر، الاصابة،ج2، ص492؛المتقي الهندي،كنز العمال،ج2، ص572. ص572.

ابي الحديد ان عمر اقطع لكن لأرباب العناء في الحرب والآثار المشهورة تثمينا لجهودهم [2]،اي انه كان مقتصدا في ذلك على حالات قليلة ولعل لهذا السبب لم يؤاخذ عمر على عطاءاته[3] .

على أية حال لم يستمر العمل بهذا النظام بعد عمر، فقد شهد عهد عثمان توزيع الإقطاعات بشكل كبير فكان من أسباب نقمة الناس عليه وقالوا:" اعطيت الأرض رجالا وإن هذه الأرضين شاركهم فيها المهاجرون والأنصار أيام افتتحت"[4]، ورد في كتاب الأوائل:" **أول من أقطع الأرضين عثمان، ولم يقطع النبي** (صلى الله عليه آله وسلم)**ولا أبو بكر ولا عمر ولا على**"[5] وزاد ابن شبه بقوله: "**واول من اقطعها وباعها عثمان**" [6]، فضلًا عن ان الاراضي التي أقطعها لم تكن أراضي موات أو غير مملوكة لأحد بل كانت أقطاعاته في أراضي غنية تابع لبيت المال فجاء في فتوح البلدان:" **أول من أقطع العراق عُثْمَان بْن عَفَّان، أقطع قطائع من صوافي كسرى وما كان من أرض الجالية**"[7] ولقد تحولت هذه الاراضي من ملكية الدولة الى ملكية الأفراد بعد أن اقطعها الخليفة لعدد من الصحابة فكان اقطاع تمليك وليس مزارعة [8] علاوة على ذلك انه اقطع دون شروط فعن الصنعاني:" **أقطع عمر الخطاب وأشترط العمارة ثلاث سنين، وقطع عثمان ولم يشترط**" [9]، وبعض هذه الإقطاعات كان كبيرا يصل حد القرية او الضيعة او النهر، وكان المستفيدين هم المقربين منه والوجوه والأغنياء وليسوا من الفقراء او من ليس له مال او دار، وكانت من الأراضي الغنية ومعظمها من صوافي العراق، فذكر البلاذري عدة إقطاعات كهرمز التي أقطعها لسعد

([1]) ابن سعد، الطبقات،ج3، ص104؛ابن أبي شيبة، المصنف،ج7، ص460؛البلاذري،فتوح البلدان،ج2، ص22.

([2]) الشرح، ج1، ص269.

([3]) الحسيني، التنظيم المالي للدولة منذ صدر الإسلام حتى سقوط الدولة العثمانية، ص86.

([4]) الضبي،الفتنة ووقعة الجمل ص57؛الطبري،تاريخ الرسلج3، ص385؛غبان الصبحي، فتنة مقتل عثمان،ج2، ص749.

([5]) أبي هلال العسكري، ص178

([6]) تاريخ المدينة، ج3، ص1019. ولقد ورد الخبر بألفاظ مختلفة وفي مصادر عدة ينظر: ابن آدم، الخراج،ص79؛ البلاذري، فتوح البلدان، ج2، ص335؛ ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج2، ص204.

([7]) البلاذري، ج2، ص335.

([8]) ابن رجب، الاستخراج لأحكام الخراج، ص22.

([9]) المصنف، ج11، ص9.

بن وقاص وطيزنباذ للأشعث بن قيس [1] وذكر ابن شبه أنه أقطع لطلحة النشاستج [2]، كما روي أنه أقطع أقطع فدك [3] لمروان بن الحكم[4].

ولابد أن ننوه الى قرار بالغ الأهمية قام الخليفة باتخاذه سنة(30هـ/651) سمح باستبدال الاراضي ونقل الفي للناس حيث أقاموا من بلاد العرب فخطب في الناس قائلاً: "**ان الناس يتمخضون بالفتنة وأني والله لأتلخص إليكم الذي لكم حتى أنقله لكم**" **فدهش أهل المدينة وقالو كيف تنقل ما أفاء الله علينا من الأرض؟ فقال "تبيعها ممن شاء بما كان له بالحجاز ففرحوا وفتح الله عليهم**" [5]، لقد اتاح هذا القرار لمن لمن كان لهم اقطاعات في العراق من الاراضي المحررة استبدالها بأراضي أخرى في الحجاز واليمن[6]، ويبدو أن هذا القرار لاقى تأييد المستفيدين ورضاهم لأنه سهل لهم إدارة ممتلكاتهم والحد من تنقلاتهم.

لقد نتج عن هذه السياسة الاقتصادية غير المدروسة آثار سيئة لأن من انتفع بها إنما هم أصحاب الملكيات الضخمة، كما أنها فتحت المجال لتكتل الأتباع والأعوان لأعلام قريش أهل الصنائع في إقطاعاتهم التي كونوها في الأمصار، في حين أن عمر حجر على تلك الشخصيات الخروج إلا بإذن وأجل [7]، يقول طه حسين في تحليله لتلك الأحداث "**وجدت الإقطاعات الكبيرة الضخمة، والضياع الواسعة من جهة، وقام فيها العاملون من الرقيق والموالي والأحرار من جهة أخرى، فظهرت في الإسلام طبقة جديدة من الناس هي طبقة البلوتقراطية**[8] "[9]

وفي الواقع إذا ما عدنا للمسبب الرئيس الذي فكك المجتمع الإسلامي و خلق الطبقية وأعاده لروح القبلية السائدة قبل مجيء الإسلام،هو نظام التفضيل وعدم المساواة في العطاء، الذي اسس له الخليفة

([1]) فتوح البلدان،ج2،ص235.

([2]) تاريخ المدينة،ج3،ص1020.

([3]) قرية بالحجاز بينها وبين المدينة يومان اذ أفاءها الله على رسوله (صلى الله عليه آله وسلم)سنة (7 هـ /628م) صلحاً عندما فتح خيبر وبعد وفاة رسول الله (صلى الله عليه آله وسلم)نازع ابو بكر وعمر بن الخطاب فاطمة الزهراء(عليها السلام) فيها فانتزعت منها. ينظر: البلاذري، فتوح البلدان،ج1، ص38.35؛ الحموي، معجم البلدان،ج4، ص238؛ الهيتمي، الصواعق المحرقة، ص53.

([4]) البيهقي، سنن البيهقي، ج6، ص30؛ المقدسي، البدء والتاريخ، ج5، ص200.

([5]) الطبري، تاريخ الرسل، ج3، ص 332

([6]) طقوش، تاريخ الخلفاء، 373.

([7]) الضبي، الفتنة، ص75؛ الطبري، تاريخ الرسل، ج3،ص426؛ المالقي، التمهيد والبيان في مقتل الشهيد عثمان.

([8]) مصطلح يعني الحكم عن طريق الثروة، وهي نظام حكم تكون سياسته مبنية بصورة لا تسمح بالوصول إلى مناصب السلطة إلا لمن يمتلكون الثروات الضخمة. الجبالي، صقر وآخرون، المصطلحات المدنية والسياسية، ص38.

([9]) الفتنة الكبرى، ص105، جرداق، علي وعصره، ص167

الثاني عمر، و قيل أنه تنبه لمساوئه آخر أيامه وأراد العدول عنه لولا وفاته بقوله:"**لألحقن أسفل الناس بأعلاهم**"[1]؛ فيقول عن ذلك العلايلي: " **ان الثورة التي دارت على عثمان لم تكن نتيجة سياسته الخاصة الخاصة وحدها، بل ونتيجة مجاوزات سياسية سابقة ظهر أثرها الكامن حين استعد الظرف وحان حينه**"[2] . ومن ثم تفاقمت الآثار السلبية في عهد عثمان لما ترتب عليه من تفاوت كبير بالدخل السنوي بين الروادف من ابناء القبائل التي التحقت بالجهاد بعد معارك الفتوح، وبين أصحاب العطاءات العالية ممن التحقوا مبكرا بالحروب وكان معظمهم من رجال الدولة، فأخذوا بتملك الاراضي والمضاربة بالأراضي الزراعية واستبدالها واستثمار اموالهم فيها[3]، فتنامت الثروات وتكدست الأموال بأيديهم حتى وصفت تركات تركات بعضهم انها تكسر بالفؤوس كزيد بن ثابت والزبير و طلحة وعبد الرحمن بن عوف وغيرهم[4]، وقد وجدت إلى جانب هذه الطبقة المترفة، طبقة أخرى كبيرة وفقيرة لا تملك أرضا ولا مالا تلك هي طبقة الجنود المقاتلين وأهليهم، نتيجة استئثار عثمان وعمّاله بالفي والغنائم لا نفسهم والمقرّبين منهم وحرمان المقاتلين وبقيّة الامّة منها[5] لذلك تذمر الناس في عهد عثمان وأخذوا يعيبون التفضيل ويجعلونه جفوة، الا أنهم لم تكن لهم حجة يحتجون بها لأنهم لم يبلغوا مبلغ أهل السابقة والحظوة بحسب موازين ذلك النظام [6] .

ومن تلك النقطة انطلقت البذرة الاولى للثائرين في عام (30هـ/ 592م)عندما إستفز والي الكوفة سعيد بن العاص عدد من وجهاءها وقراءها بقوله:" **إنما السواد- يعني سواد الكوفة- بستان لقريش تأخذ منه ما شاءت وتترك ما تشاء**"[7] فأجج ذلك عليه موجة من الغضب والاستياء و اندفع الأشتر[8] رادًا عليه : " **أتجعل مراكز رماحنا وما أفاء اللّه علينا بستانا لك ولقومك ؟ والله ما يزيد أوفاكم فيه نصيبا إلا**

([1]) ابن سعد، الطبقات، ج3، ص300، ص301؛ ابن سلام، الأموال، ص336.

([2]) العلايلي، الإمام الحسين، ص233.

([3]) الملاح، الوسيط، ص416.

([4]) ينظر: المسعودي، مروج الذهب،ج2،ص333؛ابن خلدون، المتبدأ والخبر، ج1، ص204.

([5]) مجموعة مؤلفين،مع الركب الحسيني، ج1، ص111.

([6]) الطبري، تاريخ الرسل، ج3، ص333

([7]) البلاذري، أنساب الأشراف،ج5،ص529؛الاصفهاني الأغاني،ج12،ص366؛ الشريف المرتضى،الشافي،ج4، ص256 ص256

([8]) مالك بن الحارث النخعي، من اشراف الكوفة وقراءها، عرف بشجاعته وفصاحته، فقئت عينه يوم اليرموك، وكان من كبار أصحاب أمير المؤمنين الإمام علي (عليه السلام) شهد معه الجمل وصفين، ولاه الإمام ولاية مصر واستشهد على يد معاوية ابن ابي سفيان عن طريق دس السم اليه بالعسل سنة (38هـ/ 658م) . ينظر: الذهبي، سير اعلام النبلاء، ج4، ص35؛ القمي، الكنى والألقاب، ج2، ص31.

أن يكون كأحدنا "[1]، انضم قراء المصر وفقهاؤهم إليه مؤيدين مقالته ومنكرين، واشتبكوا مع قائد شرطة الكوفة وضربوه بوقوفه إلى جانب الوالي وعمت الفوضى والسخط ، فكتب سعيد بما حدث للخليفة، وكان رده عليه أن يسيرهم وينفيهم الى الشام [2]، الا أن أهل الكوفة منعوا سعيد من دخول الكوفة بعد خروجه لحضور اجتماع مع الخليفة فأضطر الى عزله وتولية ابو موسى الأشعرى[3] [4].

2 ـ مسألة الحمى[5] : مفهوم قديم عند العرب ومن عاداتهم الجاهلية التي قوضها الإسلام إذ كان فيها احتكار للمنفعة العامة فروي النبي عنه(صلى الله عليه آله وسلم):"**المسلمون شركاء في ثلاث:الكلأ والماء والنار**"[6] **والنار**"[6] الا أنه حمى بعض مناطق الرعي لأبل الصدقات فقال:" **لاحمى الا لله وللرسول**"[7] أي إلا ما يحمى لخيل المسلمين وركابهم التي ترصد للجهاد في سبيل الله وأبل الزكاة، كما جاء في تفسير الشافعي اي أنه لم يحمِ لنفسه وإنما لما فيه للمسلمين[8]، فكان الموضع الذي حماه النبي ومن بعده عمر، هو بقيع الغرقد[9] .

([1]) الطبري، تاريخ الرسل، ج3، ص365.

([2]) البلاذري، أنساب الأشراف،ج5، ص529 ؛الطبري، تاريخ الرسل، ج3، ص365.

([3]) عبد الله بن قيس الأشعري، من أهل سبأ كان حليفاً لسعيد بن العاص، هاجر إلى النبي (صلى الله عليه آله وسلم)فقدم مع جعفر زمن فتح خيبر واستعمله النبي (صلى الله عليه آله وسلم)مع معاذ على اليمن ثم ولي لعمر الكوفة **وبعدها والبصرة لعثمان**، ثم عزله وولاه الكوفة، ثم عزله عنها علي (عليه السلام) وكان احد الحكمين في معركة صفين، توفي سنة(42هـ/662م) وقيل غير ذلك . ينظر: الذهبي، تذكرة الحفاظ،ج1، ص22؛ ابن حجر، الإصابة، ج4، ص181.

([4]) الشريف المرتضى، الشافي، ج4، ص256، ابن أبي الحديد، الشرح، ج3، ص21، التستري، احقاق الحق، ص250.

([5]) هي مساحات شاسعة من الأرض يحتكرها الأفراد والأقوياء، ولا يسمحون للآخرين الإفادة منها ويعدونها ملكا خاصا، فكان من عادات العرب بالجاهلية اذا نزل العزيز بلداً في عشيرته استعوى كلبا فحمى لخاصته مدى عواء الكلب لا يشركه فيه غيره، فلم يرعى معه أحد وكان شريك القوم في سائر المراتع حوله، فلما جاء الاسلام نهى النبي(صلى الله عليه آله وسلم). عن ذلك الفعل. ينظر: الشافعي، الأم، ج4، ص48؛ الدينوري، غريب الحديث،ج2، ص169، ابن الأثير ابو السعادات، النهاية في غريب الحديث والأثر، ج1، ص467، الصدر، اقتصادنا، ص493.

([6]) ابو يوسف، الخراج، 96؛ ابن حنبل، المسند، ج12، ص174.

([7]) ابن ماجة، سنن ابن ماجة، ج4، ص106؛ الشافعي، المسند، ص381؛ صحيح البخاري، ج3، ص78، ج4، ص21. ص21.

([8]) ينظر: الشافعي، الأم ج4، ص49،48؛ الزبيدي، تاج العروس، ص343؛ الدينوري، غريب الحديث، ج2، ص169.

([9]) موضع يقع شرقي المدينة المنورة، وهو مدفن أهل المدينة، وفيه قبور عدد من السلالة النبوية الطاهرة، منها: قبر أبراهيم أبراهيم ابن النبي(صلى الله عليه آله وسلم)وقبر الزهراء وولدها الحسن، وقبر علي بن الحسين، ومحمد بن علي وجعفر بن محمد (عليهم السلام).ينظر:السمهودي، وفاء الوفاء بأخبار المصطفى، ج3، ص92.

أما في عهد الخليفة عثمان فإنه حمى الحمى وأباحها لنفسه ولبني أمية [1] فنقم ذلك المسلمون على الخليفة فيما نقموه عليه وعدته عائشة مما أنكروه عليه بقولها في أحدى خطبها : " **عبنا عليه كذا ... وموضع الغمام المحماة**" [2] واحتج هو بقوله:" **إنما فعلته لأبل الصدقة وقد اطلقته الآن وأنا أستغفر الله** "[3] وقد اعترض الشريف الرضي على صحة ذلك القول بأنه لوكان قد حماه لمصلحة تعود على المسلمين المسلمين لما جاز أن يستغفر الله ويعتذر إنما الاعتذار من الخطأ دون الصواب، وأضاف ان ذلك مخالفا لما صح من الروايات التي تنص على انه كان يحمى كلٍ من الربذة والشرف والبقيع، فكان" **لا يدخل الحمى بعير له ولا فرس، ولا لبني أمية حتى كان آخر الزمان، فكان يحمى الشرف لإبله وكانت ألف بعير، ولإبل الحكم بن أبي العاص، ويحمى الربذة لإبل الصدقة، ويحمى البقيع لخيل المسلمين وخيله وخيل بنى أمية**"[4].

3ـ الاسواق: والجدير بالذكر أن أقطاعات الخليفة شملت أسواق المسلمين ايضا فقد اقطع مهرزور[5] لابن لابن عمه وصهره الحارث بن الحكم وكان رسول الله قد تصدق بها للمسلمين[6] وأصبح متوليا عليها فأساء لقوانين السوق التي وضعها النبي(صلى الله عليه آله وسلم)وأخذ الضرائب، فعن البلاذري :" **كان يشتري الجلب**[7] **ويبيعه بسومه، ويجبي مقاعد المتسومين، ويصنع صنيعا منكرا**" [8]، فكلم الناس الخليفة لإخراج السوق من يده فلم يفعل فشكاه الناس لعبد الرحمن بن عوف فرفض تدخله واتهمه بالتأليب عليه [9]. لقد كان لتجاهل الخليفة لمثل تلك التجاوزات دافعا قويا كبيرا لتأجيج الثورة عليه، فكان اول من أجترأ عليه، جبلة

([1]) الشريف المرتضى، الشافي،ج4، ص278؛ ابن ابي الحديد، الشرح،ج3،ص39؛ الحلبي، السيرة الحلبية،ج2، ص270.

([2]) الدينوري، غريب الحديث، ج2، ص169؛ ابن الأثير ابو السعادات، ج1، ص467.

([3]) الشريف المرتضى، الشافي، ج4، ص278. وينظر: ابن ابي الحديد، الشرح، ج3، ص30ـ40.

([4]) الشافي، ج4، ص278. وينظر: ابن ابي الحديد، الشرح، ج3، ص30ـ40.

([5]) وفي بعض الكتب مهزور، وهو موضع سوق المدينة.البكري،معجم ما أستعجم،ج4،ص175؛ الحميري، الروض المعطار، ص560

([6]) الشافي في الإمامة، ج4، ص278.

([7]) الجلب: هو سوق الشيء من موضع إلى آخر وما يجلب للبيع من كل شيء، وقد نهى النبي (صلى الله عليه آله وسلم)عن تلقي تلقي الجلب(الركبان) أي أن يستقبل الأنسان الأمتعة خارج البلاد فيشتريها من أربابها وهم لا يعلمون بسعر البلد فيقع الخداع والجهالة. ينظر ابن منظور، لسان العرب،ج1، ص268؛الكليني، الكافي،ج5، ص165؛ التميمي، عبير عبد الرسول سياسة توازن السوق، ص42ـ43.

([8]) البلاذري، أنساب الأشراف، ج5، ص537؛ الريشهري، موسوعة الإمام علي، ج3، ص225.

([9]) البلاذري، أنساب الأشراف، ج5، ص537؛ الريشهري، موسوعة الإمام علي، ج3، ص225

الساعدي[1] بقوله: " **لتتركن بطانتك هذه، اطعمت الحارث بن الحكم السوق وفعلت وفعلت**" [2] ويقول الطبري أنه أول من تجرأ عليه بالمنطق السيء، فكان يقول له: "**يا نعثل**[3]**والله لأقتلنك ولأحملنك على قلوص جرباء، لأخرجنك الى صرة النار**"[4].

كان حريا بالخليفة أن يعاقبه إلا ان ما حدث أنه جعله واليا على المدائن، فأساء السيرة وأتبع السياسة ذاتها مع أهلها الذين وفدوا للخليفة للشكوى وأغلظوا عليه في القول، فعزله وعين حذيفة بن اليمان[5] وكان ذلك في آخر أيامه [6] .

لقد أشارت الدكتورة عبير،إلى أن تلك الافعال كانت مخالفة لسياسة الرسول(صلى الله عليه آله وسلم) القائمة على التوازن في السلع والبضائع والأسعار مما ساهم بإعادة الروح القبلية لتأخذ أثرها في اقتصاد البلاد لتسنم مناصب مرموقة في البلاد لأفراد من بني أمية وهم ليسوا لها بأهل [7].

أخيرًا لابد من الإشارة الى أن الإمام علي (عليه السلام) أوجز مكامن الازمة ومسبباتها، بمقولة بليغة مقتضبة في خطبته الشقشقية [8] "**إِلَى أَنْ قَامَ ثَالِثُ الْقَوْمِ نَافِجاً حِضْنَيْهِ بَيْنَ نَثِيلِهِ وَمعُتْلَفِهِ، وَقَامَ مَعَهُ بَنُو**

([1]) جبلة بْن عمرو الأنصاري، وكان فاضلا من فقهاء الصحابة، غزا إفريقية مع معاوية بْن خديج سنة خمسين، وشهد صفين مع علي (عليه السلام) وسكن مصر. ابن الاثير، أسد الغابة، ج1، ص511.

([2]) البلاذري، أنساب الأشراف، ج5، ص537؛ العسكري، أحاديث عائشة، ص164.

([3]) نعثل: الشيخ الأحمق، وقيل هو رجل يهودي من أهل اليمن، وقيل رجل من أهل مصر، كان يشبه عثمان به وكان أعداء عثمان يسمّونه نعثلا، وفي حديث عائشة: اقتلوا نعثلا قتل الله نعثلا. تعني عثمان، وكان هذا منها لمّا غاضبته وذهبت إلى مكّة. ينظر: الزمخشري، الفايق، ج3، ص354؛ ابن الأثير ابو السعادت، النهاية، ج5، ص80.79؛ ابن منظور، لسان العرب، ج11، ص669.

([4]) الطبري، تاريخ الرسل، ج3، ص399؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج7، ص197.

([5]) حذيفة بن حسل بن جابر العبسي من الصحابة المقربين، فروي أنه كان صاحب سر النبي(صلى الله عليه آله وسلم)في المنافقين، كما روى عنه العديد من أحاديث الفتنة وكان من الشجعان الفاتحين، ولاه عمر بن الخطاب على المدائن ثم عثمان في آخر أيامه، توفي في المدائن سنة(36هـ /656م) . ابن الأثير، اسد الغابة، ج1، ص468.

([6]) المجلسي، بحار الأنوار، ج28، ص87؛ الطبرسي، نفس الرحمن في فضائل الرحمن، ص619.

([7]) ينظر: التميمي، سياسة توازن السوق،ص155، ص157.

([8]) هذه الخطبة من مشهورات خطبه صلوات الله عليه روتها الخاصة والعامة في كتبهم وشرحوها وضبطوا كلماتها، وصف فيها أمر الخلافة وكيف صرفت عنه، سميت بذلك لانه (عليه السلام) لما وصل إلى آخر الموجود منها قام إليه رجل من أهل السواد فناوله كتابا فاقبل ينظر فيه، فقال له ابن عباس: "**يا أمير المؤمنين لو اطردت خطبتك من إذ أفضيت** " فقال: **هيهات يا ابن عباس، تلك شقشقة هدرت ثم قرت**"، و الشقشقة: بالكسر شيء كالرئة يخرجه البعير من فيه إذا هاج. ينظر: الفيروز ابادي، قاموس المحيط، ج3، ص251، المجلسي، بحار الأنوار، ج29، ص507، الأمين، اعيان الشيعة، ج1، ص543

أبَيِهِ يخضمون مَالَ اللَّهِ خضم الْإِبِلِ نِبْتَةَ الرَّبِيعِ، إِلَى أَنِ انْتَكَثَ عَلَيْهِ فتلْهُ، وَأَجْهَزَ عَلَيْهِ عمَلَهُ وَكَبَتْ بِهِ بطِنْتَه"[1] .

([1]) الشريف الرضي، نهج البلاغة، ص16؛ الشريف المرتضى، رسائل الشريف المرتضى،ج2،ص111؛ سبط ابن الجوزي، تذكرة الخواص، ج12، ص495.

المطلب الثاني/ موقف أصحاب الجمل في الثورة على عثمان :

أولًا: موقف السيدة عائشة بنت أبي بكر: يعد خروج عائشة الى مكة وتركها للمدينة؛ الحلقة الاولى التي ابتدأت منها قصة مسيرها لحرب الجمل، تحت شعار الطلب بدم الخليفة المقتول، لذا فقد اقتضت الدراسة تسليط الضوء على طبيعة المكانة الاجتماعية والسياسية التي شغلتها عائشة بنت أبي بكر آنذاك، وأطوار موقفها من الخليفة عثمان.

أ ـ مكانتها الاجتماعية :

من المعلوم أن عائشة هي ابنة اول الخلفاء، وهي وإحدى زوجات النبي(صلى الله عليه آله وسلم)وقيل أنه تزوجها ولها من العمر ست سنين[1]ويرى البعض أنه لم يكن لعائشة دورٌ في أمور السياسة في عهد الرسول(صلى الله عليه آله وسلم)والخليفتين أبي بكر وعمر بن الخطاب وأنها بعد وفاة النبي(صلى الله عليه آله وسلم)عاشت عائشة حياة هادئة رتيبة بعيدًا عن السياسة[2] لكنها في حقيقة الأمر تميزت دون غيرها من زوجات النبي (صلى الله عليه آله وسلم) باستقلالها بالفتوى فلقد كانت السلطة ترجع اليها في ما تحتاج اليه من إفتاء فتحدث هي عن رسول الله(صلى الله عليه آله وسلم) فجاء في الطبقات:" **كانت عائشة تفتي في عهد عمر وعثمان إلى أن ماتت، يرحمها الله، وكان الأكابر من أصحاب رسول الله** (صلى الله عليه و آله وسلم) **عمر وعثمان بعده يرسلان إليها فيسألانها عن السنن** [3].

كما روي أنها فُضلت عن سائر زوجات النبي(صلى الله عليه آله وسلم)بالعطاء، فروى ابن سعد أن عمر فرض لكل واحدة منهن عشرة آلاف درهم الا عائشة، إذ زادها عليهن بألفين [4] بل انها فُضلت هي وام حبيبة وحفصة، حتى على الرجال من المهاجرين والانصار بحسب ما جاء في رواية اخرى [5] ومن الصور الأخرى لذلك التفضيل ما ورد عن ذكوان[6] ان عمر أرسل اليها درج فيه سفط من جواهر كان قد

([1]) ينظر: ابن سعد،الطبقات،ج8، ص58؛ ابن عبد البر،الاستيعاب،ج4، ص1881؛ابن الأثير،أسد الغابة،ج7، ص186.

([2]) الأفغاني، عائشة والسياسة ،ص18.

([3]) الطبقات، ج2، ص 375. ينظر: المزي، تهذيب الكمال، ج23، ص431.

([4]) ينظر:ابن سعد، الطبقات ج8، ص67، الحاكم ،المستدرك على الصحيحين، ج4، ص8.

([5]) ابن سعد، الطبقات، ج3، ص304.

([6]) ذكوان أبو عمرو مولى عائشة وخادمها، وهو الذي قام بدفنها، وكانت قد عهدت اليه بقولها له: إذا واريتني فأنت حر، له أحاديث قليلة، روي أنه توفي في وقعة الحرة عام (63هـ/683م) في خلافة يزيد بن معاوية ينظر: ابن سعد، الطبقات، ج5، ص295؛ ابن ابي حاتم، الجرح والتعديل، ج3، ص451، المزي، تهذيب الكمال، ج8، ص519.518.

قدم اليه من العراق وذلك بعد أن عجز عن تقسيمه [1] ولا ندري سبب ذلك التفضيل من عمر الذي عرف عنه التشدد بإعطاء المنح والاموال!! .

ب ـ موقفها من بيعة عثمان:

اتضح مما سبق إن عائشة وإن لم يكن لها دورا مباشرا في الحياة السياسية في عهد الخليفتين، إلا أنها أسهمت فيها من بشكل أو بآخر من خلال مكانتها الاجتماعية وروايتها لحديث النبي(صلى الله عليه آله وسلم)كما لا يستبعد بأن يكون لها دورًا في صناعة بعض القرارات السياسية المصيرية، ومما يعضد ذلك ما روي من أنها أرسلت لعمر قبل موته إليه : "**لا تدع أمة محمد بلا راع، استخلف عليهم،ولا تدعهم بعدك هملا، فإني أخشى عليهم الفتنة** "[2] ،كما روي أن عمر أمر لجنة الشورى التي عينها قبل موته أن يتم عقد جلستهم في بيت عائشة لاتخاذ قرار اختيار خليفة للمسلمين بعده.[3]

اما عن طبيعة علاقتها بالخليفة عثمان قبل توليه الخلافة فلم أجد بحسب ما أطلعت عليه من المصادر موقفا يشير الى وجود خلاف بين الطرفين قبل توليه الخلافة سوى الرواية المخرجة في كتب الحديث عن عائشة و جاء فيها ان ازواج النبي ارسلن عثمان الى ابي بكر يطالبن بإرثهن من رسول الله زْوَاجُ النَّبِيِّ (صلى الله عليه آله وسلم)فكانت عائشة تردهن بقولها : "**أَلاَ تَتَّقِينَ اللَّهَ، أَلَمْ تَعْلَمْنَ أَنَّ النَّبِيَّ** (صلى الله عليه آله وسلم) **كَانَ يَقُولُ: لاَ نُورَثُ، مَا تَرَكْنَا صَدَقَةٌ يُرِيدُ بِذَلِكَ نَفْسَهُ**"[4] ولا يظهر من تلك الرواية وجود خلاف او عداء بينهما، فلم يُذكر أن عثمان اعترض على ما قالته في حينها، على الرغم من أن هدف ردها لهن هو حرمان آل البيت (عليه السلام) من حقهم في وراثة النبي (صلى الله عليه آله وسلم)وهذا ما سنقف عليه لاحقًا .

والواضح أن اختيار عثمان للخلافة كان يحظى بمباركة منها. فبعد توليه الخلافة، سارت عائشة في الشطر الأول من خلافته سيرتها على زمن صاحبيه، تفتي وتحدث وتنشر العلم[5]. فيقول السيد مرتضى العسكري "**تراءى لُامّ المؤمنين عائشة أن عهد الخليفة عثمان امتداداً لعهد الشيخين، فاستقبلته كغيرها من سادة قريش بالتأييد، واستمرّت الحال على ذلك زهاء ست سنوات**"[6] . ويستدل على ذلك بما

([1]) ابن راهويه، مسند ابن راهويه، ج2، ص19؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج2، ص190.

([2]) الإمامة والسياسة، ج1، ص42.

([3])الطبري،تاريخ الرسل،ج3، ص293؛ابن الأثير،الكامل في التاريخ،ج2،ص441؛ النويري، نهاية الإرب،ج19، ص379.

([4]) الصنعاني،المصنف،ج5،ص47؛صحيح البخاري،ج5،ص89؛ الطبراني، مسند الشاميين،ج2،ص199؛ البيهقي، السنن السنن الكبرى، ج6، ص487.

([5]) الافغاني، عائشة والسياسة، ص20.

([6]) أحاديث أم المؤمنين، ج1، ص 107.

روي من أنها عندما ارادت الحج في تلك المدة استأذنت من عثمان فحج بها هي ومن كان معها من نساء النبي(صلى الله عليه آله وسلم) كما فعل عمر من قبل[1]. ونضيف على استدلاله، بعدم تسجيل المصادر أي موقف لها أو اعتراض على أول مخالفة لعثمان عندما ترك القصاص من ابن عمر في قضية قتل الهرمزان[2] مما يدل على طاعتها له وعدم معارضة سياسته وحكمه، وقد تكون تلك المدة هي الزمان الذي روت عائشة فيه الأحاديث المؤيدة له على لسان النبي(صلى الله عليه آله وسلم) فيما يرجح أحد الباحثين أن تأييدها لعثمان بتلك الروايات كان تأييدًا ظاهريًا، بعد أن أعلنت عن موقفها الجديد ورفعت شعار المطالبة بدمه، أي بعد البيعة لعلي(عليه السلام)، مثال ذلك قولها "**أن رسول الله قال يومًا لعثمان إن الله كساك ثوبًا فأراد المنافقون أن تخلعه فلا تخلعه، قال النعمان: غفر الله لك يا أم المؤمنين أفلا ذكرت هذا حين يختلفون إليكِ، فقالت: نسيته حتى بلغ الله فيه أمره**" [3] فكان من نتائج ذلك التأييد الظاهري لعثمان ظهور كثير من الروايات التي نقلت على لسان عائشة، أشارت الى إيمان عثمان وقوة تمسكه بمبادئ الدين والسنة النبوية، وفضائل لا تعد ولا تحصى في وصف شخصية عثمان بعد مقتله . [4]

ج - روايات بدء خلاف السيدة عائشة لعثمان:

الأرجح أن خلاف عائشة لعثمان بدأ بشكل تدريجي حتى أخذ يتسع شيئا فشيئًا مع تزايد الأصوات الساخطة من سياسة عثمان حتى أصبحت ملجأ لأولئك الساخطين، فأول صدام بينهما بحسب ما جاء في الروايات التاريخية كان في السنة السادسة من خلافة عثمان تحديدا في حادثة قدوم أهل الكوفة للشكاية من واليهم الوليد بن عقبة بسبب الأحداث التي أرتكبها وشهادتهم عليه أنه شرب الخمر وصلى بالناس وهو سكرانًا[5] فيروي البلاذري الحادثة بقوله: "**أنّ الوليد بن عقبة شرب فسكر فصلَّى بالناس الغداة ركعتين ثم ثم التفت فقال : أزيدكم ؟ فقالوا :لا قد قضينا صلاتنا ، ثم دخل عليه بعد ذلك أبو زينب وجندب بن زهير الأزدي وهو سكران فانتزعا خاتمه من يده وهو لا يشعر سكرا**" [6] ، حينها تلكأ عثمان بإقامة الحد على أخيه وغضب على الشهود ومن شدة غضبه تهددهم وتوعد لهم، هنا برز صوت أم المؤمنين عندما لجأ اليها وفد اهل الكوفة فقال البلاذري : **فأتى الشهود عائشة فأخبروها بما جرى بينهم وبين عثمان وأنّ**

([1]) ابن سعد، الطبقات، ج8، ص209.

([2]) ينظر :البلاذري،أنساب الأشراف،ج2،ص367؛ابن كثير،البداية والنهاية،ج7،ص101.

([3]) ابن حنبل، المسند،ج41، ص113؛ابن ماجة، السنن،ج1،ص41؛صحيح ابن حبان، ج15، ص346.

([4]) ينظر: شراد، موقف أم المؤمنين عائشة تجاه الحكام الأمويين، ص202-203.

([5]) البلاذري، أنساب الأشراف، ج5، ص522

([6]) البلاذري، أنساب الأشراف، ج5، ص522

عثمان زبرهم، فنادت عائشة : إنّ عثمان أبطل الحدود وتوعّد الشهود "[1] . وفي رواية أخرى قال:" **ويقال إنّ عائشة أغلظت لعثمان وأغلظ لها وقال : وما أنت وهذا ؟ إنّما أمرت أن تقرّي في بيتك ، فقال قوم مثل قوله ، وقال آخرون : ومن أولى بذلك منها ؟ فاضطربوا بالنعال، وكان ذلك أوّل قتال بين المسلمين بعد النبيّ** (صلّى الله عليه وآله وسلّم) [2] .

ونقل الجوهري تلك الحادثة برواية عن الزهري جاء فيها : " **خرج رهط من أهل الكوفة إلى عثمان في أمر الوليد، فقال: أكلَّما غضب رجل منكم على أميره رماه بالباطل! لئن أصبحت لكم لأنكّلنّ بكم؛ فاستجاروا بعائشة؛ وأصبح عثمان فسمع من حجرتها صوتا وكلاما فيه بعض الغلظة، فقال: أما يجد مرّاق أهل العراق وفسّاقهم ملجأ إلا بيت عائشة ! فسمعت فرفعت نعل رسول اللَّه** (صلى الله عليه وآله وسلم) **وقالت : تركت سنّة رسول اللَّه** (صلى الله عليه آله وسلم)**صاحب هذه النعل؛ فتسامع الناس فجاءوا حتى ملؤوا المسجد، فمن قائل : أحسنت، ومن قائل : ما للنساء ولهذا، حتى تخاصموا، وتضاربوا بالنعال**"[3]

وأمام هذا التصعيد أُجبر الخليفة على عزل أخيه وأقام الحد عليه لاسيما بعد تدخل بعض الصحابة وفي مقدمتهم الإمام علي(عليه السلام) [4] .

وتشير الروايات الى انه لم تكن تلك الحادثة الوحيدة التي عبرت فيها عائشة عن معارضتها لعثمان فيروى أن لها موقف مشابه في حادثة ضرب عثمان لعمّار حتى أغمي عليه وفاتته اربع صلوات فروي البلاذري عن الزهري:" **وكان في الخزائن سفط فيه حلي فأخذ منه عثمان فحلَّى به بعض أهله فأظهروا عند ذلك الطعن عليه ، وبلغه ذلك فخطب فقال : هذا مال الله أعطيه من شئت وأمنعه من شئت ، فأرغم الله أنف من رغم ، فقال عمّار : أنا والله اوّل من رغم انفه من ذلك ، فقال عثمان : لقد اجترأت عليّ يا ابن سميّة ، وضربه حتى غشي عليه ، فقال عمّار : ما هذا بأوّل ما أوذيت في الله ، وأطلعت عائشة شعرا من شعر رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم ونعله وثيابا من ثيابه ، فيما يحسب وهب ، ثم قالت : ما أسرع ما تركتم سنّة نبيّكم ، وقال عمرو بن العاص: هذا منبر نبيّكم وهذه ثيابه وهذا شعره لم يبل فيكم وقد بدّلتم وغيّرتم ، فغضب عثمان حتى لم يدر ما يقول، والتجّ المسجد**" [5]، وفي رواية أخرى للبلاذري عن أبي مخنف : "**وبلغ عائشة ما صنع بعمّار فغضبت وأخرجت شعرا من شعر رسول اللّه**

([1]) البلاذري، أنساب الأشراف، ج5، ص522.

([2])البلاذري، أنساب الأشراف، ج5، ص522.

([3]) الجوهري، السقيفة وفدك، ص12.ينظر: ابو الفرج الأصفهاني ؛ الأغاني، ج5، ص89.

([4])البلاذري، أنساب الأشراف، ج5، ص522.الجوهري،السقيفة وفدك، ص12.

([5]) البلاذري،أنساب الأشراف،ج5، ص580. ينظر: الشريف المرتضى، الشافي،ج4،ص290؛ابن ابي الحديد،الشرح، ج3، ج3، ص49.ينظر: الجوهري،السقيفة وفدك، ص82؛ابن ابي الحديد، الشرح، ج9، ص5.

صلّى اللّه عليه وسلّم وثوبا من ثيابه ونعلا من نعاله ثم قالت: ما أسرع ما تركتم سنّة نبيّكم وهذا شعره وثوبه ونعله لم يبل بعد ، فغضب عثمان غضبا شديدا حتى ما درى ما يقول ، فالتجّ المسجد وقال الناس : سبحان اللّه سبحان اللّه، وكان عمرو بن العاص واجدا على عثمان لعزله إيّاه عن مصر وتوليته إيّاها عبد اللّه بن سعد بن أبي سرح ، فجعل يكثر التعجّب والتسبيح "[1]

وبعض المصادر التأريخية ترجع سبب تأزم العلاقة بينهما الى إلغاء عثمان لامتيازاتها في العطاء عن غيرها من نساء النبي(صلى الله عليه آله وسلم)فجاء في كتاب اليعقوبي: " **وكان بين عثمان وعائشة منافرة، وذلك أنّه نقصها ممّا كان يعطيها عمر بن الخطاب وصيّرها أسوة غيرها من نساء رسول الله** (صلى الله عليه آله وسلم). **ونادت يا معشر المسلمين هذا جلباب رسول الله** (صلى الله عليه آله وسلم)**لم يبل وقد أبلى عثمان سنته. فقال عثمان: ربِّ اصرف عني كيدهنّ إنّ كيدهنّ عظيم**" [2].

كما جاء في رواية المفيد عن الامام محمد بن علي(عليه السلام): " **جاءت عائشة إلى عثمان فقالت له : أعطني ما كان يعطيني أبي وعمر بن الخطاب، فقال لها : لا أجد لك موضعا في الكتاب ولا في السنة، وإنما كان أبوك وعمر بن الخطاب يعطيانك بطيبة من أنفسهما، وأنا لا أفعل ...**"[3] .

فلم تذكر المصادر سبب قطع عثمان تلك الزيادة في عطاء عائشة، على الرغم من وفرة الاموال في عهده، وهذا ما دعى العقاد أن يحمل الخطأ الأول على عاتق حكومة عثمان معتبرًا أن ذلك جعلها تشعر بفقدان مكانتها الاجتماعية بعد أن كانت السيدة الأولى في عهد أبيها والخليفة الثاني، فعلق بقوله: " **إن نقص عطاء السيدة لا يسوغ ولا تستريح إليه النفس، والأموال تتدفق على خزانة الدولة بالألوف، فيعطي خمسها لبنت الخليفة وزوجها مروان وغير ذلك من القطائع والأعطية، فغضب السيدة عائشة لم يكن غضب الحريص على المال والطامع في إدخار ولكنه غضبا عادلا في غضاضة لا حاجة إليها ولا حكمة فيها ولا تستريح إليها النفس**"[4] .

أما مرتضى العسكري فهو يرجح أن بدء تنقيص عطاءها حدث خلال هذه المعارك الكلامية، ومواقفها من ضرب عثمان للصحابة وحادثة عزل الوليد عن الكوفة الامر الذي جعل أم المؤمنين تتحول من منتقمة لغيرها من الصحابة أو أهل الامصار الشاكين الى ثائرة لكرامتها[5] .

([1]) البلاذري،أنساب الأشراف،ج5، ص538.

([2]) تاريخ اليعقوبي، ج2، ص175. وينظر: الميلاني، قادتنا كيف نعرفهم، ج1، ص89.

([3]) الأمالي، ص125؛ أبو الصلاح الحلبي، تقريب المعارف، ص286؛ المجلسي، بحار الأنوار، ج31، ص295.

([4]) العقاد، الصديقة بنت الصديق، ص58.

([5]) أحاديث أم المؤمنين، ج1، ص135.

ان إلغاء امتيازات العطاء لم يكم هو العامل الوحيد، فلو نظرنا في الروايات الآنفة نجد أن عائشة لم تكن تترك فرصة او حادثة الا وأظهرت سخطها ومعارضتها لعثمان الى الحد الذي جعل عثمان يضيق ذرعا من تدخلاتها السياسية والتحريض عليه الامر الذي جعله ينال منها ومن من أسرتها الذين كان موقفهم مشابها لموقفها فجاء في رواية المقدسي لحادثة رفع عائشة لقميص رسول الله (صلى الله عليه آله وسلم)اثناء خطبة عثمان:" **فقال عثمان في آل أبي قحافة ما قال وغضب حتى ما كاد يدري** ما **يقول**"[1]. فروى صاحب كتاب السقيفة وفدك أن عثمان سمع صوت من حجرتها وهو يصلي في المسجد تقول :" **تركتم أمر الله. وخالفتم عهده ونحو هذا، ثم صمتت، وتكلمت امرأة أخرى بمثل ذلك، فإذا هما عائشة، وحفصة . قال : فسلم عثمان، ثم أقبل على الناس وقال: إن هاتين لفتانتان، يحل لي سبهما، وأنا بأصلهما عالم** "[2].

فلاشك أن الأسباب التي تحدثت عنها المصادر من إنقاص العطاء وسلب المكانة الاجتماعية كان لها دور في تدهور العلاقة بين الطرفين؛ إلا أن العامل السياسي هو الأهم والتنافس على السلطة هو السبب الاكثر تأثيرا، وهذا أمر يتعلق بسياسة عثمان التي انحرف فيها عن سياسة قريش العامة، بعد أن آثر الأمويين على غيرهم من الناس في مناصب الدولة، مما أدى إلى تذمر الرأي العام بما فيهم الشخصيات وأعضاء الشورى الذين ساعدوه بالوصول للحكم[3]، وقد وقفت عائشة بجانب ذلك الحزب القريشي، وبدأت تسعى الى إرجاع الخلافة الى بني تيم[4] وكان مرشحها هو ابن عمها طلحة الذي كانت تصرح بأنه الأصلح للخلافة، وأنه سيسير سيرة أبي بكر إن تولاها[5] ، لذلك أصبحت لا تترك فرصة إلأ وأظهرت مخالفات حكومة عثمان وتبديله لقواعد الإسلام وسنة رسول الله (صلى الله عليه آله وسلم) وساعدها أن طلحة ابن عمها كان يرى أنه أصابته جفوة من عثمان باستبعاده من المناصب والسلطة [6]. وقد وصف سعد بن الوقاص حبه وطمعه بالسلطة **بقوله:** "**و لم يجد إلا أن يشق بطنه من حب الامارة لشقة** " [7]

([1]) البدء والتاريخ، ج5، ص205.

([2]) الجوهري،السقيفة وفدك، ص82؛ابن ابي الحديد، الشرح،ج9، ص5. ينظر:الرازي،المحصول،ج4،ص243.

([3]) فلهاوزن، تاريخ الدولة العربية، ص40.

([4]) شرح نهج البلاغة، ج6، ص215؛القرشي، موسوعة الإمام أمير المؤمنين علي (عليه السلام)، ج11، ص54.

([5]) الطبري، تاريخ الرسل، ج3، ص435؛ ابن أعثم، الفتوح، ص 422. ابن أبي الحديد، الشرح، ج10، ص6.

([6]) ابن ابي الحديد، الشرح،ج1،ص231؛ابن شدقم، وقعة الجمل، ص94.

([7]) ابن شبه، تاريخ المدينة، ج4، ص1174؛ ابن قتيبة، الإمامة والسياسة، ج2، ص116.

فروي أن أسرة بني تيم كانوا أشد الأسر القرشية على عثمان:" **وأجلب عليه محمّد بن أبي بكر**[1] **ببني تيم واعانه على ذلك طلحة بن عبيد الله وعائشة**"[2] .

كان من البديهي أن يتطور دور بني تيم عامة وعائشة على الأخص، مع تطور الأحداث باستغلال نقمة الثوار على عثمان، فذكر أنها أول من قدح زناد الثورة على عثمان، وأخذت تلهب المشاعر والعواطف ضده وكانت تقول: " **اقتلوا نعثلا فقد كفر**" [3] وتشير بعض الروايات أن هناك من اتهم عائشة بانها ممن ارسل الكتب لأهل الأمصار[4] فروي أن الأشتر جاءها قائلا :" **كتبتن إلينا حتى إذا قامت الحرب على ساق انسللتن منها !**"[5]وما جاء على لسان مسروق [6]،عندما قامت لتطالب بدم عثمان، قائلا لها: " **هذا هذا عملك، كتبت إلى الناس تأمرينهم بالخروج عليه** " الا ان الرواية تقول انها أنكرت وأقسمت على عدم قيامها بذللك الفعل وعلل مسروق إنما الكتاب كتب على لسانها [7] .

ويذكر البلاذري أنه عندما قدم أهل مصر للشكاية من واليهم ابن أبي سرح بسبب سوء سيرته وظلمه، وذلك في السنة التي حوصر فيها عثمان قبل مقتلة(36هـ/656م) فتدخلت عائشة مع من تدخل من الصحابة و أرسلت إلى عثمان أن ينصفهم من ظلم عامله، وبعد أن أذعن عثمان وعزل أخيه لتأزم

([1]) محمّد بن أبي بكر بن أبي قحافة، وأمّه أسماء بنت عميس الخثعميّة كانت متزوجة من جعفر بن أبي طالب، وبعد وفاته تزوجها أبو بكر، فولدت له محمّداً في طريقهم إلى مكّة في حجة الوداع، ولمّا توفّي أبو بكر تزوجها عليّ (عليه السلام) فنشأ محمّد في حجره وكان ربيبه، شهد معه الجمل وصفين، ثمّ ولّاه مصر سنة (37هـ / 657م)، فدبر له معاوية وعمرو بن العاص لمقتله، وذلك سنة (38هـ/658م) على يد معاوية ابن خديج، وأدخلوا جثّته في بطن حمار ميّت وأحرقوه. ينظر: أبو نعيم، معرفة الصحابة، ج1،ص168؛ ابن عبد البر،الاستيعاب،ج3،ص1366؛ المالقي،التمهيد والبيان، ج1، ص219.ولابد أن نشير إلى أن محمد بن أبي بكر لم يكن ممن سعوا في أمر عثمان من أجل السلطة أو المناصب.

([2]) ابن شبه، تاريخ المدينة، ج4، ص1160؛ البلاذري، أنساب الأشراف، ج5، ص557 ابن حبان، السيرة النبوية،ج2، ص514؛ ابن عبد ربه العقد الفريد، ج5، ص40؛ ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج39، ص417.

([3])الضبي، الفتنة، ص115؛ الطبري، تاريخ الرسل، ج3، ص477ابن أعثم، الفتوح، ج2، ص437؛ ابن الأثير، الكامل في في التاريخ، ج3، ص206،ابن منظور، لسان العرب، ج11، ص669.ينظر: ابن قتيبة، الإمامة والسياسة، ج1، ص72.

([4]) روي ان جمع من اهل المدينة ارسلوا الى اهل الامصار: " **إن أردتم الجهاد فهلموا إليه فإن دين محمد قد أفسده خليفتكم فأقيموه، فاختلفت قلوب الناس** ".ابن الأثير،الكامل في التاريخ،ج3،ص 168.

([5]) ابن شبه، تاريخ المدينة، ج4، ص1225.ينظر: البلاذري، أنساب الأشراف، ج5، ص596.

([6]) مسروق بن الأجدع بن مالك الهمداني الوادعي أبو عائشة الكوفي تابعي قدم المدينة في عهد أبي بكر كان ربيبا لعائشة، لعائشة، روى عنها وعن عمر و علي(عليه السلام) وعدد من الصحابة، اتهم بالانحراف عن أمير المؤمنين (عليه السلام)، فقد شهد صفين معه ولم يقاتل، وقيل أنه استغفر بعد ذلك، وقيل أنه كان يعمل عشارا لمعاوية حتى وفاته عام (62هـ/681م) .ينظر: الثقفي، الغارات،ج2، ص909؛ الطوسي، رجال الكشي، ج1، ص315؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء،ج4، ص63، ص67.

([7]) ابن شبه، تاريخ المدينة، ج4، ص1225؛ البلاذري، أنساب الأشراف، ج5، ص596.

الموقف وتزايد الضغط عليه اختار أهل مصر أخاها محمد بن أبي بكر الذي عرف كمعارض لحكومة عثمان في مصر، فوافق الخليفة مرغما وعاد وفد مصر مع واليهم الجديد وكادت الأمور أن تستقم[1] ، إلا أن ما حدث أنهم عثروا في طريقهم على غلاما لعثمان يحمل رسالة بختمه يأمر فيها ابن ابي سرح بضرب أعناقهم وينكل بهم فعادوا ناقمين ساخطين على عثمان، الذي تبرأ من الكتاب وما كتب فيه[2]، وعلى أية حال لم يعذر الثوار عثمان هذه المرة وطالبوه أن يخلع نفسه لأنه على حد قولهم:" **إن كنت كاذبا فقد استحققت الخلع لما أمرت به من سفك دمائنا بغير حقها وإن كنت صادقا استحققت ان تخلع لضعفك وغفلتك وخبث بطانتك** "[3] .

فيرى العسكري أن الكلمات الحادة من الخليفة بحق عائشة ، والكتاب الّذي عثر عليه أخوها محمّد في طريقه إلى مصر والّذي فيه أمر صريح بقتله وآخرين من رفقته ممّن أدركوا صحبة النبيّ (صلى الله عليه آله وسلم)وغيرهم من المسلمين؛ قد دفعت أمّ المؤمنين الّتي كانت تذهب نفسها في سبيل الدفاع عن ذوي قرباها أن تصدر الفتوى الصريحة بقتل الخليفة عثمان[4]، بمقولتها: " **أقتلوا نعثلا فقد كفر**" [5] وفي لفظٍ آخر: " **إقتلوا نعثلًا فقد فجر**"[6] التي تزامنت مع موجة السخط ضد سياسة عثمان .

والجدير بالذكر أن موقفها من عثمان لم يتغير حتى عندما سمعت بمقتله وهي ماتزال في مكة فروي أنها قالت:" **أبعده اللّه ذلك بما قدّمت يداه وما اللّه بظلّام للعبيد**" [7].من ذلك يتضح أنها لعبت دورا مميزا للإطاحة بالخليفة المقتول، ولابد من القول أن الأمويين وأتباعهم كانوا على إدراك تام بذلك الدور وما يؤكد هذا الدور الحوار الذي جرى بينها وبين المغيرة بن شعبة [8] بعد انتهاء معركة الجمل، قالت له: "**لو**

([1]) أنساب الأشراف، ج5، ص513.

([2]) الطبري، تاريخ الرسل، ج3، ص408؛ البلاذري، أنساب الأشراف، ج5، ص513، الأميني، الغدير، ج9، ص183.

([3]) الطبري، تاريخ الرسل، ج3، ص408 .

([4])أحاديث أم المؤمنين، ج1،ص164.

([5]) الضبي، الفتنة، ص115؛ الطبري، تاريخ الرسل، ج3، ص477ابن أعثم، الفتوح، ج2، ص437؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج3، ص206،ابن منظور، لسان العرب، ج11، ص669، العسكري، أحاديث أم المؤمنين، ج1،ص164.

([6]) الإمامة والسياسة، ج1، ص72.

([7])ابن ابي الحديد،الشرح،ج6،ص216. وينظر: 81 من الرسالة.

([8]) المغيرة بن شعبة بن ابي عامر بن مسعود، الثقفي، قيل أسلم عام الخندق، وولاه عمر بْن الخطاب في خلافته البصرة، ولم يزل عليها حَتَّى شهد عليه بالزنا، فعزله، لكنه عاد وولاه الكوفة فيما بعد، وظل عليها، فأقره عثمان عليها. ثُمَّ عزله، فلما قتل عثمان اعتزل القتال إلى أن حضر مع الحكمين، ثم بايع معاوية بعد أن اجتمع الناس عليه، ثم ولاه بعد ذلك الكوفة فاستمرّ على إمرتها حتى مات سنة (50هـ/630م). ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج4، ص472.ينظر: الطبري، تاريخ الرسل، ج3، ص170؛ ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج6، ص365.

رأيتني يوم الجمل وقد نفذت النصال الى هودجي، حتى وصل الى جلدي" فرد عليها بقوله: "**وددت والله ان بعضها كان لو قتلك قالت : يرحمك الله ولما تقول هذا ؟ قال : لعلها تكون كفارة على سعيك على عثمان** "[1]. وذكر الزهري رواية مفادها أن الأمويين وأهل الشام كانوا يتكلمون بعائشة وينالون منها، وأنه سمع الوليد ينال منها ذات يوم فقال له :" **يا أمير المؤمنين، ألا أحدثك عن رجل من أهل الشام كان قد أوتي حكمة؟ قال: من هو؟ قلت: أبو مسلم الخولاني، سمع أهل الشام ينالون من عائشة، فقال: ألا أخبركم بمثلي ومثل أمكم هذه؟ كمثل عينين في رأس تؤذيان صاحبهما،ولا يستطيع أن يعاقبهما إلا بالذي هو خير لهما، فسكت**"[2]. وقد اعترفت هي بنفسها فروي أنها كانت تقول عقب هزيمة حرب الجمل : " **يا ليتني كنت نسيا منسيا قبل الذي كان من شأن عثمان رضي الله عنه والله ما أحببت أن ينتهك من عثمان أمر قط الا انتهك مني مثله** ". [3]

ثانيًا/ موقف طلحة بن عبيد الله:

يعد طلحة بن عبيد الله أحد الصحابة السابقين في الإسلام، وهو ابن عم الخليقة الأول وقد ورد أسمه ضمن قائمة العشرة المبشرين بالجنة [4] وهو أحد الستة الذين رشحهم عمر للخلافة بزعم أن النبي(صلى الله عليه آله وسلم) توفي وهو راض عنهم[5] إلا أن الأمر الطريف أن عمر رجع وناقض نفسه عندما أعطى رأيه بمن رشحهم، فروي أنه قال عن طلحة:" **لقد مات رسول الله**(صلى الله عليه آله وسلم)**ساخطا عليك بالكلمة التي قلتها يوم أنزلت آية الحجاب**" [6] وفي رواية أخرى:" **أفلست القائل إن قبض النبي** (صلى الله عليه آله وسلم)**أنكح**

([1]) ابن عبد ربه، العقد الفريد، ح5، ص46.

([2]) ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج27،ص204؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج4، ص9.

([3]) ابن شبه، تاريخ المدينة، ج4، ص 1234.123؛ ابن حجر، فتح الباري،ج13،ص420؛ ينظر: الصنعاني، المصنف، ج11، ص447؛ البخاري، خلق أفعال العباد، ص36.

([4]) ينظر ترجمته:ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج25، ص54؛ ابن الأثير، أسد الغابة، ج2، ص468.

([5]) ابن أبي شيبة، المصنفج8، ص576؛ البلاذري، أنساب الأشراف، ج10، ص576؛ ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج35، ص289؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ج3، ص289.

([6]) ابن أبي الحديد، الشرح، ج1، ص186 ؛ ينظر: ابن حمدون، التذكرة الحمدونية، ج9، ص147.

أزواجه من بعده ؟ فما جعل الله محمدا أحق ببنات أعمامنا منا، فأنزل الله تعالى فيك ((وما كان لكم ان تؤذوا رسول الله ولا ان تنكحوا أزواجه من بعده ابدا[1])) "[2] .

ولابد من الإشارة الى أن طلحة كان من المعارضين لتنصيب ابو بكر لعمر للخلافة قبل أن توافيه المنية ، فيروى أنه قال له:" **أتولي علينا فظا غليظا ما تقول لربك إذا لقيته**"[3] ولعل هذا هو السبب الذي جعل عمر يفصح فيما بعد عن سبب غضب النبي(صلى الله عليه آله وسلم)على طلحة.

من باب آخر،لا ندري كيف لعمر ان يرشح طلحة للخلافة بزعم رضا النبي(صلى الله عليه آله وسلم)عنه وفي ذات الوقت يصرح أنه أسخط رسول الله (صلى الله عليه آله وسلم)بل أن هذه الرواية تعد من الأدلة على تفنيد رواية العشرة المبشرين بالجنة، لاسيما أذا ما تتبعنا سيرة الرجل نجد أنه ممن سعى لكسب ملذات الدنيا وجني الثروات وكان ممن أغدق عليه عثمان الأموال والهبات جزاءً لمروءته كما ورد في كتاب الطبري [4] وإذا ما تساءلنا ما المروءة التي قصدها عثمان؟ يجيبنا محمد عبده في شرحه :" **كان طلحة ميالا لعثمان لصلات بينهما ويكفي في ميله لعثمان انحرافه عن علي** (عليه السلام) " [5] أي لتخاذله عن الامام علي(عليهالسلام) في قضية الشورى، ويروي البلاذري أنه كان غائبًا عندما توفي عمر، فلما عاد أتاه عثمان ليأخذ منه البيعة، فقال له: "**إن رددت الأمر أتردّه ؟ قال : نعم قال : فإنّي أمضيته، فبايعه**"[6] .

الا أن هذا الميل لم يستمر، فروي أنه طلحة كان من أشد المألبين على عثمان في حصار حتى أن عثمان كان يقول متحسرا على موقف صاحبه:" **ويلي على ابن الحضرمية . يعني يطلحة. أعطيته كذا وكذا بهارا ذهبا، وهو يروم دمى يحرض على نفسي، اللهم لا تمتعه به ولقه عواقب بغيه**"[7]، أما عن سبب هذا

([1]) سورة الأحزاب، الآية52. ولقد أجمعت معظم كتب: التفسير على أن هذه الآية نزلت لما نال النبي (صلى الله عليه آله وسلم)من الأذى من مقالته ينظر: ابن ابي حاتم، تفسير القرآن العظيم،ج10، ص3150؛الرازي،مفاتيح الغيب ،ج25،ص180؛القرطبي، تفسير القرطبي ،ج14، ص218. رغم ذلك تحاول بعض المصادر تغييب تلك الرواية والاكتفاء بالقول أن النبي(صلى الله عليه آله وسلم)كان عاتبا أو مغاضبا له من دون توضيح سبب تلك المغاضبة. ينظر: ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج45، ص453؛ المتقي الهندي، كنز العمال، ج5، ص471.

([2]) ابن أبي الحديد، الشرح، ج12، ص259؛ المجلسي، بحار الأنوار، ج31، ص62.

([3]) القاضي عبد الجبار، تثبيت دلائل النبوة، ج2، ص644؛ الدياربكري، تاريخ الخميس، ج2، ص241.

([4]) تاريخ الرسل، ج3، ص433؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج، ص183.

([5]) شرح نهج البلاغة، ج1، ص34.

([6]) أنساب الأشراف، ج5، ص504.

([7]) ابن أبي الحديد، الشرح،ج9، ص35.

التحول يبينه ابن أبي الحديد فذكر أن طلحة كان لا يشك أن الامر له من بعد عثمان لوجوه منها، سابقته، ولأنه ابن عم ابي بكر، كما يذكر أن هذا الطموح السياسي لم يكن جديدا لأنه: " **كان قد نازع عمر في حياة أبي بكر، وأحبّ أن يفوّض أبو بكر الأمر إليه من بعده، فما زال يفتل في الذروة والغارب في أمر عثمان... ويغري أهل المدينة والأعراب وأهل الأمصار به وساعده في هذا الأمر الزبير، الذي كان يرجو الأمر لنفسه أيضا، لاسيما أن عمر كان قد نص عليهما وارتضاهما للخلافة**[1] من ذلك يتضح لنا أن نظام الشورى هو المتسبب بشق صف المسلمين، وصرفهم عن الإمام الذي ارتضاه الله تعالى ونبيه (صلى الله عليه آله وسلم)لهم، وقد أشار أمير المؤمنين(عليه السلام) لذلك بقوله:" **فيا للّه وللشّورى متى اعترض الرّيب فيّ مع الأوّل منهم، حتّى صرت أقرن إلى هذه النظائر**"[2] .

بدأت معارضة طلحة لعثمان مزامنةً مع أحداث الثورة، إذ أخذ بانتقاد سياسته بإيثار بني امية شأنه شأن باقي الصحابة فعبر عن سخطه ذات مرة قائلا: "**ياعثمان ! أهلكك بنو أمية وأطمعك فينا آل أبي معيط، وعند غب الصدر يحمد الورد أو يذم، وأنا لك كما كنت لنا، فإذا لم تكن لنا كنا عليك** "[3] .

وبتطور الأزمة تطور موقف طلحة ليصبح أحد المحركين للأحداث، فكان ممن أرسل الكتب لدعوة أهل الأمصار للتحريض على عثمان فيروي ابن ابي الحديد أنه لما وصل جيش الجمل البصرة أتاه أحد رجالها قائلا له :" **يا أبا محمد، أما هذا كتبك إلينا ؟ قال : بلى، قال : فكتبت أمس تدعونا إلى خلع عثمان وقتله، حتى إذا قتلته، أتيتنا ثائرا بدمه ! فلعمري ما هذا رأيك، لا تريد إلا هذه الدنيا**"[4] .

فضلا عن ذلك فقد رويت العديد من مواقفه التحريضية، فذكر أنه بالغ بالضغط على الخليفة في حصاره حتى أنه أمر بمنع دخول الماء عنه وعن أهل بيته وعندما كلمه الإمام علي(عليه السلام) رد عليه قائلا: "**حتى تعطي بنو أمية الحق من أنفسها**"[5] بل أنه في بعض الروايات كان ممن شارك بالهجوم على على بيت الخليفة، فروى المفيد أنه " **لما اشتد الحصار بعثمان عمد بنو أمية على إخراجه ليلا إلى مكة وعرف الناس فجعلوا عليه حرسا وكان على الحرس، طلحة بن عبيد الله وهو أول من رمى بسهم في دار عثمان** " [6] ونقل ابن شبه عن عبد الرحمن بن ابي ليلى [1] قوله: " **رأيت طلحة يوم الدار يراميهم**

([1]) الشرح، ج9، ص28،ص29.

([2]) الشريف الرضي، نهج البلاغة، ص16.

([3]) ابن أعثم، الفتوح، ج2، ص 394.

([4]) ابن ابي الحديد، الشرح، ج9،ص318؛ ينظر: البلاذري، أنساب الأشراف، ج2،ص229.

([5]) الطبري، تاريخ الرسل، ج2، ص433؛ابن أبي شيبة المصنف ،ج7،ص517؛ابن شبه، تاريخ المدينة،ج7،ص517.

([6]) الجمل، ص75؛ ابن شدقم، وقعة الجمل، ص18؛ التستري، الأوائل، ص169.

وعليه قباء فكشف الريح عنه، فرأيت بياض الدرع من تحت القباء"[2] وقيل أنه شرك في منع دفن عثمان الا بعد تدخل الإمام علي (عليه السلام) اذ قعد لهم في الطريق يرمي جنازة عثمان بالحجارة فدفن ليلا في حش كوكب[3][4] .

مما تقدم يتضح أن طلحة متهما بدم عثمان بشكل أو بآخر، وقد أسهبت المصادر بذكر الروايات والأدلة التي تدينه منها ما جاء على لسان طلحة نفسه عندما أصابه سهم يوم الجمل: " **اللهم خذ لعثمان مني حتى ترضى** "[5] فضلا عما قاله مروان بن الحكم عندما رمى طلحة بسهم في أرض المعركة و التفت الى ابن عثمان قائلاً له: " **قد كفيناك بعض قتلة أبيك** "[6] او على رواية ابن سعد قال: " **والله لا أطلب قاتل عثمان بعدك أبداً** "[7] .

ثالثًا / موقف الزبير بن العوام: كان الزبير هو الآخر من السابقين في الإسلام و له قرابه مع النبي(صلى الله عليه آله وسلم)وعلي (عليه السلام)، ومن أهل الشورى الذين رشحهم عمر للخلافة، وهو صهر أبي بكر[8]، بالرغم من ذلك فأنه كان ممن خالف بيعته في أحداث السقيفة ومال الى علي (عليه السلام) [9]، مما يوضح انه كان من الموالين له حينا من الدهر، حتى أن الامام قد قال عنه: "**مازال الزبير منا أهل البيت، حتى نشأ ابنه عبدالله**"" (10) ولم يختلف موقفه في بيعة عثمان فقد انحاز لعلي(عليه السلام) في قضية الشورى [11] .

وبعد أن آلت الأمور لعثمان أخذ يتألفه بالمنح والهبات من أموال المسلمين فروى ابن سعد أنه أجاز الزبير بستمائةِ أَلْفٍ، فنزل الزبير للكوفة وراح يسأل:" **أَيُّ المال أَجود؟ قَالُوا: مال أصبهان قَالَ:**

([1]) عبد الرحمن بن أبي ليلى يسار، وقيل اسمه داود، بن بلال بن أحيحة ابن الجلاح الأنصاري، من أكابر تابعي الكوفة ، شهد وقعة الجمل وكانت راية الامام علي (عليه السلام) معه، قيل قتل بدجيل وقيل غرق في نهر البصرة، وقيل فقد بدير الجماجم سنة (83هـ) في وقعة ابن الأشعث، وقيل غير ذلك. ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج3، ص126.

([2]) تاريخ المدينة، ج4، ص1170؛ ينظر: المفيد، الجمل، ص74.

([3]) موضع بالمدينة والحش: البستان، وكوكب الذي أضيف إليه رجل من الأنصار وقيل من اليهود، وكانت اليهود تدفن فيه موتاهم ولما ظهر معاوية هدم حائطه وأفضى به إلى البقيع. ينظر: الحميري، الروض المعطار، ج1، ص501.

([4])الطبري،تاريخ الرسل،ج3،ص438؛ البحراني،شرح نهج البلاغة،ج3،ص345؛الحميري،الروض المعطار،ج1، ص501.

([5]) ابن سعد، الطبقات،ج3، ص222؛ ابن خياط، تاريخ خليفة،ص139؛الشريف المرتضى،الشافي،ج4، ص339.

([6]) ابن خياط، تاريخ خليفة،ص139؛ابن عساكر،تاريخ مدينة دمشق،ج25،ص113؛الذهبي،تاريخ الاسلام،ج3، ص478.

([7]) الطبقات، ج3، ص223؛ ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج25، ص113.

([8]) ينظر: ابن سعد، الطبقات، ج3، ص100؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج1، ص41.

([9]) الطبري، تاريخ الرسل، ج2، ص444.

([10]) ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج18، ص404؛ ينظر؛ الجوهري، السقيفة وفدك، ص62.

([11]) ابن الاثير،الكامل في التاريخ،ج2،ص325.

أَعْطُونِي مِنْ مال أَصبهان" [1]، ولا غرابة إذا قرأنا إنّ عثمان قضى له في خصومة له مع رافع بن خديج [2] [2] في مواليه أشترى الزبير أباهم ثمّ أعتقه ليخرج ابناءه من مال رافع ويجعلهم في ماله، فاختصم إلى عثمان فقضى له بولائهم[3] .

فكان الزبير ممن اثروا ثراءً عظيما في عهد عثمان فأصبح من أثرى أثرياء قريش[4] وكانت علاقته علاقته بعثمان جيدة طالما أنه سهل له الحصول على ذلك الثراء روى الذهبي:" **قدم الزبير الكوفة وعليها سعيد بن العاص فبعث إلى الزبير سبعمائة ألف فقبلها** "[5] ولكن سرعان ما انقلبت الأحوال حتى آلت إلى إلى شر مآل إذ تغير موقفه عندما بدأ السخط يعم على عثمان، ولم يختلف عن موقف طلحة، فيقول ابن أبي الحديد: " **كان طلحة من أشد الناس تحريضا عليه وكان الزبير دونه في ذلك**"، **فكان كل منهما يرجو الخلافة لنفسه،وأخذا في أواخر عهد عثمان يتألفان قريش، ويعدانهم بالعطاء، ويألبان أهل المدينة والأمصار**[6] ومن صور ذلك التأليب انه عندما حاصر الثوار عثمان ومنع عنه الماء قيل للزبير هلا رددت، فرد بقوله تعالى: " **وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِم مِّن قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا فِي شَكٍّ مُّرِيبٍ** " [7] [8] .

وفي رواية للبلاذري أنه أخبر عثمان أن في المسجد جماعة يمنعون من ظلمك ويأخذونك بالحقّ فأخرج فخاصم القوم إلى أزواج النبيّ (صلى الله عليه آله وسلم)فخرج معه فوثب الناس عليه بالسلاح فقال عثمان :" **يا زبير ما أرى أحدا يأخذ بحقّ ولا يمنع من ظلم، ودخل ومضى الزبير إلى منزله** "[9] .

([1]) ابن سعد،الطبقات،ج3،ص107؛ابن عساكر،تاريخ دمشق،ج21،ص124.

([2]) رافع بن خديج بن رافع بن عدي الأنصاري، صحابي قيل استصغر يوم بدر، وشهد أحدا والمشاهد، وقيل أصابه سهم يوم أحد، فانتزعه، فبقي النصل في لحمه إلى أن مات، وقيل انه شهد صفين مع علي(عليه السلام)، وقيل أنه توفي في زمن معاوية، وقيل بل في زمن عبد الملك بن مروان، ينظر: ابن الأثير، أسد الغابة، ج2، ص38؛ المزي، تهذيب الكمال، ج4، ص311، ص312؛ الذهبي؛ سير أعلام النبلاء، ج3، ص181.182.

([3]) الصنعاني، المصنف، ج9، ص41؛ الخرسان، موسوعة ابن عباس، ج2، ص226.

([4]) ينظر: المسعودي، مروج الذهب، ج2، ص332؛ ابن خلدون، المبتدأ والخبر، ج1، ص204.205؛ الأمين، محسن، أعيان الشيعة، ج1، ص346.

([5]) سير أعلام النبلاء، ج3، ص447؛ ينظر، ابن ابي الدنيا، مكارم الأخلاق، ص132.

([6]) الشرح، ج9، ص28، ص29، ج9، ص28، ص29.

([7]) سورة سبأ: آية(57).

([8]) ابن عبد ربه، العقد الفريد،ج5،ص49؛القاضي النعمان، شرح الأخبار،ج1،ص344؛المفيد، الجمل، ص75،ص232.

([9]) أنساب الأشراف، ج5، ص567؛ ابن ابي الحديد، الشرح، ج9، ص36.

فيتضح من هذا النص أنه كان يحاول خداعه للخروج من بيته كي يسهل على الثائرين النيل منه، ولعل من أقسى المواقف وآخرها هو عندما أفتى الزبير بقتل عثمان بقوله للثائرين:" **أقتلوه فقد بدّل دينكم . فقالوا له : إن ابنك يحامي عنه بالباب فقال: ما أكره أن يقتل عثمان ولو بدأ بابني، ان عثمان لجيفة على الصراط غداً** "[1].

وتشير الروايات إلى أن تورط كل من طلحة والزبير كان أمرا واضحا حتى لدى بني أمية أنفسهم، فيروى أن علياً (عليه السلام) مر بباب زينب بنت ابي سفيان[2] فسمع صوت دف ينقر وصاحبته تقول أبياتاً مطلعها:" **ظلامة عثمان عند الزبير وأظلم منه لنا طلحة**"[3] وكذلك اعتراف سعيد ابن العاص وهو من أقرب المقربين الى الخليفة عثمان: "**إن هذين الرجلين قتلا عثمان** " **طلحة والزبير**" **وهما يريدان الأمر لأنفسهما، فلما غلبا عليه قالا : نغسل الدم بالدم، والحوبة بالتوبة**" [4] .

فنخلص مما سبق بأن كلمة أهل المدينة ومعظم الصحابة اجتمعت على التخلّص من حكم عثمان – عدا قلة قليلة منتفعة من وجوده وحكمه – ولذا نرى كيف أنهم ما بين محرّض على قتله ومشترك فيه وبين مشاهد لا يذب عنه ولا يدفع وهذا ما ينقله التاريخ إلينا فيقول ابن الأثير في تاريخه :

" **تكاتب نفر من أصحاب رسول** (اللّه صلّى اللّه عليه وآله وسلّم) **وغيرهم بعضهم إلى بعض أن أقدموا فإن الجهاد عندنا وعظّم الناس على عثمان ونالوا منه وليس أحد من الصحابة ينهى ولا يذب إلا نفر**"[5] وفي موضع آخر: "**كتب جمع من اهل المدينة من الصحابة وغيرهم إلى من الآفاق منهم : إن أردتم الجهاد فهملوا إليه فإن دين محمد** (صلى الله عليه آله وسلم)**قد أفسده خليفتكم فأقيموه** " [6] .

أما بالنسبة لموقف أمير المؤمنين(عليه السلام) من أحداث تلك الثورة؛ فإن الوقائع التاريخية تشير إلى أنه حاول تجنيب عثمان القتل والدفاع عنه قدر استطاعته فجاء عن لسانه في إحدى خطبه :"**والله ، لقد دفعت عنه حتى خشيت أن أكون آثماً** " [7] وهذا ما إعترف به بني أمية أنفسهم فروي أن مروان كان يقول : ما

([1]) ابن ابي الحديد، الشرح، ج9، ص36؛ المفيد، الجمل، ص75؛ الخليلي، من حياة الخليفة عثمان، ص202.

([2]) زينب بنت ابي سفيان بن حرب بن أمية القرشية زوجة عروة بن مسعود الثقفي، وهي أخت ام حبيبة زوج النبي(صلى الله عليه آله وسلم). ينظر: ابن الأثير، أسد الغابة، ج6، ص159؛ ابن حجر العسقلاني، الاصابة .

([3]) الفتوح، ابن أعثم، ج2، ص450.

([4]) ابن قتيبة، الإمامة والسياسة، ج1، ص82.

([5]) الكامل في التاريخ،ج3،ص150

([6]) الكامل في التاريخ،ج3،ص168.

([7]) الشرف الرضي، نهج البلاغة، ص303؛عبده، شرح نهج البلاغة،ج2، ص303.

كان أحد أدفع عن عثمان من علي فقيل له : " **ما لكم تسبونه على المنابر ؟ قال : إنه لا يستقيم لنا الأمر إلا بذلك** "[1]

لكن ذلك لايعني رضاه عن سياسة حكومة عثمان، بل أنه موقفه نابع من الحفاظ على وحدة وأمن الإسلام والمسلمين من المنافقين والمتربصين، لذلك حاول تقويم سياسة عثمان بإرشاده وتحذيره مرارًا من عواقب الأمور منها ما قاله له عندما أرسله الثائرون وسيطاً ليكلمه في مظالمهم :" **فالله الله بنفسك... فاعلم أن أفضل عباد اللَّه عند اللَّه إمام عادل هُدي وهَدى ... وإن شر الناس عند اللَّه إمام جائر ضل وضُلَّ به**" [2] ، كما شخص له طريق النجاة وهو ترك بطانة السوء من الولاة الذي تسلطوا على البلاد وأموال المسلمين لاسيما مروان ومعاوية فقال له: " **فلا تكونن لمروان سيِّقةً يسوقك حيث شاء** " [3] وقوله وقوله :" **فإن معاوية يقتطع الأمور دونك وانت تعلمها** " [4].

إلا أن عثمان لم يبد تجاوبًا فعليًا، لتغيير سياسته وتنحيتهم عن مناصبهم، لأنهم كانوا قد إستأثروا بالسلطة، وكان في كل مرة يخذل وساطة الإمام ، ويركن لمشورة مروان ، ويبتعد عن الإمام ويبدو أنه كان يخشى من أن يلتف حوله الثائرين الذين تعالت أصواتهم بعزله والبيعة لعلي (عليه السلام) لذلك أمر بجلاءه خارج المدينة الى أرضة في ماء ينبع [5] .

ولقد صرح الإمام (عليه السلام) عن موقفه بوضوح من مسألة قتل عثمان وبراءته من دمه في احدى خطبه : " **لو أمرت به لكنت قاتلا، أو نهيت عنه لكنت ناصرا .غير أن من نصره لا يستطيع أن يقول : خذله من أنا خير منه ، ومن خذله لا يستطيع أن يقول : نصره من هو خير مني : وأنا جامع لكم أمره استأثر فأساء الأثرة وجزعت فأسأتم الجزع ، ولله حكم واقع في المستأثر والجازع** " [6]

فعلى ما يبدو أنه كان يرى بأن الثوار كانوا على حق . ولكنه مع ذلك كان يرى أن لا تتم معالجة الأمور بتلك الطريقة؛ فقتله بيد الثوار لا يتفق مع المصالح العامة للإسلام والمسلمين، كونه سيتيح الفرصة للمتربصين وهذا ما حدث فعلًا إذ استغلت تلك القضية، ورفع قميصه شعارًا لحرب شعواء شتت شمل المسلمين.

([1]) البلاذري،أنساب الأشراف،ج2،2،ص184؛الذهبي، تاريخ الإسلام،ج3، ص254.

([2]) عبده، شرح نهج البلاغة، ص69

([3]) عبده، شرح نهج البلاغة، ص69.

([4]) الطبري، تاريخ الرسل، ج3، ص377؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج3، ص152.

([5]) عبده، شرح نهج البلاغة،ج2، ص303.

([6]) عبده ،شرح نهج البلاغة، ص76.

المطلب الثالث/ البيعة للإمام علي (عليه السلام) وتداعياتها السياسية :

بعد مصرع عثمان وفي أجواء من الذهول الذي ساد عاصمة الخلافة، شعر الثوار بالمشكلة الجديدة التي لابد من الإسراع بمعالجتها، فقيل بقيت المدينة خمسة أيام دون خليفة، ففي الوقت الذي أخذ معظم الساسة يتوارون عن الأنظار في عاصمة الخلافة، تنكبا من التطورات التي أفلتت من قبضتهم، كان الفراغ السلطوي ينذر بأشد النتائج، وتشتد الحاجة الى منقذ تفزع اليه الأغلبية من الاتجاهات السياسية، فشخصت الأنظار الى علي، يقول ابراهيم بيضون: "**هو أحد القلائل من سياسي الصف الأول خارج نطاق الاتهام والشك بسلوكه، في الوقت الذي انهارت فيه شخصيات من المسلمين**"[1].

فذكر ابن الأثير أنه عندما جاء الصحابة للإمام ليبايعوه رفض طلبهم قائلا أنا لكم وزيرا خير من أمير، فقالوا :" **إنا لا نعلم أحداً أحق به منك لا أقدم سابقة ولا أقرب قرابة من رسول الله** (صلى الله عليه آله وسلم)" [2] مما يدلل على معرفة الناس بمكانته وانه أحق الناس بهذا المنصب ولنا أن نتساءل ما سبب امتناعه(عليه السلام) على الرغم من علمه بأنه أحق بها من غيره، أنه مكلف بنص ألهي بتولي أمر هذه الأمة؟

إذا ما عدنا الى النص الذي أجاب به الإمام(عليه السلام) الصحابة يتضح أنه كان صادقاً مع نفسه ومع الناس إذ أعطى تبريره لهذا الموقف بقوله:" **دعُونِي والْتَمِسُوا غَيْرِي فَإِنَّا مُسْتَقْبِلُونَ أَمْراً لَه وُجُوه وأَلْوَانٌ، لَا تَقُومُ لَه الْقُلُوبُ،ولَا تَثْبُتُ عَلَيْه الْعُقُولُ** "[3] فلقد كان خبيراً بما انطوت عليه نفوس القوم من الشبهات والأحقاد والأطماع، كما أن المتغيرات التي طرأت على البلاد في سائر نواحيها خلال حكومة الثلاثة كانت من السعة بحيث لا يمكنه إزالتها إلاّ بقرارات حاسمة لا تقوم لها القلوب ولا تركن لها النفوس، وهو من جانبه لا يرضى أن يقرّ أوضاعاً لا تمت إلى الدين بصلة. وفي ذات الوقت كانت ثقته بمن حوله ضعيفة ولا يأمن غوائلهم ولا يضمن مساندتهم له إذا ما قام بحركة إصلاحية كبيرة تعيد الوضع إلى سابق عهده أيام رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) كما برهنت عليه الأحداث فيما بعد، إذاً فالإمام عليّ عليه السلام كان يدفع عن نفسه الإمارة والحكم لا الإمامة، فهو لم يزل إماماً واجب الطاعة منذ أن مات النبيّ (صلى الله عليه آله وسلم)، لم يقدح في إمامته إن تولى الحكم غيره[4]وجاء في خطبة له " **أما والذي فلق الحبة وبرأ النسمة، لو**

([1]) من دولة عمر إلى دولة عبد الملك، ص117.

([2]) الكامل في التاريخ،ج3، ص190؛ المحب الطبري، الرياض النضرة،ج3، ص23؛ابو الفدا، المختصر في أخبار البشر، ج1، ص171.

([3]) الشريف الرضي، نهج البلاغة،ص137؛ابن شهر آشوب، المناقب،ج1،ص378؛ ينظر: الضبي، الفتنة ووقعة الجمل، ص93، الطبري، تاريخ الرسل، ج3، ص456.

([4]) مركز الأبحاث العقائدية، موسوعة من حياة المستبصرين، ج3، ص332.

لو لا حضور الحاضر وقيام الحجة بوجود الناصر، وما أخذ على العلماء ألاّ يقاروّا على كظة ظالم، ولا سغب مظلوم، لألقيت حبلها على غاربها"[1] . بتلك الكلمات البليغة وصف الإمام (عليه السلام) الدوافع التي جعلته يتسنم هذا المنصب، خشيةً من ضياع الدين الإسلامي وتعاليمه، وكان حرياً أن تستقيم له الأمور، لأنه ما أرادها ولكنها أرادته، وما تزين بها ولكنها ازدانت به، فهو أكبر منها قدراً، وأعلى منزلة [2].

ولعله أراد أن يضعهم أمام اختبار يكشف به مدى استعدادهم لتحمّل أسلوب الثورة في العمل ؛لئلاّ يروا فيما بعد أنّه استغفلهم، واستغلّ اندفاعهم الثوري حين يكشفون صعوبة الشروط التي يجب أن يُناضلوا الفساد الذي ثاروا عليه في ظلّها[3] ؛ لذا أشترط على الناس أن يسير فيهم بما يكتنهه بقوله : " **واعْلَمُوا أَنِّي إِنْ أَجَبْتُكُمْ رَكِبْتُ بِكُمْ مَا أَعْلَمُ ولَمْ أُصْغِ إِلَى قَوْلِ الْقَائِلِ وعَتْبِ الْعَاتِبِ** " [4].

لقد اختط الإمام (عليه السلام) قبل بيعته النهج الذي سوف يسير عليه من أجل إصلاح ما فسد من الأوضاع فكانت الاستجابة مقترنة بحملهم بما تعلمه من نهج رسول الله (صلى الله عليه آله وسلم)، فاستبشر الناس بذلك وهبوا لمبايعته [5]، ولكنه أبى وأشترط أن تتم بيعته بالمسجد **قائلًا :" فإن بيعتي لا تكون خفياً، ولا تكون إلا عن رضا المسلمين** "[6] كأنه أراد بهذا الشرط أن يقيم الحجة على من يحاول أن ينكث أو يشكك ببيعته، ومما يميز بيعته أنها كانت بيعة جماهيرية عامة فلا سقيفة ولا بيعة خاصة ولا مجلس شورى بعد:" **لم تكن بيعتكم إياي فلتة**" [7] .

المنهج الإصلاحي وتداعياته السياسية: ما إن بويع لعلي (عليه السلام) حتى أعلن عن برنامجه الإصلاحي، لأنه كما ذكرنا كان عازما على إصلاح ما فسد من أمور المجتمع الإسلامي وعلاج القضايا التي أودت الى وقوع الاضطراب بين صفوفه ويمكن أجمال سياسته ونهجه الإصلاحي بما يلي:

([1]) الإمام علي، نهج البلاغة، ص50؛ ابن طاووس، الطرائف في معرفة مذاهب الطوائف، ص419.

([2]) الصغير، الإمام علي (سيرته وقيادته)ص239.

([3]) الشاكري، ثم عقر الجمل، ص8؛ ينظر: شمس الدين، ثورة الحسين (عليه السلام)، ج1، ص50.

([4]) الإمام علي، نهج البلاغة، ص137؛ ابن شهر آشوب، المناقب، ج1، ص378. ينظر: الضبي، الفتنة ووقعة الجمل، ص93، الطبري، تاريخ الرسل، ج3، ص456

([5]) الصغير، الإمام علي، ص 240.

([6]) البلاذري، أنساب الأشراف، ج2، ص210؛ الطبري، تاريخ الرسل، ج3، ص450؛ ابن الجوزي، المنتظم،ج5، ص63.

([7]) الإمام علي، نهج البلاغة، ص194؛ الإسكافي، المعيار والموازنة، ص105. قال الشراح في كلمة (فلتة) انها تعريض بخلافة أبي بكر؛ وذلك لقول عمر " **كانت بيعة أبى بكر فلتة وقى الله شرها**". ينظر: ابن أبي الحديد، الشرح، ج9، ص31؛ابن ميثم البحراني، الشرح، ج3، ص164؛ مغنية، في ظلال نهج البلاغة، ج2، ص289.

1 ـ رسم سياسة الحكم الجديد : فقال في أول خطاب رسمي له :" **أيها الناس إنما أنا رجل منكم لي ما لكم وعلي ما عليكم،... وإني حاملكم على منهج نبيكم، ومنفّذ فيكم ما أمرت به**"[1]، لقد جعل الخليفة الجديد نفسه كأي أحد من المسلمين إلا أنه قائدهم ؛ وهو المنهج الديمقراطي الحديث بعينه هذا اليوم، كما وصفه أحد الكتاب المعاصرين[2]

2ـ تأميم واسترجاع أموال وأقطاعات بيت المال: خطب الإمام (عليه السلام) في اليوم الثاني لبيعته قائلا: " **ألا إن كل قطيعة أقطعها عثمان، وكل مال أعطاه من مال الله ؛ فهو مردود في بيت المال... ولو وجدته وقد تزوج به النساء وفرق في البلدان**" [3]، ثم نفّذ الإمام ما قال، وأمر بقبض كل سلاح تقوّى به عثمان على المسلمين، وأمر بقبض نجائب كانت في داره من إبل الصدقة، واسترجاع كل ما أجازه عثمان من الأموال العامة لأصحابه وذويه[4].

3. التسوية بالعطاء وإلغاء مبدأ التفضيل : لقد خلق مبدأ المفاضلة في العطاء آثاراً اجتماعية واقتصادية سيئة للغاية، فقد قسم المجتمع الإسلامي الى طبقات متفاوتة بالدخول الحالة المعاشية مما أنعكس بالتالي على طبيعة التركيبة الاجتماعية للمسلمين[5] ؛لذا تنبه الإمام علي(عليه السلام) لتلك الظاهرة الخطيرة التي كانت إحدى مسببات الثورة والسخط على حكومة عثمان. فكان من ضمن الأولويات التي باشر بها حكمه هو العدول عن المفاضلة والسوية بالعطاء وعبر عن نظرته في توزيع المال بقوله : "**فأنتم عباد الله، والمال مال الله، يقسم بينكم بالسوية، ولا فضل فيه لأحد على أحد، للمتقين عند الله أحسن الجزاء، فإذا كان الغد فاغدوا علينا إن شاء الله، ولا يتخلفنّ أحد منكم عربي أو عجمي** "[6] .لقد وضح الإمام أن لا مجال للتفضيل لأجل دين أو سابقة، فالله هو من يثيب ويجزي المرء على ايمانه وتقواه.

4. عزل الولاة والعمال السابقين عن جهاز الدولة: أصرّ الامام(عليه السلام) على عزل ولاة عثمان، اذ كانوا من الأسباب الهامّة في تدهور الاوضاع ؛ لظلمهم وبغيهم، وعدم درايتهم بالسياسة وأصول الحكم . وسعى لاستبدالهم برجالٍ ذوي دين وعقل وبعد نظر وحسن تدبير[7]. وقد أشار المغيرة بن شعبة عليه بإبقائهم على على أعمالهم ومن بينهم معاوية، لكنه أبى ذلك ، قائلا له :" **والله لا أدهن في ديني ولا أعطى الدني في**

([1]) ابن أبي الحديد، الشرح، ج7، ص 36؛ ينظر: القاضي النعمان، شرح الأخبار، ج1، ص270

([2]) الصغير، الإمام علي، ص240.

([3]) ابن أبي الحديد، الشرح، ج1، ص269؛ ينظر: القاضي النعمان، شرح الأخبار، ج2، ص372،

([4]) ابن أبي الحديد، الشرح ، ج1، ص270.

([5]) ينظر: ص18من الرسالة .

([6]) ابن أبي الحديد، الشرح، ج7، ص37؛ المجلسي، بحار الأنوار، ج32، ص17.

([7]) شمس الدين، دراسات في نهج البلاغة، ص 209.

أمري "[1]، كما قال فيهم :"**ولكنّني آسى أن يلي أمر هذه الأمّة سفهاؤها وفجّارها، فيتّخذوا مال اللّه دولا، وعباده خولا، والصّالحين حربا، والفاسقين حزبا، فإنّ منهم الّذي قد شرب فيكم الحرام، وجلد حدّا في الإسلام، وإنّ منهم من لم يسلم حتّى رضخت له على الإسلام الرّضائخ** "[2] .

ظهور المعارضة السياسية :

كانت السياسة الجديدة صفعة لقريش ولغرورها واستعلاءها، فمن أين لها بعد اليوم أن تحوز الأموال العظيمة وكيف لها بعد اليوم الاستعلاء على الناس استرادد سلطان الجاهلية. فروي أن أول ما أنكره المعارضين على علي (عليه السلام) هو سياسته التي أعلنها في خطبه التي أستهل بها حكمه ولاسيما استرجاع الأموال و توزيع المال بالسوية، مما أورث لديهم الضغن والكراهة لحكمه[3]، وأضاف أنه عندما غدا الناس لقبض أعطياتهم وفقا للنظام الجديد تخلفت بعض الشخصيات القرشية معبرين عن اعتراضهم على ذلك النظام، فلم يحضر كل من طلحة والزبير وعبد الله بن عمر وسعيد بن العاص وعدة شخصيات أموية، واجتمعوا، واجتمعوا خارج المسجد ليتناقشوا بما سيفعلونه [4] فلما علم أصحاب الإمام (عليه السلام) باتفاقهم على نقض البيعة، أخبروا الإمام عليه السلام بقولهم: "**عاتب قومك هذا الحي من قريش، فإنهم قد نقضوا عهدك، وأخلفوا وعدك... وذلك لأنهم فقدوا الأثرة، وكرهوا الأسوة فلما استتب بينهم وبين الأعاجم، أنكروا واستشاروا عدوك، فاجتمع رأيهم على أن يطلبوا بدم عثمان!**" [5]

كانت أول خطوة لتنفيذ هذا المخطط هو ما قام به الوليد ورفاقه الذين جاءوا لعلي (عليه السلام) لمساومته بقولهم : " **نبايعك اليوم على أن تضع عنا ما أصبناه من المال في أيام عثمان، وأن تقتل قتلته** " فرد عليهم الإمام" **فليس لي أن أضع حق الله عنكم ولا عن غيركم، وأما قتلى قتلة عثمان فلو لزمني قتلهم اليوم لقتلتهم أمس**"[6]. والأرجح أنهم كانوا مدركين أنه لن يقبل المساومة في حق من حقوق الله من أجل مصلحته، لذلك اختلقوا حجة المطالبة بدم عثمان، لأثارة الفتنة ونقض البيعة.

([1]) الطبري، تاريخ الرسل،ج3،ص461؛ المسعودي، مروج الذهب،ج2 ،ص355؛ابن الاثير، الكامل في التاريخ،ج3،ص19

([2]) الإمام علي، نهج البلاغة، ص452؛ ينظر: الثقفي، الغارات، ص319.

([3]) ابن ابي الحديد، الشرح، ج7، ص39.

([4]) ابن ابي الحديد، الشرح، ج7، ص39.

([5]) الأسكافي، ص209،210.

([6]) ابن ابي الحديد، الشرح، ج7، ص39.

وأمام تلك التداعيات وقف الإمام (عليه السلام) وخطب في الناس لينهي الجدل ويحسم الأمر بقوله: "**فأما هذا الفئ فليس لأحد على أحد فيه أثرة، وقد فرغ الله من قسمته، فهو مال الله، وأنتم عباد الله المسلمون**" [1]. وعلى أثر تلك الأحداث، تركت عدة شخصيات، المدينة متجهين نحو مكة[2]

وفي الحقيقة لم تكن الأسباب المادية المتعلقة بسياسة الإمام الجديدة هي وحدها التي أوجدت المعارضة ضد حكمه، فلقد كان للعامل السياسي دور كبير لمعارضة قريش له، وهو أمر تعود جذوره الى يوم السقيفة واتفاق قريش على إقصائه، لعدم قبولهم أن تجتمع النبوة والخلافة لبني هاشم[3]، فيقول العلايلي بعدما تساءل عن السبب الخفي الذي جعل الأحزاب والجهات المتناقضة تعمل مجتمعة على إبعاده ، رغم ما انفرد به من مؤهلات دينية وعقلية نادرة النظير على حد تعبيرها: " **هو لما لمسوه من هوى الناس وتعلقهم ببيت علي عليه السلام، ومعنى ذلك أن الخلافة إذا وصلت اليه لن تخرج عنه أبدا، وبذلك يكونون قد أخذوا الفرصة على أنفسهم**"[4]

ولم يبق آنذاك من أصحاب مشروع الشورى سوى ثلاثة شخصيات، الأول سعد بن أبي وقاص، وقد صرح بموقفه، إذ بايع الإمام(عليه السلام) ولم يظهر مخالفته رغم أنه اعتزل حروبه، أما طلحة والزبير فأصبح كل منهما يرى نفسه قرينا لأمير المؤمنين (عليه السلام) واتضح فيما سبق دورهما للإطاحة بحكومة عثمان[5]، لكن عندما رأوا التفاف المسلمين حول الإمام علي عليه السلام لم يكن أمامهم إلا الإذعان، وحرصا على أن يكونا أول المبايعين له، وكان يتوقّع كلّ منهما أن تسند اليه ولاية جزء من البلاد الإسلامية، فورد في ذلك: " **كان الزبير لا يشك في ولاية العراق، وطلحة في اليمن**"[6] لا سيما أنهما لم يستفيدا كثيرا في عهود الخلفاء السابقين فيما يخص تولي المناصب الإدارية، الا أن الإمام(عليه السلام) كانت له نظرته الخاصة، فلم يكن يولي أحدا يسعى للوصول الى السلطة، فلما جاءا إليه بعد توليه الحكم وقالا له:" **إنّه قد نالتنا بعد رسول اللّه جفوة فأشركنا في أمرك، فقال أنتما شريكاي في القوّة والاستقامة وعوناي على العجز والاود** "[7] فتبين لهما موقفه وأنه لن يولهما أي منصب لذا ؛ أظهرا الشكاية وأخذا

([1]) الأسكافي، المعيار والموازنة،ص212؛ ابن ابي الحديد، الشرح، ج7، ص40.

([2])الأسكافي، المعيار والموازنة،ص212؛ ابن ابي الحديد، الشرح، ج7، ص40.

([3]) ابن ابي الحديد، الشرح، ج12، ص143؛ التنكباتي، سفينة النجاة، ص226.

([4]) الإمام الحسين، ص40.

([5]) ينظر: ص31–ص36 من الرسالة.

([6]) ابن قتيبة، السياسة والإمامة، ج1، ص71.

([7]) اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج2، ص 180 ؛ الشريف الرضي، خصائص الأمة، ص114؛ ابن ابي الحديد، الشرح، ج19، ص22؛ الغروي، موسوعة التاريخ الإسلامي، ج4، ص446.

يتكلمان فيه: "**هذا جزاؤنا من علي، قمنا له في أمر عثمان، حتى أثبتنا عليه الذنب، وسببنا له القتل، وهو جالس في بيته وكفي الأمر . فلما نال بنا ما أراد، جعل دوننا غيرنا، فقال طلحة : ما اللوم إلا أنا كنا ثلاثة من أهل الشورى، كرهه أحدنا وبايعناه، وأعطيناه ما في أيدينا، ومنعنا ما في يده، فأصبحنا قد أخطأنا ما رجونا**"[1] إن في هذا النص اعتراف صريح لموقفهما من عثمان وأنهما حرضا عليه لأنه أبعدهما عن المناصب وأستأثر بالسلطة هو وأقربائه، أما سبب رفض الإمام لطلبهما أنه بما كان يملكه من نظرة سياسية ثاقبة كان يعلم بما في خفايا نفسيهما من غدر، فيروى أنه عندما نصحه ابن عباس ان يقرهما على البصرة والكوفة خشية أن يسببا له المشاكل، رفض الإمام قائلا :"**ويحك،إن العراقين بهما الرجال والأموال، ومتى تملكا رقاب الناس يستميلا السفيه بالطمع، ويضربا الضعيف بالبلاء، ويقويا على القوي بالسلطان، ولو كنت مستعملا أحدا لضره ونفعه لاستعملت معاوية على الشام...** "[2] ، وأرسل لكل من طلحة والزبير وكلمهم كلاما لإقامة الحجة عليهما، فمما قاله لهما : "**نشدتكما الله، هل جئتماني طائعين للبيعة، ودعوتماني إليها، وأنا كاره لها ! قالا : نعم فقال : غير مجبرين ولا مقسورين، فأسلمت ما لي بيعتكما وأعطيتماني عهدكما قالا : نعم، قال فما دعاكما بعد إلى ما أرى** " [3] وكان ردهما يفصح بما انطوت علية نفسيهما من طمع بالسلطة والمال والثروة :"**فأنت تقسم القسم وتقطع الامر، ولا علمنا**".[4]

على أثر ذلك قررا مغادرة المدينة بحجة أنهما يريدان العمرة الى مكة التي أصبحت مقرا لمعارضي حكومة علي عليه السلام من الأمويين وغيرهم، ساعدهم وجود عائشة زوج النبي(صلى الله عليه آله وسلم)فيها، لقد كان التنصل من البيعة هي أول خطوة عمليه لإعلان التمرد، فما كادا يخرجان من المدينة حتى " **لم يلقيا أحدا إلا وقالا له :ليس لعلي في أعناقنا بيعة، وإنما بايعناه مكرهين**"، وكان الإمام(عليه السلام) يدرك السبب الحقيقي لخروجهما فقال لهما: " **والله ما تريدان العمرة ولكنكما تريدان الغدرة** " [5] إلا أنه لم يتخذ موقفا منهما أو يمنعهما و أكتفى بأخذ الأيمان الغليظة منهما بعدم النكث أو الغدر، وحذرهما الفتنة وقد بين السبب في ذلك لأصحابه إذ أنه شرعا، لا يجوز أن يعاقب على الظنة والتهمة أو يأخذ بالفعل قبل حدوثه، أو كما أضاف ابن ابي الحديد في شرحه؛ ردا على من يعيبون على سياسة علي عليه السلام بأن حبسهما

([1]) ابن قتيبة، الإمامة والسياسة، ح1، ص71.

([2]) ابن قتيبة، الإمامة والسياسة، ح1، ص71.

([3]) ابن ابي الحديد، الشرح، ج، 7، ص41؛ ينظر: الأسكافي، المعيار والموازنة، ص 112.113.

([4]) ابن أبي الحديد، الشرح ، ج7، ص41؛ الأسكافي، المعيار والموازنة ص 113.

([5]) المفيد، الجمل، ص89؛ ابن أبي الحديد، الشرح، ج1، ص222؛ المجلسي، بحار الأنوار، ج32، ص6.

غير مجدي من ناحية السياسة، فقد ينفر منه الناس ويهيج الرأي العام ضده، لما للرجلين من مكانة اجتماعية في أوساط العامة[1]

كان التحالف الجديد بحاجة الى عناصر أُخرى مؤثرة في الرأي العام ليضفي على حركته غطاء مقبولا عند الناس، وكانت السيدة عائشة خير عنصر يحتاجه هذا التحالف؛ فقد بدأت تتصدى للأحداث السياسية المهمة في خلافة عثمان، وكانت مؤهلة لذلك لمكانتها ولما كانت تمتلك من مواهب أُخرى، كقوة الشخصية وفصاحة المنطق[2] لاسيما أن موقفها من بيعة علي (عليه السلام) كان موقفا سلبيا، منذ اللحظات الأولى التي تلقت فيها خبر بيعته [3]، ويبدو أن كل من طلحة والزبير كانا يعرفان موقفها من بيعة علي(عليه السلام) لذلك اختارا الالتحاق بها، ومما يشير لوجود اتفاق مسبق هو ما رواه ابن أبي الحديد انهما أرسلا اليها كتابا جاء فيه: "**أن خذلي الناس عن بيعة على، وأظهري الطلب بدم عثمان، وحملا الكتاب مع ابن أختها عبد الله بن الزبير، فلما قرأت الكتاب كاشفت وأظهرت الطلب بدم عثمان**"[4].

دور معاوية والأمويين في حرب الجمل:

لقد سبق أن أشرنا الى أهداف بني أمية باستعادة زعامتهم ومكانتهم الاجتماعية، وكيف ساعد تسنم عثمان الخلافة، شخصيات أموية عديدة أن تصل للسلطة على من أنها كانت في عداد طلقاء الإسلام[5] وكان معاوية أبرز تلك الشخصيات، لتنفذه على ولاية الشام منذ عهد عمر، اذ كان كثيرا ما يغض الطرف عنه اذا ماكلم في مخالفاته بقوله: "**دعوا فتى قريش وابن** سيدها" [6]. وعلى ما يبدو أن معاوية كان يدرك هو ووالده أبو سفيان أن الزمن قد تغير في غير مصلحتهم لأنهم كانوا ممن عارضوا الإسلام وتأخروا عنه، لذلك أوصى ابو سفيان ولده التشبث بهذا المنصب لعله يورث السلطان لبنيه بقوله : "**يابني إن هؤلاء الرهط من المهاجرين سبقونا وتأخرنا... وقد ولوك جسيما من أمرهم، فلا تخالفهم فإنك تجري الى أمد، فنافس فإن بلغته أورثته عقبك**" [7]. وبمجيء عثمان للحكم توسعت صلاحيات معاوية وأطلق يده في

([1]) المفيد ، الجمل،ص89؛ابن أبي الحديد، الشرح ، ج10، ص248.

([2]) البياتي، الصحوة، ص250.

([3]) ينظر: ص83من الرسالة.

([4]) الشرح، ج6، ص216.

([5]) ينظر:ص9 من الرسالة.

([6]) ابن كثير، البداية والنهاية، ج8، ص133.

([7]) ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج8، ص133؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج8، ص126.

جميع أنحاء بلاد الشام [1] فبات يتمتّع بسيطرة إدارية على شؤون الشام، ولديه أجهزة يستطيع بها أن يحرّكها وفق رغباته وأهوائه، وما كانت لديه مشكلة مع جماهير الشام لأنّ بلاد الشام منذ عرفت الإسلام عرفت آل أبي سفيان ولاة عليها من قبل الخليفة، فقبله كان أخوه يزيد واليا عليها، كما أنّ بلاد الشام بعيدة عن عاصمة الخلافة ممّا أعطاه قدرا كافيا من الاستقرار والقوّة [2].

لذا يمكن القول إن تلك الظروف التي هيأت له جعلته يلعب دورا خطيرا في أحداث فتنة مقتل عثمان، ومن ثم في التحريض على محاربة علي (عليه السلام) ، لاسيما بعد أن وصلته أخبار سياسة علي الجديدة بعزل ولاة عثمان فقد كتب اليه المغيرة: "**ما كنت صانعاً فاصنع إذ اقشرك ابن أبي طالب من كلّ ما تملكه كما تقشر عن العصا لحاها** "[3] فاتضح موقف معاوية من بيعة الإمام علي (عليه السلام) عندما أرسل اليه لكي يأتي ببيعته هو وأهل الشام، فأمتنع عن ذلك [4]، لعلمه أنه سوف يفقد منصبه الذي تشبث تشبث فيه لسنوات خلال عهدي عمر وعثمان .

وعلى الرغم من أن أغلب المصادر التاريخية لم تتكلم عن ذلك الدور الذي اضطلع به معاوية في حرب الجمل بشكل واضح وصريح ؛ لكن من السهل الوقوف عليه الدور من خلال استقصاء مجموعة الكتب والمراسلات التي كان يحرض فيها أفراد أسرته الأموية في الحجاز، ويقودهم لحرب حكومة أمير المؤمنين (عليه السلام) دون أن يظهر هو في الصورة [5]، فيروي ابن قتيبة ان عمرو بن العاص وهو أحد المقربين لمعاوية أنه أرسل لسعد بن أبي وقاص يستعلم عما يدور من في الحجاز عقب مقتل عثمان ؛ فرد عليه: " **وأخبرك ان الزبير مغلوب بغلبة أهله وبطلبه بذنبه، وطلحة لو يجد أن يشق بطنه من حب الامارة لشقه**"[6]. ولم يضيع معاوية الفرصة فعلى ما يبدو أنه وجد ضالته في هذين الرجلين، إذ قام بتحريضهما على نقض البيعة وإعلان الحرب على الإمام علي عليه السلام ووهمهما بأنه أخذ البيعة لهما من أهل الشام ، فكتب الى طلحة:" **فقد أحكمت الأمر من قبلي لك ولصاحبك على ان هذا الأمر للمقدم**

([1]) ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج8، ص133؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج8، ص126.

([2]) مجموعة مؤلفين، أعلام الهداية، ج2، ص192.

([3]) ابن أبي الحديد، الشرح، ج1، ص270.

([4]) الطبري، تاريخ الرسل،ج3،ص464؛ابن أبي الحديد،الشرح،ج1،ص231.

([5]) للأطلاع على تلك الكتب بشكل مفصل ينظر: ابن ابي الحديد،ج10، ص223. ص245؛ ابن شدقم،وقعة الجمل، ص76ص89.

([6]) ابن قتيبة: الإمامة والسياسة، ج1، ص67؛ ينظر: ابن شبه، تاريخ المدينة، ج4، ص1174.

ثم لصاحبه من بعد جعلك الله من أئمة الهدى والسلام "[1] وقد جاء في كتاب ابن أبي الحديد عدة رسائل تتضمن ذلك المضمون من معاوية الى كل من طلحة والزبير نذكر منها رسالته كما انه كتب كتاباً آخر الى الزبير جاء فيه : " **سلام عليك اما بعد فأني قد بايعت لك أهل الشام فأجابوني الى بيعتك فاستوثقتهم كما أستوثق الحلف، فدونك الكوفة والبصرة لا يسبقك اليها ابن ابي طالب فأنه لا شيء بعد هذين المصرين وقد بايعت لطلحة بن عبيد الله من بعدك فأظهرا الطلب بدم عثمان وادعوا الناس الى ذلك وليكن منكما الجد والتشمير أظفركما الله وخذل مناوئكما** " [2].

لقد أسهم معاوية بتلك الكتب في اعادة فكرة الشورى عندهما وبالطبع كانت تلك مجرد خدعة من معاوية فهو لم ولن يتنازل لأي منهما عن مركزه ونفوذه في الشام الذي حافظ عليه لسنوات طويلة، فلا ندري هل انطوت هذه الخدعة عليهما ؛أم أنهما كانا عازمان على النهوض بالأمر في كل الأحوال؟!

ومما ما يؤكد صحة هذه الكتب أن علياً (عليه السلام) كان يعلم بتحركات معاوية والناكثين ؛ فقال فيهم : "**لقد كان معاوية كتب اليهما من الشام كتابا يخدعهما فيه فكتماه عني وخرجا يوهمان الطغام، انهما يطلبان بدم عثمان والله ما أنكرا عليّ منكراً ولا جعلا بيني وبينهما نصفا، وان دم عثمان لمعصوب بهما ومطلوب منهما** " [3].

و يمكن القول أن معاوية هو الذي أختار مكة لتكون مركزا لاجتماع المعارضين لعلي، ففي كتاب له ليعلى ين منبه :" **فشمر لدخول العراقيين فأني كفيتك الشام وأهلها وأحكمت أمرها، واعلم اني كتبت الى طلحة بن عبيد الله أن يلقاك بمكة لاجتماع رأيكما لإظهار الدعوة لطلب دم عثمان**"[4]، ويبدو أن رسالة طلحة والزبير لعائشة بمكة " **أن خذلي الناس عن بيعة علي وأظهري**" .[5] إنما جاءت بعد تلقيهم تلقيهم الكتب من معاوية ، فانضمت وأيدت الحملة التي قادها معاوية في الشام ، فقد كان يرفع قميص عثمان الملطخ بالدماء على المنابر ويدعو للأخذ بثأره[6] لأثارة عواطف الرأي العام ليعطي مبررا شرعيا لامتناعه عن بيعة عليه السلام والتحريض للخروج عليه ، في حين تبنت هي الدعاية ذاتها عندما تسترت

([1]) ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج5، ص33.

([2]) الشرح، ج1، ص231؛ المرعشي، شرح احقاق الحق، ج32، ص451.

([3]) المفيد، الجمل، ص144؛ ابن أبي الحديد، الشرح، ج1، ص31.

([4]) ابن ابي الحديد، الشرح، ج10،ص239؛ ابن شدقم، الجمل، ص81.

([5]) ابن ابي الحديد، الشرح،ج6،ص216. .

([6]) البلاذري، أنساب الأشراف، ج5، ص579؛ المقدسي، البدء والتاريخ، ج5، ص210؛ ابن عساكر، تاريخ دمشق،ج29، ص122؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج3، ص139.

بالحجر بمكة ورفعت الشعار ذاته .[1] مما يدل على أن تلك الحملة، أمر مخطط له، لتحقيق هدف موحد وهو الإطاحة بحكومة الإمام (عليه السلام).

من جانب آخر وإذا ما عدنا الى مقررات اجتماعات الحلف الأموي وأصحاب الجمل نجد أنها جاءت بناءً على توصيات معاوية التي وردت في كتبه اضافة الى كتب أخرى لكل من مروان والوليد والولاة الأمويين المعزولين[2] فإذا عدنا وتمعنا في كتابيه، " **فاظهرا الطلب بدم عثمان**"، وقوله: " **فدونك الكوفة والبصرة لا يسبقك اليها ابن ابي طالب**"[3]، فقد حدد لهم فالشعار الذي رفعوه وهو الطلب بدم عثمان، وكذلك اختيارهم العراق جبهة للحرب بعد أن تعددت آراء في الخروج الى علي ما بين : المدينة، العراق، أو الشام، فإنما جاء بناءً على مشورة أو بالأحرى قرارات معاوية المتستر بالشام، فكان يقود ويوجه هذا الحلف عن طريق بطانته المنضمين للحلف، إذ أقنعهم عبد الله بن عامر بأن البصرة فيها الرجال والمال وله فيها أنصار كاتبوه لنصرته؛ ووضح لهم ابن منية أن الخروج الى الشام لا يصح لأن معاوية فيها وقد سبقهم إليها وحاول أن يثير مخاوفهم بقوله :"**إن دفعكم عن الشام، أو قال أجعلها شورى، ما أنتم صانعون ؟ أتقاتلونه أم تجعلونها شورى فتخرجا منها ؟ ... فقال القوم : فإلى أين ؟ قال : إلى البصرة**"[4]

يتضح مما سبق أن كل منهما سعى لتنفيذ ما أوصاهم به معاوية في كتبه، فكان توجيه مسيرهم الى البصرة إنما نصرة لمعاوية، لأنه كان يشعر بخطورة موقفه، خشيةً من تحرك من أن يتحرك الإمام علي عليه السلام نحوه الى الشام لامتناعه عن البيعة، فأستطاع الأمويون أن يشتتوا ويغيروا وجهة هذا الجيش بتلك الخطة المحكمة، فإن تمكن حلف المعارضين القضاء على حكومة علي عليه السلام يكونوا أصابوا ما أرادوه وإن كان العكس فأنهم استطاعوا أن يكسبوا الوقت للتهيؤ وتنظيم صفوفهم لمواجهته. ولم يقتصر دور الأمويين بقيادة معاوية على ما ذكر في أعلاه؛ إنما تشير بعض الروايات الى وجود دور عسكري وتعبوي في تلك الحرب، فذكر أن في الوقت الذي خرج فيه أصحاب الجمل للبصرة، أغار جيشا من الشام بقيادة الضحاك بن قيس[5] على الحيرة وأحتمل من أموالها شيئا، مما أضطر عليا عليه السلام أن يرسل جندا من

([1]) ينظر: ص87 من الرسالة .

([2]) للوقوف على مراسلات وكتب معاوية مع ولاة بني أمية المعزولين لإشعال نار الفتنة ضد حكومة أمير المؤمنين ينظر: ابن أبي الحديد، الشرح، ج10،ص233ص239؛ ابن شدقم، وقعة الجمل، ص 76. 88.

([3]) ابن ابي الحديد، الشرح، ج10، ص231؛ ابن شدقم، وقعة الجمل، ص74.

([4]) ابن قتيبة،الإمامة والسياسة، ج1، ص79.

([5]) الضحاك بن قيس بن خالد الفهري القرشيّ، شهد فتح دمشق، وسكنها. مع معاوية، وكان قائد شرطته، وجعله على عسكره في صفين، كما ولاه على الكوفة، ثم نقله لولاية دمشق، وهو الذي قام بالصلاة على معاوية يوم وفاته، وقام بخلافته

من المسلمين لملاحقتهم، فاشتبكوا معهم وقتل بضعة عشر من أصحاب الضحاك الذي لاذ بالفرار[1]، فلاشك أن معاوية أراد من تلك الحملة إشغال جيش علي في الكوفة عن ملاحقة عساكر حلف أصحاب الجمل المتوجه. كما أورد المفيد رواية عن أصحاب الجمل جاء فيها" **وقد كاتبنا معاوية ابن ابي سفيان ان ينفذ لنا الجنود من الشام** "[2] مما يظهر أن معاوية كان على استعداد لأرسال عساكره للمشاركة في الحرب إلا أن المصادر التأريخية لم تذكر لنا قيامه بشي من ذلك بعد أن وصلت الجيوش الى البصرة، ولعل تفسير ذلك أنه خادع أصحاب الجمل، وتركهم يواجهون جيوش علي عليه السلام وحدهم لا سيما بعد أن علم بالتحاق آلاف من عساكر أهل الكوفة [3]، فمعاوية كان أذكى من أن يزج نفسه أمام تلك الأعداد الجامحة.

وهكذا نجد أنه أستطاع بودهائه توحيد صفوف عدة أطراف متعددة الأهداف والدوافع، في جبهة واحدة وتحت شعار واحد، وهو حرب علي (عليه السلام)، تحت مبرر الطلب بدم عثمان، لكن لنا ان نتساءل أين كان معاوية عندما كان عثمان محاصرا من الثوار أربعين يوما ولما لم يتدخل لنصرته؟ فكما قال العقاد إن الدفاع عن عثمان هومن واجب معاوية، فلا يوجد بين ولاته من هو أقدر على تلك المهمة منه لما تمتع فيه من استقرار في الشام لأكثر من عشرين عاما، فلا عذر ممكن ان يقيله من هذا الواجب [4]

في حقيقة الأمر معاوية كان مدركًا منذ البداية أن قتل عثمان يخدم مصالحه وطموحه السياسي، وأنه كان يرغب في أن يتم على عثمان ما تم، فقد نقلت المصادر التاريخية موقفه عندما استنجده عثمان حيث تلكأ عنه، وتربص به، وعندما أرسل جيشاً من الشام، أمره بالبقاء خارج المدينة بذي خشب، ولا يتجاوزها. وحذر قائده بقوله :" **يقول الشاهد يرى ما لا يرى الغائب، فإنني أنا الشاهد وأنت الغائب؛ فأقام بذي خشب، حتى قتل عثمان، فاستقدمه حينئذٍ معاوية، فعاد إلى الشام بالجيش الذي كان أرسل معه، وإنما صنع ذلك معاوية ليقتل عثمان، فيدعو إلى نفسه** " [5] يتضح من تلك الرواية أن معاوية كان يرى أن مقتل عثمان يفيده في أمرين : **الأول** : يفتح له المجال للوصول إلى الخلافة، وهذا ما كان يطمح اليه هو ووالده أبو سفيان من استعادة سلطانهم القديم .فقد صرح معاوية بنفسه بذلك قبل مقتل عثمان في أحدى

إلى أن قدم ابنه يزيد، وبايع لابن الزبير بعد موته ثم دعى لنفسه، فقتل على يد مروان بن الحكم في معركة مرج راهط سنة(64هـ/684م).ينظر: ابن الأثير، أسد الغابة،ج2،ص431،432؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج3، ص241. ص242.

([1]) ابن قتيبة، الإمامة والسياسة، ج1، ص74، ص75؛ الثقفي، الغارات، ج2، ص430، ص432

([2]) الجمل، ص126.

([3]) ابن أعثم، الفتوح، ج2، ص461.

([4]) معاوية بن ابي سفيان، ص84.

([5]) ينظر: ابن شبه، تاريخ المدينة؛ ج4، ص1289؛ ابن ابي الحديد، الشرح، ج16، ص154.

خطبه التهديدية للصحابة بقوله:"**وإن هذا الامر ثابت لكم ما استقمتم ـ يقصد الخلافة ـ ... وإني والله لئن لم تتركوا شيخنا هذا يموت على فراشه ليدخلن فيكم من ليس منكم** " فقالوا له: " **ومن ذاك؟ قال أنا أولهم.**" [1] وهذا اعتراف واضح بأنه سوف ينازع الصحابة اذا لم يستقيموا ويسكتوا على سياسة عثمان.

الثاني: يصبح هو ولي الدم ويطالب علي (عليه السلام) بدمه، ويبث الدعايات لكسب الرأي العام الى جانبه ضد علي (عليه السلام). لعلمه انه المنافس الأقوى له. فروى ابن شبه أن معاوية خاطب علي(عليه السلام) قبل مقتل عثمان بقوله:" **لو تنحيت، فإن هذا الرجل إن أصيب اتهموك**" [2] وكذلك قوله للصحابة: " **فو الله لئن قتل لا أعطيكم إلا السيف**" [3].

إن تخاذل معاوية عن نصرة عثمان تشير اليه كثير من الروايات، فذكر أنه لما وصلته رسالة عثمان الاستنجادية قيل له:" إن عثمان مقتول، فانظر فيما كتبت به إليه، فرد مصرحا بموقفه :" **إن عثمان بدأ فعمل بما يحب الله ويرضاه، ثم غير وبدل، فغير الله عليه، أفيتهيأ لي أن أرد ما غير الله عز وجل ؟** " [4] . ويذكر أن عدة اشخاص جابهوه بموقفه المتخاذل، وفيهم من يعد من اتباعه، منهم ابو الطفيل عندما سأله معاوية عن تخلفه عن نصرة عثمان : فرد عليه قائلًا:" **لم ينصره المهاجرون والأنصار قال معاوية : اما لقد كان حقه واجباً وكان عليهم ان ينصروه قال : فما منعك يا أمير المؤمنين من نصره ومعك أهل الشام؟ فقال معاوية : اما طلبي بدمه نصرة له؟ فضحك ابو الطفيل وقال انت وعثمان كما قال الشاعر:**

لأ لفينك بعد الموت تندبني وفي حياتي ما زودتني زادي " [5] .

كما أن بني أمية أنفسهم كانوا يدركون موقف معاوية فروي أن ابن ابي سرح أخو عثمان لأمه رفض يكون مع معاوية إذ " **انه كان يهوى قتل عثمان**" [6]،. وعلى ما يبدو أن عثمان نفسه فطن لنوايا معاوية، معاوية، فيروى أنه عندما ترك معاوية جيش الشام على أطراف المدينة وجاء بمفرده، مبررًا أنه جاء ليعرف موقفه رد عليه عثمان: " **لا والله لكنك أردت ان اقتل فتقول انا ولي الثأر أرجع، فتجئني بالناس ! فرجع فلم يعد حتى قتل** " [7]

([1]) ابن شبه، تاريخ المدينة، ج3، ص1093. ص1094.

([2]) تاريخ المدينة، ج3، ص1093.

([3]) ابن شبه، تاريخ المدينة، ج3، ص1093.1094؛ ينظر: ابن قتيبة، الإمامة والسياسة، ج1، ص46.

([4])أي أنه كان يستدل بالجبر لتبرير تخاذله عن نصر عثمان. العاملي، الحياة السياسية للإمام الحسن (عليه السلام)، ص171.

([5]) ابن بكار الموفقيات، ص154؛ البلاذري، ج5، ص92.

([6]) ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج29، ص42؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج3، ص35.

([7]) اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج2، ص157؛ ادريس الحسيني لقد شيعني الحسين، ص216.

والواقع أن معاوية كان يتربص بعثمان ويخونه حتى بالمشورة **فما من رأي إلا والنفع فيه ثابت لمعاوية غير ثابت لعثمان** [1]، فيروى أنه عندما ازداد الضغط على عثمان شعر بخطورة موقفه فلجأ الى معاوية يطلب المشورة فأشار عليه بعدة أمور اذ قال له: " **الرأي أن تأذن لي فأضرب أعناق هؤلاء القوم، قال : من؟ قال : علي وطلحة والزبير** " [2]. والرأي الثاني:هو أن يترك له جيشا من أهل الشام يقيمون في المدينة، والثالث أن يخرج الصحابة والمعترضين على سياسته ويهجرهم الى الأمصار، وأخيرا أن يجعل له الطلب بدمه ان قتل [3] في رواية أخرى أنه أشار عليه أن يخرج معه الى الشام، فرفض عثمان ذلك [4].

ان تلك الروايات ان صحت فأنها تدين معاوية بسوء نيته، وخيانة المشورة وأنها كما قال العقاد تضر عثمان ولا تنفعه، فقتل الصحابة ليس بالأمر الهين لذلك رفضه عثمان لأنه قد يأجج الرأي العام ضده، أما ترك قوة شامية في المدينة فهو أشبه بتسليم الحجاز لأيدي معاوية في حياة عثمان وبعده ، أما حول خروج عثمان الى الشام فهو بلا شك سيجعل دمشق عاصمة للخلافة، فيكون القول الفصل فيها لمعاوية أيضا لاستقلاله وسيطرته المحكمة عليها. فيكون هو المنتفع الأول والأخير دون أدنى شك .[5]

وأخيرا لابد من التنويه الى أن معاوية بعد حقق مراده وصار اليه الملك، ناقض نفسه وتناسى الشعار الذي أريقت لأجله دماء المسلمين، فلم يقتص من قتلة عثمان، وقد أكد ذلك ابن تيمية بقوله :" **أن معاوية قد أجمع الناس عليه بعد موت علي عليه السلام وصار أميرا على جميع المسلمين، ومع هذا فلم يقتل قتلة عثمان الذين كانوا قد بقوا**"[6] كما ذكر حادثة ندب ابنة عثمان لما علمت بقدوم معاوية للمدينة واستصراخها به فذهب إليها وكلمها بقوله :" **يا ابنة عم إن الناس قد بذلوا لنا الطاعة على كره... فإن رددنا حلمنا ردوا طاعتهم؛ ولأن تكوني بنت أمير المؤمنين خير من أن تكوني واحدة من عرض الناس، فلا أسمعنك بعد اليوم ذكرت عثمان**"[7] فكان ذلك بمثابة تصريح علني لتخلي معاوية عن مطالبته بدم عثمان، والسبب واضح، كما قال هو ان الناس اعطوه الطاعة مكرهين، فكان لابد له من مسايرتهم واظهار حلمه للحفاظ على منصبه .

([1]) العقاد، معاوية بن ابي سفيان، ص82.

([2]) ابن قتيبة،الإمامة والسياسة، ج1، ص49. 50. ينظر:عقيل،النصايح الكافية، ص111ـ ص112.

([3]) ابن قتيبة،الإمامة والسياسة، ج1، ص49. 50. ينظر:عقيل،النصايح الكافية، ص111ـ ص112.

([4]) الضبي، الفتنة، ص53؛ الطبري، تاريخ الرسل، ص382؛ ينظر: ابن شبه تاريخ المدينة، ج3، ص1096.

([5]) ينظر: العقاد، معاوية بن ابي سفيان، ص84.

([6]) منهاج السنة،ج4، ص407. ولابد من أن ننوه ان ابن تيمية قد ناقض نفسه بنفسه عندما ذكر تلك الرواية، إذ أنه صرح في بداية كلامه أن الناس قد أجمعوا على معاوية، ثم يعود وينقل ما قاله معاويه: " **ان الناس بذلوا لنا الطاعة على كره**"!.

([7]) منهاج السنة، ج4، ص407ـ 408.

المطلب الرابع/ روايات الجذور التاريخية لدوافع خروج السيدة عائشة على الإمام علي(عليه السلام)

لم يكن خلاف عائشة لحكومة الإمام علي (عليه السلام)وليدًا لأحداث البيعة أو مقتل عثمان، فلا يمكن القبول بصدفة الأحداث والوقائع، بل لابد من وجود علل وجذور للأحداث والمواقف، ويشير أحد المعاصرين إلى أن التاريخ لا يحدثنا عن سبب موقف عائشة من علي (عليه السلام) ولم ترى بعد من سياسته شيئا؛ وأن دعوى خروجها للطلب بدم عثمان توهيم لأنها لم تكن جاهلة بالشريعة التي تقضي بأمرين: الأول، ترك الأمر إلى الحاكم المركزي، فإن لم يكن فلولي القتيل وليست هي من أوليائه،الثاني،أخذ المباشر دون المسبب " [1].

لكن في حقيقة الأمر أن بطون المصادر التاريخية لا تخلو من الروايات والأخبار التي تبين وجود خلافات سابقة امتدت آثارها على المواقف والأدوار التاريخية اللاحقة، وبناءً عليه اقتضت طبيعة الدراسة تسليط الضوء على تلك الروايات والأخبار لمعرفة وفهم الدوافع الحقيقية لتلك الخصومة .

أولاً : رواية قصة الإفك[2]:

تعد هذه الحادثة من أهم الأحداث التاريخية التي تُعلل بها خصومة عائشة للإمام علي(عليه السلام) فيقول أحد المعاصرين: لو سألنا بأي حق استباحت أم المؤمنين قتال خليفة المسلمين عليّ بن أبي طالب، وهو وليّ كلّ مؤمن ومؤمنة ؟ ! فيجيب علماؤنا : بأنّها لا تحب الإمام عليّاً، لأنّه أشار على رسول الله بتطليقها في حادثة الإفك .[3] لذا اقتضت الدراسة البحث في تلك الرواية وحقيقة احداثها وملابساتها.

أ- ملخص القصة: وملخص تلك القصة التي تدور أحداثها حول عائشة أن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) لما خرج الى غزوة بني المصطلق[4]،أقرع بين أزواجه ليصطحب واحدة ففازت عائشة بالقرعة، وفي أثناء عودة

([1]) العلايلي، ص212.

([2]) الأفك: الكذب، والأفاك: الذي يأفك الناس عن الحق، أي: يصدهم عنه بالكذب والباطل.الفراهيدي،العين،ج5،ص416.

([3]) التيجاني،ثم إهتديت، ص 578.

([4]) من غزوات المسلمين في العهد النبوي الشريف، ويقال لها أيضا، غزوة المريسيع، وهو :اسم ماء لبني خزاعة بناحية قديد قديد إلى الساحل والمصطلق من بطون خزاعة، علم المسلمون بأنهم جمعوا لهم ، فخرجوا لملاقاتهم ، وغنموا في تلك الغزوة، وعفى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) عنهم رجالًا ونساء، وتزوج من جويرية بنت الحارث كبير بني المصطلق، وقد أختلف في تاريخ وقوع لتلك الغزوة، فقيل في شعبان من السنة الخامسة للهجرة، وقيل في شعبان من السنة السادسة.ينظر:

عودة الجيش الى المدينة، حدث أن عائشة تخلفت عن الجيش، وسقط منها عقدها، فانشغلت بالبحث عنه، فحملوا الهودج دون أن يشعروا بعدم وجودها لشدة نحافتها، فلما عادت عائشة لم تسطع اللحاق بالراحلة لأنها بعدت كثيرا، فنامت في مكانها، فوجدها صفوان بن المعطل[1]، الذي كان متخلفا عن الجيش أيضًا، وأعادها للمدينة، مما أثار شكوك المنافقين، فراحوا يتكلمون فيهما، بالأفك شهرا، حتى أنزل الله براءتها في سورة النور[2]. هذا هو ملخص الرواية التي صححها أهل الحديث و تعود بسندها الى عائشة نفسها ومن طرق عدة، وقد صرح الزهري أنه جمع أقوال كل واحد منهم في رواية واحدة منسقة كما صرح في بداية حديثه[3].

ب ـ الدور المنسوب للإمام علي (عليه السلام) في القصة:

ورد في تلك القصة أن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) لما تأخر عنه الوحي ،استاء فاستشار اسامة بن زيد والأمام علي(عليه السلام) في فراق زوجته:" **فأما أسامة فأشار على رسول الله (عليه السلام) بالذي يعلم من براءة أهله، وبالذي يعلم في نفسه من الود لهم، فقال: يا رسول الله** صلى الله عليه وآله وسلم **هم أهلك ولا نعلم إلا خيرا، وأما علي، فقال: لم يضيق الله عليك والنساء سواها كثيرة وإن تسأل الجارية تصدقك...**"[4]، وعلى أثر تلك المشورة ،أرسل النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) لجارية عائشة بريرة[5]، ليسألها عن أمر عائشة، وفي بعض الروايات إن الإمام علي هو من تولى تقريرها بالقوة، "**قالت: فقام إليها علي بن أبي طالب**(عليه السلام)

الواقدي، المغازي، ج1، ص404؛ ابن هشام، السيرة النبوية، ج2، ص289؛ابن خياط، تاريخ خليفة، ج1، ص80؛الطبري، تاريخ الرسل، ج2، ص260؛ ابي الفدا، المختصر في تاريخ البشر، ج1، ص133.

([1]) صفوان المعطل بن ربيعة السلمي الذكواني، يقال انه اسلم قبل المريسع، وشهد الوقائع التي بعدها وقتل صفوان في غزوة ارمينية عام(19هـ/ 670م) وقيل مات بالجزيرة في ناحية شمشاط ودفن هناك ويقال في بلاد الروم زمن معاوية سنة (59هـ/710م).ينظر :ابن خياط،ج1،ص583؛ابن عبد البر ،الإستيعاب،ج2،ص227؛ابن حجر الاصابة،ج356،3.

([2]) الآيات (11- 20).

(3) الصنعاني، المصنف، ج7، ص29؛ابن هشام، ج2، ص297؛صحيح البخاري، ج5، ص116؛ صحيح مسلم، ج4، ص2129؛ابن أبي شيبة، تاريخ المدينة، ج1، ص311؛النسائي، السنن، ج8، ص168؛الطبري، جامع البيان، ج19'ص115؛ الرازي، مفاتيح الغيب، ج23، ص339؛ابن كثير، البداية والنهاية، ج4، ص182؛ السيوطي، الدر المنثور، ج6، ص140؛ القسطلاني، إرشاد الساري، ج6، ص338؛ابن خلدون، المتبدأ والخبر،ج2، ص446.

([4]) الصنعاني، المصنف، ج7، ص29؛صحيح البخاري،ج5، ص116؛صحيح مسلم، ج4، ص2129؛ابن أبي شيبة تاريخ المدينة،ج1، ص311؛ النسائي، السنن،ج8،ص168؛الطبري، جامع البيان، ج19'ص115؛ الرازي، مفاتيح الغيب، ج23،ص339؛ابن كثير،البداية والنهاية،ج4،ص182؛؛السيوطي،الدر المنثور، ج6، ص140؛القسطلاني ج6، ص338.

([5]) جارية لعائشة، قيل: كانت مولاة لقوم من الأنصار، وقيل لآل عتبة بن أبي إسرائيل وقيل لبني هلال، لم يورد أهل التراجم، دورها في حادثة الأفك. ابن حجر، الإصابة، ج8'ص50؛الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج2، ص297.

فضربها ضربا شديدا، ويقول: اصدقي رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)"[1]. ولو عرضنا هذا النص من الرواية على القرآن والسنة الشريفة لوجدنا أنه مليء بالمخالفات للتشريعات الإسلامية، إذ تصور الرواية كل من النبي(صلى الله عليه وآله وسلم)، والإمام علي(عليه السلام) بمظهر المتأثرين والمنجرفين بالإشاعات، دون أن يحققوا في المسألة تحقيقًا عادلًا، وأن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) قد رتب الأثر على قول الآفكين، وأصبح في ريب من عائشة، فتغيرت معاملته لها ولطفه بها، وستشار في أمرها عدة اشخاص و قرر جاريتها، ثم أنه طلب منها أن تتوب إن كانت أخطأت [2] وذلك بقوله : "**وإن كنت ألممت بذنب فاستغفري الله وتوبي إليه**" [3]، وكذلك هو حال الإمام علي(عليه السلام) لإشارته بتطليقها وتقرير جاريتها بالقوة والضرب، في حين أن آيات الإفك توبخ على عدم الظن الحسن في هذا المورد. بمعنى: إنه كان الواجب تكذيب هذه الفرية مباشرة وعدم السماح بالخوض فيها، بقوله تعالى :((**لَوْلاَ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهَذَا سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ**))[4]، وقد أشار أحد المفسرين لذلك بقوله: فمن لوازم الإيمان حسن الظن ،والنبي(صلى الله عليه وآله وسلم)أحق من يجب عليه الاتصاف بهذه الصفة لأنه قدوة للآخرين، وهو أبعد ما يكون عن الوقوع في الإثم، وله مقام النبوة، والعصمة الإلهية .[5] مما يوضح بأن إسقاط العصمة كان إحدى الغايات السياسية لتلك الرواية .

فلنا أن نتساءل كيف يصح أن يطلب رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) المشورة في قضية في منتهى الحرج، دون الرجوع لتعاليم الدين المكلف بنشره؟ أم أنه لم يكن يعرف تلك التعاليم؟ فضرب الجارية بريرة مخالف لتعاليم الدين الإسلامي وسنة النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) ولا يجوز الحكم في تلك القضية الا بوجود أربعة شهود من الرجال[6]، فلو فرضنا إنها. والعياذ بالله . اتهمت سيدتها بشيء تحت ضغط الضرب والتهديد، فهل يستطيع النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) أن يرتب الأثر ،على كلامها وهي امرأة واحدة؟ ، والأمر

([1]) ابن هشام، السيرة، ج2،ص301؛ابن شبه، تاريخ المدينة، ج1،ص328؛ الطبري،تاريخ الرسل،ج2،ص267، الثعلبي،ج1،الكشف والبيان،ج7،ص76؛ابن حجر،فتح الباري،ج8، ص469؛ الديار بكري، تاريخ الخميس،ج1، ص476.

([2]) العاملي، الصحيح من سيرة المصطفى (صلى الله عليه وآله وسلم) ، ج1، ص280.

([3]) الصنعاني، المصنف، ج7، ص29؛صحيح البخاري،ج5، ص116؛صحيح مسلم، ج4، ص2129؛ابن أبي شيبة، تاريخ المدينة، ج1، ص311؛النسائي،السنن، ج8، ص168.

([4]) سورة النور، الآية:12.

([5]) ينظر: الطبطبائي، تفسير الميزان، ج5، ص102.

([6]) سورة النساء الآيتين (15) (16)؛ القرطبي، تفسير القرطبي، ج5، ص83؛ السيوطي، الدر المنثور، ج2،ص4.

يحتاج الى اربعة شهود. والسؤال الأهم هل كانت بريرة مع عائشة في تلك الغزوة، حتى تطلب شهادتها، وكيف لم تنتبه لغياب سيدتها ان كانت موجودة؟ [1].

كما أشار البعض لثغرة مهمة وهي أن عائشة لم تشتري بريرة الابعد فتح مكة ،عام (8هـ/630م) أي بعد غزوة المريسع، لكن المتشبثين بالرواية اختلقوا الأعذار، والاحتمالات بأن يكون إضافة اسم بريرة هو من إضافات الرواة ،وأن هناك جارية أخرى هي التي قررت[2]، أما الذهبي فقد حاول دفع الشبهة بإحتمال وجود جاريتان لعائشة بنفس الإسم [3] .

ولو حملنا تلك التبريرات التي لا تستند على دليل، على محمل الصحة، أيضاً لا يجوز تقرير الجارية وضربها أيًا كانت، لآنها كما قلنا امرأة واحدة، فضلًا عن إنها لم تكن مع عائشة عندما وجدها ابن المعطل في الصحراء. فلا فائدة من سؤالها. ذلك فضلًا عن الإشكالات الأخرى التي تضعف الرواية وتشكك في صحتها؛ ما روي حول دور سعد بن معاذ[4] في المشادة الكلامية التي جرت بينه وبين سعد بن بن عبادة[5]، والتي تطورت الى التضارب بين الآوس والخزرج على إثر خطبة النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) التي التي طلب فيها من يعذره من الاستيعاب أبي[6] فقال: " **من يعذرني من رجلٍ قد بلغني أذاه في أهلي... فقال سعد :أنا يا رسول الله أعذرك ، فإن كان من الأوس ضربت عنقه وإن كان من إخواننا من الخزرج**

([1]) ينظر: العاملي، الصحيح من سيرة الإمام علي، ج1، ص184. ص185.

([2]) ابن قيم الجوزية، زاد المعاد، ج3، ص239؛الزركشي، الإجابة لما إستدركته عائشة على الصحابة، ج1، ص23.

([3]) سير أعلام النبلاء، ج2، ص297.

([4]) سعد بن معاذ بن قيس الأنصاري صحابي من اهل المدينة كان زعيمًا لقبيلة الآوس قبل الإسلام ،قيل انه ممن بايع بيعة العقبة حمل لواء قبيلته يوم بدر. وشهد أحدا، ورمي بسهم يوم الخندق، فمات من أثر جرحه ودفن بالبقيع، وعمره سبع وثلاثون سنة.ينظر:ابن سعد،الطبقات الكبرى،ج3،ص420؛ابن حجر،الإصابة،ج3،ص70؛الزركلي،الأعلام،ج3،ص88.

([5]) سعد بن عبادة بن دليم يكنى أبا ثابت وابا قيس سيد الخزرج ، صحابي شهد بيعة العقبة الثانية، بعد وفاة النبي(صلى الله عليه وآله وسلم)، أراد الأنصار أن يولوه عليهم، لما رأوا انصراف الأمر عن الإمام علي (عليه السلام) ولما آلت الخلافة لأبي بكر إمتنع ابن عباده عن مبايعته، ثم خرج الى الشام، فوجد مقتولًا بسهم، وقيل أن الجن قد قتلته وناحت عليه بالشعر، الا إن ابن أبي الحديد،صرح إنه قتل بأمر من أمير الشام آنذاك لأنه خالف بيعة الإمام،.ينظر:ابن الأثير، أسد الغابة، ج2، ص206؛نهج البلاغة، ج10، ص111، الذهبي، سير أعلام النبلاءج1، ص270؛الهيثمي،مجمع الزوائد، ج2، ص441.

([6]) عبد الله بن أبي ابن سلول الأنصاري،من أشراف الخزرج في الجاهلية، وكان مرشحًا لسيادة قومه، فلما جاء النبي(صلى النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) للمدينة،نفس عليه النبوة،فكان رأسًا للمنافقين، وذكر أن هو من تولى كبر الإفك في عائشة، قيل انه مات في العام التاسع للهجرة ينظر:ابن عبد البر،الاستيعاب،ج3، ص171؛إبن الأثير، أسد الغابة،ج1،ص30؛الذهبي، تاريخ الإسلام،ج1، ص441.

أمرتنا ففعلنا أمرك "[1]، ولا ندري كيف يمكن التصديق أن يأمر النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) بقتل ابن أبي، دون الرجوع لحكم الشرع في الحد من قذف المحصنات؟، والأهم فأن البعض تنبه الى إن سعد بن معاذ لم يشهد غزوة المريسع؛ وأنه توفي قبلها، في معركة الخندق ،فكان ذلك مما أشكل على تلك الرواية [2].

لكن الشيء الأهم أننا لو تمعنا النظر وتتبعنا ما ورد في تلك المشادة الكلامية : " **قالت : فقام رجل من الخزرج ... وهو سعد بن عبادة... وكان قبل ذلك رجلاً صالحاً ولكن احتملته الحمية فقال لسعد : كذبت لعمر الله لا تقتله ولا تقدر على قتله ولو كان من رهطك ما أحببت أن يقتل فقام أُسيد بن خضير[3] ... فقال لسعد بن عبادة : كذبت لعمر الله لنقلتنه فإنك منافق تجادل عن المنافقين.**" [4]

نلحظ أنها لا تخلو من الكيد السياسي، من خلال تقييم الشخصيات انعكاسا لمواقفها من الأحداث والسلطة التي حكمت بعد وفاة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، فإتهام ابن عبادة بالنفاق والدفاع عن المنافقين، ما هو إلا تشويه لصورة تلك الشخصية، لمواقفه في أحداث السقيفة [5]، فلفق له ذلك الدور، كما لفقت قصة موته الغامضة، و أغرب ما فيها الإعداء بأنه قتل على يد الجن !! [6]، في حين شفع لأسيد موقفه المؤيد للسلطة فأعطي دور المدافع عن كرامة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وزوجه.

([1]) الصنعاني، المصنف،ج7،ص29؛صحيح البخاري،ج5،ص116؛صحيح مسلم، ج4،ص2129؛ابن أبي شيبة، تاريخ المدينة، ج1، ص311؛النسائي،السنن،ج8،ص168.

([2]) ينظر: النووي، المنهاج شرح صحيح مسلم بن حجاج، ج17، ص110؛العراقي، طرح التثريب في شرح التقريب،ج8، ص61؛ابن حجر، فتح الباري، ج8، ص171.البياتي،لا تخونوا رسول الله، ص128.

([3]) أسيد بن حضير بن سماك من أشراف خزرج أهل المدينة، قيل أنه أسلم على يد مصعب بن عمير، وقيل أنه ممن حضر العقبة الثانية، وبعد وفاة النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) انحاز بقومه لأبي بكر، خوفًا من أن يبايع الآوس سعد بن عبادة، وكان أبو بكر لا يقدم أحدا من الأنصار عليه ، توفي سنة عشرين للهجرة فحمل عمر نعشه بنفسه وصلى عليه. ينظر: ابن هشام، السيرة النبوية،ج2،ص656؛ابن عبد البر الاستيعاب،ج1، ص94، ابن حجر، الإصابة، ج2، ص235.

([4]) الصنعاني، المصنف، ج7، ص29؛صحيح البخاري، ج5، ص116؛صحيح مسلم، ج4، ص2129؛ابن أبي شيبة، تاريخ المدينة، ج1، ص311؛النسائي، السنن، ج8، ص168.

([5]) في السياسة والإمامة،أن ابا بكر أرسل الى ابن عباده ليبايعه فرفض بقوله: أما والله حتى أرميكم بكل سهم في كنانتي من نبل... فلما أراد عمر إكراهه على البيعة، نصحهم بشير بن سعد بتركه لئلا تنشب الفتنه " **فتركوه... فكان سعد لا يصلي بصلاتهم، ولا يجمع بجمعتهم،ولا يفيض بإفاضتهم،ولو يجد عليهم أعوانا لصال بهم...فلم يزل كذلك حتى توفي أبو بكر رحمه الله، وولي عمر بن الخطاب، فخرج إلى الشام،فمات بها،ولم يبايع لأحد**". ابن قتيبة، ج1، ص28. ينظر: الجوهري،السقيفة وفدك،ص70.51؛الطبري،تاريخ الرسل، ج2، ص454،ابن الأثير، الكامل في التاريخ،ج2، ص325.

([6]) ينظر: ابن الأثير، أسد الغابة، ج2، ص206؛ابن ابي الحديد،ج10،ص111،الذهبي،سير أعلام النبلاء، ج1، ص270؛الهيثمي،مجمع الزوائد، ج2، ص441.

وبما أن الإمام علي(عليه السلام) كان الخط المعارض الأول للسلطة[1] فلابد أن يكون دوره مشابهًا لدور ابن عبادة الا إن الرواة لم يجرؤا على اتهامه بالنفاق بصورة مباشرة، وإنما لفقوا شبهة مشورته على النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) بطلاق زوجته وضربه للجارية، مما يعطي انطباعًا بأنه كان ممن ظنوا ظن السوء فيها والعياذ بالله، بالمقابل أعطى الرواة لأسامة دور الرجل الحليم المتأني، ولابد من الإشارة أن خبر استشارة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) لأسامة موضع شك وضعف للرواية :فإذا ما علمنا أن أُسامة بن زيد كان في السابعة عشرة من عمره حين أمّره النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) على الجيش قبل رحيله بأيام قليلة في العام الحادي عشر للهجرة(2)، فيكون عمره في السنة السادسة (عام المريسيع) لا يزيد على اثنتي عشرة سنة على أبعد التقديرات، وهذا السن لا يؤهله لأن يكون مستشاراً في قضية بالغة الحساسية[3]، فذلك مخالف لما قيل بأن النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) كان يستشير في الأمور العامة كبار السن من الصحابة[4]. الامر الذي الذي يفسر لنا إن الرواة أرادوا إعطائه دورًا مشرفًا في تلك القصة ، فجوابه "**أهلك ولا نعلم الا خيرًا**"، يفرق كثيرًا عن قول الإمام علي(عليه السلام) الذي نسب اليه ولعل ذلك مرتبطًا بمواقفه من الأحداث السياسية، لا سيما موقفه السلبي المنحرف عن الإمام علي (عليه السلام) (5)

ج ـ سند الرواية:

تكاد تكون معظم الروايات التي وردت في تلك الحادثة تعود في سندها الى عائشة، أو أمها أم رومان،[6] عن طريق مسروق وقد ضعف ابن حجر روايته عنها، لأنه لم يقدم للمدينة إلا في زمن ابي بكر، أما أم رومان فيذكر إنها ماتت في حياة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ، أي أن روايته عنها مرسلة [7].

أما رواية الزهري التي اصبحت الرواية الرسمية بعد ان صححها البخاري ونقلها عنه الآخرون، فإنها من تنسيق الزهري ،فقد صرح أنه جمع أكثر من رواية، لعدة رواة كلهم رووها عن عائشة ، فجمع قولهم بعضه على بعض برواية واحدة كما صرح في بداية، ان طريقة الزهري في دمج احاديث الافك على الرغم

([1]) ينظر:ابن قتيبة،ج1،ص28؛البلاذري،أنساب الاشراف،ج1،ص586؛المسعودي،مروج الذهب،ج2،ص301؛ابن الاثير،الكامل في التاريخ،ج2،ص325.

([2]) ابن سعد، الطبقات، ج4، ص66؛ابن الأثير، أسد الغابة، ج1، ص80.

([3]) البياتي، صباح،لا تخونوا الله ورسوله (صلى الله عليه وآله وسلم)، ص128.

([4]) ابن حجر، فتح الباري، ج8، ص469.

([5]) ذكر ابن الأثير في ترجمته أنه لم يبايعه ولم يشترك في أي من حروبه، أسد الغابة، ج1، ص80.

([6]) للمزيد من التحقيق في أسانيد ومواطن الضعف في الحادثة، ينظر: العاملي، حديث الإفك ،ص55 وما بعدها .

([7])، ج7، ص438.

من اختلاف رواياتها أثارت حفيظة العلماء الذين انتقدوا روايته وضعفوها وقالوا كان ينبغي له ان يفرد حديث كل واحد منهم عن الاخر[1] فلو لا هذا التصرف لاستطعنا مقارنة تلك الاحاديث وتفهم الواقع التاريخي اكثر من هذا [2] .

في حقيقة الامر ان تلك الرواية هي من صنيع الحكام الأمويين اذ كانوا يدفعون رواتهم لإلصاق شبهة القذف بالإمام علي(عليه السلام) ويبدو أن الزهري كان من أولئك الرواة ، لسبب أو لآخر، فقد اعترف بنفسه بضغط الوليد عليه الوليد عليه للإقرار بتلك الفرية، فروى أن الوليد قرأ سورة النور ولما وصل لقوله تعالى: **((إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ مَا اكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ))**[3] قال له: "**من تولى كبره منهم أليس علي بن أبي طالب قال: فقلت في نفسي ماذا أقول ؟ لئن قلت لا لقد خشيت أن ألقى منه شرًا، ولئن قلت نعم لقد جئت بأمر عظيم! قلت في نفسي لقد عودني الله على الصدق خيرا قلت لا قال فضرب بقضيبه على السرير ثم قال فمن فمن حتى ردد ذلك مرارا قلت لكن عبد الله بن أبي** "[4] و ذكر الزهري أن هشام بن عبد الملك الاموي الاموي كان يدعي تلك الفرية أيضًا ،وعندما حاول الزهري نفيها، كذبه هشام، وإن كان الزهري قد امتنع عن موافقة الحكام الأمويين على افتراءاتهم، فإن هناك من سايرهم:" **دخل سليمان بن يسار على هشام بن عبد الملك فقال له يا سليمان الذي تولى كبره من هو قال عبد الله بن أبي قال كذبت هو علي قال: أمير المؤمنين أعلم...**"[5]. لكن الذي يمكن نخلص إليه من الرواية الأولى أن الزهري كان يخشى سياط الأمويين وغضبهم، فاضطر لسببٍ أو لآخر مجاراتهم [6]، فقد أشار ابن حجر أن الرواية لها وجه آخر، وذلك أن الوليد بعدما أخبره الزهري أن عدة رجال أخبروه أن عائشة قالت:" **الذي تولى كبره عبد الله بن أبي. قال له:** " **فما كان جرمه؟ قلت: أخبرني رجال من قومك... عن عائشة قالت: كان مسيئا في أمري** " [7]. من قراءة تلك النصوص نفهم أن الوليد يص اتهام علي (عليه السلام) والزهري وإن لم يتجرأ على إتهامه إتهامه بتهمة القذف، لكنه روج لها من باب خفي بالقول أنه كان ممن أساء الظن فيها.

([1]) ابن حجر، فتح الباري،ج8،ص456؛العيني،عمدة القاري، ج19، ص83؛القسطلاني،إرشاد الساري، ج4، ص360.

([2]) العسكري، أحاديث أم المؤمنين، ج2، ص172.

([3]) الآية (11).

([4]) ابن حجر، فتح الباري، ج7، ص437.ينظر:الطبراني، المعجم الكبير، ج23، ص97.

(5) ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج55، ص371؛الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج5، ص339؛الصفدي، الوافي بالوفيات، ج5، ص18؛ابن حجر، فتح الباري، ج7، ص437.

([6]) عرف الزهري بتقربه و صحبته لملوك الأمويين، فذكرت بعض المصادر في ترجمته أن مكحول الدمشقي كان يقول عنه **أي رجل الزهري لولا أنه أفسد نفسه بصحبة الملوك**". ابن عساكر، ج55، ص369؛الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج5، ص339؛المقريزي، المقفى الكبير، ج7، ص138.

([7]) ابن شبه، تاريخ المدينة، ج1، ص337؛ ابن حجر، فتح الباري، ج7؛ص437.

والأدهى من ذلك أن ذلك الاتهام ورد في صحيح البخاري أيضًا، فالرواية التي وصلت إلينا تنص على أن الزهري قال :" **قال لي الوليد بن عبد الملك: أبلغك أن عليا، كان فيمن قذف عائشة؟ قلت: لا ولكن قد أخبرني رجلان من قومك ... أن عائشة قالت لهما: " كان علي مسلما في شأنها فراجعوه، فلم يرجع وقال: مسلما، بلا شك فيه وعليه، كان في أصل العتيق كذلك** "[1]، إلا أن ابن حجر بين وجود تلاعب في الرواية في بعض النسخ ،تحديدا في لفظة : (مُسَلِّمًا) من التسليم في الأمر أي ساكتا وفي رواية (مُسَلَما) أي سالما من الخوض فيه، وجاءت بلفظ (مسيئا).و قال أنه الأصح، وإستدل على رأية أن كثير من العلماء رووها باللفظ الأخير، وفيهم من نقلها عن كتاب البخاري أيضًا بلفظ مسيئًا [2]، وذلك إن دل على شيء إنما يدل على أن النساخ تفطنوا إلى ما في تلك الرواية من إفتراء وإتهام صريح لعلي(عليه السلام) مما يعرض رواتها للاتهام بالنصب والعداء له، وهذا من شأنه أن يضعف يضعف عدالتهم و الأخذ بما يروى عنهم، بما فيهم البخاري نفسه، الذي صحح رواية مخالفة لما جاء في القرآن الكريم، الذي طهر علي(عليه السلام) وسائر آل البيت من الرجس والآثام.

وبناءً على تلك الحادثة المشكوك بحدوثها ، تم تبرير دوافع الخلاف في أحداث حرب الجمل فقد روى سبط ابن الجوزي أن أبا قتادة سمعها تحدث الناس أيام حرب علي للخوارج وأنهم سيقتلهم أحبّ الخلق إلى اللّه ورسوله(صلى الله عليه وآله وسلم)، فسألها مستغربا لما خرجت عليه مادامت تقر بفضله: فقالت: يا أبا قتادة وللقدر سبب ، وهو ان الناس خاضوا في حديث الإفك ، وكان عامة المهاجرين يقولون لرسول اللّه (صلى الله عليه وآله وسلم): أمسك عليك زوجك حتى يأتي أمر ربك . وكان علي يقول:" **النساء كثيرة وما ضيق اللّه عليك، وفي نساء قريش من هي أجل نسبا منها وأبيها، فوجدت عليه، وكان لي من رسول اللّه** (صلى الله عليه وآله وسلم) **حظ فخفت عليه، فكان منّي ما كان وأنا الآن فاستغفر اللّه مما فعلته** ."[3] لاشك تعليل الحوادث والأفعال بالقدر، يشير بوضوح إلى أن الرواية لا تخلو من صبغة سياسية، والأرجح أنها من الكيد

([1]) ج5، ص120.

([2]) ينظر: فتح الباري، ج7، ص437.

([3]) تذكرة الخواص، ج1، ص441.

السياسي الأموي فمعاوية والأمويين أول من تبنوا الترويج لنظرية الجبر[1]، لشرعنة وصولهم للسلطة بقوة السيف، وإخماد الثورات المناهضة لحكمهم [2].

وكان من بين الذين عدوا موقف علي(عليه السلام) في قصة الإفك، مبررًا لخروج عائشة في حرب الجمل ابن أبي الحديد وشيخه اللمعاني[3] ضمن تحليلهم سبب الخصومة بين الطرفين، وأشار في محض حديثه،إلى منافسة والد عائشة وابن عمها طلحة للإمام علي(عليه السلام) في المكانة و المنزلة لدى رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) ، ثم أضاف: **ولست أبرئ عليا(عليه السلام) من مثل ذلك، فإنه كان ينفس على أبى بكر سكون النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) وثناءه عليه، ويحب أن ينفرد هو بهذه المزايا والخصائص دونه ودون الناس أجمعين، ومن انحرف عن إنسان انحرف عن أهله وأولاده**"[4]، ثم ذكر حادثة قذف عائشة بالإفك ومشورة علي (عليه السلام) بتطليقها ، وأضاف:" **نقل النساء إليها كلامًا كثيرًا عن علي وفاطمة (عليهما السلام) وأنهما قد أظهرا الشماتة جهارا وسرا بوقوع هذه الحادثة لها، فتفاقم الامر وغلظ** ." لاشك أن الغاية من هذا الكلام هي توزيع مسؤولية ما حدث في حرب الجمل وغيرها من الأحداث السياسية على طرفي النزاع وأن عليًا وفاطمة (عليهما السلام) لا يختلفان عن الطرف الآخر فيما يعتري الطبائع البشرية، من أثام كالتحاسد وإظهار الشماتة، ولسنا بحاجة لرد هذا الكلام، فقد نزه الله أهل البيت (عليه السلام) على لسانه في آية التطهير[5].

لقد سار كثير من أصحاب الدراسات الحديثة [6]على هذا الرأي في تبرير موقف عائشة؛ وأن موقفها من بيعته ردة فعل طبيعية ومبررة، لرد اعتبارها، فمن أقوال هؤلاء ما قاله العقاد: **فلا ريب أن عليًا أخطأه التوفيق في تلك النصيحة، فسيفهم الناس من طلاقها أن النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) قد أدانها، وسيلصق**

([1]) إجبارُ اللَّه تعالى عبادَه على ما يفعلون، سواء كان خيراً أو شراً، حسناً أو قبيحاً، دون أنْ يكون للعبد إرادة واختيارُ الرفض والامتناع ، و أنّ كلّ ما يحدث للإنسان قُدّر عليه أَزَلًا، فهو مُسيّر لا مُخيّر. ينظر،الشهرستاني، الملل والنحل، ج1، ص85؛العسكري، الجبر والتفويض والقضاء والقدر، ص5.

([2]) ينظر: السبحاني، الإلهيات على هدى الكتاب والسنة والعقل، ج2، ص166.

([3]) أبو يعقوب يوسف بن إسماعيل بن عبد الرحمن بن عبد السلام اللمعاني، أحد الأعيان الحنفية في بغداد، سمع الحديث ودرس بجامع السلطان، وكان معتزليا في الأصول، بارعا في الفروع،درس على يد أبيه وعمه، وأتقن الخلاف وعلم المناظرة، توفي عام (606هـ)، وهو يقارب التسعين. ابن كثير، البداية والنهاية، ج13، ص64.

([4]) شرح نهج البلاغة، ج9، ص193.

([5]) سورة الأحزاب، الآية :33. ينظر: الطبطبائي، تفسير الميزان، ج16، ص310. ص313.

([6]) طه حسين، الفتنة الكبرى، ج2، ص25؛ العقاد، الصديقة بنت الصديق، ص67؛ الأفغاني، عائشة والسياسة، ص63؛ ابو النصر،علي وعائشة، ص25؛قدورة،عائشة أم المؤمنين،ص165.

ذلك بها وبوالدها وعائلتها[1] ويقول آخر: :"**رأي علي لو عمل به لأعقب عواقب وخيمة: تحطيم حياة عائشة البريئة، وفجيعة قلب النبي**(صلى الله عليه وآله وسلم) **وحزنه طوال حياته، وأين لأحد أن ينساه إذن.**"[2]، أما صاحبة كتاب عائشة أم المؤمنين فتصرح أنه كان من القاذفين:" **فحقدت على كل الذين اتهموها، وكان علي منهم حتى إنه أشار على النبي** (صلى الله عليه وآله وسلم) **بتطليقها قبل أن يجري في الأمر تحقيق عادل**".[3]

وهكذا تفشت الفرية الأموية التي نسبوها للإمام (عليه السلام) من دون دليل منطقي في إطلاق مثل ذلك الحكم المجحف بحقه، وليس من المعقول أن هؤلاء الكتاب لم يطلعوا على ما شهدت به الأمة من أعلمتيه بأحكام الفقه ومعضلات القضاء، وأولهم رسول الله بقوله(صلى الله عليه وآله وسلم): " **أقضاكم علي** " [4].وأنه من بيت طهره الله من الآثام والرجس. والأكثر غرابة أنهم أصدروا تلك الأحكام اعتمادًا على قصة يشوبها كثير من مواطن الضعف، في حين أن مجريات الأحداث تشير بوضوح إلى أن خلاف عائشة لعلي(عليه السلام) يعد جزءًا من خلاف قريش لعلي(عليه السلام)، وسياستهم في إقصاءه عن حقه الشرعي في خلافة رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) ، والذي لعبت فيه المكاسب الدنيوية والاجتماعية دورًا كبيرًا. ويمكننا تقصي عدة مواقف سلبية لعائشة في هذا الإطار من خلال ما ورد بطون المصادر التاريخية وهذا ما سيتم تسليط الضوء عليه فيما يلي من الدراسة.

ثانيًا : العامل النفسي العاطفي وأثره على توتر العلاقة بين السيدة عائشة الإمام علي وفاطمة (عليهما السلام)

تشير بعض المصادر الى أن عائشة كانت تصاب بالغيض والاستياء من تقريب النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) لعلي(عليه السلام) من ذلك ما رواه ابن حنبل بأنها كانت ذات مرة تجادل النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) بصوت مرتفع وتقول: "**والله لقد عرفت أن عليا أحب إليك من أبي مرتين أو ثلاثا** ، فسمعها ابو بكر فاستأذن ودخل " **فأهوى إليها فقال: يا ابنة فلانة، ألا أسمعك ترفعين صوتك على رسول الله**(صلى الله عليه وآله

([1]) الصديقة بنت الصديق، ص67.

([2]) الأفغاني، عائشة والسياسة، ص 63.

([3]) قدورة ، ص165. 166

([4]) ابن البطال، شرح صحيح البخاري، ج10، ص244؛الصفدي، الوافي في الوفيات، ج21، ص179؛ابن حجر، فتح الباري، ج10، ص590.ينظر:ابن سعد،الطبقات،ج2ص338؛وكيع، أخبار القضاة،ج1،ص89؛ابن عبد البر، الاستيعاب،ج3، ص1103؛الذهبي،سير أعلام النبلاء، سيرة الخلفاء، ص239.

وسلم) ".[1] وفي رواية أخرى، أنه أهوى اليها ليلطمها وخرج غاضبا لتصرفها مع النبي(صلى الله عليه وآله وسلم).[2]

وهناك من يرى أن الجذور الاولى لخصومة عائشة للإمام لعلي (عليه السلام) تعود لموقفها ومشاعرها السلبية تجاه السيدة خديجة الكبرى الذي انعكس على علاقتها الزهراء(عليهما السلام)، و من ذلك ما نقله المفيد على لسان الإمام علي (عليه السلام) " **كانت عائشة تمقت خديجة بنت خويلد وتشنؤها شنآن الضرائر، كانت تعرف مكانها من رسول اللّه** (صلى الله عليه وآله وسلم) **فيثقل ذلك عليها، وتعدّى مقتها إلى ابنتها فاطمة فتمقتني وتمقت فاطمة وخديجة ! ! وهذا معروف في الضرائر.**" [3].

وفي الواقع لقد جاء على لسان عائشة نحو ذلك ، كقولها :"**ما حسدت امرأة ما حسدت خديجة** ..."[4]

وبلفظ آخر: "**ما غرت على امرأة للنبي** صلى الله عليه وآله وسلم **، ما غرت على خديجة...**"[5]

والغريب أن الأمر وصل للانتقاص من السيدة خديجة(عليها السلام) والنيل منها إلى حد إغضاب النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ، فروي عنها، أن قالت له مستنكرة كثرة ذكره لخديجة وثنائه عليها:" **وما تذكر من عجوز من عجائز قريش، حمراء الشدقين**[6]**، هلكت في الدهر فأبدلك الله خيرا منها...**"[7] فغضب رسول رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وقال لها: "**ما أبدلني عز وجل خيرا منها، قد آمنت بي إذ كفر بي الناس، وصدقتني إذ كذبني الناس، وواستني بمالها إذ حرمني الناس، ورزقني الله عز وجل ولدها إذ حرمني أولاد النساء**"[8] .

فيقول الذهبي مستغربًا :"**وهذا من أعجب شيء...** أن تغار عائشة من امرأة من الأموات كبيرة في السن توفيت قبل زواجها من النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) ، أكثر مما تغار من نسائه الحاضرات، و يبدو إنه لم

([1])ابن حنبل، فضائل الصحابة، ج1، ص75؛المسند، ج30، ص373؛البزاز، البحر الزخار، ج8، ص223.

([2]) النسائي، السنن، ج7، ص448؛الهيثمي، مجمع الزوائد، ج9، ص127؛ابن حجر، فتح الباري، ج7، ص7.

([3]) الجمل، ص 219؛المحمودي، نهج السعادة ،ج،1، ص401.

([4]) الترمذي، السنن؛ ج5، ص702؛ الضحاك، الآحاد والمثاني،ج4، ص17؛ النسائي، السنن الكبرى، ج7، ص390؛ الحاكم، المستدرك، ج3، ص205.

([5]) صحيح البخاري، ج5، ص38؛صحيح مسلم، ج4، ص1888؛النسائي،السن الكبرى، ج8، ص161.

([6]) الأشداق: جوانب الفم ابن منظور، لسان العرب، ج10، ص173. وفي شرح ابن الأثير أبو السعادات للحديث يقول: **وصفتها بالدرد،وهو سقوط الأسنان من الكبر،فلم يبق إلا حمرة اللثاة.** النهاية في غريب الحديث، ج1، ص440؛ابن منظور، لسان العرب، ج4، ص215.

([7]) صحيح البخاري، ج5، ص39؛صحيح مسلم ،ج4، ص1189؛الضحاك،الآحاد والمثاني،ج5، ص316؛صحيح ابن حبان، ج15، ص468؛ الحاكم، المستدرك على الصحيحين،ج4، ص318.

([8]) ابن حنبل، المسند،ج 41، ص356؛الآجري،الشريعة،ج5،ص2193.

يجد مبررا غير القول **إن ذلك من لطف الله بها وبالنبي**(صلى الله عليه وآله وسلم) **فجعلها تصب غيرتها على خديجة المتوفية دونا عن بقية النساء لكي لا يتكدر عيشهما**[1]. !!

ولابد من القول أن للنبي (صلى الله عليه وآله وسلم) عدة نساء، لم يروَ لأحدهن قصصًا عن الغيرة المفرطة كالتي رويت عن عائشة و التي وصلت إلى حد تكسيرها لصحاف الطعام المهداة من أم سلمة بحضرة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) [2]، والتصدر لحبك المؤامرات ضده، كقصة عسل المغافير[3] والأكثر غرابة أن عائشة هي التي كانت تروي عن نفسها تلك القصص والمشاكل المتأججة في بيت النبوة وغيرها من الأفعال التي لا تليق بزوجة نبي ، ثم إن عامل الغيرة بين الضرائر أمر وارد في الطباع البشرية، لكن الكم الهائل من الروايات التي تتحدث عن غيرة عائشة المفرطة من بقية أزواج النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) تدعو للشك أنها لا تخلو من غايات ودوافع، الوضاعين والأقلام المأجورة للتعتيم على حوادث سياسية خطيرة بالتاريخ الإسلامي ، كحادثة التظاهر على رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) التي أنزل الله فيها الوحي، بالتوبيخ **((إِنْ تَتُوبا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُما وَإِنْ تَظاهَرا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلاهُ وَجِبْرِيلُ وَصالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلائِكَةُ بَعْدَ ذلِكَ ظَهِيرٌ))**[4]، فهل حشد الله كل هؤلاء ليكونوا عونًا وظهيرًا لنبيه (صلى الله عليه وآله وسلم) ، من من مجرد حادثة تدور أحداثها حول غيرة النساء أم أمورًا أبدلها التاريخ بمثل تلك القصص؟

والغريب أن العلماء وشراح الحديث عللوا تلك الأفعال على أنها أمرًا طبيعيًا، ووضعوا أحكاما تقضي، بعدم مؤاخذة المرأة الغيرى، ففي قول النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) لما جمع الطعام من الأرض وقال:"...**كلوا غارت أمكم**"، فسروا بأن فيه: " **إشارة إلى عدم مؤاخذة الغيرى بما يصدر منها لأنها في تلك**

([1]) سير أعلام النبلاء، ج2، ص165.

([2]) صحيح البخاري،ج3،ص136؛النسائي،السنن الكبرى،ج8،ص156.

([3])صمغ يسيل من شجرة تسمى العرفط قيل أن رائحته ليست بطيبة. ابن منظور، لسان العرب،ج5، ص28؛ج7، ص350. ص350.

([4]) سورة التحريم، الآية (4). أجمع المفسرون على أنها نزلت في عائشة وحفصة على أثر تواطئهما على النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وأختلف في نوع الحادثة، فقيل بسبب غيرة عائشة من مكوث النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) عند زينب بن جحش وأكله لعسل المغافير عندها، فإتفقتا على القول له أن العسل تسبب برائحة، كريهة فيه، والقصة الأخرى، تتحدث عن غيرة عائشة وحفصة من جارية النبي(صلى الله عليه وآله وسلم)مارية القبطية،فحرمها على نفسه. وأسر لحفصة سرًا فأفشته لعائشة. ينظر:الزمخشري، الكشاف، ج4، ص566؛ ص224؛ ابن الجوزي، زاد المسير في علم التفسير،ج4، ص312؛؛ القرطبي، تفسير القرطبي، ج18، ص202؛ الشوكاني، فتح القدير، ج5، ص403.

الحالة يكون عقلها محجوبا بشدة الغضب الذي أثارته الغيرة"[1]، ولا عقوبة عليهن في تلك الحالة[2] فضلا عن التبرير بحداثة سن عائشة و زيادة إدلالها عند النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) ، لتبرير ما كان يبدر منها كنيلها من السيدة خديجة، والتظاهر على النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) [3].

ولأقناع العامة بتلك النظريات، صنعت عشرات الأحاديث، تتحدث عن غيرة نساء النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) وإن تطلب الأمر الى النيل من شخص النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) فعلى سبيل المثال رووا عن عائشة أن النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) يسمح لها أن ترد مسبة إحدى ضراتها، ويقول لها:" **سبيها** " ،وليس هذا وحسب بل يدعي الراوي أنه فرح وراح وجهه يتهلل ،لإنها انتصرت من ضرتها بالسباب **!**[4]

أما ما يتعلق بموقفها من علي وفاطمة (عليهما السلام) وجاء في مصادر أخرى حادثة مشابهة مع أم سلمة، وفيها أنها إنطلقت لتشتكي عند فاطمة وعلي(عليهما السلام) وأخبرتهم أنها نالت منهما أيضا: "**وقالت لكم وقالت لكم** "، فأرسل الإمام الزهراء لتعاتب أبيها، فبرر(صلى الله عليه وآله وسلم) لها بقوله :"**إنها حبة أبيك ورب الكعبة**" ، فإستنكر ذلك علي(عليه السلام) فذهب وقال له : **أما كفاك، إلا أن قالت لنا عائشة، وقالت لنا حتى أتتك فاطمة، فقلت لها: إنها حبة أبيك ورب الكعبة**"[5]، إن قراءة عابرة لتلك الرواية تبين لنا أنها وضعت للانتقاص من عدالة وخلق رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) وحاشا أمير المؤمنين أن يكلم نبي الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ، بهذا التهكم، وحاشا نبي الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أن يأمر بالسباب والشتائم أو يرضى بها، وكيف يرضى ذلك الذي وصفه الله تعالى:**((وإنك لعلى خلق عظيم))**[6] وهو الذي ينهى المسلمين عن السباب ، فروي عن عائشة نفسها أنها عندما سبت اليهود ولعنتهم ،لما سمعت يقولون للنبي (صلى الله عليه وآله وسلم):"**السام**[7] **عليكم**"، نهاها على ذلك، قائلاً:" **مهلا يا عائشة، إن الله يحب الرفق في الأمر كله**"[8]،

([1]) ابن حجر، فتح الباري، ج9، ص325؛ العيني، عقدة القاري،ج2، ص209؛ القسطلاني، ارشاد الساري،ج8، ص112.

([2]) ابن حجر، فتح الباري، ج7ص140.

([3]) ابن حجر، فتح الباري، ج8، ص521. ص 522.

([4]) ابن حنبل،المسند،ج41، ص452؛ ابوداوود، السنن، ج4، ص274؛ابن حجر،فتح الباري،ج5،ص99، ص207؛العيني،عمدة القاري، ج12، ص291،ج13، ص138.

([5])ابن حنبل،المسند،ج41،ص452؛الهيثمي،مجمع الزوائد،ج4،ص322.ينظر:ابن كثير، تفسير ابن كثير،ج7، ص212.

([6]) سورة القلم، الآية (4).

([7]) السام: يعني الموت، ينظر: القرطبي،، تفسير القرطبي. سبب نزول الآية (8) من سورة المجادلة.ج17، ص293

(8) الصنعاني، المصنف، ج6، ص11؛ ابن أبي شيبة، المصنف، ج5، ص250؛ صحيح البخاري، ج8، ص12؛ ص85؛ النسائي، ج9، ص149. وفي رواية أخرى عن عائشة إنه قال لها: "**يا عائشة لا تكوني فاحشة**". ابن ابي شيبة، المصنف، ج5، ص281؛ صحيح مسلم، ج4، ص1706؛ القرطبي، تفسير القرطبي، ج17، ص293.

هكذا كان يتعامل مع اليهود المتآمرين عليه، فكيف الحال اذا كان الأمر يتعلق بأزواجه، وبضعته وزوجها فيقول صاحب دلائل الصدق مشككًا بالرواية: " **فإن كانت أمّ سلمة صادقة في ما نسبته إلى عائشة بالنسبة إلى أمير المؤمنين والزهراء** (عليهما السلام)**،فلم لم ينتصف من عائشة لأخيه وبضعته؟ ! وإن كانت كاذبة ، فلم لم يطيّب قلبيهما بتكذيب أمّ سلمة؟**"[1].

لاشك أن الغاية من مثل تلك الروايات مطلبين: الأول، الإنتقاص من شخص النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) ، ومكارم خلقه، وإظهاره بمظهر رجل غير عادل، يتغاضى عن سوء تصرف زوجته لفرط حبها له، لدرجة أنه يأمرها بالسب ويفرحه انتصارها على غيرها من نسائه. فضلًا عن الانتقاص من منزلة السيدة فاطمة وزوجها عند النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) ، والقول بتفضيله وحبه لعائشة على الجميع.

الثاني: الإشارة إلى أن الخصومة التي قامت بين عائشة وآل البيت(عليهم السلام)، ما هي إلا خلاف عائلي، منذ حياة النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) منشأها الغيرة والعوامل النفسية، لا علاقته له بما حدث من اقصائهم عن حقوقهم الشرعية بوراثة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ، وخلافة الأمة .

وبالنهاية، تكون تلك الرواية ما هي الا نموذجا لعشرات الأحاديث التي صنعت لتكون جذورًا تاريخيةً، لتبرير، كثير من الأحداث السياسية، فترفعوا في تضخيم شخصية عائشة وعظموا شأنها عند النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) على سائر أزواجه ، بحيث اختفت مخالفتها لصريح القرآن وأمره ، ومعاندتها لأمر رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) خلف أستار هذا التضخيم.[2]

وما يهمنا من تلك الرواية ان ابن أبي الحديد وشيخه اللمعاني، في تحليلهما أسباب خصومة وخلاف عائشة للإمام ثم عمدوا إلى الموازنة والمساواة بتوزيع الأدوار على الطرفين، فكما كانت زوج النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) عائشة تغار من تقريب زوجها لابنته وبعلها وذريتها، وتعظيمه لمنزلتهم، كذلك كانت فاطمة (عليها السلام) تكره ميل أبيها ومحبته لعائشة، معللا ذلك بأن من طبائع النساء أن **ترث البنت من أمها الميتة العداوة والبغض للضرة!** [3]، ثم يحاول أن يصور تأثير الزهراء(عليها السلام) بكثرة الشكوى مما جعل علي(عليه السلام) يأخذ الموقف السلبي من عائشة، وانعكس ذلك على رأيه في حادثة الإفك، بقوله:" ثم **حصل**

([1]) المظفر، السقيفة، ج4، ص157.

([2]) النجمي، أضواء على الصحيحين، ص300. فنجد بعض كتب الحديث والصحاح فيها أبوابا أطلق عليها باب غيرة النساء أو ما شابه، والغريب إن معظم ما ورد في غيرة نساء النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) روي من طريق عائشة.

([3]) شرح نهج البلاغة، ج9، ص193.

عند بعلها ما هو حاصل عندها- عليا عليه السلام- فإن النساء كثيرا ما يجعلن الأحقاد في قلوب الرجال" [1] .

لاشك أن كلاً من ابن ابي الحديد وشيخه يعلمان جيدًا أن الله تعالى قد نزه آل البيت (عليهم السلام) من الرجس بأنواعه، وأنهما من بيت لا يقاس بهم أحد[2]، لكن على ما يبدو أرادا التخفيف من وقع الكلام حول المسألة الحقيقية التي كانت تثير استياء عائشة والحزب القرشي بصورة عامة، وهي أن الله تعالى اصطفى فاطمة وبعلها وذريتها (عليهم السلام) وجعلهم الامتداد الطبيعي للرسالة الإلهية المحمدية، وضرب لهم مثلا بأنهم كالشجرة الطيبة[3]

وبالعودة لكلام المعتزلي وشيخه لتلك المسألة: "**ثم اتفق أن فاطمة ولدت أولادا كثيرة بنين وبنات، ولم تلد هي ولدا، وأن رسول الله** (صلى الله عليه وآله وسلم) **كان يقيم بنى فاطمة مقام بنيه، ويسمى الواحد منهما ابني ، فما ظنك بالزوجة إذا حرمت الولد من البعل، ثم رأت البعل يتبنى بنى ابنته من غيرها، ويحنو عليهم حنو الوالد المشفق، هل تكون محبة لأولئك البنين ولأمهم ولأبيهم، أم مبغضة ! وهل تود دوام ذلك واستمراره، أم زواله وانقضائه !** " [4] فكما نلحظ أنهما بدلًا من الاعتراف بأن تقريب النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) لعلي و فاطمة (عليه السلام) وأولادهما وتصريحه بأنهم أولاده، ماكان إلا لإظهار أولويتهم في خلافته وأنه كان يجب على عائشة وعامة المعترضين، الاعتراف بتقديمهم، نجد انهما يبرران بغضها لهم بعامل الغيرة لمجرد أنها حرمت من الولد! . مما يبين النضرة الإعتزالية لهما في تعليل قضية تعد من أحرج قضايا تاريخ المسلمين .

وفي حقيقة الأمر أن خلاف عائشة وخصومتها لعلي وفاطمة(عليهما السلام)، يعد امتدادًا للخلاف القبلي القريشي وجزءً منه وعامل الغيرة ،وإن كان حاضرا إلا أن دوافعه أكثر عمقًا ترتبط بشخصية عائشة التي درسها العلامة العسكري وأخلص الى أنها **كانت امرأة غيرى، وأن غيرتها هذه كانت تؤثر على حياتها الزوجية، كما إنها كانت تغار على مصلحة ذوي قرباها وحزبهم، وأن هذه الصفة، المصحوبة بحدة الطبع كانت تدفعها إلى أعمال عنيفة وأقوال حادة**[5] .

([1])شرح نهج البلاغة،ج9، ص193.

([2]) المحب الطبري ،الرياض النضرة ،ج3،ص180؛المالقي، التمهيد والبيان ،ج1،ص176.

([3]) سورة ابراهيم، الآية (24) .ذكر أن الشجرة فاطمة وأصلها محمد وفروعها علي وبنيه (عليهم السلام) ينظر: تفسير العياشي، ج2، ص224؛ الطبرسي، مجمع البيان، ج6، ص74؛الآلوسي، روح المعاني، ج7، ص203.

([4]) الشرح،ج9،ص195.

([5]) أحاديث أم المؤمنين عائشة، ص82.

نستخلص مما سبق أن دوافع عائشة لخصومة الإمام علي(عليه السلام)، لا تعدو أن تكون جزءًا من خلاف قريش له، وأن معارضتها ما هي إلا امتدادًا لسياسة قريش في اقصائه عن حقه الشرعي في خلافة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ، فالدافع السياسي والحرص على المكاسب الدنيوية والاجتماعية وحب السلطة لعب دورًا مهما في هذا الصراع ويتضح ذلك بصورة جلية من خلال تتبع مواقفها من الأحداث السياسية، في الدور الثاني من النزاع في أيام رحيل النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم) ، وبناء لمتطلبات الدراسة سنحاول الإشارة لتلك المواقف بصورة مقتضبة لتبيان حقيقة تلك الدوافع.

ثالثًا: حوادث رحيل النبي (صلى الله عليه آله وسلم):

تعد تلك الاحداث من أكثر أحداث التأريخ الإسلامي حراجة لما ترتب عليها من آثار وتحولات، على واقع الأمة، الا إن الروايات التي وصلت إلينا، تجعل الباحث في حيرةٍ اذا ما أراد تشخيص مواقف الشخصيات فيها ، اذ يجد نفسه أمام كم متناقض من الروايات التأريخية، التي يصعب ترجيح بعضهاعلى الآخر،لذلك اقتضت الدراسة الوقوف على اهم مجريات الأحداث، ومحاولة ربط الروايات المتناقضة، لتفسير بعض ما أبهمه الرواة.

أ- وصية النبي(صلى الله عليه وآله وسلم):

روي أن النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) لما مرض ، أمر بتجهيز بعثة أسامة وشدد على إلتحاق كبار الصحابة فيها بما فيهم أبي بكر وعمر بن الخطاب[1] والواضح أنه شعر بقرب أجله فجعل يمهد لعملية تسليم الولاية لوصيه بهدوء دون وجود للمعارضين من الصحابة[2]، لكن البعثة تلكأت، وظل الجيش معسكرًا بالجرف [3] وفوجئ النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) بعودة كل من أبي بكر وعمر وتخلفهم عن البعثة، وهناك من الروايات الشيعية ما يصرح بوجود دور لزوجي النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) عائشة وحفصة لعرقلة مساعي النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) بالوصية لعلي (عليه السلام) [4].

أما روايات العامة ، فهي مشوشة ومتناقضة للغاية ، وتعتم على مجرى تلك الأحداث، لكن من تتبع الروايات يتضح أنها لم تخلو من دورٍ لنساء النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) فيروي الطبري أن ابن عباس

([1]) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج2، ص190؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ ج2، ص317؛الذهبي، تاريخ الإسلام، ج2، ص714؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج5، ص242؛ الحلبي، السيرة الحلبية، ج3، ص291.

([2]) ابن أبي الحديد، الشرح، ج1، ص161؛ نبيلة، نشأة الشيعة الإمامية، ص133.

([3]) الجرف: موضع يبعد ثلاثة أميال من المدينة نحو الشام. الحموي، معجم البلدان، ج2، ص128.

([4])الشريف الرضي،ص74.73؛ابن طاووس،طرف من الأنباء والمناقب،ص172؛البحراني،غاية المرام، ج1، ص265.المجلسي، بحار الأنوار، ج22، ص485؛ عطاردي، مسند الإمام الكاظم (عليه السلام) ج1، ص297.

سُأل:" **أوصى رسول الله** (صلى الله عليه وآله وسلم) **؟ قال: لا، قلت: فكيف كان ذلك؟ قال: قال رسول الله: ابعثوا إلى علي فادعوه، فقالت عائشة: لو بعثت إلى أبي بكر! وقالت حفصة: لو بعثت إلى عمر! فاجتمعوا عنده جميعا، فقال رسول الله**(صلى الله عليه وآله وسلم) **: انصرفوا، فإن تك لي حاجة أبعث إليكم، فانصرفوا**"[1] .

وجاء في رواية ابن حنبل:" **قال : ادعوا لي علياً ، قالت عائشة ندعو لك أبا بكر قال ادعوه قالت حفصة يا رسول الله ندعو لك عمر قال أدعوه قالت أم الفضل يا رسول الله ندعو لك العباس لما اجتمعوا رفع رأسه، فلم ير عليا، فسكت فقال عمر: قوموا عن رسول الله**(صلى الله عليه وآله وسلم)**...**"[2]

إن كلتا الروايتين فيهما دلالة واضحة على أن النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) دعا عليًا(**عليه السلام**) ليوصي إليه، بوصيته لذلك عندما رفع رأسه ولم يجده، استاء من فعل نسائه، سكت وصرف المجتمعين عنده. وهذا ما أكد عليه ابن ابي الحديد في رده، على القائلين بأنه لا دليل على أنه أراد أن يوصي إليه،و قد يكون طلبه لأمر آخر، فرد بأن ابن عباس في رواية الطبري كان يتكلم عن الأسباب التي منعت النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) عن كتابة الوصية[3]

وقد صرح ابن عباس في حديث رزية الخميس عن الدور الخطير الذي لعبه الصحابة، لمنع كتابة الوصية،لاسيما عمر بن الخطاب الذي إتهمه بالهذيان والهجر[4] وقد أطبقت كتب الحديث على صحة الحديث وبعدة ألفاظ منها: **هلموا أكتب لكم،فمنهم من يقول: قربوا يكتب لكم رسول الله** (صلى الله عليه وآله وسلم) **كتابا لن الله تضلوا بعده، ومنهم من يقول ما قال عمر، فلما أكثروا اللغط والاختلاف، قال عمر: إن النبي**(صلى الله عليه وآله وسلم) **غلبه الوجع وعندكم القرآن فحسبنا كتاب عند النبي**(صلى الله عليه وآله وسلم) **، قال: قوموا عني، فكان ابن عباس يقول: إن الرزية كل الرزية ما حال بين رسول الله** (صلى الله عليه وآله وسلم) **وبين أن يكتب لهم ذلك الكتاب** "[5].

([1]) تاريخ الرسل، ج2، ص439؛ابن ابي الحديد، الشرح، ج13، ص33.

([2]) المسند،ج5، ص357.

([3]) الشرح ،ج13، ص33. لكن في مسند ابن حنبل حذف مطلع الرواية وإقتصرت روايته بالحديث عن موضوع صلاة ابي بكر،ولأغراض سياسية بلا شك.

([4]) الهجر في اللغة: الإفحاش في المنطق، وقيل الفحش والتخليط وهو مثل كلام المحموم وقد صرح ابن الأثير وابن منظور بأن القائل في هذا الحديث هو عمر بن الخطاب. النهاية في غريب الحديث،ج5،ص246؛لسان العرب، ج5، ص253-254.كما اعترف بذلك آخرون،ينظر: الغزالي، سر العالمين، ص18؛ابن تيمية، منهاج السنة، ج6، ص315.

(1)الصنعاني،المصنف،ج5،ص438؛صحيح البخاري،ج7،ص120،ج9،ص111؛صحيح مسلم،ج3،ص1259؛ النسائي،السنن الكبرى،ج5، ص366.

والجدير بالذكر أن هذا الحديث كان مما يستدل به على وقوف مجموعة من الصحابة ضد تعيين النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) لمن يخلفه [1]. والذي يؤكد أنه أراد العهد لعلي(عليه السلام)، تحديدًا، أنه سبق ونفذ التبليغ بالأمر الإلهي بالوصية له في عدة مناسبات، منها حديث الدار[2] ، وفي حجة الوداع عندما جمع الناس يوم الغدير المسمى بحديث الثقلين [3] أنه كان يتوخى تثبيت الأمر بطريقة توثيقية لا لفظية كما حصل في حديث يوم الغدير، لكي لا يدع مجالًا للشك، وذلك واضح من خلال تقارب اللفظين، إذ قال الرسول في حديث الرزية : " **ائتوني أكتب لكم كتاباً لن تضلوا بعده**" ، وقوله في حديث الثقلين : " **إني تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي، كتاب الله وعترتي**" . ففهم الصحابة بطريقة غير مباشرة ان هذه الوصية خاصة بتثبيت أولوية آل البيت وعلى رأسهم علي(عليه السلام) فوقع اللغط في وجود حضرت النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) حتى لا يكون ما أراده[4] . ولابد من القول بأن عمر اعترف بنفسه لاحقًا في حوارٍ له مع ابن عباس انه صد النبي(صلى الله عليه وآله وسلم)عن الوصية لعلي(عليه السلام)،لأن قريش لا ترتضي، أن تجتمع الخلافة والنبوة لبني هاشم[5].

إن نصوص تلك الحادثة لا يوجد فيها ما يشير لوجود دور عائشة أو غيرها من النساء، لكن الرواية تشير إلى أن اللغط عم كل من في البيت،" **فأختلف أهل البيت واختصموا**" وأشار ابن سعد، إلى أن النسوة تدخلن من خلف الستار **بقولهن** :" **إئتوا رسول الله بحاجته**" [6] فنهرهن عمر وأسكتهن، ولم تبين تلك الرواية الرواية من هن النساء.

وعلى أية حال، فإن الدور الذي تشير له المصادر بوضوح هو إنكارها وصية النبي لعلي(عليه السلام) بعد رحيله فروي في كتب الصحاح أنها عندما كانت تُسأل عن ذلك، ترد قائلةً : " **متى أوصى إليه، وقد كنت مسندته إلى صدري؟ أو قالت: حجري – فدعا بالطست، فلقد انخنث في حجري، فما شعرت أنه قد مات، فمتى أوصى إليه** " [7]، وقد نقلت مصادر تاريخية اخرى موقفها هذا مع اختلاف بلفظ الرواية[1].

([1]) ينظر، ابن حزم، جوامع السيرة، ج1، ص210؛ الغزالي، سر العالمين وكشف ما في الدارين، ص18.

([2]) ابن حنبل،المسند،ج2، ص225؛فضائل الصحابة،ج2،ص650.ينظر:البغدادي،المتفق والمفترق،ج1،ص637؛ابن عساكر تاريخ دمشق،ج42،ص43؛ابن حجر،الاصابة،ج1، ص535.

([3])ابن أبي شيبة،المصنف،ج6،ص368 ص339؛ابن حنبل،المسند،ج2، ص262،ص269؛البزاز،المسند، ج2ص133، ص230؛ النسائي، السنن الكبرى،ج7، ص310؛ابن حبان، الصحيح، ج 15،ص376،ص375؛ الحاكم، المستدرك،ج3، ص118.وطرق هذا الحديث ومصادره كثيرة جدا ومن الفريقين للمزيد عنها ينظر: الأميني،الغدير،ج1، ص152. ص157.

([4]) الهاشمي، تاريخ الشيعة بين المؤرخ والحقيقة، ص149؛ينظر: سليم، إفادات من ملفّات التاريخ ص97.

([5]) ابن ابي الحديد، الشرح، ج12، ص143؛التتكباتي، سفينة النجاة، ص226.

([6]) الطبقات الكبرى، ج2، ص243؛المتقي الهندي، ج5، ص243.

([7]) صحيح البخاري، ج4، ص3؛مسلم، صحيح مسلم، ج3، ص1257؛ابن ماجة، سنن ابن ماجة، ج1، ص519.

ومما يلحظ أنها تعتمد في نفيها على أن النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) توفي في حجرها، ولكن ذلك ليس دليلًا، فليس من الضروري أن يوصي الإنسان في آخر لحظاته. فضلًا عن ذلك فإن روايتها تعارضها عدة روايات فقد قدمت أم سلمة الدليل على عدم صحة روايتها فروي عنها : "**والذي أحلف به أن كان علي لأقرب الناس عهدا برسول الله** (صلى الله عليه وآله وسلم)... **فأكب عليه علي فجعل يساره ويناجيه، ثم قبض رسول الله** (صلى الله عليه وآله وسلم) **من يومه ذلك، وكان أقرب الناس به عهدا**". [2] ، وكذلك ابن عباس، فعندما عرضت عليه رواية عروة عن خالته أنكرها بقوله: "**أتعقل!! والله لتوفى رسول الله وإنه لمستند إلى صدر علي وهو الذي غسله** " [3] والأمام علي(عليه السلام)، في خطبته بأهل البصرة بعد الحرب أكد ذلك بقوله:" **ولقد قبض رسول اللّه** (صلى الله عليه وآله وسلم) **وإنّ رأسه لعلى صدري. ولقد سالت نفسه في كفّي** " [4].

والأهم أن مسألة إنكار الوصية، لا يمكن القبول بها، سواءً صحة الرواية عن عائشة أو لم تصح لمخالفتها ما أوجبه الباري في كتابه العزيز:((**كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ**)) [5]، لذا أوصانا نبيه(صلى الله عليه وآله وسلم) بها بقوله: "**ما حق امرئ مسلم، له شيء يوصي فيه يبيت ليلتين،إلا ووصيته مكتوبة عنده**"[6]، فكيف يهمل ما أوجبه الله، وأوصى هو به المسلمين؟ ثم كيف يترك ما تركه من تعاليم الدين الجديد وأصوله؛ دون تولية أحد عليها؟.

و تجدر الإشارة أن هنالك عدة نصوص في كتب الإمامية تؤكد أنه لم يهمل الوصية وأنه أملاها في صحيفة لعلي(عليه السلام) وأشهد عليها كل من، عمار وسلمان الفارسي، وأبا ذر، وفيها أسماء الأئمة الاثني عشر من بعده، من ذرية علي وفاطمة (عليهما السلام).[7]، وفي رواية عن علي(عليه السلام) قال: "**أسر إلي**

([1]) ينظر: ابن ابي شيبة الكوفي، المصنف، ج7، ص309؛ ابن حنبل، المسند، ج40، ابن سعد، الطبقات، ج2، ص261؛ الزركشي، الإجابة فيما إستدركته عائشة على الصحابة، ص72، ص167؛ الأفغاني، عائشة والسياسة، ص66.

([2]) ابن أبي شيبة، المصنف، ج6، ص686؛ ابن حنبل، فضائل الصحابة، جج2، ص686؛ المسند، ج44، ص190؛ الحاكم، المستدرك، ج3، ص149؛ الهيثمي، مجمع الزوائد،ج9،ص112؛ خليل، المسند الجامع، ج20، ص688. ورغم صحة سند رواية ام سلمة باعتراف الحاكم والذهبي والهيثمي، الا إنها أهملت في الصحيحين.

([3]) ابن سعد، الطبقات، ج2، ص263.

([4]) الواسطي،عيون الحكم، ص507؛ابن أبي الحديد،الشرح، ج10، 179.

([5]) سورة البقرة، الآية (181).

([6]) صحيح البخاري، ج4، ص2؛صحيح مسلم، ج3، ص1249.

([7]) سليم بن قيس، كتاب سليم بن قيس، ص211. ينظر: ينظر: الكليني، الكافي، ج1، ص703؛ المجلسي، بحار الأنوار، ج2، ص158؛ الطوسي، الغيبة، ص460؛ الحلي، مختصر بصائر الدرجات، ص802.

رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) **مفتاح ألف باب ولو أن الأمة منذ قبض رسول الله**(صلى الله عليه وآله وسلم) **اتبعوني وأطاعوني لأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم**"[1].

2ـ مسألة إمامة الصلاة:

من الحوادث التي رافقت رحيل النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) هي حادثة تكليفه من يصلي، نيابة عنه بالناس، لما اشتد مرضه ولسنا بصدد التحقيق في تلك الحادثة لذاتها؛ وإنما التحقق من وجود دور لزوجته عائشة في تلك المسألة لاسيما أنها كانت مما أُحتج به في اجتماع السقيفة ، فروي أن عمر قال محتجا على الأنصار:" **أيكم يطيب نفسا أن يتقدم قدمين قدمهما رسول الله** (صلى الله عليه وآله وسلم) **في الصلاة، رضيك الله لديننا أفلا نرضاك لدنيانا**[2] .فضلًا عن ان الروايات التي تصرح بأن ابا بكر أتم الصلاة لا تصح الا من طريق ابنته عائشة فهي من حديث الآحاد[3]، منها قولها:" **قلنا يا رسول الله إن أبا بكر رجل أسيف ومتى يقوم مقامك يبكي، فلا يستطيع، فلو أمرت عمر يصلي بالناس؟ قال: مروا أبا بكر يصلي بالناس، فإنكن صواحب يوسف فأرسلنا إلى أبي بكر فصلى بالناس فوجد النبي** (صلى الله عليه وآله وسلم) **من نفسه خفة، فخرج يهادى بين رجلين ورجلاه تخطان في الأرض فلما أحس به أبو بكر ذهب يتأخر، فأومأ إليه النبي** (صلى الله عليه وآله وسلم) **أي مكانك فجاء النبي** (صلى الله عليه وآله وسلم) **حتى جلس إلى جنب أبي بكر، وكان أبو بكر يأتم بالنبي**(صلى الله عليه وآله وسلم)**، والناس يأتمون بأبي بكر**"(4). وقد رويت تلك الحادثة عن عائشة بألفاظ متعددة، متعددة، ومتناقضة لكنها تبين أنه لم يثبت إرساله لأبي بكر منها:" **قال : مروا من يصلي من الناس**" [5] وفي لفظ آخر :" **مرِ الناس فليصلوا** "[6] . والشيء الأهم أن جميع النصوص تتفق بأن أبا بكر لم يتم

([1]) سليم بن قيس، كتاب سليم بن قيس، ص211 .

([2]) الجوهري، السقيفة، ص65؛أخرجه الطبري وابن الأثير مع إختلاف ضئيل بالألفاظ. ينظر: تاريخ الرسل، ج2، ص443؛الكامل في التاريخ، ج2، ص325.والطريف إن بعض الرواة نسبوا هذا القول لأمير المؤمنين(عليه السلام).ينظر: ابن سعد، الطبقات، ج3، ص183؛ابن عبد البر، التمهيد، ج22، ص129. وهذا مخالف لما ذكر بأنه(عليه السلام) لم يبايع أبي بكر إلا بعد مضي ستة أشهر. وهذا ما علق به ابن الأثير على الخبر. الكامل في التاريخ، ج2، ص443.

([3]) المعيار والموازنة، ص41 .

([4]) المعيار والموازنة،ج42، ص494؛صحيح البخاري،ج1، ص133؛ابن ماجة، السنن ،ج1، ص391؛صحيح ابن حبان، ج5، ص489.

([5]) ابن حنبل، المسند، ج31؛ص203؛ابوداوود، السنن، ج4، ص215؛ الطبراني، المعجم الكبير، ج31،ص190.

([6]) الصنعاني، المصنف،ج5، ص432؛ابن سعد،الطبقات،ج2،ص220؛ابن حنبل، المسند،ج4، ص8؛الفسوي المعرفة والتاريخ، ج2، ص454.

إمامة الصلاة، لقدوم النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) المفاجئ للمسجد وتوليه للصلاة بنفسه، فأشار الشافعي الى أن أبو بكر كان إماما أولاً ثم صار مأموما يسمع الناس التكبير[1].

ولنا أن نتساءل لوكان النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) هو من أمر له بالصلاة، فلما لم يتركه يتمها؟ ولما خرج يتكأ على رجلين وقدماه تخطان بالأرض من شدة المرض؟

إن كل المؤشرات تشير إلى أن زوجي النبي(صلى الله عليه وآله وسلم)عائشة وحفصة تصرفتا من نفسيهما ،ودليل ذلك توبيخه لهما بتشبيهه لهن بصويحبات يوسف، معبرًا عن غضبه وهذا ما تشير له كتب الإمامية بوضوح، فأورد الشريف المرتضى رواية عن الإمام الكاظم(عليه السلام) فيها توضيح للروايات المشوشة والمتناقضة فيقول:" **إن النبي**(صلى الله عليه وآله وسلم) **لما ثقل في مرضه دعا علياً** (عليه السلام) **فوضع رأسه في حجره، وأغمى عليه وحضرت الصلاة فأذّن بها، فخرجت عائشة فقالت: يا عمر أُخرج فصل بالناس فقال: أبوك أولى بها، فقالت: صدقت ولكنه رجل لين وأكره أن يواثبه القوم فصلِّ أنت، فقال لها عمر: بل يصلى هو وأنا أكفيه إن وثب واثب أو تحرك متحرك، مع أن محمداً مغمى عليه لا أراه يفيق منها، والرجل مشغول به لا يقدر أن يفارقه، فبادره بالصلاة قبل أن يفيق، فإنه إن أفاق خفت أن يأمر علياً بالصلاة ...**" [2] . وفي راية أخرى أنها منعت بلال من الدخول إليه: " **فأمرت عائشة صهيباً أن يمضي إلى أبيها فيعلمه أن رسول الله قد ثقل في مرضه وليس يطيق النهوض إلى المسجد وعلي بن أبي طالب قد شغل به وبمشاهدته عن الصلاة بالناس،فأخرج أنت إلى المسجد فصل بالناس،فإنها حالة تهنؤك، وحجة لك بعد اليوم !**" [3]

ومن الجدير بالذكر أن ابن أبي الحديد نقل عن شيخه اللمعاني أن الإمام علي(عليه السلام) كان ينسب ذلك التصرف لعائشة فقال: "**كان من عود أبي بكر من جيش أسامة بإرسالها، إليه وإعلامه بأن رسول الله يموت ما كان ومن حديث الصلاة بالناس ما عرف، فنسب علي**(عليه السلام) **إلى عائشة أنها أمرت بلالا مولى أبيها أن يأمره فليصل بالناس... فجعل يوم صلاته حجة في صرف الامر إليه ... فبويع على هذه النكتة التي اتهمها علي أنها ابتدأت منها، وكان علي يذكر هذا لأصحابه في خلواته**

([1]) ابن حجر، شرح الباري، ج2، ص145.

([2]) ص73. 74.وينظر:ابن طاووس، طرف من الأنباء والمناقب، ص172؛البحراني،غاية المرام، ج1،ص265.المجلسي، بحار الأنوار،ج22، ص485؛عطاردي، مسند الإمام الكاظم(عليه السلام)، ج1، ص297.

(3) ابن طاووس، طرف من الأنباء ص403؛الديلمي،ارشاد القلوب،ص339؛ المجلسي،بحارالأنوار،ص109؛الجزائري،الأنوار النعمانية،ج4، ص237؛ الشيرازي، الدرجات الرفيعة،ص206؛ القمي، كحل البصر، ص269.

كثيرا ..."[1]، وأكد ابن أبي الحديد أن اللمعاني قال هذا الكلام، وهو لم يكن يتشيع، مما يدل على أن تلك الأخبار، كانت واردة عند غير الإمامية.

من الأحداث التي وقعت عقب رحيل النبي(صلى الله عليه وآله وسلم)،هو الخلاف الذي نشب بين السلطة الحاكمة، وعلي وفاطمة (عليهما السلام)، حول قضية فدك، التي انتزعت من الزهراء بعد وفاة النبي(صلى الله عليه وآله وسلم)، فعندما طالبت الزهراء بإرجاعها ، دُفعت عنها بالحديث المنسوب للنبي(صلى الله عليه وآله وسلم) :" **نحن معاشر الأنبياء لا نورث، ما تركناه صدقة**"[2].

ولسنا بصدد الخوض وتفنيد هذا الحديث المنسوب هو مما استفاضت حوله الدراسات قديمًا وحديثًا لذلك سوف نقتصر على ما يهم موضوع الدراسة وهو دور زوج النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) عائشة في هذا النزاع الذي كان والدها الطرف المنازع فيه. إذ تشير الروايات الى وقوفها إلى جانب السلطة الحاكمة مؤيدة ذلك الحديث الذي رواه أبوها ، فروي عنها :" **أرسل أزواج النبي** (صلى الله عليه وآله وسلم) **عثمان إلى أبي بكر، يسألنه ثمنهن مما أفاء الله على رسوله** (صلى الله عليه وآله وسلم) **فكنت أنا أردهن، فقلت لهن: ألا تتقين الله، ألم تعلمن أن النبي** (صلى الله عليه وآله وسلم) **كان يقول: لا نورث، ما تركنا صدقة** "[3] .

لاشك أن هذه القصة فيها دلالة واضحة على أن زوجات النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) قد أنكرن على أبي بكر ذلك الحديث، وأثبتن بعملهن هذا أن هذا أن قانون منع إرث النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) هو من القوانين الموضوعة ولم يكن له وجود شرعي، لكن عائشة كانت تدافع عنه وتمنعهن من المطالبة،[4] ورغم الإتفاق على انفراد ابو بكر بهذا الحديث، فلم ينسبوه الى عائشة أو غيرها[5]، لكن عائشة في تلك الرواية، لم تصرح بأنها سمعته من أبيها، بل إن ردها يشير بأنها ترويه عن لسان النبي(صلى الله عليه وآله وسلم)، ممايدعو الى ترجيح الروايات القائلة إنها من رواة هذا الحديث المزعوم أو ممن شهد على صحتهِ، و هذا ما اعترف به ابن حجر الهيتمي[6].

([1]) الشرح،ج9،ص115؛التستري،نهج الصباغة،ج10،ص115؛الميلاني،الإمامة في أهم الكتب الكلامية، ص355.

([2]) الشهرستاني، الملل والنحل، ج1، ص23.

([3]) صحيح البخاري،ج5،ص89؛ابن أبي شيبة، تاريخ المدينة،ج1، ص201؛ابو داوود، السنن،ج3،ص44؛الطبراني، مسند الشاميين؛ج4،ص199؛البيهقي، السنن الكبرى، ج6، ص487

([4]) النجمي، أضواء على الصحيحين، ص 384.

([5]) الشرح نهج البلاغة، ج16،ص227.ينظر :الجوهري،السقيفة، ص111.

([6]) صرح بان انفراد أبوبكر برواية عدم توريث الأنبياء دليل أعلميته على سائر الصحابة،لأن هذا الأمر لم يعلمه سواه، لكنه عاد فذكر بعد صفحات يسيرةأن تلك الرواية رواها آخرون، بعد أن استحضره ابو بكر منهم ابنته عائشة. ينظر: الصواعق المحرقة، ج1، ص92، ص98.

وعلى الرغم من أن المصادر التاريخية تظافرت على التعتيم على تلك الشهادة إلا إن كتب الامامية صرحت بذلك الدور، فروى المفيد عن الامام محمد بن علي (عليهما السلام) أنها ذهبت لعثمان تطالبه بإرجاع ما كان بعطاءها الذي كان في عهد اباها و عمر بن الخطاب فرفض بقوله: " **لا أجد لك موضعا في الكتاب ولا في السنة، وإنما كان أبوك وعمر بن الخطاب يعطيانك بطيبة من أنفسهما، وأنا لا أفعل. قالت له: فأعطني ميراثي من رسول الله** (صلى الله عليه وآله وسلم)، **فقال لها : أو لم تجيئي أنت ومالك بن أوس النصري**[1] **فشهدتما أن رسول الله**(صلى الله عليه وآله وسلم) **يورث، حتى منعتما فاطمة ميراثها، وأبطلتما حقها، فكيف تطلبين اليوم ميراثا من النبي** (صلى الله عليه وآله وسلم) **؟ فتركته وانصرفت** ." [2] وروي أيضًا عن الإمام الحسين(عليه السلام) ،عندما سُئِل عن من شهد على حديث أبي بكر قال:" **شهدت عليها عائشة وحفصة ورجل من العرب يقال له: أوس بن الحدثان، من بني نضر . شهدوا عند أبي بكر بأن رسول الله** (صلى الله عليه وآله وسلم) **قال: لا أورث. فمنعوا فاطمة** (عليها السلام) **ميراثها من أبيها** (صلى الله عليه وآله وسلم) "[3].

ولو سلمنا فرضًا بعدم صحة تلك الروايات، أفلم يكن من الأجدر بعائشة وابيها، عدم تكذيب بنت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) و ابن عمه، و عدم مطالبتهم بالشهود والبينة كأنهم من عامة الناس ؟ فقد كانت عائشة على يقين بصدق الزهراء(عليها السلام) لقولها :" **ما رأيت أحدا كان أصدق لهجةً منها إلا أن يكون الذي ولدها**"[4] كما لم يكن يغيب على أحدٍ من الصحابة قول النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) أن عليًا مع الحق، مما يدعو الى التساؤل عن السبب الحقيقي لهذا الموقف الذي لتزمته السلطة الحاكمة؟!

يروي ابن أبي الحديد عن أحد مناظريه، بأن السلطة الحاكمة كانت تعلم بصدق الزهراء(عليها السلام)، لكن لو أقروا لها ما طلبت، سيكون ذلك بمثابة اعترافًا منهم بصدق كل ما يصدر منها، وقد تأتي مرة ثانية تطلب الخلافة لزوجها فحينئذ لا يسعهم رد ما تطلبه لأنهم أوجبوا صدقها[5].

([1]) مالك بن أوس بن الحدثان بن الحارث بن عوف بن ربيعة، وقيل أنه كان عريفا لعمر بن الخطب، وفي رؤيته النبي اختلاف، فقيل، من زعم انه له صحبة فقد وهم، ذكره ابن سعد في طبقة من أدرك النبي صلى الله عليه وآله وسلم ورآه وقال: لم يحفظ عنه شيئا، وقيل أنه ركب الخيل في الجاهلية، أنه كان قديما ولكنه تأخر إسلامه، وروي أنه توفي سنة اثنتين أو إحدى وتسعين فلم يكن يومذاك في سن من يقبل شهادته. ينظر:الطبقات، ج5، ص56؛ البخاري، التاريخ الكبير،ج7، ص305؛ السمعاني، الأنساب، ج5، ص494؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء،ج4، ص171.

([2]) الأمالي، ص125؛أبو الصلاح الحلبي ، تقريب المعارف، ص286؛المجلسي، بحار الأنوار، ج31، ص295.

([3]) الحميري، قرب الإسناد، ص99؛المجلسي، بحار الأنوار، ج22، ص101.

([4]) الحاكم، المستدرك،ج3، ص175؛ ابن حجر،الاستيعاب،ج4، ص1896؛الذهبي، سير أعلام النبلاء،ج2، ص131.

([5]) الشرح، ج16، ص 284.

مما يبين أن مسألة مصادرة فدك تعد جزء من توجهات السلطة لتخفيف أهمية القربى التي يُخشى أثرها في خلق تكتل معارض مدعوم قرآنيًا، فكان هذا الموقف أول إخلال في أهمية حرمة القربى[1] .كانت فدك أرض زراعية غنية، بالنخيل والغلات، فكانت مصادرتها أمر ضروري لإضعاف شأن أهل البيت(عليهم السلام)، اقتصاديا، خشية أن يتقووا بوارداتها، وأن يلتف الناس حولهم لاسترجاع الخلافة [2].

فلم تكن مصادرتها، إلا مصادرة لحقوق آل البيت السياسية، لذلك كان الإمام علي(عليه السلام) يقول: **كانت في أيدينا فدك من كلّ ما أظلّته السماء فشحّت عليها نفوس قوم وسخت عنها نفوس قوم آخرين** "[3]، وقد عبر عن ذلك السيد الصدر بقوله:" **كانت فدك معنى رمزيا يرمز الى المعنى العظيم ولا تعني تلك الأرض الحجازية المسلوبة وهذه الرمزية التي اكتسبتها فدك ارتفعت بالمنازعة من مخاصمة عادية منكمشة في افقها محدودة في دائرتها الى ثورة واسعة النطاق رحيبة الأفق**"[4] .

وتجدر الإشارة إلى أن عائشة تكلمت للرواة عن الخلاف حول فدك، وصرحت بأن السيدة فاطمة (عليه السلام) توفيت وهي غاضبة من أبي بكر، وأوصت بأن لا يصلي عليها لكن في حقيقة الأمر أن روايتها فيها ترصيف للأمور إذ تصور أن غضبها كان لخلافًا ماديًا حول الإرث:فجاء في روايتها:"**وكانت فاطمة تسأل أبا بكر نصيبها مما ترك رسول الله** صلى الله عليه وآله وسلم **من خيبر، وفدك، وصدقته بالمدينة، فأبى أبو بكر عليها ذلك فغضبت فاطمة بنت رسول الله** (صلى الله عليه وآله وسلم)، **فهجرت أبا بكر، فلم تزل مهاجرته حتى توفيت**"([5]) .

كما تشير الرواية ان رفض علي(عليه السلام) مبايعة ابا بكر لستة أشهر أي حتى توفيت الزهراء(عليه السلام) كان لنفس الخلاف المادي وأنه كان يقول لأبي بكر: " **إنا قد عرفنا فضلك وما أعطاك الله، ولم ننفس عليك خيرا ساقه الله إليك، ولكنك استبددت علينا بالأمر، وكنا نرى لقرابتنا من رسول الله** (صلى الله عليه وآله وسلم) **نصيبا**"، فرد أبوبكر بعد أن فاضت عيناه : "**والذي نفسي بيده لقرابة رسول الله** (صلى الله عليه وآله وسلم) **أحب**

([1]) الزيدي، فدك حتى نهاية العصر العباسي، ص117.

([2])ابن أبي الحديد،الشرح،ج16،ص236؛الجلالي،فدك والعوالي،ص97؛الزيدي،فدك حتى نهاية العصر العباسي، ص117.

([3]) ابن أبي طالب، نهج البلاغة، ص358؛ ابن حمدون، التذكرة، ج1، ص99.

([4]) الصدر، فدك في التاريخ، ص33. لذلك عندما عرض هارون الرشيد العباسي على الأمام الكاظم(عليه السلام) إرجاع فدك قال له الأمام: " **لا أخذها إلا بحدودها**"، وبين له تلك الحدود من عدن وسمرقند الى افريقيا وما يلي الجزر وارمينيا، إي كلما وصلت له حدود الدولة الاسلامية. ينظر: الزمخشري؛ ربيع الأزهار، ج1، ص259؛ ابن حمدون، التذكرة الحمدونية، ج9، ص290.

([5]) صحيح البخاري، ج5، ص139؛ صحيح مسلم، ج3، ص1380.

إلي أن أصل من قرابتي، وأما الذي شجر بيني وبينكم من هذه الأموال، فلم آل فيها عن الخير، ولم أترك أمرا رأيت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) **يصنعه فيها إلا صنعته**" [1].

إن رواية عائشة تلك تعد الرواية الرسمية التي أُعتمدت في الصحيحين، لموافقتها لمصالح الحكام في شرعنة سلطاتهم، فعلى الرغم من أنها تصرح بأن الزهراء(عليها السلام) توفيت وهي مغاضبة للشيخين ،إلا إنها تنص على إنكار وجود حق لآل البيت(عليهم السلام) في الخلافة. وتصور سبب الخلاف مجرد خلافًا ماديًا، لكن لو عدنا لما سجلته مصادر التاريخ، حول حقيقة ذلك النزاع الذي كان مرافقًا لأحداث بيعة السقيفة سيتضح أنه خلافًا سياسيًا وقفت فيه الزهراء وعلي(عليهما السلام)موقفًا معارضًا لتلك البيعة، فهنالك أحداثًا هامة تم التعتيم والتشويش عليها، برواية عائشة الآنفة ؛ فلقد أطبق أصحاب السير على أن السلطة، استخدمت أشد الطرق والوسائل لأخذ البيعة من الإمام علي(عليه السلام) ومن امتنع معه، بالقوة وتحت التهديد، مع ما رافقه من حادثة الشروع بحرق و هتك حرمة دار الزهراء(عليها السلام) .[2]

من ذلك نخلص إلى أن خلاف عائشة لعلي(عليه السلام) يمتد في جذوره التاريخية، لخلاف قريش له ومعارضتهم لتوليه الخلافة، إذ وقفت بجانب الحزب القرشي، لتمهيد وصول أبيها للسلطة، ومن بعده عمر بن الخطاب، ويبدو أنها كانت تظن أن عثمان، سيشكل امتدادًا لهذا الخط فأيدته بادئ الأمر، ظنًا أنه سيسير وفق المنهج العام لذاك الحزب، إلا أن ميله لأسرته الأموية إلى حد الاستئثار بالحكم والدولة جعلها تقف مع الشخصيات القرشية الذين عارضوا سياسة الاستئثار الأموي مستغلين سخط الرأي العام عليه لكنها صدمت لما آلت الأمور للإمام علي(عليه السلام)، فما كان أمامها إلا مساندة أعدائه ومعارضيه من قريش وبني أمية.

([1]) صحيح البخاري،ج5، ص139؛ صحيح مسلم، ج3، ص1380.

([2]) ينظر: ابن قتيبة، الإمامة والسياسة،ج1،ص29؛البلاذري، أنساب الأشراف، ج1ص586؛ اليعقوبي،ج2، ص126؛ الطبري، ج2، ص443؛ الجوهري،السقيفة وفدك،ص72؛ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج5، ص13؛المفيد،الجمل،ص57؛ الشهرستاني، الملل والنحل،ج1،ص57؛ابن أبي الحديد؛ الشرح، ج2، ص56، ج6، ص47، ابو الفدا، المختصر في أخبار البشر، ج1، ص156.

الفصل الثاني

مرويات المسير للبصرة

الفصل الثاني

مرويات المسير للبصرة

المطلب الأول/ مرويات وأحداث ما قبل المسير :

أولاً: روايات مسير عائشة الى مكة:

يعد خروج عائشة من المدينة إلى مكة وقت حصار عثمان، هو نقطة البداية التي أودت فيما بعد لمسيرها نحو البصرة، بالرغم من أن تلك الخطوة كانت موجهة ضد حكومة عثمان، إذ يصف أحد الكتاب خروجها من المدينة بأنه كان أشبه بإعلان الحرب الصريحة على عثمان، وأنها كانت تترقب ما تتكشف عنه الأحداث الجارية في المدينة وتتوقع النهاية السريعة للمعركة الدائرة هناك[1]

لقد جاء في المصادر التاريخية روايتين لسبب خروجها ولنبدأ برواية سيف بن عمر التي خالف فيها المصادر الأخرى فجاء فيها:" **وتجهزة عائشة رض خارجة إلى الحج هاربة وقد استتبعت أخاها فابى فقالت أما والله لان استطعت أن يحرمهم الله ما يحاولون لأفعلن وجاء حنظلة الكاتب[2] حتى قام على محمد بن أبي بكر فقال يا محمد تستتبعك أم المؤمنين فلا تتبعها وتدعوك ذؤبان العرب إلى ما لا يحل فتتبعهم فقال ما أنت وذاك يا ابن التميمة فقال يا ابن الخثعمية أن هذا الأمر أن صار إلى التغالب غلبك عليه بنوا عبد مناف وأنصرف عنه وهو يقول:**

عَجِبْتُ لِمَا يَخُوضُ النَّاسُ فِيهِ يَرُومُونَ الْخِلَافَةَ أَنْ تَزُولَا

وَلَوْ زَالَتْ لَزَالَ الْخَيْـــــرُ عَنْهُم وَلَاقَوْا بَعْدَهَا ذُلًّا ذَلِيـــلَا

وخرجت عائشة وهي ممتلئة غيضا على أهل مصر وجاءها مروان بن الحكم فقال: ياأم المؤمنين لو أقمت كان أجدر أن يراقبوا هذا الرجل فقالت: أتريد أن يصنع بي كما صنع بأم حبيبة[3] ثم لا أحد من

([1]) الخطابي، علي بن أبي طالب بقية النبوة، ص278.

([2]) حنظلة بن الربيع بن صيفي بن رياح بن الحارث بن معاوية بن مخاشن بن معاوية بن شريف بن جروة بن أسيد بن عمرو بن تميم، قيل أنه روى عن النبي(صلى الله عليه وآله وسلم)وكتب له وأرسله الى أهل الطائف وأنه شهد معركة القادسية، وتخلف عن علي(عليه السلام) يوم الجمل، قيل انه توفي في خلافة معاوية في قريقساء. ابن حجر،الإصابة ،ج2،ص117.

([3]) أم حبيبة بنت أبي سفيان صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس الأموية إحدى زوجات النبي(صلى الله عليه وآله وسلم)، وهي ابنة عمة عثمان بن عفان، قيل أن أسمها رملة وقيل هند، وكنيت بابنتها حبيبة بنت عبيد الله بن جحش، يذكر أنها أسلمت

يمنعني لا والله لا أغتر ولا أدري إلام يسلم هذا أمر هؤلاء"[1] . بعد التمعن بنص رواية سيف نلحظ الغرض منها تبرير ونفي عدة مواقف سلبية سجلها التاريخ لبعض الشخصيات في قضية الثورة على عثمان، ويمكننا الاستدلال على ذلك من خلال المضامين التي أسس لها الراوي وهي كالآتي:

1. تبرأة طلحة والزبير من مسألة حصار عثمان، ومنع الماء عن داره، واظهار أن سبب امتناعهم عن نجدته لما أرسل إليهم، كان بسبب تشدد الثوار، لذلك نجده يلفق قصة لا أثر عند غيره من الرواة، وهي قصة تعرض الثوار لأم حبيبة التي أعرضنا عن ذكرها تجنبًا للإطالة، وملخصها أن عثمان أرسل يستغيث بطلب الماء والطعام لكل من الإمام علي وطلحة والزبير، وأزواج النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، فكان أول من لبى نداءه وفق ما نصت عليه الرواية هو الإمام علي (عليه السلام)، وأم حبيبة، أما الإمام(عليه السلام) فيدعي الراوي أنه حاول تذكير المحاصرين، بأن ذلك الفعل مخالف لمبادئ الدين والأعراف، لكن دون جدوى، فرمى عمامته في دار عثمان ليبين له أن لبى نداءه وفعل ما بوسعه، وأما أم حبيبة فتنص الرواية أن الثوار منعوها بالقوة وضربوا وجه بغلتها بالسيف وقطعوا حبل رحلها فسقطت حتى كادت أن تقتل، فما علم البقية بما حدث مع علي (عليه السلام) وأم حبيبة، امتنعوا عن نجدته، فخرج طلحة والزبير خارج المدينة وتجهزت عائشة للذهاب الى مكة[2].

2. إن قصة أم حبيبة الدرامية، التي حبكها الراوي سيف لا أثر لها عند غيره من الرواة حسب ما اطلعت عليه والذي ورد عن دورها في فتنة مقتل عثمان هي رواية إرسالها لقميصه الملطخ بالدماء بعد مقتله إلى أخيها معاوية في الشام، فاتخذه وسيلة إعلامية للتحريض على الحرب للأخذ بثأره [3].

3. أما بالنسبة لموقف طلحة، فالمشهور تأريخيا أنه كان أكثر من اشتد في حصار عثمان، وأن الإمام علي(عليه السلام) هو الذي أدخل روايا الماء للدار، رغم معارضة طلحة فجاء في أنساب الأشراف:" **واشتدّ**

وهاجرت مع زوجها عبيد الله الى الحبشة، ولما توفي تزوجها النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ، توفيت في المدينة سنة (44هـ/ 464م)، ينظر: ابن سعد، الطبقات،ج8 ص69؛ ابن الأثير، أسد الغابة، ج6، ص115؛ الزركلي، الأعلام، ج3، ص33.

([1]) الضبي، الجمل ومسير عائشة،ص181.182.الطبري،تاريخ الرسل،ج3، ص418؛ ابن عساكر،تاريخ دمشق،ج39، ص435. المالقي، التمهيد والبيان، ج1، ص129.

([2]) الجمل ومسير عائشة، ص181.الطبري،تاريخ الرسل،ج3،ص417؛ابن عساكر،تاريخ دمشق،ج39،ص434؛المالقي، التمهيد والبيان، ج1، ص129.

([3]) البلاذري، أنساب الأشراف،ج5، ص579؛ المقدسي، البدء والتاريخ، ج5، ص210؛ ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج29؛ ص122؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج3، ص139.

عليه طلحة ... ومنع من أن يدخل اليه الماء حتى غضب عليّ(عليه السلام) **... فأدخلت عليه روايا الماء**"[1]، كما إن الطبري نفسه الذي نقل لنا قصة سيف، روى من طريق الواقدي رواية تدين طلحة: " **كلم طلحة حين حصر في أن يدخل عليه الروايا وغضب في ذلك غضبا شديدا حتى دخلت الروايا**" [2]، فعلي هو الذي أمر بإدخال الماء وليس بنو حزم كما يدعي سيف بن عمر في روايته [3]، حتى قيل أن عددًا من موالي بني هاشم جرحوا في سبيل إيصال قرب الماء لدار عثمان.[4]

2ـ 3ـ أشار الراوي الى أن عائشة طلبت من أخيها محمد بن أبي بكر أن يرافقها الى مكة إلا أنه رفض، فعاب عليه ذلك المدعو حنظلة صاحب الاشعار إلا أن الراوي لم يخبرنا بعد ذلك مع من خرجت الى مكة ؟ فيبدو أن الراوي أقحم شخصية محمد بن أبي بكر وحاول الانتقاص منه، واتهامه بأن سبب معارضته لعثمان كان لدافع نيل الخلافة لنفسه وهذا مناقض لما عرف عنه فالرجل من خواص الإمام علي(عليه السلام) وفي مقدمة المعترفين بأحقيته بالخلافة[5]، ويبدو أن ذلك الانتقاص يعود لدوره في معارضة حكومة عثمان وولاته الذين جهد الراوي في الدفاع عنهم وتلميع صورهم فنلحظ من خلال الأشعار التي أوردها على لسان المدعو حنظلة، انه يحذر من أن الخير سيزول إن زالت خلافة عثمان، وغلب بنو عبد مناف (أي علي(عليه السلام)،وأن الناس سيلاقون الذل كما هو حال اليهود وهذا انتقاص واضح من عهد ولاية الإمام علي(عليه السلام) وإظهار التأسي على من سبقه .

في الواقع عند تتبع الرواية نجد ان رواية سيف لا تصمد أمامها تناقلته المصادر التاريخية المعتبرة حول ظروف خروج عائشة من المدينة ، فروى ابن سعد أنها عندما كانت تتجهز للحج وعثمان محاصر جاء إليها كلٍ من مروان، وزيد بن ثابت، وعبد الرحمن بن عتاب بن أسيد بن أبي العيص فقالوا لها:" **يا أم المؤمنين، لو أقمت؛ فإن أمير المؤمنين على ما ترين محصور ومقامك مما يدفع الله به عنه فقالت:**

([1]) البلاذري، ج5، ص561.

([2]) تاريخ الرسل، ج3، ص398.

([3])الجمل ومسير عائشة،ص181؛الطبري،تاريخ الرسل ج3،ص417؛ابن عساكر، تاريخ دمشق،ج39، ص434.

([4]) ابن شبه، تاريخ المدينة،ج4، ص 1304.

([5]) ينظر: الطبرسي، الإحتجاج، ج1، ص269.

" قد حلبت ظهري، وعريت غرائري،ولست أقدر على المقام فأعادوا عليها الكلام، فأعادت عليهم مثل ما قالت لهم، فقام مروان وهو يقول: وَحَرَّقَ قَيْسٌ عَلَيَّ الْبِلَادَ حَتَّى إِذَا استعَرَتْ أَجْذَمَا [1] فقالت عائشة: أيها المتمثل علي بالأشعار، وددت والله أنك وصاحبك هذا الذي يعنيك أمره في رجل كل واحد منكما رحا،وأنكما في البحر وخرجت إلى مكة"[2] .

ولقد ورد خبر تلك الرواية في أكثر من مصدر وجميعها تتفق على ما دار بينها وبين مروان من حوار:" **ولما اشتد الأمر على عثمان ... فقالت: قد قربت ركابي وأوجبت الحج على نفسي و والله لا أفعل** " كما ورد ردها على تمثل مروان عليها بنحو متقارب في المعنى **يا مروان وددت والله انّه في غرارة[3] من غرائري هذه وأنّي طوقّت حمله حتى ألقيه في البحر**"[4]. ولم تختلف رواية ابن أعثم من حيث المعنى مع اختلاف في لفظ الأشعار التي تمثل بها مروان فجاء فيها:" **فلما نظرت عائشة إلى ما قد نزل بعثمان من إحصار القوم له قربت راحلتها وعزمت على الحج... فقالت عائشة : قد فهمت ما قلت يا مروان ! فقال مروان: قد تبينت ما في نفسك، فقالت: هو ذاك . ثم إنها مضت إلى مكة وتركت عثمان على ما هو فيه من ذلك الحصار والشدة** "[5] وروى الشريف المرتضى الرواية ذاتها مع اختلاف ضئيل بالألفاظ وأسندها الى كتاب الدار للواقدي[6]

ونلحظ أنها عبرت عن موقفها السلبي من عثمان بقساوة بالغة، فما الذي يدعوها الى أن تتمنى إلقاءه في البحر، أي أنها كانت تتمنى موته والقضاء عليه عاجلًا وليس آجلًا. كما ونلحظ في النصوص أعلاه أن عائشة تعللت بأنها كتبت على نفسها الحج، في ظل ذلك الوضع المتأزم، مما جعل البعض يذهب الى إن سبب تركها المدينة و لجوؤها الى مكة بعد اشتراكها بالثورة على عثمان اشتراكا فعليًا كان

([1]) البيت للربيع بن زياد العبسي، والأجذام : الإسراع ، والمعنى : أنه أضرمها حتى استعرت، أسرع في الهرب، وذلك لأن قيسا أسعر الحرب في داحس فلما اضطرمت انتقل إلى عمان . ينظر: المفضل الضبي، أمثال العرب، ج1، ص104؛ التبريزي، شرح ديوان الحماسة، ج1، ص186؛ الشريف المرتضى، الشافي في الإمامة، ج4، ص241.

([2]) الطبقات،ج25، ص36.

([3]) وعاء من الخيش ونحوه يوضع فِيهِ القمح ونحوه وهو أكبر من الجوالق. الزيات ،المعجم الوسيط،ج2، ص648.

([4]) وردت الرواية في عدة مصادر مع اختلاف بالألفاظ . ينظر: الفضل بن شاذان، الأيضاح، ص264؛ البلاذري، أنساب الأشراف، ج5، ص565؛ اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي،ج2،ص176؛ ابن أبي الحديد، الشرح، ج3،ص8.

([5]) ابن أعثم، الفتوح، ح2،ص422.

([6]) الشافي في الإمامة، ج4، ص141؛ الطوسي، تلخيص الشافي، ج4،ص69؛ ابن أبي الحديد، الشرح،ج3،ص807.

بدافع إخلاء مسؤوليتها من دم عثمان، ولتستطيع أن تكيف موقفها حسب ما تؤول إليه الأحداث.[1] لكن هذا الرأي، يتناقض مع مجريات الأحداث فالنصوص التأريخية تشير إلى أنها استمرت على موقفها التحريضي للإطاحة به حتى بعدما خرجت لمكة، فلا يستبعد أن تكون خرجت لهذا الغرض،لاسيما أن الواقع الزماني لخروجها كان في موسم الحج إذ كانت مكة مهيأة لإشاعة حملة دعائية للإطاحة بالسلطة الحاكمة في ظل اجتماع الناس من شتى الأمصار، وكسب تأييدهم للدعوة إلى بيعة المنافس الجديد المتمثل بطلحة لاسيما أن الداعمة له هي زوج النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وابنة الخليفة الأول التي إعتاد الناس على الأخذ بفتواها.[2]

ثانيًا: رواية لقاء عائشة بابن عباس في الصلصل[3] :

خرجت عائشة من المدينة في ظل الوضع المتأزم، وسارت الى مكة معلنة أنها تريد الحج، وفي طريق مسيرها الى مكة روي أنها ألتقت بابن عباس الذي خرج الى مكة أميرًا على الحج لذلك الموسم، لعدم استطاعة عثمان أن يحج بالناس بسبب إحاطة الثوار به ومنعه من الخروج، وقد نقل البلاذري اللقاء بقوله: " **مر عبد الله بن عباس بعائشة وقد ولاه عثمان الموسم وهي بمنزل من منازل طريقها فقالت: يا ابن عباس إن الله قد آتاك عقلا وفهما وبيانا فإياك أن ترد الناس عن هذا الطاغية**"[4]

كما وردت الرواية عند الطبري عن ابن عباس:" **فمر بعائشة في الصلصل فقالت: يا بن عباس، أنشدك الله فإنك قد أعطيت لسانا إزعيلا[5] أن تخذل عن هذا الرجل، وأن تشكك فيه الناس، فقد بانت لهم بصائرهم وأنهجت،ورفعت لهم المنار، وتحلبوا من البلدان لأمر قد جم، وقد رأيت طلحة بن عبيد الله قد اتخذ على بيوت الأموال والخزائن مفاتيح، فإن يل يسر بسيرة ابن عمه أبي بكر، قال: قلت يا أمه لو حدث بالرجل حدث ما فزع الناس إلا إلى صاحبنا. فقالت: إيها عنك! إني لست أريد مكابرتك ولا**

([1]) فلهاوزن، يوليوس، تاريخ الدولة العربية،ص52.

([2]) ينظر: ابن سعد، ج2، ص 375. ينظر: المزي، تهذيب الكمال، ج23، ص431.

([3]) موضع بنواحي المدينة على سبعة أميال منها نزل بها النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، يوم خرج من المدينة إلى مكّة عام الفتح ،الحموي، معجم البلدان، ح3، ص421.

([4]) أنساب الأشراف ، ج5، ص565.

([5]) أزعيلا: نشيطا. الأزدي، جمهرة اللغة، ج2، ص1193.

مجادلتك."[1] وري هذا اللقاء في مصادر أخرى فرواه ابن أعثم[2]، القاضي النعمان[3] والمفيد في كتاب الجمل[4] . ومن تلك النصوص يمكننا أن نخلص لعدة أمور:

1. إفصاح عائشة و مكاشفتها لابن عباس عن هدفها وطموحها بإرجاع الخلافة الى بني تيم وتحديدا الى ابن عمها طلحة الذي كانت ترى أنه أحق الناس بها[5] ويبدو أنها كانت لا تشك بأن الناس سوف يبايعونه يبايعونه بعد عثمان ولعل سبب ثقتها هو الدور الذي لعبه طلحة في عملية حصار عثمان والتفاف الثائرين حوله في تلك الأحداث وهذا ما قصدته عائشة من قولها لابن عباس بأن الناس" **بانت لهم بصائرهم ... وتحلبوا من البلدان لأمر قد جم** ..."[6]، كما استندت على ما راته من استيلاءه على بيوت الاموال والخزائن ومفاتيحها،ولعل ذلك كان من الأسباب التي دعتها للخروج الى مكة في موسم الحج، لتحرض على عثمان فروى الزهري أنها بعد وصولها لمكة استمرت بتأليبها عليه، فيروى أنها أمرت بقبتها فضربت في المسجد الحرام وقالت: "**إني أرى عثمان سيشأم قومه كما شأم أبو سفيان قومه يوم بدر**"[7] وبعد سماعها بخبر مقتله أخذت؛ تدعو الناس لبيعة طلحة وترغبهم فيه، بقولها :" **إنّ أحقّ الناس بهذا الامر ذو الإصبع**"[8].

2- تشير الرواية بوضوح إلى أنها حاولت إقناع ابن عباس أن يحرض الناس في موسم الحج على عثمان ومنعهم من نصرته،كما وحاولت إقناعه بأهلية طلحة للخلافة وأن الناس راغبين ببيعته ولتصرفها هذا أكثر من تفسير، **الأول:** أنها كانت تخشى اعتراض بنو هاشم على تولية طلحة لأنها كانت تعلم أن علي (عليه السلام) هو المنافس الوحيد له بحكم أحقيته بالخلافة، وكانت تخشى أن يميل الناس لمبايعته بعد عثمان، لذلك حاولت أن تستميل ابن عباس الى جانبها، في التمهيد لوصول طلحة لمنصب الخلافة. أما **التفسير الآخر:** فهو يتعلق بما رواه الطبري من أن عثمان أرسل ابن عباس الى الحج وحمله كتابا الى أهل مكة

([1]) الطبري، تاريخ الرسل، ج3، ص435.ينظر:ابن أبي الحديد، الشرح، ج10، ص6.

([2]) الفتوح، ص 422.

([3]) شرح الأخبار، ج1، ص343.

([4]) ص77.

([5]) ابن ابي الحديد، الشرح، ج6، ص216.

([6]) تاريخ الطبري الرسل، ج3، ص435

([7]) البلاذري، أنساب الأشراف، ج5، ص583.

([8]) ابن ابي الحديد، الشرح، ج6، ص216 .

والحجاج المجتمعين فيها من الأمصار والبلدان، يستنصرهم فيه وسألهم أن يأخذوا له بالحق ممن حصره[1]وقد أورد الطبري نص هذا الكتاب الطويل[2]، وقد جاء خبر هذا الكتاب عن ابن عباس نفسه إذ قال : "**دعاني عثمان، فاستعملني على الحج. قال: فخرجت إلى مكة، فأقمت للناس الحج، وقرأت عليهم كتاب عثمان إليهم**"[3] . إن صحت تلك الرواية ؛فلا شك أن عائشة تكون قد علمت بأمر المهمة التي أسندها عثمان لابن عباس فحاولت منعه من إيصال كتاب عثمان للناس، خشية أن يتعاطف الناس معه وينصروه، فيفشل مشروع إعادة الخلافة الى بني تيم.

3. إن عائشة كانت تعد ابن عباس في حال تولى طلحة الخلافة " **يسر بسيرة ابن عمه أبي بكر**"[4] وليس بسيرة النبي الأكرم(صلى الله عليه وآله وسلم)، ولا نعلم هل هذا تجاهل لسنة النبي(صلى الله عليه وآله وسلم)، أم أنه اعتراف منها بأن أبي بكر كانت له سنة مختلفة تريد أن يتبعه الخلفاء فيها ؟؟

كما نلحظ إنها تجاهلت سنة عمر أيضا، ولعلها هنا كانت تدرك بأن سنة عمر كانت محلا لعد الرضا والسخط من الكثيرين، فإنه وإن كان قد أرضى طبقات معينة بسنه لقانون التفضيل في العطاء وكانت عائشة منهم، إلا أنه أسخط آخرين وهم عامة الناس وطبقة الفقراء من الموالي والجنود وغيرهم. فضلا عن ذلك فأن عمر قد خالف بذلك النظام الجائر سنة النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) التي لم يتجرأ أبو بكر على مخالفتها.[5] ولا يخفى على أحد أن هذا القانون كان سببا من الأسباب التي دفعت الناس للثورة على عثمان بعد تفاقم سلبياته في المجتمع الإسلامي، وفضلا عن سنه لنظام العطاء فإن سياسة عمر وسيرته مع الرعية اتسمت بالغلظة والشدة ولم يسلم من درته[6] حتى أفاضل الصحابة، وغيرها من الأمور كمنعهم

([1]) الطبري، تاريخ الرسل، ج3، ص434.

([2]) ابن شبه،تاريخ المدينة،ج4، ص1162؛ الطبري،تاريخ الرسل،ج3،ص435؛ابن عساكر،تاريخ دمشق،ج39، ص315.

ص315.

(3) الطبري تاريخ الرسل،ج3،ص438؛ابن عساكر، تاريخ دمشق،ح59،ص131؛ابن الجوزي،المنتظم،ج5،ص71.

([4]) الطبري، تاريخ الرسل، ج3، ص435؛ الخرسان، موسوعة عبدالله بن عباس، ج2، ص348.

([5]) ينظر: ابن أبي شيبة،المصنف،ج6،ص452؛البيهقي،السنن الكبرى،ج6،ص569.

([6])الدرة:سوط يضرب به .المعجم الوسيط،ج1، ص279. وقد إرتبطت الدرة بعمر بن الخطاب فعن الشعبي:" **درة عمر أهيب من سيف الحجاج**"الزمخشري ربيع الأحرار،ج4، ص13؛ابن خلكان، وفيات الأعيان،ج3، ص14؛الدميري، حياة الحيوان الكبرى، ج1، ص80.

كمنعهم من الإقامة في الأمصار وفرض أشبه ما يكون بالإقامة الجبرية[1] فلعل هذا ما جعلها تتجاهل سنة عمر لإستمالة الطبقات الثائرة الى صفها وكسب تأييد الصحابة الرافضين لسنة عمر وسياسته .

3. ولابد أن نشير الى أن ابن عباس وضح موقفه لعائشة بكل صراحة ونقل لها رأي عامة الناس بأنهم لن يفزعوا الا لعلي(عليه السلام) بعد عثمان، فاضطرت عائشة هنا الانسحاب من الحوار وعدم مجادلة ابن عباس لأنها كانت تعلم بقوة حججه فلم ترد أن تطيل معه الجدال، والجدير بالذكر أن ابن عباس لم ينسى موقفها هذا من عثمان وذكرها بكلامها عنه، في هذا اللقاء، فقالت : " **ذاك المنطق الّذي تكلمت به يومئذ هو الّذي أخرجني، لم أر لي توبة إلاّ الطلب بدم عثمان، ورأيت أنّه قتل مظلوماً . قال ابن عباس : فقلت لها : فأنتِ قتلتيه بلسانك، فأين تخرجين، توبي وأنتِ في بيتكِ أو أرضي ولاة دم عثمان ولده . قالت دعنا من جدالك فلسنا من الباطل في شيء**"[2] .

ثالثًا:روايات نعي عثمان في مكة :

كما ورد نحو هذه الرواية عند ابن سعد عن ذكوان مولى عائشة فقال: "**أول من جاء أهل مكة بقتل عثمان رجل من العرب يقال له الأخضر، قدم مكة فقال: إن عثمان قتل أربعين رجلا من القراء. وكتمهم قتل عثمان مخافة على مال له كان دينا على الناس. فقالت عائشة :لا آجد لهذا الطاغية. فقلت: احفظي لسانك لعل هذا باطل، فلما اقتضى الأخضر دينه خرج وخرج معه يعلى بن منية، حتى إذا كانا بالبطحاء أخبره بقتل عثمان، فرجع يعلى فأخبر أهل مكة، وصار الأخضر مثلا بمكة، أنت أكذب من الأخضر، فلم يدرك ولم يدر من هو حتى الساعة، ورأوا أنه شيطان** " [3]

وبغض النظر عن مدى صحة ما جاء عن شخصية أخضر وإن كان حقًا شيطانًا أم أنه شخصية تم التشويش عليها إلا أن الرواية وردت عند الطبري ايضًا عن ابن شبه: " **قال خرجت عائشة رضي الله عنها وعثمان محصور فقدم عليها مكة رجل يقال له أخضر فقالت ما صنع الناس؟: فقال: قتل عثمان المصريين قالت: إنا لله وإنا إليه راجعون! أيقتل قوما جاءوا يطلبون الحق وينكرون الظلم! والله لا**

([1]) للمزيد عن سيرة عمر وسياسته مع الرعية والصحابة، ينظر: البكري، لمحات من حياة الخليفة عمر بن الخطاب. ص194 وما بعدها. فلقد جمع صاحب الكتاب كل ما ورد عن سنة عمر وسياسته مع الرعية من بطون الكتب المعتبرة وبأسلوب موضوعي تاريخي .

([2])ابو الصلاح الحلبي،تقريب المعارف،ص290؛المجلسي،بحار الأنوار،ج31،ص299.

([3]) متمم الصحابة،ج1،ص206.ينظر:ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج، ص 189 .

نرضى بهذا ثم قدم آخر فقالت: ما صنع الناس؟ قال: قتل المصريون عثمان قالت: العجب لأخضر زعم أن المقتول هو القاتل! فكان يضرب به المثل: أكذب من أخضر." [1].

إن صحة تلك الرواية فن فيها دلالة على عدة امور منها:

1. أن عائشة كانت ترى الثوار المصريين طلابا للحق جاءوا للمطالبة برفع الظلم عنهم، وأظهرت استنكارها وعدم الرضا لأن يقتلهم عثمان. في الوقت ذاته يظهر من الرواية أنها لم تظهر استنكارًا لما عرفت ان المقتول هو عثمان وهناك ما يشير الى أنها كانت مؤيدة لذلك فيروي ابن ابي الحديد من طرق عدة أنها قالت :"**أبعده الله ذلك بما قدمت يداه وما الله بظلام للعبيد** "[2] كما كانت تقول: " **أبعده اللّه قتله ذنبه وأقاده اللّه بعمله، يا معشر قريش لا يسوئنكم قتل عثمان كما ساء احيمر ثمود قومه. إنّ أحقّ الناس بهذا الأمر لذو الإصبع، يعني طلحة** "[3]. وفي رواية للمفيد عن أبي مخنف أنها قالت: "**قتلته أعماله إنه أحرق كتاب الله وأمات سنة رسول الله فقتله الله** "[4].

ونقل ابن أبي الحديد عن المدائني وغيره من أصحاب السير :" **لمّا قتل عثمان كانت عائشة بمكّة،وحين بلغها قتله لم تكن تشكّ في أنّ طلحة هو صاحب الأمر، فقالت : بعدًا لنعثل وسحقا، إيه ذا الإصبع، إيه أبا شبل، إيه يا ابن عمّ، لكأنّي أنظر إلى إصبعه وهو يبايع .**" [5]

ويبدو بأن السبب الذي جعلها لا تشك بأن الخلافة ستكون لطلحة بعد مقتل عثمان هو الدور الذي لعبه طلحة في حصار عثمان ومحاولته السيطرة على مقاليد الأمور باستيلائه على مفاتيح بيت المال [6] فعندما سألت الناعي ماذا صنع الناس بعد عثمان أي من بايعوا بعده أجابها بقوله: " **لم أبرح من المدينة حتّى أخذ طلحة بن عبد اللّه نعاجا لعثمان وعمل مفاتيح لأبواب بيت المال ولا شك أنّ النّاس قد بايعوه**

([1]) تاريخ الرسل، ج3، ص469.

([2]) الشرح، ج6، ص216.

([3]) ابن ابي الحديد ، الشرح ، ج6، ص216.

([4]) الجمل، ص85؛ ابن شدقم؛ وقعة الجمل، ص22؛ الخوئي، شرح نهج البلاغة، ج16، ص365.

([5]) ابن أبي الحديد، الشرح، ج6، ص215.

([6]) ابن أبي الحديد، الشرح، ج6، ص215؛ المجلسي، بحار الأنوار، ج32،ص137؛ الأميني، الغدير، ج9، ص82.

فقالت اى هذا لأصيبع وجدوك لها محسنا وبها كافيا، ثمّ قالت شدّوا رحلي فقد قضيت عمرتي لأتوجّه إلى منزلي ..."[1].

كما تظهر روايات أخرى أن طلحة تقدم فعليا لأخذ البيعة، وأتجه إليه طائفة من الناس، عندما تردد الإمام في قبول الخلافة، لكن إصرار الجماهير على مبايعة علي (عليه السلام) وخوفه على مصلحة دين محمد (صلى الله عليه وآله وسلم)، دفعه الى قبول البيعة، فمال إليه عامة الناس وعدلوا عن طلحة [2].

رابعًا: روايات رجوع عائشة للمدينة ولقاءها بابن أم كلاب [3] في سرف [4]:

روى البلاذري أن سبب عودة عائشة الى المدينة كان لوصول دعايات لمكة عن البيعة لطلحة لذلك همت بالرجوع فقال :" **لما بايعوا عليا** (عليه السلام) **بالمدينة بلغ عائشة أن الناس بايعوا لطلحة فقالت :" إيه ذا الإصبع للَّه أنت لقد وجدوك لها محشا**[5] **وأقبلت جذلة مسرورة حتى إذا انتهت إلى سرف استقبلها عبيد ابن مسلمة الليثي الذي يدعى ابن أم كلاب فسألته عن الخبر، قال" قتل الناس عثمان،قالت : نعم ثم صنعوا ما ذا ؟ قال صنعوا خيرا، حارت بهم الأمور إلى خير محار بايعوا ابن عم نبيهم عليا** (عليه السلام) **، فقالت: أو فعلوها ؟ وددت أن هذه أطبقت على هذه إن تمت الأمور لصاحبك الذي ذكرت !! فقال: لها : ولم ؟ والله ما أرى اليوم في الأرض مثله فلم تكرهين سلطانة ؟!! فلم ترجع إليه جوابا وانصرفت إلى مكة؛ فأتت الحجر فاستترت فيه وجعلت تقول : إنا عتبنا على عثمان في أمور سميناها له ووقفناه عليها فتاب منها واستغفر ربّه فقبل المسلمون منه ولم يجدوا من ذلك بدّا، فوثب عليه من إصبع من**

([1]) المفيد، الجمل، ص86؛ ابن شدقم، وقعة الجمل، ص22؛ الخوئي، منهاج البراعة، ج16، ص365، ينظر: البلاذري، أنساب الأشراف، ج2، ص218.

([2]) ينظر:ابن حنبل، فضائل الصحابة، ج2، ص573؛ البلاذري، أنساب الأشراف،ج2،ص210؛المحب الطبري، الرياض النضرة، ج3، ص230؛ الباعوني، جواهر المطالب، ج1، ص293.

([3]) عبيد بن سلمة الليثي، ينسب الى أمه ، تابعي، وقيل له إدراك بالنبي روى عن عمر:" **وهو الذي خرج من المدينة بقتل عثمان ، فاستقبل عائشة بسرف ، فأخبرها بقتله وبيعة الناس لعلي بن أبي طالب فرجعت إلى مكة**". ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج5، ص88. ينظر: ابن عبد البر، الاصابة، ج5، ص90.

([4]) موضع يبعد عن مكة ستة أميال أو أكثر، وقيل أن النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) تزوج فيه ميمونة بنت الحارث. ينظر: البكري، معجم ما أستعجم، ج3، ص735؛ الحموي، معجم البلدان، ج3، ص212.

([5]) المحش والمحشة، ما تحرك به النار من حديدة أو عود، ويستعار لغيره فيقال: فلان محش حرب: موقدها ومؤرثها .البلاذري، أنساب الأشراف، هامش ص217.

أصابع عثمان خير منه فقتله، وقد ماصّوه كما يماص الثوب الرحيض وصفوه كما يصفى القلب"[1].

وعن أبي الحديد أنها كانت لا تشك بأن الناس سيبايعون لطلحة لذا كانت تحث رحلها على المسير للوصول بسرعة بقولها :"**حثوا الأبل ودعدعوها** "[2] [3] .

ولقد ورد خبر تلك الرواية في عدة مصادر تاريخية [4] بما فيها رواية الطبري عن سيف بن رغم ما اشتهر عنه بمخالفة غيره من الرواة في معظم الأخبار التاريخية فجاءت روايته كالآتي :" **أن عائشة رضي الله عنها لما انتهت إلى سرف راجعة في طريقها إلى مكة لقيها عبد بن أم كلاب وهو عبد بن أبي سلمة ينسب إلى أمه فقالت له مهيم** [5]**؟ قال قتلوا عثمان رضي الله عنه فمكثوا ثمانيا قالت ثم صنعوا ماذا قال أخذها أهل المدينة بالاجتماع فجازت بهم الأمور إلى خير مجاز اجتمعوا على علي بن أبي طالب، فقالت:والله ليت ان هذه انطبقت على هذه إن تم الامر لصاحبك ردوني ردوني فانصرفت إلى مكة وهي تقول قتل والله عثمان مظلوما والله لأطلبن بدمه لم والله أن أول من أمال حرفه لأنت ولقد كنت تقولين اقتلوا نعثلا فقد كفر قالت انهم استتابوه ثم قتلوه وقد قلت وقالوا وقولي الاخير خير من قولي الاول فقال لها ابن أم كلاب:**

فَمِنْكِ الْبَدَاءُ وَمِنْكِ الْغِيَرْ وَمِنْكِ الرِّيَاحُ وَمِنْكِ الْمَطَرْ

وَأَنْتِ أَمَرْتِ بِقَتْلِ الإِمَامِ وَقُلْتِ لَنَا إِنَّهُ قَدْ كَـــفَـرْ

([1]) البلاذري، أنساب الأشراف، ج2،ص217-218

([2]) أي حركوها، فالدعدعة هي نعيق أو زجر الراعي بالغنم ، ويقال دع دع الشيء أي حركه، ويقال أيضا الدعدعة هي المشي مع عجل .ينظر: ابن منظور، لسان العرب، ج8، ص87؛ الزبيدي، تاج العروس، ج2، ص550، ص552.

([3]) ابن أبي الحديد، الشرح، ج6، ص215؛ الأميني، الغدير، ج9، ص82.

([4]) الطبري، تاريخ الرسل، ج3، ص277؛ ابن الأثير الكامل في التاريخ، ج3، ص206. ينظر: ابن قتيبة، الامامة والسياسة، ج1، ص72.71؛ ؛ اليعقوبي، ج2، ص180؛ ابن أعثم، الفتوح، ج2، ص437المفيد، الجمل، ص86؛ سبط ابن الجوزي، تذكرة الخواص، ص361.

([5]) كلمة استفهام أي:ما حالك، وما شأنك، أو ما وراءك. الفيروز أبادي، القاموس المحيط،ج1،ص1161.

فَهَبْنَا أَطَعْنَاكِ فِي قَتْلِهِ وَقَاتِلُهُ عِنْدَنَا مَنْ أَمَرْ [1]

إن هذا النص والأشعار يعد من القرائن التي توثق حقيقة ما كان يدور في نفس عائشة من البيعة لعلي، وتصريحها المفاجئ بأن عثمان قتل مظلوما وأنها تريد الثأر لدمه، يبين حقيقة لا يمكن التغافل عنها وهي أنها اتخذت ذلك الشعار ذريعة لإفساد بيعة علي فقبوله البيعة أفسد طموح بني تيم باستعادة الخلافة، فكان علي(عليه السلام)هو العائق الذي اعترض تحقيق ذلك الهدف الذي سعت إليه هي وطلحة ، لذلك السبب كان خبر بيعة علي أشبه بالصاعقة، الى درجة انها لم تكن تصدق ما تسمعه من ابن ام كلاب فعن المدائني أنها ردت عليه قائلة " **ويحك أنظر ماذا تقول** "[2] وقيل أنها قالت له :"**بفيك الحجر، والله وددت أن انطبقت هذه على هذه، يعني السماء،على الأرض**"[3]. فلم يجدوا سبيلا لإزاحته سوى مطالبته بدم عثمان رغم أنهم كانوا في مقدمة المحرضين عليه؛ يقول ابن سيرين :"**ما علمت أن عليا اتهم بقتل عثمان حتى بويع، فلما بويع اتهمه الناس**".[4]

وحوارها مع ابن ام كلاب له شاهد آخر، وهو ما روي عن أبي مخنف بإسناده عن قيس بن أبي حازم[5]

حازم[5]

الذي كان مرافقا لها في مسير عودتها من مكة ونقل تبدل رأيها السريع، فسمعها تقول في الطريق: " **إيهٍ ذا الإصبع! وإذا ذكرت عثمان قالت: أبعده الله! حتى أتاها خبر بيعة علي فقالت: لوددت أن هذه...**

([1]) الطبري، تاريخ الرسل، ج3، ص277 ينظر:ابن الأثير الكامل في التاريخ، ج3، ص206. ينظر: ابن قتيبة، الامامة والسياسة، ج1، ص72.71؛ ؛ اليعقوبي، ج2، ص180؛ ابن أعثم، الفتوح، ج2، ص437المفيد، الجمل، ص86؛ سبط ابن الجوزي، تذكرة الخواص، ص361.

([2]) ابن ابي الحديد، الشرح، ج6، ص215؛ الأحمدي الميانجي، مواقف الشيعة، ج2، ص326.

([3]) سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان ، ج6، ص134.

([4])ابن ابي شيبة، المصنف،ج7،ص279؛ابن عبد ربه، العقد الفريد،ج5،ص55؛الباعوني،جواهر المطالب،ج2، ص172.

([5]) قيس بن أبي حازم البَجَلي الكوفي، تابعي، أدرك الجاهلية،وفد الى النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) ليبايعه، فتوفي وهو في الطريق، الطريق، فلم يكن ممن صحبه،فبايع ابا بكر،وشهد الفتوح، وكان قدماء المحدثين في الكوفة، اختلف العلماء في وثاقته، فمنهم من رفع قدره وعظمه، ومنهم من حمل عليه وقال: له أحاديث مناكير. والبعض ممن اطروا عليه عدوها غير مناكير، وقالوا هي غرائب، ومنهم من لم يحمل عليه في شيء من الحديث وحمل عليه في مذهبه، وقالوا: كان يحمل على علي (عليه السلام) وعلى جميع الصحابة، والمشهور عنه أنه كا ن يقدم عثمان، ولذلك تجنب كثير من قدماءالكوفيين الرواية عنه، قيل أنه كبر وجاوز المئة فخرف واختلط عقله، توفي عام (84هـ/ 703)وقيل عام(98هـ/716م). ينظر: المزي، تهذيب الكمال، ج24، ص100؛ الذهبي، تذكرة الحفاظ ج3، ص393392؛ ابن حجر، تهذيب التهذيب، ج8، ص386. 389

ورأيتها في سيرها إلى مكة تخاطب نفسها كأنها تخاطب أحداً: قتلوا ابن عفان مظلوماً ! فقلت لها: يا أم المؤمنين ألم أسمعك آنفاً تقولين: أبعده الله وقد رأيتك قبل أشد الناس عليه وأقبحهم فيه قولاً!"[1].

ان كلام قيس هذا يعد شاهد على ما دار بينها وبين ابن أم كلاب، وتعجب كل منهما من سرعة تبدل موقفها من عثمان، يبين أن موقفها من عثمان كان معروفا لدى عامة المسلمين وليس كما صرحت بأن الذي بينها وبينه ما هو إلا معاتبة على أمور تاب منها!

فيقول محمد جواد مغنية معلقا على هذا التبدل السريع لعائشة: إن تبدّل الرّأي وإن كان ظاهرة طبيعية في الإنسان إلّا أنّ له ظروفا خاصّة وأسبابا معينة خارجة عن الإرادة والاختيار ومحال أن يتبدل النّظر، ويتغير الرّأي مع وحدة الأسباب، وبقاء الظّروف، محال يكون الإنسان صادقا في قوله : هذا حقّ، ثمّ في قوله : هذا باطل في مجلس واحد، وكلام واحد، دون أن يحدث أي شيء، فإذا حصل شيء من هذا فلا يكون تبدلا للرّأي والنّظر، وإنّما هو تناقض وتهافت، وخضوع للأهواء.[2]

ولأهمية تلك الرواية سعى بعض الرواة لتحريفه أو تشويهه تاريخيا فسيف بن عمر وهو أحد رواتها نجده في رواية أخرى يزعم أن المقصود بأشعار ابن ام كلاب هو عمار بن ياسر فقال: **وقال عبيد بن أم كلاب فيمن ركب عثمان ومن يطلب بدمه:**

قولا لعمّار قولا له أمنكَ البداء ومنك الغِيرْ فَأنتَ أمرتَ بقتلْ الإمآمْ وقلتَ لَهم أنّهُ قدْ كفَرْ [3]

فغرض سيف من هذا الإبدال[4] واضح، وهو التشويش على الخبر الأول الذي نص على ان الأبيات كانت بحق عائشة[5] وإلقاءه مسؤولية قتل عثمان وأحداث الفتنة على عاتق عمار بن ياسر، بوصفه أبرز قادة جيش علي (عليه السلام) ومن خواصه المقربين لذلك يصوره سيف بأنه من المتورطين مع عبد الله بن

([1]) ابن ابي الحديد، الشرح،ج6،ص216.

([2]) فضائل الإمام علي، ص245.

([3]) الضبي، الجمل ومسير عائشة، ص269. لم ينقل الطبري هذه الرواية عن سيف في تاريخه.

([4]) مصطلح روائي يقصد به أن يقوم الراوي بإبدال شخص ، أو موقع أو مدينة ، أو مكان ما ويضع محله مايراه مناسبًا للوضع بما يخدم منافعه وضالته المرجوة. الخفاجي، مصطلحات مستحدثة في الرواية التاريخية، ص19.

([5]) الطبري،تاريخ الرسل،ج3، ص277؛ ابن الأثير الكامل في التاريخ،ج3، ص206.ينظر:ابن قتيبة،الامامة والسياسة، ج1، ص72.71؛ اليعقوبي،ج2، ص180؛ ابن أعثم الفتوح، ج2،ص437؛لمفيد، الجمل، ص86؛ سبط ابن الجوزي، تذكرة الخواص، ص361.

سبأ والسبئية في التحريض على عثمان. ولعله غرضه الأساسي التأسيس لربط جذور معتقد التشيع بالمعتقدات اليهودية لابن سبأ. [1]

نستخلص مما سبق ان لعائشة دورًا مهماً بإفساد بيعة الإمام (عليه السلام) إذ بدأ الخلاف يأخذ منحى جديا، فكما رأينا أنها رفضت قبول بيعته منذ اللحظة الأولى وعبرت عن دهشتها لما علمت أن طلحة بايع علي (عليه السلام) فقالت: "**أكره والله الرجل، وغصب علي بن أبي طالب أمرهم**"[2]، فيبدو أنها كانت تعرف أنها لن تتمتع بأي خصوصية أو مكانة تميزها عن غيرها، وهذا الأمر كان في مقدمة دوافع عداءها لعثمان والتحريض عليه، فكيف الحال اذا ولي علي (عليه السلام) المعروف بعدالته[3] .

ويبدو أنها اختارت العودة الى مكة لتعمل على إفساد خلافة الإمام (عليه السلام) فذلك لن يتسنى في المدينة وعلي(عليه السلام) فيها و الثوار لازالوا فيها أيضا، وقد اجتمع رأيهم مع عامة الناس على بيعة علي (عليه السلام) فحتماً لن تكون أجواء المدينة ملائمة لما تنوي القيام به. بينما تعد مكة المكان الأنسب لإعلان المعارضة والتمرد كمرحلة أولى لقدسيتها وحرمة المساس بها، والسبب الآخر لتواجد العنصر القرشي فيها المناوئ لعلي (عليه السلام).

خامسًا :رواية خطبة عائشة في مكة :

بعد أن عادت الى مكة توجهت الى الكعبة فطافت بها ثم دخلت حجر إسماعيل وضربت على نفسها سترا فيه، ثم أمرت مناديا نادى باجتماع الناس إليها، فلما اجتمعوا تكلّمت لهم من سترها تنعى عثمان إليهم وتبكيه وتشهد أنه قتل مظلوما وتدعوهم إلى نصرته ![4] فتشير المصادر إلى أنها

([1]) فجاء عنه: "كان عبد الله بن سبأ يهوديا من أهل صنعاء، أمه سوداء، فأسلم زمان عثمان، ثم تنقل في بلدان المسلمين، يحاول ضلالتهم، فبدأ بالحجاز، ثم البصرة، ثم الكوفة، ثم الشام، فلم يقدر على ما يريد عند أحد من أهل الشام، فأخرجوه حتى أتى مصر... ووضع لهم الرجعة، فتكلموا فيها... ثم قال بعد ذلك: من أظلم ممن لم يجز وصية رسول الله ص، ووثب على وصى رسول الله ص، وتناول أمر الأمة! ثم قال لهم بعد ذلك: إن عثمان أخذها بغير حق..." ينظر: الضبي،الردة والفتوح ومقتل عثمان، ص141. ص144، ص154؛ الطبري، تاريخ الرسل،ج3، ص379؛ ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج29، ص5.

([2]) المفيد، الجمل، ص86؛ الخوئي، منهاج البراعة، ج16، ص366.

([3]) العاملي، الصحيح من سيرة الإمام علي (عليه السلام)، ج18، ص133.

([4])الطبري، تاريخ الرسل، ج3، ص477؛ البلاذري، أنساب الأشراف،ج5، ص584.

قالت:"**ياأيها الناس إن عثمان قتل مظلوما والله لأطلبن بدمه ... قتله علي بن أبي طالب، والله لأنملة أو قالت لليلة من عثمان خير من علي الدهر كله**"[1] .

وفي رواية للمفيد أنها قالت لابن أم كلاب عندما سألها عن سبب تبدل موقفها من عثمان وغضبها لبيعة علي (عليه السلام) ردت عليه قائلة : إنها كانت تعتب عليه بأمور تاب منها وأن المسلمين فبلوا توبته،واتهمت عليا بقتله " **فوثب عليه صاحبك فقتله والله لإصبع من أصابع عثمان خير منه** "و رجعت إلى مكة تنعى عثمان وتقول هذه المقالة للناس[2]. ومن تلك النصوص يتضح ما يلي:

1ـ نلحظ إن اختيارها لحجر الكعبة لإعلان موقفها الجديد من عثمان ومقتله، يدل على أن خطابها كان له فحوى دعائية إعلامية لمناوئة الحكومة الجديدة ؛ لا سيما أن موسم الحج لم يوشك على الانتهاء بعد.

2ـ توضح تلك النصوص انها ألقت مسؤولية قتل عثمان على الإمام علي(عليه السلام) في حين أن الروايات تشير الى أنه كان أكثر شخص حاول دفع القتل عنه[3]، في الوقت الذي تخلى عنه الجميع بما فيهم هي، عندما رفضت البقاء في المدينة للدفع عنه[4]. ولا ندري كيف أصبح إصبع من عثمان خير من علي (عليه السلام) وهو الذي عده الله نفس النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) في آية المباهلة[5] وعدلت منزلته منزلة الأنبياء والمرسلين وفق ما ورد في السنة الشريفة المتواترة[6]

([1]) أنساب الأشراف،ج5،ص584؛ ابن أعثم، الفتوح،ج2، ص437؛ الرازي، المحصول، ج4، ص343؛ القرشي، موسوعة الإمام علي(عليه السلام)ج11، ص53.

([2])المفيد،الجمل،ص229.ينظر:البلاذري،أنساب الأشراف،ج2،ص218؛ابن الأثير،الكامل في التاريخ،ج3،ص207؛ النويري، نهاية الأرب،ج2، ص26.

([3]) ينظر: ص36من الرسالة.

([4]) ينظر: ص78من الرسالة.

([5]) سورة آل العمران، الآية (61). اتفق أهل التفسير والحديث، أن الآية نزلت عندما أمر الله نبيه (صلى الله عليه وآله وسلم) بمباهلة(ملاعنة) وفد نجران النصارى بعد أن أطالوا مجادلته، ينظر: الشريف المرتضى، الشافي في الإمامة، ج2، ص253؛ الرازي، تفسير مفاتيح الغيب، ج8، ص247؛ الطباطبائي، تفسير الميزان، ج3، ص229.

([6]) روي عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) أنه قال : "**يا علي أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي**". صحيح البخاري، ج5، ص19؛ ج6، ص3؛ صحيح مسلم، ج4، ص1870؛ صحيح ابن حبان، ج10، ص371.

وروى خطبتها تلك الطبري عن طريق سيف ين عمر وجاءت عنده أكثر تفصيلا فروى :" **يا أيها الناس إن الغوغاء[1] من أهل الأمصار وأهل المياه وعبيد أهل المدينة اجتمعوا أن عاب الغوغاء على هذا المقتول بالأمس: الإرب واستعمال من حدثت سنه من أهل الأمصار، وقد استعمل أسنانهم قبله، ومواضع من مواضع الحمى حماها لهم، وهي أمور قد سبق بها لا يصلح غيرها، فتابعهم ونزع لهم عنها استصلاحا لهم فلما لم يجدوا حجة ولا عذرا، خلجوا [2] وبادوا بالعدوان ونبا فعلهم عن قولهم، فسفكوا الدم الحرام واستحلوا البلد الحرام وأخذوا المال الحرام، واستحلوا الشهر الحرام.والله لإصبع عثمان خير من طباق الأرض أمثالهم. فنجاة من اجتماعكم عليهم حتى ينكل بهم غيرهم ويشرد من بعدهم، ووالله لو أن الذي اعتدوا به عليه كان ذنبا لخلص منه كما يخلص الذهب من خبثه أو الثوب من درنه إذ ماصوه[3] كما يماص الثوب بالماء. فقال عبد الله بن عامر الحضرمي[4]:ها أنا ذا لها أول طالب وكان أول مجيب ومنتدب**"[5] .

بعد التمعن في نص سيف هذا وتتبع ما جاء فيه من عبارات وألفاظ ومقارنتها بما ورد في المصادر الأخرى سجل الباحث عدة ملاحظات لابد من الوقوف عندها:

1ـ ألقى سيف على لسان عائشة مسؤولية قتل عثمان على عاتق من سماهم بغوغاء أهل الأمصار والعبيد، وهذا كلام مغالط للأحداث التاريخية، بل يمكن القول أن المسؤولية تعم الجميع بما فيهم الصحابة، لكن مع الاختلاف بحجم المسؤولية فمنهم من حرض عليه ومنهم من سكت ولم يدفع عنه، وذلك لما رأوا

([1]) الغوغاء: الرعاع من الناس سموا كذلك لكثرة لغطهم وصياحهم، الهمج، السفلة. عبد الحميد عمر، أحمد مختار، معجم اللغة العربية المعاصرة، ج2، ص1651.

([2]) من خلج واختلج أي تحركوا واضطربوا. ينظر الفيروز أبادي، القاموس المحيط،ج1، ص187؛الزبيدي، تاج العروس، ج5، ص535.

([3]) من الموص وهو: الغسل بالأصابع، أرادت أنهم استتابوه عما نقموا منه، فلما أعطاهم ما طلبوا قتلوه. ابن الأثير ابو السعادات ، النهاية في غريب الحديث والأثر، ج4، ص372؛ ابن منظور، لسان العرب، ج7، ص95.

([4]) عبد الله بن عامر الحضرمي وقد اختلف باسم ابيه فقيل اسمه عبد الله بن عمار وقيل عبد الله بن ضمار بن سلمى بن أكبر، كانوا حلفاء لبني أمية، منذ الجاهلية قيل كان عاملا لعثمان على مكة، بعثه معاوية الى أهل البصرة يستنفرهم لمحاربة الإمام علي (عليه السلام) في معركة صفين، فتصدى له رجال الإمام(عليه السلام) هناك بقيادة ابن قدامة السعدي وتحصن في أحد ى دور البصرة فأحرقت عليه. ينظر، ابن سعد، الطبقات،ج4،ص359؛ ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج29، ص244؛ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج3، ص207.

([5]) الضبي، الجمل ومسير عائشة، ص266.267؛ الطبري، تاريخ الرسل، ج3، ص468.

منه من ميل وضعف أمام نفوذ وتسلط أسرته الأموة على حساب عامة المسلمين، وهناك عدة شواهد: فكان سعد بن أبي وقاص يقول: " **لوشئنا دفعنا عنه ولكن عثمان غير وتغير وأحسن وأساء**"[1] وروى جمع من المؤرخين أن هاشم المرقال خاطب فتى حدثا خرج مع جيش معاوية في صفين وهو مخدوع بالدعايات الأموية فكان ينادي: "**إني أقاتلكم لأن صاحبكم لا يصلي كما ذكر لي وأنكم لا تصلون، وأقاتلكم أن صاحبكم قتل خليفتنا وأنتم وازرتموه على قتله**" فرد علية ابن المرقال قائلا:" **إنما قتله أصحاب محمد وقراء الناس حين أحدث وخالف حكم الكتاب، وأصحاب محمد هم أصحاب الدين**"[2] وفي صفين كذلك اذ ينقل المؤرخون أنه عندما طالب معاوية تسليمه قتلة عثمان، برز أكثر من عشرة آلاف من المسلمين وقيل عشرين ألفا وفيهم من الصحابة الأوائل و البدريين والتابعين يتقدمهم عمار ومحمد بن ابي بكر والأشتر وغيرهم ؛كلهم ينادي: نحن قتلة عثمان[3]، والشواهد على موقف الصحابة الحقيقي من الثورة على عثمان كثيرة[4] أما أهل الأمصار، فتشير الروايات أن الوفود التي جاءت للمدينة وشاركت بحصر عثمان، كان يترأسها شخصيات من أشراف القبائل وقراء المسلمين كابن عديس[5] الذي ترأس الوفد الوفد المصري وحكيم بن جبلة[6] والأشتر الذي كان هو الآخر من أشراف الكوفة وقرائها، فلا صحة لوصف سيف بأن المجتمعين على عثمان كانوا من سفلة الناس أو من لا مكانة له، يقول أحد الباحثين أن سيف بن عمر هو الوحيد الذي يذكر الثوار على عثمان وكأنهم كلهم أتباع لابن سبأ الذي يحمله مسؤولية

([1]) ابن قتيبة، الإمامة والسياسة، ج1، ص67.

([2]) ابن مزاحم، وقعة صفين،ص355؛ابن الاثير، الكامل في التاريخ ،ج3،ص313.

([3]) سليم بن قيس، كتاب سليم بن قيس، ج2، ص755؛ ابن مزاحم، وقعة صفين، ص86؛ البلاذري، أنساب الأشراف، ج2، ص278؛ الدينوري، الأخبار الطوال، ص163؛ القاضي النعمان، شرح الأخبار، ج2، ص112.

([4]) للمزيد ينظر: الأميني، الغدير، ج9، ص69 وما بعدها.

([5]) عبد الرحمن بن عديس بن عمرو البلوي، صحب النبي (عليه السلام) ، وكان ممن بايع تحت الشجرة في بيعة الرضوان، فكان له دورا مميزا بفتح مصر، التي استقر بها، ثم قاد الوفد المصري الذي قدم الى المدينة، وبعد مقتل عثمان عاد الى مصر فسجنه معاوية في فلسطين مع جمع آخرين، إلا أنه هرب، فأرسل خلفه فارسا فقتله وكان ذلك سنة (36هـ/ 656) ينظر:ابن سعد، الطبقات،ج7،ص509؛ابن عبد البر،الاستيعاب، ج2،ص840؛ الزركلي، الأعلام، ج3، ص316.

([6]) حكيم بن جبلة بن حصين بن عبد القيس بن ربيعة العبدي، كان عابدا شريفا مطاعا في قومه، أدرك النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) ، وكان من أشجع الناس شارك الفتوح الإسلامية، وبعثه عثمان لفتح السند، وعندما عاد شارك في الثورة على

فتنة قتل عثمان بالرغم من أن فيهم من كان من الصحاب الأجلاء[1]، ولقد استفاض البحث في هذا الموضوع العلامة العسكري،الذي وضح أن دوافع الراوي هي العصبية القبلية التي عرف بها، ولأن هؤلاء القادة كانوا من القبائل القحطانية اليمانية التي عرفت بنصرتها وتشيعها لعلي(عليه السلام) ، لذا سعى سيف الى عدم تبرئتهم من تهم تلك الفتنة وجعلهم تبعا لابن سبأ والسبئية الذين يعلق عليهم مسؤولية ما جرى من الأحداث. في حين أنه يبرء غيرهم من الصحابة ممن ينتمون الى القبائل المضرية[2] ونضيف على ذلك أن من دوافعه هي استكمال حلقات أسطورته وحبكها بالصورة التي رسمها فقام بالطعن بالشخصيات المؤيدة لعلي (صلى الله عليه وآله وسلم) ، المعرضين لسياسة الحكومة السابقة، كاتهامه لكل من زيد

بن صوحان[3] بالسرقة[4]،وحكيم بن جبلة باللصوصية في أيام الفتوحات [5] ثم يزعم أنه أحد المشتركين بقتل عثمان، تبريرًا لتصفيته مع عشرات من قومه على يد قادة الجمل فور وصولهم البصرة[6].

ولا بد من القول أن تلك الاتهامات لا أثر لها في المصادر الأخرى التي ترجمت للشخصيتين وشهدت لهما بالنبل والشرف وحسن الدين[7]،وكأن الراوي ابتغى نسب الثورة على حكومة عثمان إلى شخصيات

عثمان، وعندما قدم جيش الجمل تصدى لهم ببني عبد القيس، قبل قدوم علي (عليه السلام) الى البصرة، فقتل هو وقومه في يوم(الجمل الأصغر) في جمادي الأخر سنة (36هـ/ 656م). ينظر: ابن عبد البر، الاستيعاب، ج2، ص3 .

(1) المالكي، نحو إنقاذ التاريخ، ص 148.

(2) ينظر: البدري، جهود العلامة العسكري في مناقشة الأسطورة السبئية ، ص73، العدد 6و7.

(3) زيد بن صوحان بن حجر بن الحارث الربعي العبدي، يكنى أبا سلمان أو سليمان ، أدرك النبي وصحبه، كان فاضلا دينا سيدا في قومه، هو وإخوته صعصعة وسيحان أبناء صوحان، وكان زيد وأخوه صعصعة من معارضي حكومة عثمان بن عفان وولاته، فسيره للشام مع من سيرهم لمعاوية، وروي أن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) كان قد قال فيه، "**وأمّا زيد فرجل من أمّتي تدخل الجنّة يده قبل بدنه**"، فقطعت يده يوم القادسيّة واستشهد يوم الجمل، مع أمير المؤمنين (صلى الله عليه وآله وسلم) فأوصى: "**أدفنوني في ثيابي، فإنّي مخاصم** ". ابن عبد البر، الاستيعاب،ج2، ص472؛ابن حجر،الاصابة،ج2، ص533.

(4) الضبي ، الجمل ومسير عائشة، ص309، الطبري، تاريخ الرسل، ج3، ص498.

(5) الضبي، الفتنة ووقعة الجمل، ص42؛الطبري، تاريخ الرسل ، ج3، ص ٣٦٨.

(6) ينظر، ص173 من الرسالة.

(7) ينظر ترجمتهما: هامش (1) من هذه الصفحة؛ هامش (3) ص90 من الرسالة.

سيئة السيرة ذات مطامع وأهواء شخصية وأن الخليفة ما هو إلا ضحية لوقوع هؤلاء تحت تأثير معتقد ات ومؤامرات اليهودي ابن سبأ، لتزكية تلك الحكومة و عمالها الأمويين مما نسب إليهم من انتهاكات ومظالم أدت إلى التذمر الشعبي، وانتهت بالثورة على الخليفة[1].

3ـ لا بد من الإشارة إلى أن الغاية الأساسية للراوي من كل ما تقدم هي الطعن والتشكيك بمعتقدات المؤيدين لعلي(عليه السلام) ومعتقدات الشيعة الإمامية كالوصية والإمامة، وتفضيل علي (عليه السلام) على من سبقوه بالخلافة، والقول ان بذور التشيع نابعه من الديانات اليهودية وأفكار ابن سبأ اليهودي [2] .

وعلى أية حال فإن عائشة نفسها كانت تعترف بأن الثائرين على عثمان كان فيهم من صحب الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) وفيهم من له مكانته في المجتمع الإسلامي، وكانوا من قراء القرآن، فروي أنها قالت :" **ما احتقرت أعمال أصحاب رسول الله** (صلى الله عليه وآله وسلم) **حتى نجم النفر الذين طعنوا في عثمان فقالوا قولا لا يحسن مثله وقرأوا قراءة لا يحسن مثلها وصلوا صلاة لا يصلي مثلها فلما تدبرت الصنيع اذن والله ما تقاربوا أعمال أصحاب رسول الله** (صلى الله عليه وآله وسلم)"[3] .و الشيء الذي يثير الاستغراب هنا إنها تعترف بأن الطاعنين عل عثمان كانوا من الصحابة والقراء، إلا إنها تعلن عن احتقارها لإعمالهم، والسبب هو أنهم استنكروا على مخالفات حكومة عثمان !

4ـ مما تقدم فإن أغلب الظن ان لفظة الغوغاء واتهام فئة معينة بقتل عثمان هو من مختلقات سيف التي دسها في خطاب عائشة، للدوافع السابقة، ولأنه ابتغى التعتيم على نص الخطاب الحقيقي الذي أوردته المصادر الأخرى عن عائشة، والذي أعلنت فيه كيدها بعلي (عليه السلام) باتهامه الذي جاء فيه:" **لأنملة أو قالت لليلة من عثمان خير من علي الدهر كله**[4] وهذا الكلام يفسد حبكه لأسطورة ابن السوداء ويتعارض ويتعارض معه فأبدل كلامها وجعله موجهًا للغوغاء قالت:" **والله لإصبع عثمان خير من طباق الأرض أمثالهم**[5].

([1]) ينظر: الخالدي، ابن سبأ (دراسة تاريخية).

([2]) ينظر: الضبي،الردة والفتوح،ص141؛ الطبري، تاريخ الرسل،ج3،ص378؛ ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج29، ص5.

([3])ابن حنبل، فضائل الصحابة،ج1،ص462؛ البخاري، خلق أفعال العباد،ج1، ص462؛ابو داوود، السننج1، ص279؛ الطبراني، مسند الشاميين، ج4، ص201.

([4]) أنساب الأشراف،ج5، ص584؛ ابن أعثم، الفتوح،ج2، ص437؛ الرازي المحصول، ج4، ص343.

([5]) الضبي، الجمل ومسير عائشة،ص266؛ الطبري، تاريخ الرسل، ج3، ص468.

5. السؤال الذي لابد أن يثار هنا هل أن الأمور التي ذكرتها "**استعمال من حدثت سنه من أهل الأمصار وقد استعمل أسنانهم قبله،ومواضع من مواضع الحمى حماها لهم** " تستوجب أن تقف عائشة من عثمان ذلك الموقف وأن تصرح بما صرحته بكفره بقولها: "**اقتلوا نعثلا فقد كفر**" ؟ بل أنها كما يروى كانت تتهمه بعدم الحكم بكتاب الله وتبديل سنة نبيه[1] وقولها له: " **والله لولا الصلوات الخمس لمشى إليك أقوام ذوو بصائر يذبحونك كما يذبح الجمل**"[2] .

6. أخيرا أشار سيف في ذيل روايته تلك، بأن أول من استجاب لعائشة ووافقها الرأي على الطلب بدم عثمان، هو ابن عبد الله بن الحضرمي، الذي كان عامله على مكة، وهذا أمر متوقع وطبيعي، شأنه شأن بقية ولاة عثمان الذين أدركو أن مراكزهم وامتيازاتهم باتت في مهب الريح، مع ولاية علي (عليه السلام) فقد اشرنا في ترجمته أنه كان تابعا لبني أمية، وأجداده حلفاء لهم منذ الجاهلية، وظل هو مواليا لمعاوية، في حربه للأمام علي(عليه السلام).

ومما لاحظه الباحث بعد مقارنة النصوص،أن سيف غيب شطرا من سير الأحداث، فقد اشار المفيد في كتابه الجمل الى وجود حوارا بين والي مكة وعائشة وأنه جاء اليها بعد نعيها لعثمان في خطبتها وبكاءها عليه فقال:" **قرت عينك قتل عثمان وبلغت ما أردت من أمره** "[3]،لكن عائشة أنكرت موقفها السابق من عثمان،وراحت تترضى عليه وتتهم علي (عليه السلام) بأنه قتله لأجل الأمرة والخلافة التي استبعد منها، فقالت: "**سبحان الله أنا طلبت قتله إنما كنت عاتبة عليه من شئ أرضاني فيه قتل عثمان والله من عثمان بن عفان خيرا منه وأرضى عند الله وعند المسلمين والله ما زال قاتله – تعني أمير المؤمنين** (عليه السلام) – **مؤخرا منذ بعث** (صلى الله عليه وآله وسلم) **وبعد أن توفي عدل عنه الناس إلى الخيرة من أصحاب النبي**(صلى الله عليه وآله وسلم) **ولا يرونه أهلا للأمر ولكنه رجل يحب الإمرة والله لا تجتمع عليه ولا على أحد من ولده إلى قيام الساعة**"[4]

([1]) البلاذري، أنساب الأشراف، ج5، ص538؛ ابن اعثم، الفتوح، ج2، ص421.

([2]) ابن اعثم، الفتوح، ج2، ص421؛ الرازي، المحصول، ج4، ص343.

([3]) ص120

([4]) الجمل، ص120.121؛ الخوئي، منهاج البراعة، ج16، ص366؛ الغروي، موسوعة التاريخ الإسلامي،ج4، ص476.

إن الكلام الذي جاء على لسان عائشة في تلك الرواية فيه كثيرٌ من المغالطات حول مكانة الإمام علي(عليه السلام) السياسية، فقد كانت له الأسبقية بجميع الوقائع الإسلامية ولم يأخره النبي عن أي منها سوى في تبوك ليخلفه في المدينة، وفي كل مناسبة كان يجعله بعده بالمرتبة و المكانة والفضل[1]

أما القول أنه أخرعن الخلافة وأن الناس عدلوا عنه بعد وفاة النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) ، فذلك أيضا كلام فيه تحريف كبير للحقائق التأريخية المشهورة، فالنبي(صلى الله عليه وآله وسلم) أوصى بولاية علي من بعده في أكثر من مناسبة [2] وما حدث بعد وفاته من تأخير واستبعاد لعلي (عليه السلام) عن حقه بالولاية قد تم باتفاق من قريش في يوم السقيفة، ومن بعدها الشورى العمرية .[3]

وأما قولها أنه يحب الأمرة وأن الناس عدلوا عنه لأنه ليس أهلا للخلافة، فيكفي ما قاله الفراهيدي [4] لما سأل عن سبب تفضيله علي (عليه السلام) أجاب " **احتياج الكل إليه، واستغنائه عن الكل دليل على أنه إمام الكل**"[5]، وقوله في سبب ميل بعض الناس وعدولهم عن بيعته، قال:" **تقدمهم اسلاما، وفاقهم علما، ورجحهم حلما،وكثرهم هدى، فحسدوه الناس إلى أمثالهم وأشكالهم أميل،**" وفي رواية اخرى أنه قال: "**بهر والله نوره على أنوارهم، وغلبهم على صفو كل منهل**"[6] .

وعود على بدء، يرى الباحث إن سيف بن عمر غيب في روايته حوار عائشة مع والي مكة، وفي موضع آخر،نقل حوارا مقتضبا فيه إن والي مكة سأل عائشة عندما دخلت مكة " **ما ردك يا أم المؤمنين قالت ردني أن عثمان قتل مظلوما وأن الامر لا يستقيم ولهذه الغوغاء أمر فاطلبوا بدم عثمان تعزوا**

([1])روي عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) أنه قال : "**يا علي أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي**". صحيح البخاري، ج5، ص19؛ ج6، ص3؛ صحيح مسلم، ج4، ص1870؛ صحيح ابن حبان، ج10، ص371.

([2]) منها حديث المنزلة أو الثقلين يوم الغدير .وطرق هذا الحديث ومصادره كثيرة جدا ومن الفريقين للمزيد عنها ينظر: الأميني، الغدير، ج1، ص152ـ ص157.

([3]) للمزيد عن الأحداث السياسية بعد وفاة النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) ودور الأمام علي(عليه السلام)، خلال حكم الخلفاء الثلاثة، ينظر: المظفر، السقيفة .

([4]) خليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي الأزدي اليحمدي، الأديب النحوي العروضي، المنشئ للعروض، البصري، وهو أستاذا لسيبويه والأصمعي، توفي سنة175هـ وقيل غير ذلك. ينظر: السيوطي، بغية الوعاة، 557؛ االتستري، قاموس الرجال، ج4، ص201.

([5]) المامقاني، تنقيح المقال في علم الرجال، ج1، ص403؛ القمي، سفينة البحار وحديث الحكم والآثار، ج2، ص721.

([6]) ابن شهرآشوب، مناقب آل أبي طالب، ج3، ص15؛ الصدوق، الأمالي، ص30؛ علل الشرائع، ج1، ص145.

الاسلام فكان أول من أجابها عبد الله بن عامر الحضرمي"[1] وكما نلحظ أن أقوال الطرفين طالها التحريف في هذه الرواية فلم يذكر سيف قول والي مكة لعائشة:" **قرت عينك قتل عثمان وبلغت ما أردت من أمره** "[2] كما لم يذكر كلام عائشة عن علي واتهامها له بمسؤولية قتل عثمان، الذي جاء في النصوص السابقة

والجدير بالذكر،ان والي مكة لم يكن هو الوحيد من العثمانية الذي واجه عائشة بمثل هذا الكلام فروي أن عامل عثمان على اليمن يعلى بن منية قال لها :" **قد قتل خليفتك الذي كنت تحرّضين على قتله ! فقالت : برئت إلى اللّه من قاتله ! فقال لها : الآن ! ثم قال لها : فأظهري البراءة من قاتله . فخرجت إلى المسجد وجعلت تتبرأ ممّن قتل عثمان** "[3]، و لما عادت من حرب الجمل وراحت تحكي ما حدث لها وما طال هودجها من السهام قال لها المغيرة بن شعبة :" **وددت والله ان بعضها كان لو قتلك قالت:يرحمك الله ولما تقول هذا ؟ قال :لعلها تكون كفارة على سعيك على عثمان** "[4]. أما داهية العرب العرب عمرو بن العاص كان يتمنى لو أنها قتلت ليلزم علي بدمها فقال لها:" **لوددت أنّك قتلت يوم الجمل،قالت:ولم لا أبا لك؟ قال: كنت تموتين بأجلك،وتدخلين الجنة،ونجعلك أكبر التشنيع على عليّ**"[5]،فلم تغب الحقيقة عن الأمويين وغيرهم ولم يكن دم عثمان يشغلهم بقدر مصالحهم السياسية، لذلك أبدوا أبدوا استعدادهم للانضمام الى حركة عائشة متناسين موقفها في الثورة على عثمان.

نستخلص مما ذكرناه أن الراوي سيف وضمن منهجه الذي سار عليه بالتعتيم على المواقف السلبية للصحابة، والسلف، وإخلاء مسؤوليتهم من أحداث الفتنة، حرف خطاب عائشة بغرض التشويش على النصوص التي توضح حقيقة الدوافع التي دعتها للتمرد، على حكومة الإمام علي (عليه السلام) ، فضلا عن التعتيم على معاتبة ولاة عثمان لها على مشاركتها في التحريض على عثمان.

([1]) الضبي، الجمل ومسير عائشة، ص269؛ الطبري، تاريخ الرسل، ج3، ص469؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج5، ص80؛ المرعشي، شرح إحقاق الحق، ج32، ص499.

([2]) المفيد ،الجمل،ص120.

([3]) المفيد،الجمل،ص87؛ابن عساكر،تاريخ دمشق،ج4،ص189؛الذهبي،تاريخ الاسلام،ج2،ص274.

([4]) ابن عبد ربه، العقد الفريد، ح5، ص46.

([5])المبرد، الكامل في اللغة، ج1، ص220؛ الأفطسي، المجموع اللفيف، ص77؛ ابن أبي الحديد، الشرح، ج6، ص322.

سادسًا : رواية اجتماع المعارضين في مكة

تشير الروايات الى ان موقف عائشة وسخطها من بيعة علي(عليه السلام) كان موضع بشرى وفرح لمناوئيه فبعد خطابها عند الكعبة أصبحت مكة ملجئً للهراب من بني أمية ورجالاتهم ولمعترضي بيعة الخليفة الجديد، فكان ذلك "**أول ما تكلمت بنو أمية بالحجاز ورفعوا رؤسهم وقام معهم سعيد بن العاص والوليد بن عقبة وسائر بني أمية وقد قدم عليهم عبد الله بن عامر من البصرة ويعلى بن أمية من اليمن وطلحة والزبير من المدينة**[1]. من باب آخر كان هنالك مشروع تقارب وحلف سياسي ومراسلات بين كل من طلحة والزبير والأمويين قبل خروجهم من المدينة بناءً على توصيات معاوية وهذا ما أشرنا إليه سابقًا[2].

لاشك أن هذا التحالف الجديد كان بحاجة الى عناصر أُخرى مؤثرة في الرأي العام الاسلامي ليضفي على لحركته غطاء مقبولا عند الناس، وكانت زوج النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) عائشة خير عنصر يحتاجه هذا التحالف؛ لما أبدته من تصدي للأحداث السياسية المهمة في خلافة عثمان،وكانت مؤهلة لذلك، لمنزلتها كونها زوجة للنبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ولما كانت تمتلكه من مواهب أُخرى، كقوة الشخصية وفصاحة المنطق[3] والأهم من ذلك هو موقفها السلبي البيعة لعلي(عليه السلام) الذي سهل لهم توظيف قدراتها لتأليب الناس عليه.

وتشير إحدى الروايات إلى أن طلحة والزبير كانا قد مهدا لدعوتها للانضمام إليهم، بإرسالهم كتابًا لها من المدينة مع ابن أختها عبد الله بن الزبير جاء فيه :"**أن خذلي الناس عن بيعة على وأظهري الطلب بدم عثمان... فلما قرأت الكتاب كاشفت وأظهرت الطلب بدم عثمان**"[4]. وتظهر رواية أخرى مدى استجابتها لتلك الدعوة بأنها عندما علمت بوصولهما لمكة "**فرحت واستبشرت**"[5]، فيبدو أنها كانت تعلم أن مجرد رفع شعارات المطالبة بدم عثمان غير كافية ما لم تستند إلى قوة داعمة لقيادة الرجال، خصوصًا إذا كان من يمثل تلك القوة شخصيتان لهما ثقلهم الاجتماعي والسياسي سواءً بحكم الصحبة والسابقة في الإسلام؛ أو بحكم أنهما من مرشحي الخلافة وفق قانون الشورى الذي سنه الخليفة الثاني.

([1]) الضبي، الفتنة ووقعة الجمل، ص113؛الطبري، تاريخ الرسل،ج3،ص469؛ابن الجوزي،المنتظم، ج5، ص80.

([2]) ينظر:44 من الرسالة.

([3]) البياتي، صباح علي، الصحوة، ص250.

([4]) الشرح، ج6، ص38.

([5]) ابن أعثم، الفتوح، ج2،ص452.

وقد روي عن الزهري أن أقطاب الحلف عقدوا اجتماعًا في بيت عائشة للتداول وتبادل الآراء[1] بعد وصول طلحة والزبيرمن المدينة بعد أربعة أشهر من قتل عثمان، وكان من أهم ما تمخض عنه :

1. التخطيط للخروج على أمير المؤمنين (عليه السلام) واختيار بلد العصيان : لقد كان وضع المتحالفين في مكة مضطربًا، إذا لم تكن ملائمَة لحركة تحتاج إلى عناصر للصمود يمكن أن توفرها هذه المدينة؛ لأن الفتوحات أفرغتها من القوى البشرية التي استقرت في الأمصار، وكانوا بحاجة لدعم لم يتوافر لهم في الحجاز، لذا قرروا البحث عن مكان أكثر ملاءمة، وأكثر بعدًا عن نفوذ الخليفة الذي لن يجد صعوبة في القضاء على حركتهم في هذا المكان[2]، وجرى نقاش حاد حول اختيار المكان الذي سيذهبون إليه، ويدل ذلك على أن المتحالفين لم يملكوا الرؤية السياسية الواضحة، وبدا عليهم الارتباك بشأن الخطوة التالية، مما أتاح للناشطين من الأمويين توجيههم وفق مصالحهم، بإبعاد أنظار قادة الحلف عن الشام لتجنيبها معركة آتية.[3]

وتظهر رواية عن الزهري أن السير لمواجهة علي (عليه السلام) في المدينة كان أولى الآراء المطروحة **فقال:" فاجتمعوا في بيت عائشة، فأرادوا الرأي، فقالوا: نسير إلى علي فنقاتله فقال بعضهم :ليس لكم طاقة بأهل المدينة ولكنا نسير حتى ندخل البصرة والكوفة ولطلحة بالكوفة شيعة وهوى وللزبير بالبصرة هوى ومعونة فاجتمع رأيهم على أن يسيروا إلى البصرة وإلى الكوفة"**[4].إن ما نص عليه الزهري في تلك الرواية يعد من الأهمية بمكان لما فيه من إشارة صريحة إلى أن أقطاب الحلف كانوا يخططون منذ البدء للخروج على حكومة الخليفة الشرعي، وقتاله، إلا أنهم اختلفوا في المكان والبلد المناسب لإنجاح ذلك المخطط، وفي رواية أخرى للطبري عن سيف ذكر إن اقتراح التوجه للمدينة كان من رأي عائشة لكنه لم يلق قبول بقية الأطراف فقالوا لها:"**دعي المدينة فإن من معنا لا يقرنون لتلك الغوغاء التي بها، واشخصي معنا إلى البصرة فإنا نأتي بلدا مضيعا،وسيحتجون علينا فيه ببيعة علي بن أبي طالب فتنهضينهم كما أنهضت أهل مكة ثم تقعدين،فإن أصلح الله الأمر كان الذي تريدين، وإلا احتسبنا ودفعنا عن هذا الامر بجهدنا حتى يقضي الله ما أراد** .[5]

([1]) البلاذري، أنساب الأشراف، ؛ الطبري، تاريخ الرسل، ج3، ص471.

([2]) بيضون، الإمام علي في رؤية النهج ورواية التاريخ، ص74.

([3]) طقوش، تاريخ الخلفاء الراشدين، ج1، ص439.

([4]) البلاذري، أنساب الأشراف؛ ج2،ص221؛الطبري، تاريخ الرسل،ج3، ص471

([5])الضبي، الفتنة ووقعة الجمل،ص114؛الطبري،تاريخ الرسل،ج4،ص450.

أما الرأي الثاني، فقد تبناه الزبير الذي كان يرى الخروج إلى الشام، ويبدو أنه كان يعول على معاوية لعدائه المعلن لعلي (عليه السلام) [1]، فضلًا عن وعوده بأخذ بيعة أهل الشام لهم، ولأنه ابن عم الرجل (أي عثمان) على حد قوله في رواية ابن قتيبة :" **بها الرجال والأموال، وعليها معاوية، وهو ابن عمّ الرجل، ومتى نجتمع يولّنا عليه.**"[2]

لقد جوبه هذا الرأي بمعارضة رجالات بني أمية بناءً على توصيات معاوية كما أشرنا، إذ سارع عبد الله بن عامر لتذكيرهم وتحذيرهم بأن الشام تحت سلطان معاوية وأنه ليس من السهل أن يتنازل لهم عن سلطانه،و في نفس الوقت زين لهم أن من المصلحة ترك الشام لتبقى آمنة فيلجأوا إليها إذا ما إنهزموا، فقال:" **أن معاوية قد سبقكم إلى الشام وفيها الجماعة، وأنت تقدمون عليه غدا في فرقة وهو ابن عم عثمان دونكم،أرأيتم إن دفعكم عن الشام،أو قال: اجعلها شورى، ما أنتم صانعون؟ أتقاتلونه أم تجعلونها شورى فتخرجا منها؟ وأقبح من ذلك أن تأتيا رجلا في يديه أمر قد سبقكما إليه،وتريدا أن تخرجاه منه، فقال القوم: فإلى أين؟ قال: إلى البصرة**"[3].

وفي الواقع إنه محقًا، فمن السذاجة التصديق بأن معاوية سيسلمهم الشام بعد تربعه على عرشها طيلة العهود السابقة وهذا ما أفصح به الوليد بن عقبة، الذي كان حانقًا على معاوية لعدم نصرته لعثمان، فقال:"**إنّ عثمان قد كان استعان بمعاوية لينصره... فلم يفعل وتربّص حتى قُتل ليتخلّص له الشام، أفتطمع أن يُسلّمها إليكم ؟ مهلاً عن ذكر الشام وعليكم بغيرها**"[4] وتشير رواية سيف ان طلحة والزبير كانا يتمنيان لو أن ابن عامر تمسك بولايته للبصرة ، فيتوجهان للكوفة لتضييق الخناق على علي(عليه السلام) فجاء فيها:" **قالوا قبحك الله فوالله ما كنت بالمسالم ولا بالمحارب فهلا أقمت كما أقام معاوية فنكتفي بك ونأتي الكوفة فنسد على هؤلاء القوم المذاهب برواية فنسد على هؤلاء القوم المذاهب**"[5].

أما عبد الله ابن عامر ظل يزين لهم الخروج إلى العراق دون غيرها بقوله: " **نسير إلى العراق، فلطلحة بالكوفة شيعة، وللزبير بالبصرة من يهواه ويميل إليه فاجتمعوا على المسير إلى البصرة**"[6].

ويبدو أن الذي دفعهم لترجيح كفة البصرة على الكوفة أسباب عدة منها:

([1]) ابن أعثم، الفتوح، ج2، ص453.

([2]) الإمامة والسياسة، ج1، ص79.

([3]) ابن قتيبة، الإمامة والسياسة، ج1، ص79.

([4]) ابن أعثم، الفتوح، ج2، ص453.

([5]) الضبي، الفتنة ووقعة الجمل،ص114؛الطبري،تاريخ الرسل،ج4،ص450؛ابن الاثير،الكامل في التاريخ،ج3،ص208.

التاريخ،ج3،ص208.

([6]) البلاذري، أنساب الأشراف، ج2، ص221.

1. لعلمهم بميل أهلها للإمام علي(عليه السلام) [1]، بينما تحتفظ البصرة بود معين تجاه عثمان فضلًا عن ما يحتفظ فيها ابن عامر من علاقات وصنائع[2]، ولاريب إن نفوذه، سيساعدهم في استقطاب الناس والحصول على معلومات ضروريّة تخدم موقف الحرب.[3]

2. والأهم من ذلك هو ما تتمتع به البصرة بحكم أنها كانت قاعدة عسكرية، بعيدة نسبيًا عن نفوذ حكومة علي(عليه السلام) وقربها من الأمصار والولايات المفتوحة وهذا ما سيفسح لهم المجال لترتيب الصفوف وتحشيد الأنصار[4] فيتضح من ذلك ان اختيار الأمويين للبصرة كان خيارًا مدروسًا، كما لا يمكننا إغفال دهاء صاحب الخطة معاوية ومعرفته بالاستراتيجيات الحربية.

2ـ استقطاب الأنصار لدعم الحركة:

سعى أقطاب حلف المعارضين، لاستقطاب أطراف وقوى جديدة تتمتع بالحيادية، ويكون لها ثقلًا لدعم الحركة والتأثير في الرأي العام داخل أوساط المجتمع الحجازي، فروي أنهم حاولوا إقناع عبد الله بن عمر بأنه أحق بالخلافة لينظم إليهم فقالا له: "**إن أمنا عائشة خفت لهذا الأمر، رجاء الاصلاح بين الناس، فاشخص معنا، فإن لك بها أسوة، فإن بايعنا الناس فأنت أحق بها . فقال ابن عمر : أيها الشيخان،أتريدان أن تخرجاني من بيتي ثم تلقياني بين مخالب ابن أبي طالب؟ إن الناس إنما يخدعون بالدينار والدرهم. وإني قد تركت هذا الأمر عيانا في عافية أنالها** "[5]. ورغم قساوة وصفه، لسيف الإمام الذي طالما كان عونًا للإسلام إلا أن رأيه كان أكثر رجاحة وحكمة من اولئك المغامرين، رغم أن موقفه من حكومة الإمام علي (عليه السلام) وحروبه لم يكن على ما يرام [6]، ويضيف الرواة أنهم أعادوا المحاولة معه تحت إلحاح من مروان بن الحكم، كما أشار عليهم أن يستعينوا بأخته حفصة لإقناعه[7]، فعادوا أليه أليه وبينوا له عزمهم على إرجاع الشورى، فقالوا:" **إن عليا يرى إنفاذ بيعته، وإن معاوية لا يرى أن يبايع له، وإنا نرى أن نردها شورى فإن سرت معنا ومع أم المؤمنين صلحت الأمور وإلا فهي الهلكة**"[8]. وهنا وهنا نلحظ أن مزاعم الإصلاح قد تبددت، بكشفهم عن نواياهم الحقيقية، بإرجاع الشورى وإسقاط حكومة علي(عليه السلام) لأنهم يرون في استمرارها الهلكة وتبدد مصالحهم الدنيوية. وتنص الرواية على أن ابن عمر

([1]) الريشهري، موسوعة الإمام علي (عليه السلام) في الكتاب والسنة، ج5، ص120.

([2]) طقوش، تاريخ الخلفاء الراشدين، ج1، ص439.

([3]) الريشهري، موسوعة الإمام علي(عليه السلام)، ج5، ص120.

([4]) ينظر: علي محمد، الزبيريون وحرب الحمل، ق1.

([5]) ابن قتيبة، الإمامة والسياسة، ج1، ص81.ينظر:ابن أعثم، الفتوح، ج2، ص453.

([6]) حيث كان ممن تلكأ في بيعته ومن ثم إنضم لتيار إعزال الفتنة. المسعودي، مروج الذهب، ج2، ص354؛ ابن حبان، المستدرك على الصحيحين، ص125؛ المفيد، الجمل ، ص44.

([7]) ابن قتيبة، الإمامة والسياسة، ج1، ص81

([8]) ابن قتيبة، الإمامة والسياسة، ج1، ص80.

استمر بموقفه السلبي تجاههم وواجههم بأفضلية وأحقية علي(عليه السلام) لأن الناس قدوموه بالبيعة، عليهم ونصحهم بقوله:" **اعلما أن بيت عائشة خير لها من هودجها، وأنتما المدينة خير لكما من البصرة... وأما الشورى فقد والله كانت،فقدم وأخرتما،ولن يردها إلا أولئك الذين حكموا فيها**"[1] .

3ـ دعوة أزواج النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) للخروج:

أشار الطبري في رواية عن سيف بن عمر إلى أن عائشة وقادة الحلف حاولوا استدراج بقية أزواج النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) للحصول على تأييد وشرعنة حركتهم، فأرسلت إليهن ودعتهن للانضمام في التمرد عليه، فاستجابة إليها من بينهن كما هو متوقع حفصة بنت عمر التي أراد الرحيل معها لولا أن أخاها عبد الله منعها من ذلك فأعتذرت لعائشة عن تخلفها[2]، في الواقع إن موقف حفصة هذا يعد أمرًا متوقعًا فلطالما كانت ظهيرة لرأي عائشة منذ حياة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) [3]،وتؤكد نصوص أخرى على استجابتها لطلب عائشة فجاء في الفتوح:" **ثمّ إنّها بعثت إلى حفصة، فسألتها أن تخرج معها إلى البصرة،فأجابتها حفصة إلى ذلك.**" [4] وقال ابن الأثير:" **أجابتهم حفصة إلى المسير معهم،فمنعها أخوها**"[5]،أيضًا نقل ذلك الخبر ابن أبي الحديد عن أبي مخنف وأشار الى أنها كانت قد همت للرحيل لولا لولا موقف أخيها.[6]

من باب آخر، فقد ورد في بعض المصادر في إخبار النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) لعلي (عليه السلام) بما سيكون من خروج بعض نسائه عليه : "**وتخرج فلانة عليك في عساكر الحديد وتخلف الأخرى تجمع إليها الجموع** "[7]. إلا إن ما يثير الاستغراب هو ما أضافه الرواي سيف بن عمر بتعميم ذلك الموقف على بقية نساء النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) فقال:" **وقد كان أزواج النبي**(صلى الله عليه وآله وسلم) **معها على قصد المدينة فلما تحول رأيها إلى البصرة تركن ذلك وانطلق القوم بعدها إلى حفصة فقالت: رأيي تبع لرأي**

([1]) ابن قتيبة، الإمامة والسياسة، ج1، ص80.

([2])الضبي،الفتنة ووقعة الجمل،ص114؛الطبري،تاريخ الرسل،ج3،ص470؛ابن حبان، السيرة واخبارالخلفاء،ج2،ص532.

([3]) تم الوقوف على ذلك في تفسير آية التظاهر على النبي(صلى الله عليه وآله وسلم). ينظر:ص61 ، وقصة قوله(صلى الله عليه وآله وسلم) لهما:" **إنكن لصواحب يوسف**" في ص 69من الرسالة.

([4]) ابن أعثم، الفتوح، ج2، ص455.

([5]) الكامل في التاريخ، ج3،ص208.

([6]) الشرح، ج6، ص225.

([7])ابن طاووس،طرف من الأنباءوالمناقب،ص486؛العطاردي،مسندالإمام الكاظم(عليه السلام)،ج2،ص299.

عائشة"[1]. لكن الرواي لم يذكر لنا أسم أي منهن عدا حفصة وأم سلمة، فقال في موضع آخر:" **فلّما كان ما كان وخرجت عائشة نحو البصرة واجتمعن إلى عائشة وفيهنّ حفصة وأمّ سلمة** "[2].

ويبدو أن الراوي حاول الادعاء بأن أم سلمة كانت كحفصة و كغيرها من بقية أزواج في دعم موقف عائشة ورأيها في خروجها على الخليفة علي (عليه السلام) إلى المدينة.إلا إن هذا التلفيق لا يصمد أمام ما تناقله الرواة وأصحاب السير حول موقف أم سلمة وتحذيرها لعائشة، فروي أنها حاولت جاهدة ثنيها عن الخروج للبصرة، وقد تناقل الرواة وأصحاب السير رسالتها الطويلة لعائشة تطالبها بحفظ عهد الله ورسوله (صلى الله عليه وآله وسلم) وعدم هتك حجابه وأن خروجها على علي (عليه السلام) خطأ، لمنزلته في الإسلام، ولأن ذلك لا يليق بزوجة نبي (صلى الله عليه وآله وسلم) فقال: "وذكروا أنه لما تحدث الناس بالمدينة بمسير عائشة مع طلحة والزبير، ونصبهم الحرب لعلي،وتألفهم الناس، كتبت إليها:" **فإنك سدة بين رسول الله وبين أمته، وحجابك مضروبٌ على حرمته. قد جمع القرآن الكريم ذيلك فلا تندحيه**[3] **وسكّن عقيرتك**[4] **فلا تصحريها**[5]**. الله من وراء هذه الأمة، قد علم رسول الله مكانك لوأراد أن يعهد اليك. وقد علمتِ ان عمود الدين لا يثبت بالنساء إن مال... وما كنتِ قائلة لرسول الله** (صلى الله عليه وآله وسلم) **لوعارضك بأطراف الجبال والفلوات،على قعود من الابل،من منهل الى منهل؟ان بعين الله مهواك،وعلى رسول الله**(صلى الله عليه وآله وسلم) **تردين،وقد هتكتِ حجابه الذي ضرب الله عليك،وتركت عهيداه ! فاجعلي حجابك الذي قد ضرب عليك حصنك. فابغيه منزلاً لك حتى تلقيه. فإن أطوع ما تكونين إذا ما لزمته، وأنصح ما تكونين إذا ما قعدتِ فيه. ولو ذكرتكِ كلاماً قاله رسول الله**(صلى الله عليه وآله وسلم) **لنهشتني نهش الحية. والسلام." فكتبت اليها عائشة: " ما أقبلني لوعظك،وأعلمني بنصحك!...ولنعم المطلع مطلعٌ فزعت فيه إليّ فئتان متناجزت فإن أقدر ففي غي حرج،وإن أحرج مالي ما لا غني بي عن الازدياد منه، والسلام** ."وهذا النص هو نقلًا عن ابن قتيبة [6] ويتضح منه أنها أرسلت الكتاب من المدينة، الشيء ذاته يظهر في رواية

([1])الضبي،الفتنة ووقعة الجمل،ص114؛الطبري،تاريخ الرسل،ج3،ص470؛ابن حبان،السيرة النبوية ،ج2، ص532.

([2]) الضبي، الجمل ومسير عائشة، ص 283. لم ينقل الطبري هذا الجزء من رواية سيف.

([3]) أي لا توسعيه بالخروج والحركة. ابن أبي الحديد، الشرح، ج6، ص221.

([4]) أصلها من عقر الدار ، والمعنى : سكّني نفسك التي وجب عليها ان تلزم مكانها. ولا تصحريها : لا تبرزيها وتجعليها بالصحراء ، ابن ابي الحديد، الشرح، ج6، ص221. ص222.

([5]) أي غاية ما يحمد منهنّ. ابن ابي الحديد، الشرح، ج6، ص222.

([6]) ابن قتيبة، الإمامة والسياسة، ج1، ص76؛ غريب الحديث والأثر، ج2، ص486؛ الصدوق، معاني الأخبار، 375.

رواية الصدوق[1] والمجلسي[2] كما أشار ابن طيفور إلى أن بعض النسخ ورد فيها كلام أم سلمة الآنف على أنهك تابًا وليس محادثة بينهما[3].

وقد اختلفت المصادر الأخرى بالقول أنها كانت في مكة ذلك العام أن ذلك كان حوارًا جرى بين الثنتين عندما حاولت عائشة إشراك أم سلمة معها أو كسب تأييدها على الأقل.[4]

وعلى أية حال؛ فرغم ذلك الاختلاف فإن مضمون كلام أم سلمة متفق عليه وقد عنيت كتب اللغة والشراح بتفسير غريب ألفاظه[5] وإن ما يهمنا هاهنا مدى حقيقة خروج أم سلمة لمكة في ذلك العام و ما سبب وجودها في مكة في ذلك العام، هل كانت قاصدة للحج حقًا؟ أم أنها خرجت مع بقية أزواج النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) خوفًا من الفتنة كما يدعي سيف بن عمر وغيره.

فقد أشار ابن ابي الحديد في شرحه لرسالة أم سلمة أنها كانت تطالبها بتطبيق قوله تعالى : **((وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى))**[6][7]، المتفق عليه أن تلك الآية وما ورد في سورة الأحزاب الأحزاب نزل لمخاطبة نساء النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) دون غيرهن[8]،للتحذير من قضية هامة رسم منهج تربوي بهن يحصّنهنّ من الإضرار بالإسلام والمسلمين، لما يمكن أن يؤدّينه من دور في مستقبل الإسلام بعد رحيل النبيّ (صلى الله عليه وآله وسلم) ، ولما يحتمل من تأثير أحد عليهن في ظلّ الاعتداد والتمتّع بلقب أمّ المؤمنين، فيُضللن الامّة التي لم تواكب وقائع العهد النبوي عن قرب، فجاءت تلك الآيات للنهي عن ارتكابهنّ ما يعرقل ويعيق دور الزعماء الواقعيين للإسلام [9].وجاء في بعض كتب التفسير أن النساء سألن سألن رسول الله بعد نزول الآية :" **لقد ذهب الرجال بالفضل والجهاد فهل لنا عمل ندرك به فضل؟ فقال :**

([1]) معاني الأخبار، ص375.

([2]) بحار الأنوار، ج32، ص154.

([3]) بلاغات النساء، ص 8.

([4]) الإسكافي، المعيار والموازنة، اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج2، ص181.ابن أعثم، الفتوح، ج2، ص454؛ ابن عبد ربه، ربه، العقد الفريد، ج5، ص166؛ لقاضي النعمان، شرح الأخبار، ج1، ص380؛ المفيد،الإختصاص، ص116.

([5])ابن قتيبة،غريب الحديث،ج2،ص48؛الزمخشري،الفايق،ج2،ص168؛ابن أبي الحديد،الشرح، ج6، ص217.

([6]) الاحزاب :الآية (33)

([7]) ابن أبي الحديد، الشرح، ج6، ص221.

([8])عدا آية التطهير التي أجمع المفسرون على أنها تختص بآل البيت (أصحاب الكساء)،عليهم السلام. ينظر: الحلي، نهج نهج الحق ،ص133؛المرعشي،شرح إحقاق الحق، ج2، ص502؛ العاملي، أهل البيت في آية التطهير، ص25.

([9]) اللنكراني؛الإشراقي،آية التطهير رؤية مبتكرة، ص17.

من قعدت منكن في بيتها تدرك عمل المجاهدين." [1]وعلق الآلوسي بقوله إن خروجهن حرام إذا تحقق منه الفتنة وعظمت مفسدته [2].وقد ورد العديد من الأحاديث المتواترة عن النبي(صلى الله عليه وآلوسلم)أمرهن بلزوم بلزوم بيوتهن، منها قوله لهن بعد اصطحابهن لإداء فريضة الحج في حجة الوداع :"**هذه ثم ظهور الحصر**"[3]

([1])البزاز البحر الزخار،ج3،ص339؛ابن كثير، تفسير القرآن العظيم،ح6،ص409؛ السيوطي،الدر المنثور،ج6، ص600؛ ص600؛ الآلوسي، روح المعاني، ج11، ص188.

([2]) روح المعاني، ج11، ص188

([3]) ابن حنبل، المسند، ج15، ص476، ج36، ص236، ص240؛ أبو داوود، السنن، ج2، ص140؛ صحيح ابن حبان، ج9، ص200؛ الطبراني، المعجم الكبير، ج3، ص253؛ البيهقي، السنن الكبرى، ج5، ص372.

المطلب الثاني / روايات أحداث المسير الى البصرة :

أولًا: رواية الخروج الى ذات عرق(يوم النحيب) :

بعد إتمام قادة حركة الجمل في مكة استعدادات المسير نحو البصرة، سلكوا طريق ذات عرق، وقد أورد الطبري عن سيف بن عمر رواية تقول، أن قافلة عائشة لم تخرج مع قطاعات العساكر التي يتقدمها طلحة والزبير، فقال: **خرج الزبير وطلحة ففصلا، ثم خرجت عائشة فتبعها أمهات المؤمنين إلى ذات عرق، فلم ير يوم كان أكثر باكيا على الإسلام أو باكيا له من ذلك اليوم، كان يسمى يوم النحيب وأمرت عبد الرحمن بن عتاب، فكان يصلي بالناس، وكان عدلا بينهم**"[1]. أي أنها تأخرت عنهم لتوديع أزواج النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) اللاتي خرجن لتشييع رحلها إلى ذات العرق.

ولنا أن نتساءل أيُ نساؤه (صلى الله عليه وآله وسلم) كانت في مكة في ذلك العام؟ ومن هن اللاتي خرجت لذلك التشييع؟ وما الغاية من خروجهن إلى ذات عرق التي ينهل منها حجيج العراق والتي أنها تبعد عن مكة نحو ثلاث مراحل[2] أي مسير نحو يومين أو أكثر[3].

إن رواية الطبري التي نقلها عن سيف مختزلة وغير مفهومة، والسبب في ذلك أن الطبري أحجم عن نقل رواية سيف المفصلة لتلك الحادثة، وقد اقتضت الدراسة الوقوف عليها من كتاب سيف المحقق مؤخرًا على يد العطار، لما فيها من تبيان للدوافع الحقيقة للراوي من اختلاقه لتلك الحادثة فجاء عنده:" **كان عمر بن الخطاب يحجّ بأزواج النبيّ** (صلى الله عليه وآله وسلم) **في كلّ عام فيجعل عثمان في أول القطار وعبد الرحمن بن عوف في آخر القطار وفعل ذلك عثمان من بعده . فلمّا كان عند حضور الحجّ حجّ من حجّ منهن في غير ما كنّ يحججن معروريات[4]مخلّيات، فخرجوا إلى الحجّ ذلك العام باكيات معولات، فلّما كان ما كان وخرجت عائشة نحو البصرة واجتمعن إلى عائشة وفيهنّ حفصة وأمّ سلمة يودّع بعضهنّ بعضاً، ثمّ صدرن باكيات معولات قد يئسن ان يعود اليهنّ ما كنّ فيه أبدا يدعون الله على غزاة المدينة ويدعو الناس معهم**"[5] . بعد قراءة ذلك النص والتمعن بألفاظه نلحظ أنها تحمل عدة مداليل وأفكار أراد الراوي تمريرها وترسيخها لتصبح جزءًا من الموروث التأريخي الإسلامي، منها:

أـ دعم وتأييد أزواج النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) **بصورة خاصة والرأي العام بصورة عامة لحركة عائشة:**

([1]) الجمل ومسير عائشة وعلي، ص283؛ تاريخ الرسل والملوك، ج3، ص478.ينظر: ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج3، ص209؛ النويري، نهاية الأرب، ج2، ص30؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج7، ص258.

([2]) ينظر: ابن خرداذبة، المسالك والممالك، ج1، ص132؛ البلادي، عاتق، معالم مكة ، ج1، ص183.

([3]) المرحلة: وفق ما أشار له الشراح هي مسيرة يوم أو نهار بسير الإبل. ينظر: الحميري، شمس العلوم، ج4، ص2448؛ الفيومي، المصباح المنير، ج1، ص223؛ قلعجي؛ قتيبي، معجم لغة الفقهاء، ج1، ص421.

([4]) من العرة والمعرة:الشدة في الحرب.ابن منظور،لسان العرب، ج4،ص556،ص558.

([5]) الجمل ومسير عائشة، ص 283. لم ترد تلك الرواية ضمن الروايات التي نقلها الطبري عن سيف .

هدف الراوي إلى التأكيد على إيجابية موقف بقية أزواج النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وتأييدهن لموقف عائشة في الخروج مع ناكثي البيعة ومعارضي حكومة الإمام علي (عليه السلام) ، بل نجد أنه راح الى أكثر من ذلك إذ أشار الى استعدادهن لمرافقة ذلك الجيش عندما كان رأيهم التوجه للمدينة، الا أنهن تراجعن عندما تغيرت الوجهة للبصرة،ولقد مهد الراوي لتلك الفكرة، من خلال تضمينها [1] والدس لها في مواضع عدة فقال في روايته لمحاورات واجتماعات الناكثين في مكة قبل الخروج :"**وقد كان ازواج النبي** (صلى الله عليه وآله وسلم) **معها على قصد المدينة، فلما تحول رأيها إلى البصرة تركن ذلك، وانطلق القوم بعدها إلى حفصة، فقالت: رأي تبع لعائشة**[2] وبعد أن برر عدم مرافقتها لاستصعاب الخروج للبصرة، صنع خبر مسيرهن معها الى ذات عرق لتوديعها والبكاء معها على حال الإسلام، ليأكد على استمرارهن بتأييد موقفها.

ولو دققنا وتتبعنا ما جاء به من الأخبار نجد أنه هدف من خلال خبر يوم النحيب إلى ترسيخ فكرة تأييد الرأي العام والصحابة لحركة الجمل، فأشار الراوي إلى مشاركة شخصيات من الصحابة في توديع ركب عائشة الى ذات عرق، لكنه لم يشر إلا لأثنين: عبد الله بن عمر و شخصية مختلف في صحبتها وهو عبد الرحمن بن إبزي [3] وروى عن الأخير انه قال:" **أنا رحَّلتُ بعير عائشة وشيّعتها وقدناها إلى ذات عرق، فلمّا انحدرت ردَّتنا وردَّت سائر الصحابة وسلَّمت علينا ثمّ قالت : اللهم انّك تعلم أنى لم أرد الّا الصلح**"[4]، ولنا أن نتساءل إن كان مقصدها الصلح، لماذا تخلف أولئك الصحابة عن نصرتها والخروج معها و إكتفوا بتشييع رحلها؟ ولما منع ابن عمر أخته من مرافقتها، كما إمتنع هو من ذلك؟

وعود على بدء، نلحظ أن الراوي سعى لدس السم في العسل، فقد نقل لنا بوصفه لمشهد خروج أزواج النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) من المدينة بقوله: " **فلمّا كان عند حضور الحجّ حجّ من حجّ منهن في غير ما كنَّ يحججن معروريات مخلّيات، فخرجوا إلى الحجّ ذلك العام باكيات معولات قد يئسن أن يعود ما كن**

([1]) التضمين:مصطلح روائي ، يقصد به عملية ادخال مقصد جديد لرواية معينة على أن يكون من جنسها أي ضمن موضوعها العام الذي بنيت عليه قبل أن يقع عليها التضمين. الخفاجي، مصطلحات مستحدثة، ص42.

([2])الضبي،الجمل ومسير عائشة،ص269؛الطبري تاريخ الرسل،ج3،ص270.ينظر:ابن حبان،السيرة النبوية،ج2، ص532؛ الثقات،ج2،ص279.

([3]) عبد الرحمن بن أبزي مولى لنافع بن عبد الحارث الخزاعي، اختلف في صحبته للنبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ، فقيل أنه له صحبة ، وقال البعض أنه تابعي و لم يدرك النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ، كان مولاه نافع واليًا لعمر بن الخطاب على مكة فخرج ذات مرة وتركه نائبًا فيها، وقيل أن سكن الكوفة بعد ذلك، وولاه علي (عليه السلام) خراسان، ذكر الذهبي أنه عاش لنحو نيف وسبعين عامًا. ينظر: سير اعلام النبلاء،ج3،ص203.

([4]) الضبي، الجمل ومسير عائشة وعلي، ص 184. ولم ترد تلك الرواية عند الطبري.

فيه أبدا "[1] فيبدو أن هذا الكلام ماهو الا محاولة من الراوي لرسم فكرة سلبية عن عهد الإمام علي (عليه السلام) وأنه جلب الويلات والهوان للأمة مقارنة بالعهود السابقة، كما أعطى صورة إيجابية لموقف المجتمع الإسلامي من منظومة الخلافة التي قامت بعد وفاة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) مصورا ذلك ببكاء أزواجه وتحسرهن على زوال تلك الأيام، وقوله أنهن يأسهن أن يعود اليهن ذلك العز فالمقصد أن المسلمين لن ينعموا بعد عثمان، بالعز الذي كانوا فيه . فهو يقارن خروجهن للحج في تلك السنة بالسنوات السابقة في عهد الخليفتين عمر وعثمان، عندما كان عثمان بن عفان وعبد الرحمن يتوليان مهمة حماية رحلهن في الطريق وإنزالهن في الشعاب [2].

ولا ندري مدى صحة تلك الروايات، فكلاهما ليس بمحرم لنساء النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ليحجوا بهن ويتولوا أمرهن، في الطريق، مما يجعل تلك الروايات موضع للشك ولربما أراد الرواة منها وضع الفضائل والأدوار التشريفية لهما، وإشراكهم بفضائل ثابتة لعلي (عليه السلام) ؛لا سيما إذا عرفنا أن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ، أوكل أمر أهله ونسائه الى ابن عمه وأخيه علي (عليه السلام) فجاء في أحد ألفاظ حديث الدار الذي رواه ابن حنبل أن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) عندما دعى عشيرته المقربين بقوله : " **من يضمن عني ديني ومواعيدي، ويكون معي في الجنة،ويكون خليفتي في أهلي؟**" فلم يجبه أحد منهم، **فقال علي أنا**"[3] وفي رواية قال: " **يا علي أنت ولي ووصيي وخليفتي في أهلي بمنزلةهارون موسى**"[4]، لذلك كانت تلك الوصاية من ضمن ما احتج به علي (عليه السلام) على أهل الشورى بقوله:" **أفيكم أحد استخلفه رسول الله في أهله وجعل أمر أزواجه إليه من بعده غيري؟ قالوا: لا**"[5]

ب ـ إبدال روايات نهي أم سلمة ومعارضتها لمسير عائشة: لم يذكر لنا الراوي من اللاتي خرجن للحج في عام الفتنة وإكتفى بقوله:" **حجّ من حجّ منهن في غير ما كنَّ يحججن**"لكنه عاد في حديثه عن خروجهن لذات عرق وركز على ذكر اثنتين فقط بقوله:"**واجتمعن إلى عائشة وفيهنّ حفصة وأمّ سلمة يودّع بعضهنّ بعضاً** " [6] .

هذا الإقحام من الراوي لشخصية أم سلمة في تلك الحادثة، يوضح لنا مدى إصرار الراوي على ترسيخ فكرة تأييد جميع نساء النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، وعدم خلافهن لها،ولعل غرضه من وراء ذلك

([1]) الجمل ومسير عائشة، ص 283.

([2]) للوقوف على تلك الروايات ينظر: ابن سعد، الطبقات، ج8، ص208ـ211.

([3]) المسند، ج2، ص225؛ فضائل الصحابة، ج2، ص650، ص700.

([4])الكوفي،المناقب،ج1،ص414؛البحراني،غاية المرام،ص249.وورد الحديث بألفاظ مختلفة ينظر:البغدادي،المتفق والمفترق،ج1،ص637؛ابن عساكر تاريخ دمشق،ج42،ص43؛ابن حجر،الاصابة،ج1، ص535.

([5])الطبرسي،الأمالي،ص550؛ الديلمي؛ إرشاد القلوب،ج2،ص261؛المجلسي، بحار الأنوار، ج31،ص379.

([6]) الضبي ،الجمل ومسير عائشة، ص 283.

ضرب الروايات والأخبار الواردة في موقف أم سلمة من عائشة وإلقائها الحجة عليها بتحذيرها وتذكيرها بوجوب الحفاظ على عهد الله وحجاب نبيه، فتلك الروايات لا تخدم المساعي التبريرية للراوي.

ولما كان الموقف الحقيقي لأم سلمة معروفًا لدى المؤرخين،كشف بعضهم مزاعم سيف حول تواجد أم سلمة في ذلك المشهد الدرامي الذي حبكه سيف وكر أنها عادت للمدينة، فقال ابن حبان في ذكره للحادثة الذي يتضح أنها نقلها مقتضبةً فقال: "**وشيعهم نساء النبي** (صلى الله عليه وآله وسلم) **وكان كلهن بمكة حاجّات إلا أم سلمة فإنها سارت إلى المدينة، فلما بلغوا ذات عرق ودعت أزواج النبي**(صلى الله عليه وآله وسلم) **وبكين وبكى الناس،فما رأوا بكاء أكثر من ذلك اليوم، وسمي يوم النحيب. وجعلن يدعون على قتلة عثمان الذين سفكوا في حرم رسول الله**(صلى الله عليه وآله وسلم) **الدم الحرام، ثم انصرفن ومضت عائشة وهي تقول: اللهم! إنك تعلم أني لا أريد إلا الإصلاح فأصلح بينهم.** [1] كما قال سبط ابن الجوزي:" **إن الصحيح من الروايات لم يكن بمكة في هذه السنة إلا عائشة وحفصة،وفي حفصة خلافٌ، وأن أم سلمة كانت بالمدينة** "[2]. ويعضد ذلك ما رواه الحاكم وصححه الذهبي أن الإمام علي لما سار علي (عليه السلام) للبصرة دخل على أم سلمة يودعها فقالت له: " **سر في حفظ الله وفي كنفه: فو الله إنك لعلى الحق: والحق معك: ولولا أني أكره أن أعصى الله ورسوله: فإنه أمرنا**(صلى الله عليه وآله وسلم) **أن نقر في بيوتنا لسرت معك ولكن والله لأرسلن معك من هو أفضل عندي وأعز علي من نفسي ابني عمر**[3]" [4] فموقف أم سلمة الداعم لجبهة أمير المؤمنين (عليه السلام) لا غبار عليه، وهناك عدة روايات تفند إدعاءات سيف منها أنّ أُمّ سلمة حلفت أن لاَ تكلّم عائشة من أجل مسيرها إلى حرب عليّ "**فلم تكلّمها حتّى ماتت**"[5]،ولم يكن يكن موقفها نابع من تحزب أو عاطفة تفتقر للنصوص الشرعية، بل كانت تستند على ما جاء في القران الكريم فتطالب عائشة بتطبيقه[6]، كما كانت تقدم الحجة بما سمعته من رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) "**علي مع القرآن والقرآن مع علي لن يتفرقا حتى يردا علي الحوض**"[7] وقد ورد عنها الحديث بمصادر أخرى وفيها أنها أضافت بقولها: "**ولقد بعثت ابني عمر وابن أخي عبد الله وأمرتهما أن يقاتلا مع عليّ**

([1]) السيرة النبوية وأخبار الخلفاء، ج2، ص533؛ الثقات، ج2، ص280.

([2]) مرآة الزمان، ج6، ص137.

([3]) عمر بن أبي سلمة عبد الأسود بن هلال بن عبد الله بن عمر المخزومي، ولد بالحبشة في سنة (2 هـ/ 623م)، وربّاه النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، وشهد مع علي (عليه السّلام) الجمل، وولاه بعدها البحرين، قيل أنه توفّي بالمدينة في (سنة 83 هـ/702). ابن الأثير، أسد الغابة، ج3، ص680.

([4]) ج3، ص129.

([5]) البيهقي،المحاسن والمساوىء، ص222.

([6]) ابن أبي الحديد، الشرح، ص221. ص222.

([7]) الطبراني، المعجم الأوسط، ج5؛ ص135؛ الحاكم، المستدرك، ج3، ص 134.

من قاتله،ولولا أنّ رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) **أمرنا أن نقرّ في حجالنا**[1] **أو في بيوتنا، لخرجت حتّى أقف في صف عليّ**"[2].

جـ ـ تبرير شرعية مسير عائشة للبصرة:

ومن ضمن الغايات السياسية والمذهبية التي كانت وراء اختلاق رواية يوم النحيب، هي شرعنة خروج عائشة للبصرة رغم وجود نصوص شرعية تأمر أزواج النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) بلزوم بيوتهن، بما ورد في الخطاب الإلهي الصريح لهن من سورة الأحزاب منها قوله: ((**وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الأُولَى وَأَقِمْنَ الصَّلاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا**)).[3] كما روي في الأحاديث المتواترة أن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) الحديث، عندما حج بنسائه قبل رحيله في عام الوداع أمرهن بالشيء نفسه بقوله :"**هذه ثم ظهور الحصر**"[4].لذلك ابتغى الراوي إثبات أن المنع لم يكن منعًا باتًا، من خلال تضمين الروايات القائلة بجواز سفر أزواج النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) للحج بعد وفاة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وأنهن كلهن كن قد إعتدن السفر فاستعان بما روي من أخبار خروجهن للحج زمن عمر وعثمان، إلا أنه أضاف فيها ما يحلو له فإدعى أن عمر كان يحج بهن كل عام وهذا الكلام لا صحة له فعند تتبع ما روي في تلك القصة، من الروايات التي جمعها ابن سعد، نجد أن جل ما فيها أن عمر كان يرى وجوب منع أزواج النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) من الخروج والحج، ثم أنه عدل عن رأية وحج بهن في السنة التي توفي فيها، وقيل أنهن طلبن منه ذلك فوافق.[5]

والواقع إن مثل تلك النصوص لا تخلو أيضًا من الدس والوضع وتلاعب الرواة كما حاول البعض تضعيف حديث ظهور الحصر المتواتر، وقد أشار لذلك ابن حجر وبين ان حجتهم كانت اتهام رواته بالرفض والتشيع [6] ولعل السبب الحقيقي انه يدين ويخطأ عائشة في خروجها لوقعة الجمل .فيبدو أن الأقلام المأجورة تلاعبت بالحديث من خلال دس ما يخدم أغراضهم السياسية، فضاف فيه ابو هريرة :"

([1]) **الْحَجَلَةُ :بيت كالقبة يستر بالثياب وتكون له أزرار كبار، وتجمع على حجال .ابن الأثير ابو السعادات، النهاية في غريب الحديث، ج1، ص246؛ ابن منظور، لسان العرب، ج11، ص144.**

([2]) ابن مردويه، مناقب علي بن أبي طالب (عليه السلام)، ص118؛ الخوارزمي، المناقب، ص177؛ الأربلي، كشف الغمة في معرفة الأئمة، ج1، ص146.

([3]) الآية، (33).

([4]) ابن حنبل، المسند، ج15، ص476، ج36، ص236، ص240؛ أبوداوود، السنن، ج2، ص140؛ صحيح ابن حبان، حبان، ج9، ص200؛ الطبراني، المعجم الكبير، ج3، ص253؛ البيهقي، السنن الكبرى، ج5، ص372.

([5]) ينظر: الطبقات، ج8، ص208.211.

([6])شرح الباري، ج4، ص74.

فكن نساء النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) **يحججن إلا سودة وزينب فقالا لا تحركنا دابة بعد رسول الله** (صلى الله عليه وآله وسلم) "[1] أي لم تلزم من أزواج النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) سواهما، أما البقية فإنهن كن تأولن كلامه.

فأشار ابن حجر الى أن البعض جوزوا خروج عائشة لحرب الجمل بناءً على مثل تلك الأخبار فذهبوا إلى أن :" **العذر عن عائشة أنها تأولت الحديث المذكور كما تأوله غيرها من صواحباتها**"[2] وكما تأوله عمر بسماحه لهن بالسفر للحج بعد أن كان يرى وجوب الإلتزام بما أمرن[3]ولاندري ما الداعي لتأويل كلامه ومخالفة أمره، فالإسلام حدد فريضة الحج مرة في العمر و قد أدينها مع سيد الكائنات والمرسلين، وإن صحت الروايات القائلة بسماح عمر وعثمان لهن بالخروج فإن ذلك يعد مخالفة منهما أيضا؛ لقوله تعالى: "**وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا**"[4] فالمسألة أكبر من الكلام حول جواز خروجهن للحج أو العمرة،وإلا لما خصهن الباري بالمخاطبة دون غيرهن من النساء في عدة آيات من سورة الأحزاب[5] فلقد كان تحذيرًا من قضية هامة و لرسم منهج تربوي يحصّنهنّ من الإضرار بالإسلام والمسلمين، لما يمكن أن يؤدّينه من دور في مستقبل الإسلام بعد رحيل النبيّ (صلى الله عليه وآله وسلم) ولما يحتمل من تأثير أحد عليهن في ظلّ الاعتداد والتمتّع بلقب أمّ المؤمنين فيُضللن الامّة التي لم تواكب وقائع العهد النبوي الشريف عن قرب، فجاءت تلك الآيات للنهي عن ارتكابهنّ ما يعرقل المسيرة ويعيق دور الزعماء الواقعيين للإسلام .[6]
[6].

لكن البعض قرروا أن يحرفوا المعنى الحقيقي للآية، فيقول ابن تيمية الذي سار وفق نهج سيف ورواياته الهزيلة:" **والأمر بالاستقرار بالبيوت لا ينافي الخروج لمصلحة مأمور بها،كما لو خرجت للحج والعمرة. ولهذا كان أزواج النبي يحججن بعده كما كن يحججن معه، وإذا كان سفرهن لمصلحة جائزا فعائشة أعتقدت أن ذلك السفر مصلحة للمسلمين فتأولت في ذلك** "!! [7] أي أنهم أوجدوا أخبار خروج أزواج النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) للحج والعمرة بعد وفاته مخرجًا لتبرير وشرعنة خروج عائشة للبصرة رغم أن ذلك الفعل مخالفة صريحة لما أمرت به من الله ونبيه (صلى الله عليه وآله وسلم).

([1]) ابن حنبل، المسند،ج44،ص332؛ ابو يعلى، المسند، ج3، ص80؛ ص33؛ البيهقي، السنن الكبرى، ج5، ص372.

([2]) شرح الباري، ج4، ص74.

([3]) شرح الباري ،ج4، ص74.

([4]) الأحزاب: الآية (36)

([5]) الآيات(27-34).عدا آية التطهير،فقد أجمع المفسرون من الفريقين على أنها تختص بأصحاب الكساء (عليهم السلام) .ينظر :الحلي،نهج الحق،ص133؛المرعشي،شرح إحقاق الحق،ج2،ص502؛العاملي،أهل البيت في آية التطهير، ص25.

([6]) اللنكراني؛الإشراقي، آية التطهير رؤية مبتكرة، ص17.

([7]) مختصر منهاج السنة، ج1، ص192.ينظر: الذهبي، المنتقى من منهاج الاعتدال، ج1، ص224.

ولا ندري أين يكمن الإصلاح، فمن يخرج للإصلاح لا يحتاج لتجهير العساكر بعدد القتال، فضلًا عن أنها كانت مطلعة منذ البدء على المخطط الذي يهدف السير لقتال علي كما ورد عن الزهري [1] وهذا هو محل الخلاف فالإسلام خص الرجال دون النساء بالجهاد والخوض بأمور الحرب والسياسة وجاء في بعض كتب التفسير أن النساء سألن النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) بعد نزول الآية أعلاه فقلن له :" **ذهب الرجال بالفضل والجهاد فهل لنا عمل ندرك به فضل؟ فقال: من قعدت منكن في بيتها تدرك عمل المجاهدين** " [2]وعلق الآلوسي بقوله إن خروجهن حرام إذا تحقق منه الفتنة وعظمت **لقد** مفسدته [3] .

وهذا ما كتب به الإمام (عليه السلام) لعائشة، عندما قدم البصرة في محاولاته لثنيها عن إقحام نفسها بأمور الحرب والسياسة فقال:"**وأنت ياعائشة فإنك خرجت من بيتك عاصية لله ولرسوله،تطلبين أمرا كان موضوعا،ثم تزعمين أنك تريدين الإصلاح بين المسلمين؟!فخبريني ما للنساء وقود العساكر والإصلاح بين الناس** "[4].

([1]) البلاذري، أنساب الأشراف، ج2، ص221؛ الطبري، تاريخ الرسل، ج3، ص471.

([2]) البزاز، البحر الزخار، ج3، ص339؛ ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ح6، ص409؛ السيوطي، الدر المنثور، ج6، ص600؛ الآلوسي، روح المعاني، ج11، ص188.

([3]) روح المعاني، ج11، ص188

([4]) ابن أعثم، الفتوح،ج2، ص465؛ الخوارزمي،المناقب،ص184؛ ابن شهر آشوب، مناقب آل إبي طالب،ج2، ص338. ص338.

ثانيًا : روايات نزاعات الطريق:

أ- النزاع على إمامة الصلاة بين طلحة والزبير وابنيهما:

أشرنا سابقا الى رواية يوم النحيب التي نقلها الطبري عن سيف وقلنا أن الراوي ضمن خبرا في ذيل روايته قائلا: "**وأمرت عبد الرحمن بن عتاب، فكان يصلي بالناس،وكان عدلا بينهم**" [1] . وفي رواية أخرى أكد الراوي أن عبد الرحمن ظل يأم جيش الناكثين الى أن قتل في المعركة،بقوله: " **أمرت على الصلاة عبد الرحمن ابن عتاب بن أسيد، فكان يصلي بهم في الطريق وبالبصرة حتى قتل، وخرج معها مروان وسائر بني أمية إلا من خشع وتيامنت عن اوطاس وهم ستمائة راكب سوى من كانت له مطية فتركت الطريق ليلة وتيامنت عنها كأنهم سيارة ونجعة مساحلين لم يدن من المنكدر ولا واسط ولا فلج منهم أحد، حتى أتوا البصرة في عام خصيب** "[2]

لكن لو تتبعنا ما ورد في بطون المصادر التأريخية لوجدنا أن ذلك الخبر المزعوم من سيف مناقض لعديد من الروايات التي نصت على أن إمامة الصلاة كانت محلا للنزاع بين رؤوس ذلك الجيش ولابد من التوضيح أن إمامة الصلاة كان لها مدلولا سياسا أكثر مما هو دينيا فآنذاك من أم الناس بالصلاة يكون له الأمرة عليهم، فعلى ما يبدو أن الوئام وانسجام الرأي بين جموع الناكثين لم يدم طويلا فسرعان ما دب الخلاف بينهم بمجرد خروجهم من مكة، المطاع بينهم، فيروي الطبري من طريق آخر عن ابن عباس: " **وأذن مروان حين فصل من مكة ثم جاء حتى وقف عليهما ـ يعني طلحة والزبير ـ فقال: أيكما أسلم بالإمرة وأوذن بالصلاة؟ فقال عبد الله بن الزبير: على أبي عبد الله، ـ يعني أباه الزبير ـ وقال محمد بن طلحة: على أبي محمد ـ يعني أباه طلحة ـ فأرسلت عائشة رضي الله عنها إلى مروان فقالت: ما لك؟ أتريد أن تفرق أمرنا! ليصل ابن أختي، فكان يصلي بهم عبد الله بن الزبير حتى قدم البصرة** "[3]

بعد قراءة تلك الرواية لابد من الوقوف على ما مضامينها لمعرفة السبب الذي جعل سيف بن عمر يستبدلها برواية إمامة عبد الرحمن للصلاة وأهم ما استنتجه الباحث :

أولا: إن هذه الرواية تكشف وبوضوح هدف خروج أصحاب الجمل الى البصرة وسبب نكثهم لبيعة علي (عليه السلام) فلم يكن هدفهم الإصلاح أو الطلب بدم عثمان كما زعموا، فهذا النزاع على إمرة الصلاة ما هو إلا نزاع على الخلافة فخاف كل واحد أنه لو صلى خلف صاحبه تكون صلاته حجة عليه فيما بعد، فيصبح تابعا له،وهذا تعدي واضح على خلافة الإمام علي (عليه السلام) كونه الخليفة الشرعي، ويقول أحد المحققين حول موقف ذلك الموقف،لو لم يكن مقصدهم الطمع بالخلافة فما الباعث لعبد الله بن الزبير

([1]) الضبي، الجمل ومسير عائشة وعلي، ص283؛ تاريخ الرسل والملوك، ج3، ص478.

([2]) الضبي، الجمل ومسير عائشة وعلي،ص272.273؛ الطبري، تاريخ الرسل، ج3، ص473.

([3]) الطبري، تاريخ الرسل،ج3، ص473؛ابن الأثير، الكامل في التاريخ،ج3، ص209.

ومحمد بن طلحة أن يرشح كل واحد منهما أباه للأمارة؟؟ ولولا أن الزبير وطلحة متعطشان للأمارة لرفضا ترشيح ولديهما [1]

لاشك أن مبادرة مروان بذلك السؤال لم تخلو من المكر الأموي ولم تكن عبثا فيبدو إنه أراد يبث بذور الفرقة بين أصحاب الجمل لأنه وإن كان وافقهم في الخروج على علي (عليه السلام) إلا أنه بطبيعة الحال لم ينسَ موقفهم في حصار عثمان والتأليب عليه فمقتل عثمان بالنسبة لبني أمية هو زوال لسلطانهم، لذلك فأنه عمد الى قتل طلحة قبل أنهاء معركة الجمل رغم أنه كان يقاتل في صفوفهم ، ويبدو أن عائشة بفطنتها تنبهت لنواياه لذلك أرسلت إليه توبخه بقولها "**مالك أتريد أن تفرق أمرنا**" وسارعت بفض ذلك النزاع الذي أفتعله مروان بين صفوف جيشها، فأمرت ابن أختها الذي ظل يأم الصلاة طوال مسيرهم الى البصرة، وليس عبد الرحمن بن عتاب حسب إدعاء رواية سيف.

من باب آخر، فأن تدارك عائشة واحتوائها للموقف وجمعها فتات ذلك الجيش المتنافر؛ يمثل أجلى مظهر من مظاهر مقدرتها السياسية، فكما نلحظ أنها تستخلف من تشاء وتعين من تشاء، إذن هي ليست أميرة للجيش فحسب وإنما هي أميرة المؤمنين على حد تعبير أحد المحققين[2] ويمكن أن نستدل على ذلك الكلام بما قاله عنها أبو بكرة [3] في حديثه عن امتناعه عن نصرة جيش الجمل، قال :" **لمّا قدم طلحة والزبير البصرة تقلّدت سيفي وأنا أريد نصرهما، فدخلت على عائشة وإذا هي تأمر وتنهى، وإذا الأمر أمرها فذكرت حديثاً كنت سمعته عن رسول الله** (صلى الله عليه وآله وسلم) **: لن يفلح قوم تدبّر أمرهم امرأة،فانصرفت واعتزلتهم** "[4]

إن الشيء الغريب في معسكر جيش الناكثين، أن يتولى الأذان لصلاتهم رجلا كمروان بن الحكم، وكيف قبلوا أن يؤذن فيهم دون أن يمنعوه، فلا يخفى على أحد صحب النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) ،أنه كان

([1]) مكي، الجمل فيما جنى وحمل، ص299.

([2]) العسكري، أحاديث أم المؤمنين عائشة، ج1، ص258.

([3]) واسمه نفيع بن مسروق وفي بعض الحديث اسمه مسروح. وأمه سمية، وهو أخو زياد بن أبي أبيه لأمه، وكان عبدا بالطائف، فلما حاصر رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أهل الطائف قال: "أيما حر نزل إلينا فهو آمن، وأيما عبد نزل إلينا فهو حر"، فنزل إليه عدة من عبيد أهل الطائف، فيهم أبو بكرة فأعتقهم رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وكان أبو بكرة تدلى إليهم في بكرة فكنوه أبا بكرة، وله مع عمر بن الخطاب قصة مشهورة حيث جلده لانه شهد على المغيرة بن شعبة عندما أرتكب الفاحشة، سكن البصرة وأعتزل الجمل وصفين وقيل أنه وفد الى معاوية فيما بعد، قيل أنه توفي في البصرة سنة(52هـ/672م) .ينظر: ابن سعد، الطبقات، ج7، ص15؛ ابن عبد البر، الاستيعاب، ج4، ص11615؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج3، ص5.

([4]) ابن أبي الحديد، الشرح،ج6، ص227. وهو من الأحاديث التي أخرجها وصححها علماء الحديث، ينظر: البخاري، الصحيح،ج6، ص8، ج9، ص55؛ الترمذي،سنن الترمذي،ج4 ص527؛ النسائي، السنن الكبرى، ح5، ص402؛الحاكم، المستدرك، ج3، ص128؛ البيهقي، السنن الكبرى،ج3، ص127، ج10، ص201.

من الشجرة التي لعنها الله، فقد أخرج ابن أبي حاتم أن النبي قال: رأيت ولدالحكم بن أبي العاص على المنابر كأنهم القردة،وأنزل الله في ذلك ((**وَمَا جعلنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أريناك إِلَّا فتْنَة للنَّاس والشجرة الملعونة**))[1] يعني الحكم وولده"[2]، ورؤيا النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) حق، والآية القرآنية تصرح بأنهم فتنة للناس فكيف سمحوا له أن يقوم بهذه المهمة الجليلة، أم أنهم لم يجدوا رجلا محمود السيرة أفضل منه؟! والأحاديث التي جاءت بذمه ولعنه على لسان النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) كثيرة فلا يعقل أنهم لم يسمعوا بأي منها، أخرج الحاكم عن عبد الرحمن بن عوف أنه، قال: " **كان لا يولد لأحد مولود إلا أتي به النبي** (صلى الله عليه وآله وسلم) **فدعا له فأدخل عليه مروان بن الحكم، فقال: هو الوزغ بن الوزغ الملعون ابن الملعون** " **هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه** "[3]

والأكثر غرابة أن عائشة نفسها كانت من رواة حديث اللعن عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) فروي أنها قالت لمروان بن الحكم بعدما ساءت علاقتها بالأمويين:" **سمعت رسول الله يقول لأبيك وجدك أنكم الشجرة الملعونة في القرآن**"[4] إلا أنها لم تحاول منعه عن الأذان وأرسلت إليه توبخه لأنه أثار الفتنة بين قادة جيشها، مما يعني أنها تعلم ما يحمله هذا الرجل من الشر الا أنها لم تواجهه بهذا الحديث أو تطرده من جيشها لأنها كانت بحاجة للدعم الأموي آنذاك لمواجهة الامام علي (عليه السلام) وأكتفت بتوبيخه .

ولسنا بصدد البحث بسيرة مروان وآل الحكم، فقد أطبق المصادر على أنهم ملعونون على لسان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) [5] فما يهمنا ما يهمنا بالأمر أن عائشة أخفت هذا الحديث ولم تظهره بحرب الجمل لأن الأمويين كانوا عونا لها على علي (عليه السلام) ،ولما رأت فيما بعد استيلائهم على مقاليد الأمور أظهرت الحديث ووقفت مع أخيها لمنعهم، لاسيما بعد أن عزم معاوية على جعل الخلافة لولده وضرب قانون الشورى عرض الحائط، مقتفيا أثر ملوك فارس والروم كما ورد على لسان اخيها عبد الرحمن [6] الذي صدق قوله إذ أصبحت الخلافة وراثة حولوها الى ملكا عضوضا لا علاقة له بتعاليم الإسلام، ولو أن عائشة والصحابة فطنوا لخطط الأمويين، الذين حذر الله ونبيه (صلى الله عليه وآله وسلم) من فتنهم ومكرهم لما

([1]) سورة الإسراء، الآية(60).

([2]) السيوطي، الدر المنثور، ج5، ص309؛ الشوكاني، فتح القدير، ج3، ص285.

([3]) المستدرك على الحاكم، ج4، ص526؛ خليفات، قراءة في مسار الأموي، ص60.

([4]) مناقب علي بن ابي طالب (عليه السلام)، ص164؛ السيوطي، الدر المنثور، ج5، ص309؛ الشوكاني، فتح القدير، ج3، ص285

([5]) ينظر:النسائي، السنن الكبرى، ج10، ص257؛ القرطبي، تفسير القرطبي، ج16، ص179؛ الزمخشري، الكشاف، ج4، ص304؛ ابن كثير، تفسير ابن كثير، ج7، ص261؛ النسفي، مدارك التنزيل وحقائق التأويل، ج3، ص313؛ النويري، نهاية الأرب، ج2، ص352؛ الألباني، سلسلة الأحاديث الصحيحة، ج7، ص723.

([6]) النسائي، السنن الكبرى،ج10،ص257؛ القرطبي، تفسير القرطبي،ج16،ص179؛الزمخشري،الكشاف،ج4، ص304؛ ابن كثير، تفسير ابن كثير، ج7، ص261؛؛ النسفي، مدارك التنزيل وحقائق التأويل، ج3، ص313.

آل إليهم الأمر بتلك السهولة فنجد أنهم يتنازعون فيما بينهم على إمرة الصلاة وعائشة توبخ مروان خوفا على تفرق جيشها، دون الاكتراث الى الخطر الأموي الذي يرافقهم .

ولابد من الإشارة الى أن النزاعات بين قادة الجمل تجددت مرة أخرى بعد وصولهم الى البصرة وسيطرتهم على بيت المال وتغلبهم على واليها عثمان بن حنيف، وقد وصل حد النزاع الى حد التدافع والتجاذب بين طلحة والزبير فيقول اليعقوبي :"**وانتهبوا بيت المال وأخذوا ما فيه فلما حضر وقت الصلاة تنازع طلحة والزبير وجذب كل واحد منهما صاحبه حتى فات وقت الصلاة وصاح الناس الصلاة الصلاة يا أصحاب محمد فقالت عائشة يصلي محمد بن طلحة يوما وعبد الله بن الزبير يوما فاصطلحوا على ذلك**"[1]

إلا أن موازنة عائشة للأمور لم تجدي نفعا هذه المرة فما أن تقدم عبد الله للصلاة حتى نازعه محمد بن طلحة، ولم يحل النزاع بينهما الا الاقتراع ويروي تلك الحادثة ابن سعد في ترجمته لمحمد بن طلحة قائلا:" **ولما قدموا البصرة، فأخذوا بيت المال ختماه جميعا طلحة والزبير وحضرت الصلاة فتدافع طلحة والزبير حتى كادت الصلاة تفوت، ثم اصطلحا على أن يصلي عبد الله بن الزبير صلاة ومحمد بن طلحة صلاة، فذهب ابن الزبير يتقدم فأخره محمد بن طلحة،وذهب محمد بن طلحة يتقدم فأخره عبد الله بن الزبير عن أول صلاة، فاقترعا، فقرعه محمد بن طلحة، فتقدم، فقرأ سأل سائل بعذاب واقع**[2] " [3] لقد أثارت هذه الصورة انتقاد الناس وسخريتهم من تلك التصرفات فيذكر صاحب الأغاني أن أحد شعرائهم أنشد أبيات من الشعر قال فيها:**تبارى الغلامان إذْ صليا وشح على الْملاك شيخاهما**

وَمَا لِابن طَلْحَة وَابن الزبير وَهَذَا بِذِي الْجزع مولاهمـــــا

فأمهما الْيَوْم غرتهمـــا ويعلى بن منية دلاهمـــــا[4]

وتصور تلك البادرة على حد قول أحد الباحثين مدى تهالك القوم على الأمرة والسلطان وهم في بداية الطريق فلو كتب لهم النجاح في القضاء على حكم الامام لفتح بعضهم على بعض باب الحرب للاستيلاء على زمام الحكم [5].

إن أهم ما نستنتجه من تلك النصوص المخالفة لرواية سيف القائلة أن من كان يأم الناس للصلاة هو عبد الرحمن بن عتاب والزعم بأنه ظل قائماً بها طوال مسير الجيش أن الراوي سيف بن عمر وضع روايته تلك بغرض التغطية والتعتيم على تلك النزاعات لأنها تسيء لمكانة وصورة رموز الصحابة. فأسند

([1]) تاريخ اليعقوبي، ج2، ص181.

([2]) سورة المعارج، الآية(64).

([3]) الطبقات،ج5، ص54.

([4])ابوالفرج الأصفهاني،الأغاني،ج12،ص509؛الصفدي،الوافي بالوفيات،ج29،ص14؛ينظر :العاملي،الدرالنظيم،ص338.

([5]) القرشي، حياة الإمام الحسين (عليه السلام)، ج2، ص38.

مهمة الصلاة لعبد الرحمن بدلا من عبد الله ومحمد بن طلحة وهذا إبدال واضح للشخوص والأحداث من قبل الراوي.

ب: انسحاب سعيد بن العاص والمغيرة بن شعبة عن جيش الناكثين في أوطاس [1]

خلاف آخر دب في صفوف جيش الناكثين، وهم لا يزالون في مشارف مكة فيروي ابن قتيبة حوارات دارت بين كل من سعيد والمغيرة وعائشة ومروان فيقول "**ما نزل طلحة والزبير وعائشة بأوطاس من أرض خيبر أقبل عليهم سعيد ابن العاصي على نجيب له فأشرف على الناس ومعه المغيرة بن شعبة فنزل وتوكأ على قوس له سوداء فأتى عائشة فقال لها : أين تريدين يا أم المؤمنين ؟ قالت : أريد البصرة، قال : وما تصنعين بالبصرة ؟ قالت : أطلب بدم عثمان . قال : فهؤلاء قتلة عثمان معك، ثم أقبل على مروان فقال له : وأنت أين تريد أيضا ؟ قال : البصرة . قال : وما تصنع بها ؟ قال : أطلب قتلة عثمان . قال : فهؤلاء قتلة عثمان معك ؟ إن هذين الرجلين قتلا عثمان : طلحة والزبير، وهما يريدان الامر لأنفسهما فلما غلبا عليه قالا : نغسل الدم بالدم والحوبة بالتوبة**" [2]

ثم قال المغيرة بن شعبة : "**أيها الناس إن كنتم إنما خرجتم مع أمكم ؟ فارجعوا بها خيرا لكم، وإن كنتم غضبتم لعثمان ؟ فرؤساؤكم قتلوا عثمان، وإن كنتم نقمتم على علي شيئا ؟ فبينوا ما نقمتم عليه،أنشدكم الله، فتنتين في عام واحد ؟ فأبوا إلا أن يمضوا بالناس .**"[3].

إن نص ابن قتيبة يحمل دلائل وحقائق عما حدث في طريق جيش الجمل كما أنه فيه اعتراف صريح من رجلين ينتميان لبني أمية بتحميل قادة ذلك الجيش ورؤساءه مسؤولية قتل عثمان، وبالتالي لا يحق لهم المطالبة بدمه. إلا أن ذلك لم يكن كل ما حدث في ذلك الحوار أو بالأحرى أن هناك جانبا آخر من الحقيقة لم يورده لنا ابن قتيبة في روايته. فقد ورد في رواية ابن سعد لتلك الحادثة :" **فلما خرج طلحة،والزبير،وعائشة من مكة يريدون البصرة خرج معهم سعيد بن العاص ومروان بن الحكم، وعبد الرحمن بن عتاب بن أسيد، والمغيرة بن شعبة ...**"[4] ومثلها في تاريخ دمشق[5] وتاريخ الإسلام[6]، وفي وفي رواية لابن كثير " **لما ركب طلحة والزبير مع عائشة من مكة يريدون قتلة عثمان ركب معهم، ثم انفرد عنهم هو والمغيرة بن شعبة وغيرهما** "[7] ، أي أن سعيد بن العاص و المغيرة بن شعبة كانا ممن

([1])أوطاس، واد في ديار هوازن، وكانت فيها وقعة حنين (8هـ / 629م)، إذ قال النبي(صلى الله عليه آله وسلم)في ذلك اليوم حمى الوطيس وهو أول من قال ذلك . ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج1، ص281 .

([2]) الامامة والسياسة، ج1، ص82.

([3]) الامامة والسياسة، ج1، ص82.

([4]) الطبقات، ج5، ص35.

([5]) ابن عساكر، ج21، ص 117.

([6]) الذهبي، تاريخ الاسلام، ج2، ص497.

([7]) البداية والنهاية، ج8، ص92.

خرج من المدينة بعد البيعة لعلي (عليه السلام) والتحقوا مع ببني أمية المجتمعين في مكة على فراق علي وكان المغيرة ممن يحرض على الطلب بدم عثمان بعد البيعة لعلي حسب ما ورد في رواية للبلاذري ، مما يعني أنهم كانوا على علم بكل تحركات الناكثين وسبب خروجهم الى البصرة .ويتضح ذلك في عديد من الروايات منها ما ذكره ابن سعد في ترجمة سعيد بن العاص أن هو والمغيرة خرجا مع جيش الناكثين من مكة وهذا خلاف ما ورد في رواية ابن قتيبة التي تشير بأنهما كانا معتزلين القتال وأنهما أقبلا لإسداء النصح للخارجين و إرجاعهم عن الخوض بالفتنة، فالصحيح أنهما خرجا مع ذلك الجيش أذن؛ فما الداعي لتساؤلات سعيد في حواره مع عائشة وقوله لها ولمروان الى أين تريدون وماذا تصنعون ؟! فهو ليس رجلا ساذجا،مما يجعلنا نرجح سبب سؤاله لعائشة باحتمالين:

الأول: إما أنه كان يريد إحراج عائشة ويضعف من مركز طلحة والزبير على الملأ ممن تبعهم، بعد أن تبين له طموحهما بالوصول لمنصب الخلافة لاسيما بعد أن رأى تنازعهما على إمامة الصلاة .

والثاني: أن الراوي أراد إخراج عائشة من دائرة الاتهام من دم عثمان وجعل المقصودين بكلام سعيد، رغم أن موقفها في الثورة على عثمان لم يكن بأقل شدة من موقفهما .فإذا ما عدنا الى رواية ابن سعد نجد أن سعيد لم يستثن أي أحد من قادة الجمل من الاتهام بدم عثمان كما لا وجود لحواره مع عائشة فجاء كلامه على النحو الآتي :

" **فلما نزلوا مر الظهران ويقال: ذات عرق قام سعيد بن العاص فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: أما بعد، فإن عثمان عاش في الدنيا حميدا،وخرج منها فقيدا،وتوفي سعيدا شهيدا، فضاعف الله حسناته،وحط سيئاته ...وقد زعمتم أيها الناس، أنكم إنما تخرجون تطلبون بدم عثمان، فإن كنتم ذلك تريدون فإن قتلة عثمان على صدور هذه المطي وأعجازها، فميلوا عليهم بأسيافكم وإلا فانصرفوا إلى منازلكم،ولا تقتلوا في رضى المخلوقين أنفسكم ولا يغني الناس عنكم يوم القيامة شيئا، فقال مروان بن الحكم: لا بل نضرب بعضهم ببعض،فمن قتل كان الظفر فيه ويبقى الباقي فنطلبه وهو واهن ضعيف**"[1]

بعد التمعن بنص تلك الرواية نلحظ إن كلام سعيد هنا موجه الى قومه الأمويين وأتباعهم ممن خرج يطلب بدم عثمان يحثهم على الانسحاب من جيش الجمل لأن ثأر عثمان عند قادة الجمل الراكبين على صدور المطي وأعجازها، فالاتهام هنا موجه لثالوث الجمل دون استثناء، وبعد أن أنهى سعيد خطبته قام صاحبه ليؤيده ويخذل قومه هو الآخر للانسحاب من ذلك الجيش: " **قام المغيرة... وقال: إن الرأي ما رأى سعيد بن العاص، من كان من هوازن فأحب أن يتبعني فليفعل،فتبعه منهم أناس، وخرج حتى نزل الطائف، فلم يزل بها حتى مضى الجمل وصفين، ورجع سعيد بن العاص بمن اتبعه حتى نزل مكة، فلم يزل بها حتى مضى الجمل وصفين** "[2]

([1]) الطبقات، ج5، ص35؛ ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج21، ص117؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ج2، ص497.

([2])الطبقات، ج5، ص35؛ ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج21، ص117؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ج2، ص497.

ولم تذكر لنا رواية ابن قتيبة ولا غيره سبب هذا التبدل في موقف سعد ورفيقه وانسحابهم المفاجئ من الجيش في أول الطريق؛ بينما نجد أن الطبري أورد لنا رواية عن ابن شبة فيها إجابة لهذا التساؤل وهي شبيهة لرواية ابن سعد من حيث المعنى الا أنها تضمنت حوارا آخر دار بين سعيد وطلحة والزبير فجاء فيها "**لقى قال لقى سعيد بن العاص مروان بن الحكم وأصحابه بذات عرق فقال أين تذهبون وتأركم على أعجاز الإبل اقتلوهم ثم ارجعوا إلى منازلكم لا تقتلوا أنفسكم قالوا بل نسير فلعلنا نقتل قتلة عثمان جميعا فخلا سعيد بطلحة والزبير،فقال: إن ظفرتما لمن تجعلان الأمر؟ أصدقاني،قالا: لأحدنا أينا اختاره الناس قال: بل اجعلوه لولد عثمان فإنكم خرجتم تطلبون بدمه،قالا: ندع شيوخ المهاجرين ونجعلها لابنائهم! قال: أفلا أراني أسعى لأخرجها من بني عبد مناف فرجع ورجع عبد الله بن خالد بن أسيد،فقال المغيره ابن شعبة: الرأي ما رأى سعيد، من كان هاهنا من ثقيف فليرجع، فرجع ومضى القوم،معهم أبان بن عثمان والوليد بن عثمان**" [1].

بعد التأمل والتمعن بنص رواية الطبري، نجد فيه اعتراف واضح وصريح للهدف الذي خرج لأجله جيش الجمل، فقد كان هدفهم الظفر على الخليفة الشرعي وانتزاع الخلافة منه فسؤال سعيد هذا في غاية الغرابة، فالإمام موجود، وبيعته تمت برضا الصحابة من المهاجرين والأنصار ولم يمتنع إلا من كره خلافته وعددهم من القلة بحيث لا يعتد بهم . وجواب طلحة والزبير لسؤال سعيد يعد اعتراف صريح لأهدافهم بانتزاع أمر الخلافة من علي (عليه السلام) ، وليس الإصلاح كما يدعي البعض.

فيتضح أن السبب الحقيقي لانسحاب سعيد من الجيش لأنه علم أنهما يطمحان بمنصب الخلافة لأنفسهما، وهو يريدها أن تبقى في قومه بني أمية لضمان استمرار ما حصلوا عليه من نفوذ وامتيازات في عهد عثمان، لذلك طلب أن يجعلوها لأحد ابناء عثمان وكأنها إرث لهما، وهذا المنطق لسعيد ليس جديدا عليه أو على بني أمية الذين أصبحوا يعدون الخلافة ملكا لهم،ومر بنا مقولته عندما كان واليا للكوفة "**إنما السواد بستان لقريش** "[2] و كيف كانت تلك المقولة سببا لاستفزاز هل الكوفة على عثمان . فها هو يعود هذه المرة، ليدعي أن الخلافة لابد أن تكون في بني عبد مناف وتحديدا لأولاد عثمان، وهذا ليس له الا تفسير واحد أن الأمويين كانوا يخططون لجعل الخلافة وراثة في أولادهم منذ تولي عثمان، فضمن القانون الذي وضعه سعيد، لم يكن في عبد مناف أفضل من الامام علي(عليه السلام) لتولي الخلافة. فليس له ولا لغيره أن ينكر سبقه أو بلائه في الإسلام، ولا ندري كيف يرشح أولاد عثمان بدلا عنه؟!

من باب آخر، فإن ترشيح سعيد هذا مناف لقواعد اختيار الخليفة، وكذلك الحال لطلحة والزبير اللذين فرضا نفسهما دون وجه حق بجوابهما " **لأحدنا أينا اختاره الناس** "فإن كانت الخلافة بالنص والوصية،

([1]) تاريخ الرسل، ج3، ص472؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج3، ص209؛ النويري، نهاية الأرب، ج20، ص31.

([2])ينظر: البلاذري، أنساب الأشراف،ج5،ص423؛ الطبري، تاريخ الرسل، ج3، ص365؛ الشريف المرتضى، الشافي، ج4،ص256؛ ابن أبي الحديد، الشرح، ج2، ص129.

فعلي (عليه السلام) هو الإمام الشرعي وفق ما ورد من نصوص صريحة عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) [1]، وإن كانت وفقا لقاعدة الشورى فهو أيضا المرشح الثاني بعد عثمان، فلماذا يحصرها سعيد ببني عبد مناف وتحديدا لأولاد عثمان، ويحصرها طلحة والزبير في أحدهما، ولماذا يجبران الناس أن يختاروا أحدهما،وقد اختارت الأمة علي (عليه السلام) وبايعه الصحابة من المهاجرين والأنصار بغض النظر عمن أمتنع عن بيعته حسدا، وكرها.

والجدير بالذكر، أن عمر عندما حصر الشورى في ستة أشخاص بعده، وعندما قال لهم عبد الرحمن بن عوف :" **اجعلوا أمركم إلى ثلاثة منكم فقال الزبير: قد جعلت أمري إلى علي، فقال طلحة: قد جعلت أمري إلى عثمان**"[2]، أي لم ير أحدهما في نفسه أهلية الخلافة ضمن الستة المرشحين، فكيف يصران على حصر الخلافة لأحدهما؟! [3]

ونلحظ كيف إن سعد وسع دائرة حديثه بقوله : "**أفلا أراني أسعى لإخراجها من بني عبد مناف**" ولم يخص بني أمية الذين هم من بني عبد مناف وربما يكون أسلوبه هذا له أكثر من سبب :

الأول: أن تصل مقولته لبني هاشم، فيزداد حنقهم على بني تيم وآل الزبير

الثاني: إن الأمويين كانوا في تلك المدة يركنون الى عدم اظهار المطالبة بالخلافة لمعرفتهم بتزايد نقمة الناس عليهم والتي أودت بكل تلك الأحداث.

إذ كانوا يترقبون الأحداث عن بعد كما كان يفعل معاوية في الشام، تاركا لأياديه مهمة ضرب الأطراف المتنازعة بعضها ببعض، فبني أمية يعلمون أن مصلحتهم جميعا تكمن في إشعال نار الحرب بين علي (عليه السلام) الشخصيات القرشية المناوئة له فإن هزم علي(عليه السلام) سيكون بإمكانهم التخلص من طلحة والزبير بسهولة و إن حدث العكس فيمكنهم شرعنة الخروج على خلافة علي (عليه السلام) ومحاربته كما فعلت زوج النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) وصحابته .

وقد أفصح الأمويين بأنفسهم عن تلك الخطط التي لا تخلو من التدبير والمكر فموقف سعيد هذا دليل واضح على النوايا الأموية فبعد أن تيقن من طموح قادة الجمل للخلافة، فضل الانسحاب و أخذ يألب الناس عليهم وترك الشعار الكاذب الذي خرجوا لأجله وهو الطلب بدم عثمان، وكذلك هو حال مروان الذي اختلف قليلا مع سعيد بتنفيذ المخطط الأموي، عندما رد عليه قائلا: " **لا بل نضرب بعضهم ببعض، فمن قتل كان الظفر فيه ويبقى الباقي فنطلبه وهو واهن ضعيف**"[4] لقد كان مروان يريد قتل كل من ثار على ظلم بني أمية وتسبب بزوال عزهم ولم يكن ليكتفي بالمألبين والقتلة الفعليين، بل كان يريد تصفية جيش علي (عليه السلام) لأنه يعلم أنهم سيشكلون حائلا دون رجوع الخلافة لبني أمية.

([1]) ينظر: الأميني،الغدير،ج1؛ المرعشي،شرح إحقاق الحق،ج2،ص501415؛العسكري،معالم المدرستين،ج1، ص203.

([2]) البخاري، صحيح البخاري، ج5، ص15.

([3]) ينظر: مكي، الجمل فيما جنى وحمل، ص305.

([4]) الطبقات، ج5، ص35؛ ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج21، ص117؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ج2، ص497.

وثمة أمر لابد من الإشارة إليه، فلقد ذكرنا في بداية الحديث حول نص ابن قتيبة أنه جعل دائرة اتهامات سعيد موجهة لطلحة والزبير دونا عن عائشة بينما رواية ابن سعد والطبري عممت هذا الاتهام لكن دون ذكر للأسماء ، فيبدو أن الرواة حاولوا التمويه والتلبيس على القارئ أو أنهم لم يجرؤوا على ذكر أسمائهم بصورة مباشرة، أما ابن الأثير، فقد كان أكثر وضوحا و جرأة بنقله للأحداث إذ علق على تلك الرواية وصرح بأسماء المتهمين بقوله " **فلما بلغوا ذات عرق ... أين تذهبون وتتركون ثأركم على أعجاز الإبل وراءكم؟- يعني:عائشة وطلحة والزبير- اقتلوهم ثم ارجعوا إلى منازلكم. فقالوا: نسير فلعلنا نقتل قتلة عثمان جميعا**"[1] .

تلك هي الخلافات والنزاعات التي دبت في أوساط جيش الناكثين في بداية مسيرهم والتي كشفت عن أهدافهم الحقيقية من خوض تلك الحرب، إلا أن الرواة وأصحاب قاعدة عدالة الصحابة أبوا الاعتراف بتلك الحقائق التأريخية، لذلك عمدوا الى تزويرها تارة والتمويه عليها تارة أخرى، كما رأينا في النصوص أعلاه، ومما لاحظه الباحث أيضا، هو اختلاف عنصر المكان بين تلك النصوص، فيشير ابن سعد أن تلك الاحداث كانت في مر الظهران ثم يقول وقيل في ذات عرق، وهذا ما جاء عند الطبري ، بينما ابن قتيبة ذكر أنها حدثت في أوطاس . مما يجعلنا نعتقد ان ذلك التناقض ما هو إلا وسيلة للتشكيك في حدوث تلك النزاعات، فمثلا نجد سيف بن عمر ينص في أكثر من رواية له أن جيش الناكثين تركوا الطريق المعتاد الى البصرة، وتيامنوا عن أوطاس أي أنهم لم يمروا بها، وأكد على تضمين ذلك الخبر في العديد من الروايات التي أوردها منها: **فتركت الطريق ليلة وتيامنت عنها**"[2] وما ذلك الا وسيلة لنفي ما حدث في طريق أوطاس، ولقد استطاع أحد الباحثين أن يبين خطأ رواية سيف وضعفها من خلال دراسة خط سير أصحاب الجمل وخلص الى أنهم سلكوا الطريق المعتاد ولم يحيدوا عنه، فيقول: "**حقيقة الأمر أن من أراد البصرة وكان خارج من مكة تيامن من عند أوطاس كما فعل أصحاب الجمل ومن أراد الكوفة تياسرعنها حيث إن طريقي البصرة والكوفة يأخذان بالتفرع يمين ويسار من بعد أوطاس** [3] وهذا ما نتفق به مع الباحث لكن نختلف معه بجانب آخر إذ فات الباحث على ما يبدو التمعن في غرض الراوي من وضع تلك الرواية الا التشويش على الأحداث التي وقعت في طريق جيش الجمل الى البصرة[4].

([1]) الكامل في التاريخ، ج3، ص209.

([2]) الضبي، الجمل ومسير عائشة وعلي ، ص272. ص273؛ الطبري، تاريخ الرسل، ج3، ص473.

([3]) الغيث،استشهاد عثمان ووقعة الجمل في مرويات سيف بن عمر، ص160.

([4]) لقد بنى الباحث رفضه لهذا الخبر من سيف . حسب قوله . لأنه "**يصور أصحاب الجمل بأنهم مجموعة من الخارجين على الخلافة، وأن خوفهم من علي** (عليه السلام) **قد دفعهم إلى الإبتعاد عن طريق البصرة لكي لا يلحق بهم في حين أنهم خرجوا للإصلاح**". الغيث،استشهاد عثمان ووقعة الجمل في مرويات سيف بن عمر، ص160. ولا ندري كيف لمن يريد الإصلاح أن يخرج بالجيوش المجهزة والمعبأة؟ وإذا كان الطلب بدم عثمان هو الإصلاح المقصود فهذا الأمر لا يتطلب الخروج بالجيوش الى البصرة، كما أن لعثمان أولاد وهم أولى لأن يتقدموا بالشكوى الى ولي الأمر الخليفة الشرعي، ليحكم

كتلك الخلافات التي وقعت في أوطاس، فضلًا عن حادثة أخرى لا تقل أهمية وقعت في الطريق وهي نباح كلاب الحوأب على جيش الجمل وسوف يأتي الحديث عنها بموضع آخر من الرسالة [1]

فضلا عن ذلك فقد عمد سيف الى إبدال لقاء الناكثين مع سعيد بلقاء مع شخصية أخرى تكاد تكون مجهولة، فزعم في إحدى رواياته التي انفرد بها قائلا:" **لما تيامن عسكرها عن أوطاس أتوا على مليح بن عوف السّلميّ** [2]**، وهو مطّلع ما له، فسلّم على الزبير، وقال : يا أبا عبد الله، ما هذا ؟ قال : عُدِيَ على أمير المؤمنين** (عليه السلام) **فقتل بلا ترة ولا عذر، قال : ومن ؟ الغوغاء من الأمصار ونزّاع القبائل وظاهرهم الاعراب والعبيد، قال: فتريدون ماذا ؟ قال : نُنهض الناس فيدرك بهذا الدّم لئلّا يبطل، فانّ في ابطاله توهين سلطان الله بيننا أبداً... فودَّع كلّ واحد منهما صاحبه،وافترقا ومضى الناس.**"[3]
فهذا إبدال واضح للمكان وللشخصية، وللوقائع التاريخية أيضا، ومن خلال حوار الزبير مع تلك الشخصية المجهولة، الذي صرح فيه بأن سبب خروجهم هو لمعاقبة قتلة عثمان، لأن تركهم يبطل هيبة الخلافة أو سلطان الله كما ورد في النص، حاول الراوي مخالفة النصوص التي فضحت رغبة طلحة والزبير بالوصول الى الخلافة .

كما أنه شكك بالعديد من الأحداث التي وقعت في الطريق منها الروايات التي تكلمت عن نزاعات واتهامات الصحابة، التي حدثت في هذا المكان وإن لم يستطع نفيها فهو على الأقل شكك فيها.

ولابد من الوقوف على ما رواه سيف بن عمر عن اعتزال سعيد والمغيرة، لجيش الناكثين إذ أنه لم ينقل أي شيء عن الحوارات التي وردت في المصادر الأخرى كما لم يوضح السبب الحقيقي لاعتزالهم ومطالبة سعد بالبيعة لأولاد عثمان، فاقتصرت روايته على ما يلي :" **خرج المغيرة وسعيد بن العاص معهم مرحلة من مكة، فقال سعيد للمغيرة: ما الرأي؟ قال: الرأي والله الاعتزال، فإنهم ما يفلح أمرهم،**

لهم وفقا لشرائع الدين الذي نهى عن الإسراف بالقتل ، ولقد سبق بعد مقتل عمر بن الخطاب أن إحتدم الخلاف على عبيد الله بن عمر لقتله الهرمزان، فأوكل الى عثمان النظر بأمره بحكم توليه الخلافة وفصل فيه بأن عفى عنه ورغم مخالفته للشريعة وسخط كثيرون على حكمه لم يخرج عليه أحد ولم يتقاتل أحد بدعوى إصلاح الدين .

([1]) ينظر: ص124 من الرسالة.

([2]) لم أجد له ترجمة ، إلا ما ذكره ابن حجر عنه : " **له إدراك، وكان دليلا في زمن عمر**" ، معتمدا على الرواية الوحيدة التي أخرجها له ابن سعد عن سبب عزل عمر بن الخطاب لسعد بن أبي الوقاص عن ولاية الكوفة فقال: "**وقد أخرج ابن سعد في الطبقات من طريق حبيب بن عمرو ، عن مليح بن عوف السلميّ، قال: بلغ عمر بن الخطاب أنّ سعد بن أبي وقاص صنع بابا من خشب على داره وحصن على قصره حصنا من قصب، قال: فأمرني عمر بالمسير مع محمد بن مسلمة، وكنت دليلا بالبلاد** ..."**الاصابة، ج5، ص62، ينظر: ابن سعد، الطبقات، ج6، ص245.**

([3]) الضبي، الجمل ومسير عائشة وعلي، ص285؛ الطبري، تاريخ الرسل ، ج3، ص487.

فإن اظفره الله أتيناه، فقلنا: كان هوانا وصغونا معك، فاعتزلا فجلسا، فجاء سعيد مكة فأقام بها، ورجع معهما عبد الله بن خالد بن أسيد."[1]

ونلحظ أنه غيب شطرا آخر من الحقيقة في ذيل روايته، فابن أسيد لم يكن هو المنسحب الوحيد مع سعيد والمغيرة، فابن سعد ذكر في روايته أن المغيرة بن شعبة، بعد خطب بقومه من هوازن وثقيف، كان هناك من تبعه من الناس[2]، فكما قلنا أن سيف لم يرد أن يبين التشتت وتخلف الناس عن جيش الناكثين لأن ذلك إن دل على شيء فهو يدل وجود من عارض حركتهم التي أرادو بها مصالحهم الشخصية، وهذا يتعارض مع مساعي سيف، بالحفاظ على صورة الصحابة وتلميعها أو بمعنى أدق صورة سادات مضر وبني تميم، فعلى ما يبدو انه لم يرق له انسحاب سعيد والمغيرة وجموع هوازن وثقيف لأن ذلك يعد منقصة لهم، وهذا هو رأي العلامة الذي علل سبب تحريف وتزوير سيف للعديد من أحداث التأريخ الإسلامي هو تعصبه القبلي للقبائل العدنانية ضد القبائل القحطانية اليمانية[3] . وقد أشار الى ذلك الرأي أيضا جواد العلي فوصفه بأنه: " **عاطفي المزاج، متعصبا لقبيلته، يرفع من شأنها،ويضيف إليها،ويجعلها بطلة في كل الحوادث**"[4]، هذا فضلا عن رأي علماء الجرح و الحديث فيه. [5]

لاشك أن تلك الخلافات التي أسس لها مروان وسعيد بين قادة الجمل، في بداية طريقهم، ظلت جذورها راسخة في صدوهم، فرأينا كيف تجدد النزاع بينهم على إمامة الصلاة لما وصلوا البصرة، وبنفس الصدد يذكر لنا المفيد رواية تبين تأزم الموقف بينهم، مفادها أنهم اختلفوا على بيت مال البصرة فعائشة بادرت بتفريق الاموال على أنصارها، وتقدم طلحة والزبير مع طائفة من أتباعهم وحملوا نصيبهم من تلك الأموال فأمرتهما عائشة أن يختموا أبواب بيت المال أي يقفلوها، فأخذ كل واحد منهم مفتاحا له وأراد أن يقفله، وحاولت عائشة أن تبقي زمام الامور، بيدها لكن دون جدوى فقالت:" **يختمها عني ابن أختي عبد الله بن الزبير فختم يومئذ بثلاثة ختوم .**"[6]

لاشك إن الاستحواذ على بيت المال كان ضروري لمن يريد فرض سلطته وشراء ولاء الرجال، فمرة أخرى، قام عبد الله بن الزبير بتوزيع الأموال على المقاتلة قبل وصول علي وعارض البقية رأيه بما فيهم ابنه عبد الله وعائشة، ورأوا أن يأجل ذلك الى قدوم علي ليضمنوا بقاء المقاتلة معهم، إلا أنه غضب وأصر على رأيه وهددهم بأن يتركوا له الرأي أو يدعهم ويلحق بمعاوية قائلا :" **والله لو لم يبق إلا درهم**

([1]) الضبي، الفتنة ووقعة الجمل، ص115؛الطبري، تاريخ الرسل، ج3، ص471.

([2]) الطبقات، ج5، ص35؛ ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج21، ص117؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ج2، ص497.

([3]) ينظر: البدري، جهود العلامة العسكري في مناقشة الأسطورة السبئية، ص73

([4]) سيف بن عمر، مجلة الرسالة، العدد 856.

([5]) منها انه متروك الحديث ومتهم بالكذب على رسول الله (صلى الله عليه وآله)جمع ابن حجر أقوال اهل الجرح فيه. ينظر: تهذيب التهذيب،ج4، ص296.

([6]) المفيد، الجمل، ص153؛ التستري، بهج الصباغة في شرح نهج البلاغة، ج10، ص17.

واحد لأعطيته فلامته عائشة على ذلك ووافق رأيها برأي الرجلين فقال الزبير : والله لتَدَعُوني أو ألحق بمعاوية، فقد بايع لي في الشام الناس فأمسكوا عنه " [1].

وتهديد الزبير هذا أشار إليه البلاذري أيضا بقوله: " **كتب معاوية إلى الزبير: أن أقبل إلي أبايعك ومن يحضرني. فكتم ذلك عن طلحة وعائشة، ثم بلغها فكبر ذلك عليها، وأخبرت عائشة به ابن الزبير فقال لأبيه : أتريد أن تلحق بمعاوية ؟ فقال : نعم ولم لا أفعل وابن الحضرمية ينازعني في الأمر ! ! ثم بدا له في ذلك، وأحسبه كان حلف ليفعلنّ فدعا غلاما له فأعتقه وعاد إلى الحرب**"[2] .

إن هذا التهديد من الزبير لشركائه يعكس مدى تأزم الوضع بين صفوفهم، ويبدو أن عائشة بدأت تشعر بتشتت قادة معسكرها وهذا ما دعاها الى القول:" **ما أنا وطلحة والزبير وبيعة من بويع وحرب من حورب، يا ليتني قَرَرْتُ في بيتي ولكنها بلية جاءت بمقدار**"[3] . ويبدو أيضا أنها حاولت مسايرة الزبير، فيذكر المفيد أنهم بايعوه وسلموا له بالأمرة وكتبت بذلك لأهل المدينة قائلة: " **فإن الله قد جمع كلمة أهل البصرة وأمَّروا عليهم الزبير بن العوام فهو أمير الجنود والكافة يجتمعون على السمع والطاعة له، فإذا اجتمعت كلمة المؤمنين على أمرائهم عن ملأ منهم وتشاور، فإنا ندخل في صالح ما دخلوا فيه فإذا جاءكم كتابي هذا فاسمعوا وأطيعوا**"[4] .

يتضح من تلك الرسالة أن قبولها ببيعة الزبير كان مسألة وقتية، لتهدئة الأوضاع، فعلى حد تعبيرها هو أمير للجنود،لأنها كانت تأمل أن تعيد الخلافة الى بني تيم، وكان مرشحها هو ابن عمها طلحة، فما كانت لتعطيها لابن الزبير بتلك السهولة وإن كان زوج أختها، فيروى البلاذري أنها كانت تقول " **لا تبايعوا الزبير على الخلافة ولكن على الآمرة في القتال، فإن ظفرتم رأيتم رأيكم**" [5]، ويبدو أن أن عبد الله ابن الزبير علم بنوايا خالته من تلك المقولة لذلك نبه أباه قائلا:" **إنما تريد هذه أن تجعل حارّ أمر الناس بك، وبارده لابن عمها**"[6] وفي لفظ أخر وبنفس السند للبلاذري قال:" **تريد أن تجعل حار الناس بك وبارده لابن عمها طلحة، أقعد على نجائبك ثم ارم بها مكة حتى العرب وقد أفنيت سراتها ووجوها فتركب إليك سعاتها قال : فركب الزبير فأصابه أخو بني تميم بوادي السباع**"[7] [8]

([1]) المفيد، الجمل، ص155.

([2]) أنساب الأشراف، ج2، ص258.257؛ الخرسان، موسوعة ابن عباس، ج3، ص143.

([3]) انساب الاشراف ج2، ص266؛ الكوراني، سيرة أمير المؤمنين (عليه السلام)، ج3، ص30.

([4]) الجمل، ص160؛ ابن شدقم، ص34، الغروي، موسوعة التاريخ الاسلامي، ج4، ص550.

([5]) البلاذري، أنساب الأشراف، ج2، ص229

([6]) البلاذري، أنساب الأشراف، ج2، ص266

([7]) موضع في البصرة، على طريق مكة، بينه وبين البصرة خمسة أميال، وهو الذي قتل فيه الزبير، ينظر: الحموي، معجم معجم البلدان، ج5، ص343.

([8])ح9، ص433؛ ينظر: ابن سعد، الطبقات،ج3، ص111.

إن تلك الرواية إن صحت، تكون إحدى الأدلة الداحضة، على الآراء القائلة بأن الزبير اعتزل الحرب واراد العودة الى مكة ندما على خروجه [1]

، فخطة ابنه تكشف السبب الحقيقي لتركه الحرب، إذ أشار عليه بالعودة الى مكة حتى تقضي أطراف النزاع بعضها على الآخر، ومن ثم يصفو له الأمر ولا يجد الناس غيره يبايعونه .

ولا بد أن ننوه الى أن الإمام علي(عليه السلام) كان على دراية بما يجوب في خفايا صدور اولئك الناكثين،وما سوف يحدث بينهم من صراعات لما علم بمسيرهم بقوله:" **إن عائشة سارت إلى البصرة ومعها طلحة والزبير وكل منهما يرى الأمر له دون صاحبه أما طلحة فابن عمها وأما الزبير فختنها والله لو ظفروا بما أرادوا ولن ينالوا ذلك أبدا ليضربن أحدهما عنق صاحبه بعد تنازع منهما شديد والله ان راكبة الجمل الأحمر ما تقطع عقبة ولا تحل عقدة إلا في معصية الله وسخطه حتى تورد نفسها ومن معها موارد الهلكة** "[2]، فليس غريبا ما قاموا به فهم ما ناكثوا البيعة وخرجوا على الخليفة الشرعي إلا لأجل مصالحهم الدنيوية مستغلين مكانة عائشة لدى المسلمين كونها زوج النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) للوصول الى المناصب والسلطة .

([1]) ينظر :المفيد،الجمل،ص207.

(2) ابن ابي الحديد،الشرح،ج1،ص233؛العاملي،وسائل الشيعة،ج1،ص34.:المفيد،الكافئة،ص29.

ثالثًا: روايات النزول الحوأب:

لقد فاقت شهرة تلك الرواية حتى تناقلته كتب اللغة والبلدان، لذا لابد من التطرق الى ما قيل عن الحوأب لغويا وجغرافيا. فورد في عدة مصادر أن الحوأب هو الوادي الواسع ماء وهو من مياه العرب، يقع على طريق البصرة [1] وفي النهاية وغريب الأثر، الحوأب منزل بين مكة والبصرة، وهو الذي نزلته عائشة لما جاءت إلى البصرة في وقعة الجمل [2] وفي معجم البلدان ذكر أن الحوأب هو موضع ماء قريب من البصرة على طريق مكة، وهو موضع بئر نبحت كلابه على عائشة ام المؤمنين عند مقبلها الى البصرة، وأنه من مياه بكر بن كلاب، وهو من المياه الأعداد وقديم جاهليّ، سمي بالحوأب بنت بكر بن كلاب[3] وفي الحديث الذي أخرجه ابن حنبل[4] أنه ماء لبني عامر، وهذا ما نقل عن أبي مخنف أيضا[5] ولا تعارض بين الروايتين في نسبته ؛ فبني كلاب كما ذكر الكلبي هم بطن من بطون بني عامر بن صعصعة[6]، وكانوا يسكنون قرية واقعة طريق الحاج البصري وهي الى مكة أقرب من البصرة تدعى ضرية[7]، فيكون الحوأب أقرب لمكة لا الى البصرة كما جاء في رواية الحموي.

أـ روايات النزول في الحوأب في كتب الحديث :

كما ورد في العديد من المصنفات وكتب الحديث ويعد مصنف الصنعاني من أقدم المصادر التي نقلت عن هذا الخبر، فجاء فيه **عن ابن طاوس**[8] **عن أبيه**[1] " **أن النبي** (صلى الله عليه وآله وسلم) **قال لنسائه:**

([1])الجوهري، الصحاح في اللغة،ج1ص117؛ابن منظور، لسان العرب،ج1،ص117؛البكري، معجم ما استعجم،ج2، ص472.

([2]) ابن الأثير ابو السعادات، ج1، ص456.

([3]) الحموي، ج2، ص314؛ الزبيدي، تاج العروس، ج2، ص212.

([4]) المسند، ج40، ص299؛ ابو يعلى، المسند، ج8، ص282.

([5]) ابن ابي الحديد، الشرح، ج6، ص225.

([6]) جمهرة النسب، ص313.

([7]) بلدة قديمة، عامرة، تقع على طريق البصرة، وهي الى مكة أقرب، قيل أنها تبعد مسافة عشرة أيام عنها، والي اليمين منها يقع حمى المدينة، وهي تابعة إداريا لوالي المدينة، فقد أقام فيها والي المدينة في العصر العباسي، جعفر بن سليمان العباسي، اصلاحات عمرانية، واستقر ذريته فيها. ينظر: الحموي، معجم البلدان، ج3، ص457؛ الحربي، المناسك وأماكن طرق الحج ومعالم الجزيرة، ص594، ص595،ص612.

([8]) عبد الله بن طاووس بن كيسان أبو محمد اليماني، من أئمة أهل العلم والحديث والثقات ، روى عن أبيه، وكان يختلف الى مكة؛ فروى عن عكرمة وعمرو بن شعيب، وعد من أصحاب الامام الرضا(عليه السلام) ، قيل أنه عاش مئة عام، وتوفي سنة (132هـ/750م) .ينظر: الحلي، خلاصة الاقوال، ص132؛ الذهبي، ج6، ص103.

لنسائه: أيتكن تنبحها كلاب ماء كذا وكذا؟ – يعني الحوأب – فلما خرجت عائشة إلى البصرة نبحتها الكلاب، فقالت: ما اسم هذا الماء؟ فأخبروها، فقالت: ردوني فأبى عليها ابن الزبير"[2] .

كما ورد الحديث بلفظ مختلف من طريق عصام بن قدامة[3]، عن عكرمة [4] عن ابن عباس ان النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) قال لنسائه: "**أيتكن صاحبة الجمل الأدبب[5]، يقتل حولها قتلى كثيرة تنجو بعدما كادت**"[6] وفي بعض المصادر :**يقتل حولها قتلى كثيرة كلهم في النار،وتنجو بعدما كادت**"[7]، وعد الحديث من اعلام نبوة النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) ،فقد حذر فيه نساءه من السير في تلك الطريق وخص عائشة بذلك التحذير، ولقد تباينت الآراء في تفسير الحديث، فرأي المعتذرون والمدافعون عن عائشة، هو أنها تنجو من النار بالتوبة بعدما كادت أن تدخلها بما فعلت[8] ولرواية ابن عباس هذه شاهد آخر وهو ما أخرجه الحاكم عن سالم بن أبي الجعد[9] عن أم سلمة قالت: " **ذكر النبي** صلى الله عليه وآله وسلم **خروج بعض أمهات**

([1]) طاووس بن كيسان الهمداني، اليماني، من أعلام التابعين الثقات وفقهاء أهل اليمن كان من الأبناء الفرس، كان ملازما لأبن عباس وروى عن عدد كبير من الصحابة، قيل توفي حاجا بالمزدلفة أو منى، سنة (106هـ)، ينظر: البخاري، التاريخ الكبير، ج4، ص365؛ الدمشقي، طبقات علماء الحديث، ج1، ص159.

([2]) ج11، ص365.

([3]) عصام بن قدامة ، البجلي، الكوفي، وكنيته ابو محمد، من رجال الصحاح وثقات أهل الجرح، روى عن عبد الله بن عمر مرسلا، وعن عكرمة مولى العباس، وعطية الكوفي، وغيرهم. ينظر: البخاري، التاريخ الكبير، ج7، ابن حبان، الثقات، ج7، ص30، المزي، تهذيب الكمال، ج2، ص61.

([4])عكرمة بن عبد الله البربري المدني، مولى عبد الله بن عباس، تابعي، قال فيه العجلي، تابعي ثقة وهو بريء مما يرميه الناس به من الحرورية ،ووصفه الذهبي بأنه أحد أوعية العلم. تكلموا فيه لرأيه لا لحفظه فاتهم برأى الخوارج .الثقات، ج2، ص145؛ميزان الاعتدال، ج3، ص93.

([5]) الأدب: أي كثير الشعر ووبر الوجه، فأظهر التضعيف ليزاوج الحوأب،ج1، ص353.الزمخشري،الفائق،ج1، ص353؛ ابن الاثير ابو السعادات، النهاية، ج2، ص96.

([6]) ابن ابي شيبة، المصنف،ج7، ص538؛ البزاز، المسند، ج11، ص73؛ الزمخشري، الفائق،ج1، ص408؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج2، ص198؛ ابن كثير، البداية والنهاية؛ ج6، ص236؛ الهيثمي، مجمع الزوائد، ج7، ص232.

([7]) القاضي النعمان، شرح الأخبار، 1، ص338؛ المفيد، الكافئة، ص37؛ ابن شهر آشوب، المناقب، ج1، ص122.

([8]) ابن ابي الحديد، الشرح، ج9، ص311؛ابن ميثم البحراني، الشرح، ج3، ص332.

([9]) سالم ابن أبي الجعد رافع بن سلمة بن زياد بن أبي الجعد، الغطفاني تابعي ثقة، كوفي كان أبوه صحابي جليل،وبنو الجعد من خواص أمير المؤمنين (عليه السلام)، قيل توفي سنة (98هـ/716م) .ينظر:البخاري، التاريخ الكبير، ج4، ص107؛ ابن حبان،الثقات، ج4، ص235؛ابن حجر، تهذيب التهذيب،ج3،ص432؛التفرشي، نقد الرجال، ج2، ص293.

المؤمنين، فضحكت عائشة، فقال لها: انظري يا حميراء أن لا تكوني أنت،ثم التفت إلى علي وقال: يا علي إن وليت من أمرها شيئا فارفق بها"[1] .

أما خبر الحوأب الذي ورد في المسانيد و صححه المحدثون، فهو ما أخرجه أحمد بسندين عن قَيْسٌ بن أبي حازم[2] :" **لما أتت على الحوأب سمعت نباح الكلاب فقالت: ما أظنني إلا راجعة،إن رسول الله** (صلى الله عليه وآله وسلم) **قال لنا: أيتكن تنبح عليها كلاب الحوأب؟ فقال لها الزبير: ترجعين عسى الله عز وجل أن يصلح بك بين الناس**"[3]. نلحظ أن رواية قيس تظهر أن الزبير هو الذي منع عائشة من الرجوع على خلاف الرواية الاولى التي لم ينسب فيها القول لأحد، وترك الامر مبهما بقوله :"**فقال بعض من كان معها**" [4] وفي رواية اخرى لقيس أوردها ابن أبي شيبة يظهر اشتراك طلحة مع الزبير، باقناع عائشة لإكمال مسيرها فجاء فيها : "**فقال لها طلحة والزبير: مهلا رحمك الله، بل تقدمين فيراك المسلمون فيصلح الله ذات بينهم**"[5] وتتفق جميع تلك الروايات التي وردت عن قيس بأن سبب بقاء عائشة وعدم عدولها عن مسيرها، رغم تحقق نبوؤة رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم)انما كان بسبب تأثير الذين كانوا معها إذ أقنعوها ان في خروجها صلاح للأمة والمسلمين لكن في الواقع تلك النصوص تثير عدة تساؤلات لابد منها؛ فهل كان رأي هؤلاء أكثر صوابا من رأي رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) الذي حذر من السير في هذا الطريق،لكي تتبعهم عائشة وتخالف أعرف الناس بما فيه صلاح للمسلمين؟ وهو الذي أُنزل فيه : " **وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى** "[6] . ولنا أن نتساءل هل ان عائشة، فعلا كانت ناسية لحديث بتلك الأهمية، أم أنها لم لم تكن متيقنة من تحقق تلك النبوءة، لذا لم تعبأ بتحذير النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) لها، لأنها كانت عازمة على تحقيق هدفها من ذلك المسير؟؟

والغريب أن رواية قيس هي التي صححه علماء الحديث، دونا عن الطرق الأخرى، وعده الحافظ الألباني : "**من أصح الأحاديث ولذلك تتابع الأئمة على تصحيحه قديما وحديثا** " [7] أما العلماء القدماء

([1]) المفيد، الجمل، ص230؛ الحاكم، المستدرك على الصحيحين، ج3، ص129؛ ج2، ص232؛ البيهقي، دلائل النبوة، ج6، ص411؛ ينظر: القاضي النعمان، شرح الاخبار، ج2، ص338.

([2]) تم ترجمته في ص 85 من الرسالة.

([3]) المسند، ج40، ص298.

([4]) المسند، ج40، ص299.

([5]) المصنف، ج8، ص708.

([6]) سورة النجم، الآية:3.

([7]) سلسلة الأحاديث الصحيحة، ج1، ص848

الذين صححوا الحديث فهم: ابن حبان فقد أخرجه في صحيحه[1]، والثاني: الحاكم الذي أخرجه المستدرك ولم يقع في المطبوع منه، الا أن ابن حجر نقل عن الحاكم أنه صححه، لذلك يرجح الالباني أنه سقط من الناسخ أو الطابع[2]، الثالث: الذهبي الذي قال: " **هذا حديث صحيح الاسناد،ولم يخرجوه**" [3] والرابع :ابن كثير الذي قال بعد أن عزاه لأحمد في المسند: "**وهذا إسناد على شرط الشيخين،ولم يخرجوه**" [4] الخامس: الخامس: الحافظ ابن حجر فبعد أن عزاه لأحمد وأبي يعلى والبزار قال: " **وصححه ابن حبان والحاكم، وسنده على شرط الصحيح** "[5]

إن تصحيح طريق قيس دونا عن غيره يدعونا الى الاستغراب، و لاسيما أن الرجل مجروح من قبل بعض العلماء، كما وضحنا في ترجمته فقد بين الشريف المرتضى ان قيس قد كان خولط في عقله في آخر عمره مع استمراره على رواية الاخبار. وهذا قدح لا شبهة فيه لان كل خبر مروي عنه لا يعلم تاريخه يجب ان يكون مردودا، لأنه لا يؤمن ان يكون مما سمع منه في حال الاختلال وهذه طريقة في قبول الاخبار وردها ينبغي ان يكون أصلا ومعتبرا فيمن علم منه الخروج ولم يعلم تاريخ ما نقل عنه . على أن قيسا لو سلم من هذا القدح كان مطعونا فيه من وجه آخر، فهو كان مشهورا بالنصب والمعاداة لأمير المؤمنين صلاة الله وسلامه عليه والانحراف عنه، لقوله :رأيت علي بن أبي طالب(عليه السلام) على منبر الكوفة يقول : انفروا إلى بقية الأحزاب، فأبغضته حتى اليوم في قلبي . إلى غير ذلك من تصريحه بالمناصبة والمعاداة [6] . وروى تلك الرواية البلخي بسنده عن قيس بن حازم **قال: سمعت عليًا وهو يستنفر الناس إلى معاوية فقال: انفروا إلى بقية الأحزاب. قال: فو الله مازلت مبغضًا له منذ سمعت ذلك منه**[7]، ويجيبنا الصلابي عن تساؤلنا حول تصحيح حديث قيس دون غيره بقوله: "**فهذه الروايات الصحيحة، ليس فيها شيء من شهادة الزور أو التدليس الذي يتنزه عنه مقام الصحابة والذي زعمته الروايات الضعيفة**"[8] وبنفس المنطق يجيب الألباني إن الروايات التي تتكلم عن شهادة الزور فإنها

---

(1) ج15، ص126.

(2) ج3، ص129؛ فتح الباري، ج13، ص55؛ الالباني، سلسلة الاحاديث الصحيحة، ج1، ص848.

(3) سير أعلام النبلاء، ج2، ص178.

(4) البداية والنهاية، ج3، ص236.

(5) فتح الباري، ج13، ص55.

(6) تنزيه الانبياء، ص178؛ الخطاوي، المناهج الروائية عند الشريف المرتضى، ص 285.

(7) قبول الاخبار ومعرفة الرجال، ج1، ص197.

(8) أسمى المطالب في سيرة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام)، ج1، ص549.

مرفوضة، **لأن الله تبارك وتعالى صان الصحابة منها، لاسيما من كان من العشرة المبشرين بالجنة كطلحة والزبير** " [1]

وفيما يتعلق بموقف عائشة فإن رواية قيس لا تبين أن كلام النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) كان موجهًا لها بالذات، مما جعل البعض يهون من أمر مخالفتها ونسيانها للحديث فيقول الصلابي :"**إن المتأمل لهذه الروايات التي صححها العلماء لا يجد فيه ما يدل على نهى عن شيء؛ أو أمر بشيء لتفعله السيدة عائشة،بل إن ما يفهم منها هو تساؤله عن أيتهن التي يحدث أن تمر على ماء الحوأب؟ والروايات الدالة على النهى، والتي بها لفظة إياك في الأثر الوارد:"إياك أن تكوني يا حميراء"، فلم يصححها العلماء بل ضعفت**"[2].

هذا هو السبب وبكل بساطة، فقد اختار أهل الحديث الروايات التي تحافظ على مكانة عائشة والسلف،والواقع إن تحذير النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) لعائشة حتى في تلك الروايات المصححة واضحا وعائشة نفسها فهمت أنه تحذيرا ونهي عن المسير وإلا لماذا أرادت الرجوع وقالت لهم ردوني !فضلا عن ذلك فان مسألة نسيان عائشة لحديث النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) موضع شك لامحالة، فبحكم أنها كانت حافظة وراوية لحديث النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) يكون من الصعب التصديق بأنها نست حديثا كهذا فيه تفاصيل مهمة تخصها شخصيا .

رغم اعتراف جمة من العلماء أن الحديث صحيح؛ نجد البعض قد طعن بصحته، وقد تصدى الألباني لتلك الآراء بتصحيحه الحديث وفق ما ورد عن علماء الحديث [3] ورد على عدد من رموز مدرسة مدرسة عدالة الصحابة كابن تيمية الذي طعن بكل طرق الحديث بقوله : " **لا يعرف في شيء من كتب العلم المعتمدة، ولا له إسناد معروف، وهو بالموضوعات المكذوبات أشبه منه بالأحاديث الصحيحة لم أجد هذا الحديث الموضوع بل هو كذب قطعا** "[4]، وابن العربي الذي سار على نهجه فقال : "**وأما الذي ذكرتم من الشهادة على ماء الحوأب، فقد بؤتم في ذكرها بأعظم حوب. ما كان قط شيء كما ذكرتم، ولا قال النبي** (صلى الله عليه وآله وسلم) **ذلك الحديث، ولا جرى ذلك الكلام، ولا شهد أحد بشهادتهم، وقد كتبت**

([1]) سلسلة الأحاديث الصحيحة، ج1، ص849.

([2]) أسمى المطالب في سيرة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام)، ج1، ص549.

([3]) ينظر :ض126- ص127 الرسالة.

([4]) منهاج السنة ، ج4، ص314.

شهاداتكم بهذا الباطل وسوف تسألون "[1]، وجاء محقق كتابه ابن الخطيب ليسير على نهجه معلقا بقوله : " **لم يشهدوا، ولم تقل عائشة، ولم يقل النبي (ص)** "[2] .

ومن المعاصرين سعيد الأفغاني فهو إضافة الى تشكيكه بصحة الأحاديث فأنه يرجح أن المقصودة بحديث الحوأب هي سلمى الفزارية التي وردت في رواية الطبري عن سيف ويعتمد في ذلك على ما نقله صاحب معجم البلدان من سيف والطبري [3] رغم ضعف تلك الرواية متناً وسندًا كما بينا سابقا، وقد أشكل عليه الألباني ترجيحه تلك الرواية أنه كذب رواية صححها جمة من علماء الحديث ووثق برواية معجم البلدان وصاحبها ليس من أهل العلم بأصول الحديث، وهذا ما نتفق به مع الألباني[4] وعبر عن موقفه من حادثة الحوأب: " **ولا نشك أن خروج أم المؤمنين كان خطأ من أصله ولذلك همت بالرجوع حين علمت بتحقق نبوءة النبي** (صلى الله عليه وآله وسلم) **عند الحوأب ولكن الزبير أقنعها بترك الرجوع بقوله :" عسى الله أن يصلح بك بين الناس ولا نشك أنه كان مخطأ أيضا والعقل يقطع بأنه لا مناص من القول بتخطئة إحدى الطائفتين المتقاتلتين اللتين وقع فيهما مئات القتلى ولا شك أن عائشة رضي الله عنها المخطئة لأسباب كثيرة وأدلة واضحة،ومنها ندمها على خروجها وذلك هو اللائق بفضلها وكمالها، وذلك مما يدل على أن خطأها من الخطأ المغفور بل المأجور**"[5]

نلحظ أن الالباني رغم اعتراضه للمشككين بحديث الحوأب واعترافه أن عائشة وقادة معسكر الجمل أخطأوا وخطأهم تسبب بوقوع كثير من القتلى إلا أنه سرعان ما يعود ويتفق مع أصحاب مدرسة عدالة الصحابة ويقر بالقاعدة التي تقول أنهم اجتهدوا وأخطأوا وأن خطأهم مغفور بل مأجور أيضا !! كأنه يناقض نفسه بنفسه ويستدل على صحة كلامه بأن عائشة قد ندمت، حتى أنها أوصت أن لا تدفن بجوار النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) بسبب خروجها لحرب الجمل وقولها: **إني أحدثت بعد رسول الله** (صلى الله عليه وآله وسلم) **حدثا،ادفنوني مع أزواجه،فدفنت بالبقيع**"[6]، وفي رواية أخرى من طريق الشعبي، قالت: " **فإني**

([1]) العواصم في القواصم، ج1، ص162

([2]) العواصم في القواصم،ج1، ص164.

([3]) عائشة والسياسة ، ص89.

([4]) سلسلة الأحاديث الصحيحة، ج1، ص 852.

([5]) الألباني، سلسلة الأحاديث الصحيحة، ج1، ص854.

([6])الحاكم،المستدرك على الصحيحين،ج4،ص7؛الذهبي،أعلام النبلاء،ج2،ص193.ينظر :ابن سعد،الطبقات،ج8، ص74.
ص74.

أكره أن أجاور رسول اللّه (صلى الله عليه وآله وسلم) **ولا أدري ما حالي عنده، ثم دعت بخرقة من قميص رسول** (صلى الله عليه وآله وسلم) **فقالت : ضعوا هذه على صدري وادفنوها معي لعلي أنجو بها من عذاب القبر**"[1].

والحقيقة أن أنهم إدعوا لعائشة ما لم تتدعيه لنفسها، ولو أنهم اكتفوا بالقول إن خطأها مغفور لأن رحمة الله تسع كل شيء لكان ذلك مقبولا، لكن لا نعرف كيف يأجر الله عباده على التسبب بالقتل، وهل يعقل أن يكون الخاطئ والمصيب والقاتل والمقتول كلهم في الجنة؟! أنها المغالاة بعينها والتي اتهم بها الألباني الشيعة في عرض حديثه فقال : **ليس كل ما يقع من الكمل يكون لائقا بهم، إذ لا عصمة إلا لله وحده.السني لا ينبغي له أن يغالي فيمن يحترمه حتى يرفعه إلى مصاف الأئمة الشيعة المعصومين.**"[2]

ب ـ رواية نباح كلاب الحوأب عند أصحاب السير والأخبار:

من جانب آخر فقد ورد خبر الحوأب في كتب السير والأخبار بتفاصيل أكثر للحادثة، فأورده ابن قتيبة كالآتي:" **فلما انتهوا إلى ماء الحوأب في بعض الطريق ومعهم عائشة،نبحها كلاب الحوأب، فقالت لمحمد بن طلحة،أي ماء هذا ؟ قال:هذا ماء الحوأب، فقالت: ما أراني إلا راجعة، قال: ولم ؟ قالت : سمعت رسول الله** (صلى الله عليه وآله وسلم) **يقول لنسائه: كأني بإحداكن قد نبحها كلاب الحوأب وإياك أن تكوني أنت يا حميراء. فقال لها محمد بن طلحة: تقدمي رحمك الله، ودعى هذا القول . وأتى عبد الله بن الزبير،فحلف لها بالله لقد خلفته أول الليل،وأتاها ببينة زور من الأعراب، فشهدوا بذلك، فزعموا أنها أول شهادة زور شهد بها في الإسلام**"[3] .

إن ما يلاحظ على نص ابن قتيبة وجود اختلاف كبير بالأحداث والالفاظ، فلم تتحدث الرواية عن إكمال المسير لأجل الإصلاح، الذي جاء في رواية قيس، بل السبب هنا بعدم عودة عائشة هو ما قام به ابن أختها عبد الله بن الزبير، فتظهر الرواية أنه قام بتضليل عائشة فحلف لها كذبا بأن المكان ليس بالحوأب وأتى بشهود زور على كلامه، كما انفرد ابن قتيبة بذكر اسم محمد بن طلحة وإظهاره بأنه هو الذي كان يحاور عائشة ويقنعها بمواصلة المسير، رغم أنها أطلعته على حديث النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) إلا إنه حسب الرواية لم يشترك بشهادة الزور.

([1]) الزبيدي، إتحاف السادة المتقين، ج14، ص212.

([2]) الألباني، سلسلة الأحاديث الصحيحة، ج1، ص854

([3]) الامامة والسياسة، ج1، ص60.

وساق البلاذري خبر الحوأب بسندين مختلفين الأول عن صالح بن كيسان [1] والثاني ينتهي الى أبي مخنف، وفيه أن عائشة عزمت على الرجوع " **فأتاها عبد الله بن الزبير فقال : من زعم أن هذا الماء الحوأب كذب،وجاء بخمسين من بني عامر فشهدوا وحلفوا على صدق عبد الله**"[2].

والغريب في كلا النصين إغفال لموقف طلحة والزبير من الحدث، والتركيز على دور ابنيهما، فليس من المعقول أن يقدم عبد الله بن الزبير على ما فعله دون علم والده أو طلحة، باعتبار أنهما كبار قادة المعسكر وشركاء عائشة في القرار من باب آخر فإن موقفهما كان واضحا في الروايات التي وردت عن قيس لاسيما الزبير[3]، لذا فإن هذا التغافل من قبل الرواة يبين إبدال واضح في تلك النصوص ولعل ذلك كان مقصودا،وله غايات تتعلق بأسباب سياسية أو اجتماعية أو مذهبية فلم يرد الرواة المساس بشخصيات قدست فقط لأنها تحمل صفة الصحبة للنبي(صلى الله عليه وآله وسلم) ولعل ذلك كان مسايرة لمبادئ السلطات الحاكمة في عصرهم أو لتوجهات الرأي العام وتفشي نظرية عدالة الصحابة.

أما اليعقوبي فقد أورد الرواية بأسلوب أكثر تعميما، فجاء قوله: "**ومر القوم في الليل بماء يقال له : الحوأب، فنبحتهم كلابه، فقالت عائشة : ما هذا الماء؟ قال بعضهم : ماء الحوأب . قالت : إنا لله وإنا إليه راجعون ! ردوني ردوني ! هذا الماء الذي قال لي رسول الله** (صلى الله عليه وآله وسلم) **: لا تكوني التي تنبحك كلاب الحوأب . فأتاها القوم بأربعين رجلا، فأقسموا بالله أنه ليس بماء الحوأب**"[4]

وإذا ما أردنا أن نعرف، موقف اليعقوبي من تلك الأحداث، لابد لنا من العودة قليلا الى النص الذي ساقه لنا قبل خبر الحوأب، فقد أورد أن عائشة ذهبت لأم سلمة تقنعها بالخروج معها لإصلاح أمر المسلمين، الا أنها رفضت ونهتها بشدة، حتى كادت أن تتراجع عن المسير للبصرة **ونادى مناديها : "ألا إن أم المؤمنين مقيمة فأقيموا وأتاها طلحة والزبير وأزالاها عن رأيها، وحملاها على الخروج فسارت الى**

([1]) صالح بن كيسان مولى لبني غفار، من فقهاء المدينة والجامعين للحديث والفقه ، و قيل أنه كان مؤدبا لعمر بن عبد العزيز، وهو ممن صحب الزهري، وقيل أنه رأى عبد الله بن الزبير، وقال بعضهم أنه سمع منهم، عده البعض من أصحاب الامام السجاد (عليه السلام) قيل أنه توفي بعد سنة 140هـ ينظر: البخاري، التاريخ الكبير، ج4، ص288؛ الذهبي ، سير أعلام النبلاء، ج6، ص167؛ الخوئي، معجم رجال الحديث، 10، ص88.

([2]) أنساب الأشراف، ج2، ص223.

([3]) للرجوع لتلك النصوص ينظر: ص127من الرسالة .

([4]) تاريخ اليعقوبي، ج2، ص 180.

البصرة مخالفة على علي "[1]، لقد حاول اليعقوبي أن يظهر أن عائشة امتثلت لنهي أم سلمة ووعظها لولا أن طلحة والزبير هما اللذان حملاها على الخروج، إلا إن رواية اليعقوبي لا تبين كيف أعاده عن رأيها رغم اقتناعها بوعظ أم سلمة بوجوب، وتذكيرها بما أمرهن به من الله ونبيه (صلى الله عليه وآله وسلم) لاسيما أن كلام اليعقوبي يدل على أن عائشة هي من كان يقود ويأمر الناس وينادي بهم " **فنادى مناديها : ألا إن أم المؤمنين مقيمة، فأقيموا**"[2]، فكيف استطاع الرجلان أن يحملاها على الخروج ؟ وكيف لها أن تسير بجيش **أو**" **خلقا عظيم** "[3] كما وصفهم اليعقوبي، إن لم تكن هي على قناعة تامة بذلك الخروج ؟ وهذا تناقضا واضحا في نص اليعقوبي، فالأرجح أنه أراد تبرير موقف عائشة ربما تعاطفا أو مسايرة لآراء وظروف مجتمعه، وجعلها ضحية لكذب وتآمر القوم الذين كانوا برفقتها دون أن يحدد اسماءهم مما يعطي انطباعًا بأن المسؤولية كانت جماعية. أما ابن أعثم فقد جاءت روايته كالأتي : " **وعائشة قد تقدمت فيمن معها من الناس، حتى إذا بلغت إلى ماء الحوأب وذلك في وقت السحر نبحت الكلاب فسمعت عائشة رجلا من أهل عسكرها يسأل ويقول : أي ماء هذا ؟ فقيل له : هذا ماء الحوأب، فقالت عائشة : ردوني !... فلما أصبحوا إذا عبد الله بن الزبير، قد أتى بخمسين رجلا ... فكانت هذه الشهادة أول شهادة زور شهد بها في الاسلام**".[4] وعند التمعن في فيما ورد في النص، يتضح أن ابن أعثم انفرد بجعل السائل عن اسم المكان الذي نبحت فيه الكلاب ؛رجلا من العسكر، في حين أن معظم الروايات الأخرى تتفق على إن عائشة هي التي بادرت بذلك السؤال بل أنها كانت تسأل عن كل موضع تنزل فيه في رواية للزهري الذي قال:" **لما سارت عائشة ... كانت تنزل كل منزل فتسأل عنه حتى نبحتها كلاب الحوأب**"[5] إن سؤالها عن اسم المكان بمجرد سماعها لنباح الكلاب ؛تجعل الباحث يرجح إن الحديث لم يغب عن بالها، وإنها كانت تريد بسؤالها عن كل منزل تنزله التأكد من تحقق نبوؤة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ، فإذا ما عدنا الى النص الذي أخرجه البيهقي،عن أم سلمة نجد إن عائشة ضحكت عندما سمعت كلام النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وتحذيره لها ولبقية نسائه[6] ؛ أي أنها لم تكن متيقنة من تحقق تلك النبوؤة، ولم تأبه لتحذيره لها فلما تحققت وهالها نباح الكلاب خافت وأرتعبت .

([1]) تاريخ اليعقوبي،ج2، ص180.181.

([2]) تاريخ اليعقوبي،ج2، ص181.

([3]) تاريخ اليعقوبي، ج 2، ص181.

([4]) الفتوح ، ج2، ص192.

([5]) البيهقي، المحاسن والمساوئ، ص43.

([6]) للرجوع للرواية ينظر: ص 127من الرسالة.

ولعل الرواة، تنبهوا لذلك، ونسبوا السؤال عن المكان لشخصية مجهولة من العسكر بدلا من عائشة، وهذا الإبدال، من الأساليب الروائية التي يتبعها الرواة الهدف منه هنا إزالة تلك الشبهة عن أم المؤمنين .في حين نجد أن موقف المسعودي كان أكثر جرأة عن غيره من المؤرخين، فقد صرح عن موقف طلحة والزبير وشهادتهما بالكذب والزور دون مجاملة، فأورد الخبر بقوله: بقوله" **فقال الزبير: بالله ما هذا الحوأب،ولقد غلط فيما أخبرك به وكان طلحة في سَاقَةِ الناس،فلحقها فأقسم أن ذلك ليس بالحوأب،وشهد معهما خمسون رجلا ممن كان معهم، فكان ذلك أول شهادة زور أقيمت في الإسلام** "[1] ولعل جرأة المسعودي بالإفصاح عما غيبته المصادر تعود لما تمتع به من حرية الكتابة، كونه لم يكن من المقربين للسلطة، كما أنه عاش في مدة اعتزل الناس فيها السياسة التي سببت إرباكا للحياة العامة، الأمر الذي جعل أصحاب العقول النيرة يرتحلون طلبا للعلم وابتعادا عن السياسة [2] ولعله كان أحدهم فيذكر أنه ترك العراق في السنة التي بدأ فيها بكتابة مألفه مروج الذهب[3] فطغت على كتاباته الصفة الموضوعية وحاول أن يكون حياديا، ونتفق مع أحد الباحثين الذي يقول أن أحسن دليل على حياديته، هو اختلاف مترجمي حياته بتحديد مذهبه، لأنه لو كان متحيزا لرأي أو مذهب لبان مذهبه دون لبس[4]

ج ـ خبر الحوأب في تاريخ الرسل والملوك:انفرد الطبري عن بقية المؤرخين بأنه أورد ثلاثة روايات مختلفة عن حادثة الحوأب الأولى تخص امرأة من، وإثنان تدور أحداثهما حول عائشة ولمعرفة مدى الاختلاف والتناقض في تلك النصوص والدوافع من تأسيسها وصناعتها، اقتضت الدراسة الوقوف عند كلٍ منها.

أولاً: انفرد الطبري عن معاصريه بنقل خبر نباح كلاب الحوأب على عائشة برواية طويلة ومفصلة بسند ضعيف لذلك ارتأينا الوقوف عنده فقال: " **حدثني إسماعيل بن موسى الفزاري[5]، قال: أخبرنا علي بن**

([1]) مروج الذهب، ج2، ص358.

([2])الخريشة،الموارد التاريخية للمسعودي في كتابه:"مروج الذهب ومعادن الجوهر" للفترة الأموية، ص16.

([3]) المسعودي، مقدمة مروج الذهب، ص7.

([4]) حمود، العقائد والفرق الدينية، ص89.

([5]) إسماعيل بن موسى الفزَاريُّ، أبو محمد أو أبو إسحاق، الكوفيُّ، نَسِيب السُّدّيِّ، أو ابنُ بنته، أو ابنُ أخته، جرحه بعض العلماء بقولهم صدوقٌ يُخطئُ و رُمِي بالرَّفْض، ووثقه آخرون كأبي حاتم والنسائي وابن حجر، قيل توفي في عام (245هـ) .ينظر: الذهبي، ميزان الاعتدال، ج1، ص251؛ ابن حجر، تحرير تقريب التهذيب، ج1، ص141.

عابس الأزرق[1]،قال: حدثنا أبو الخطاب الهجري[2]، عن صفوان بن قبيصة الأحمسي[3]، قال: حدثني العرني[4] صاحب الجمل، قال: بينما أنا أسير على جمل إذ عرض لي راكب فقال:.. تبيع جملك؟ قلت: نعم،قال: بكم؟ قلت: بألف درهم، قال: مجنون أنت! جمل يباع بألف درهم! ... قلت: ما طلبت عليه أحدا قط إلا أدركته ... قلت: ولمن تريده؟ قال: لأمك، قلت: لقد تركت أمي في بيتها قاعدة ما تريد براحا، قال: إنما أريده لأم المؤمنين عائشة،قلت: فهو لك،فخذه بغير ثمن، قال: لا ولكن ارجع معنا إلى الرحل فلنعطك ناقة مهرية ونزيدك دراهم، قال: فرجعت فأعطوني ناقه لها مهريه، وزادونى أربعمائة او ستمائة درهم، فقال لي: يا أخا عرينة، هل لك دلالة بالطريق؟ قال: قلت: نعم،أنا من أدرك الناس، قال: فسر معنا، فسرت معهم فلا أمر على واد ولا ماء إلا سألوني عنه،حتى طرقنا ماء الحوأب فنبحتنا كلابها، قالوا: أي ماء هذا؟ قلت: ماء الحوأب قال: فصرخت عائشة بأعلى صوتها،ثم ضربت عضد بعيرها فأناخته، ثم قالت: انا والله صاحبة كلاب الحوأب طروقا،ردوني! تقول ذلك ثلاثا فأناخت وأناخوا حولها ... وهي تأبى حتى كانت الساعة التي أناخوا فيها من الغد قال: فجاءها ابن الزبير فقال: النجاء النجاء، فقد أدرككم والله علي بن أبي طالب! قال: فارتحلوا وشتموني،فانصرفت فما سرت إلا قليلا وإذا أنا بعلي ... فقال لي : يا ايها الراكب! أين أتيت الظعينة؟ قلت: في مكان كذا وكذا، ... فقال علي: هل لك دلالة بذي قار؟ قلت: لعلي أدل الناس، قال: فسر معنا، فسرنا حتى نزلنا ذا قار ..."[5].

بداية لابد من التنويه الى ضعف سند الرواية التي انفرد الطبري بنقلها، إذ ورد فيه العديد من الضعفاء والمتروكين عند اهل الجرح كما ورد فيه إثنين من المجاهيل، فضلًا عن العرني نفسه الذي يروي القصة فهو مجهول الحال ايضا الامر الذي يثير التساؤل ما الغاية من سرد مثل تلك القصة الضعيفة؟؟

([1])علي بن عابس الأسدي الكوفي، كان يبيع الملاء، روى عنه العراقيين، وهوضعيف ومتروك الحديث .ينظر:ابن حبان،المجروحين،ج2،ص105؛المزي،تهذيب الكمال،ج2،ص504؛ابن حجر، تهذيب التهذيب،ج7،ص 334.

([2]) قيل اسمه عمرو وقيل عمر بن عمير، من أهل الكوفة يروي عنه ابن غنية الكوفي وعلي بن عابس ، وقيل أنه مجهول الحال.ينظر: ابن أبي حاتم، الجرح، ج9، ص365؛ابن حجر،تقريب التهذيب،ج1،ص637؛تهذيب التهذيب،ج6، ص392.

([3]) مجهول الحال، ويروى عن طارق بن شهاب روى عنه ضرار ابن مرة وأمي بن ربيعة الصيرفي وابو الخطاب .ينظر: ابن أبي حاتم ، ج4، ص423؛ الذهبي، ميزان الاعتدال، ج2، ص316، ابن حجر، لسان الميزان، ج4، ص423.

([4]) لم أقف على ترجمته.

([5]) تاريخ الرسل، ج3، ص457.

أما متن الرواية فيمكننا، تلخيصه بأن قادة معسكر عائشة مروا على أعرابي زعموا أنهم لقوه في طريق الصحراء ومعه جمل أعجبهم فأرادوا أن يكون هو جمل عائشة، فاشتروه منه، أعطوه ناقتها التي كانت تركبها ثم طلبوا منه مرافقتهم ليدلهم على الطريق حتى وصلوا إلى الحوأب، فسمع هذا الكلام ورواه.

وبعد مقارنة الالفاظ والاحداث التي وردت في تلك الرواية، بالنصوص التأريخية الاخرى التي نقلت الخبر، نجد كثير من مواطن الضعف والاختلاف، فلم يبين العرني، من ذاك الراكب الذي كان يتفاوض معه لشراء جمله، فأصبح في الرواية مجهولًا آخر.ثم إن الثابت عند أهل السير والاخبار أن الدابة التي ركبتها عائشة كانت جملا وليست بناقة، واسمه عسكر، إشتراه يعلى بن منيه من اليمن وحمل عليه هودج عائشة عند انطلاقهم من المدينة، بينما يدعي العرني أنهم أعطوه ناقة مهرية التي كانت عائشة تركبها بدلاعن جمله ولم توضح الرواية سبب استبدالهم الناقة بجمل العرني، والغريب أيضًا أنه يروي كل التفاصيل ويروي كيف أنه كان يتساوم على سعر جمله ثم لا يذكر كم أعطوه من المال : "**وزادونى أربعمائة او ستمائه درهم**".

أما مسألة استعانة معسكر الجمل بذلك العرني لدلالة الطريق ومن ثم معسكر علي (عليه السلام) فهو أمر موضع شك أيضا، لأن طريق البصرة كان مألوفا لأهل الحجاز، لاسيما بعد فتح العراق وفارس ولو فرضنا غير ذلك فليس من المعقول أن تنطلق جيوش المعسكرين دون أن يصطحبوا معهم الأدلاء ولوكان معسكر الجمل بحاجة الى دليلًا، كيف يستغنون عنه بتلك السهولة، رغم أنهم علموا بملاحقة جيش علي(عليه السلام) لهم، أليس من الأولى أن يتمسكوا به ليوصلهم الى ضالتهم بأسرع وقت.

ونلحظ لما وصل الراوي للكلام عن الحوأب قال:" **فسرت معهم فلا أمر على واد ولا ماء إلا سألوني عنه... قالوا: أي ماء هذا؟ قلت الحوأب...** نلحظ إن الراوي هنا عالج مسألة مهمة ألا وهي تسمية الشخص الذي بادر بالسؤال عن اسم المكان فلم يذكر أن عائشة هي التي سألت مثلما ورد في معظم الروايات، ولم يحدد إسم شخص معين كما هو الحال في رواية ابن أعثم التي أسند فيها هذا الدور لرجل من العسكر[1]، بل أنه أظهر أن السؤال كان من الجميع، وإنهم كانوا يسألونه عن كل واد يمرون به، ولعل الراوي أراد بذلك إزالة الشبهة والتأكيد على نسيانها للحديث الشريف، وفي الوقت ذاته، فأن الرواية تتجاهل وقوع حادثة شهادة الزور التي تمس الصحابة وعدالتهم، وبطريقة جدا ذكية ؛ بإبدال ذلك الحدث بحدث آخر فإدعى أن سبب مواصلة عائشة مع عسكرها لسيرهم الى البصرة، هو لوصول جيش

(1) للرجوع الى النص ينظر:ص132 من الرسالة.

علي (عليه السلام) وخوفهم منه "**فجاءها ابن الزبير فقال: النجاء النجاء، فقد أدرككم والله علي بن أبي طالب!** " ونقول لو أن عائشة حقا أرادت الرجوع بعد تحقق النبوؤة وبعد أن تذكرت ذلك الحديث، لما لم تتراجع عن قرارها عندما وصلت البصرة ؟ فأن كان خوفها من فتك معسكر علي (عليه السلام) كان بإمكانها الاستعانة بأهل البصرة، وأن تظهر ندمها للأمام (عليه السلام) ، فقد ناشدها كثيرٌ من أهلها بعد وصولها أن تعود الى بيتها منهم جارية بن قدامة الذي عرض عليها الوقوف بجانبها إن كان أحدا قد أكرهها على الخروج وذلك بقوله لها :" **إن كنت أتيتنا طائعة، فإرجعي الى منزلك، وإن كنت أتيتنا مستكرهة فاستعيني بالناس**" .وتلك الرواية أوردها الطبري نفسه [1]

الرواية الثانية:

أما في رواية الطبري الثانية والتي أوردها عن الزهري، ناقض تماما ما نقله في هذه الرواية، إذ اتفقت رواية الزهري مع المصادر التي تأكد إن عائشة هي التي سألت عن اسم المكان، وإدانة عبد الله بن الزبير بشهادة الزور لكن بأسلوب تمريضي فيه تضعيف للخبر فجاء فيها: "**فسمعت عائشة نباح الكلاب، فقالت: أي ماء هذا؟ فقالوا: الحوأب، فقالت: إنا لله وإنا إليه راجعون! إني لهيه، قد سمعت رسول الله ص يقول وعنده نساؤه: ليت شعري أيتكن تنبحها كلاب الحوأب!،فأرادت الرجوع،فأتاها عبد الله بن الزبير فزعم أنه قال: كذب من قال إن هذا الحوأب ولم يزل حتى مضت**"[2] وفضلًا عن هذا الأسلوب التمريضي فإن تلك الرواية لا تبين موقف طلحة والزبير، ولعل ذلك هو السبب الذي جعل الطبري ينتقي تلك الرواية بعد رواية العرني التي قدمها على رواية الزهري، ولعل ذلك يتناسب مع منهج الطبري ونظرته الايدلوجية في عرضه لرواياته التأريخية، بمسايرة الرأي العام، وعدم التعرض لما يمس عدالة السلف [3] .

الرواية الثالثة :

مما تقدم يتضح أنه ليس من الغريب أن ينفرد الطبري برواية ثالثة ليس لها أثر في كتب التاريخ، وهي الرواية التي أوردها عن سيف بن عمر في ذكر حوادث ردة قبائل هوازن وسليم وعامر سنة (11هـ)،

([1]) تاريخ الرسل،ج3،ص482؛ابن الأثير، الكامل في التاريخ،ج3، ص214؛ أيوب، الإنحرافات الكبرى، ص214.

([2]) تاريخ الرسل، ج3، ص 485. 486.

([3]) للمزيد عن دور الأيدلوجيات السياسية والاجتماعية ينظر: ادريس، محنة التراث الآخر،ص26.

وفيها أن صاحبة الحوأب امرأة تدعى أم زمل سلمى بنت مالك [1] "**وكانت قد سبيت في أيام أم قرفة** [2] **فوقعت لعائشة فأعتقتها... وقد كان النبي ص دخل عليهن يوما، فقال إن إحداكن تستنبح كلاب الحوأب، ففعلت سلمى ذلك حين ارتدت، وطلبت بذلك الثأر، فسيرت فيما بين ظفر والحوأب، لتجمع إليها، فتجمع اليها... من غطفان وهوازن وسليم وأسد وطيئ فلما بلغ ذلك خالدا ... سار الى المرأة... فاقتتلوا قتالا شديدا، وهي واقفة على جمل أمها، وفي مثل عزها وكان يقال: من نخس جملها فله مائة من الإبل لعزها،وابيرت يومئذ بيوتات من جاس . حي من غنم- وهاربه ـ وأصيب في أناس من كاهل وكان قتالهم شديدا،حتى اجتمع على الجمل فوارس فعقروه وقتلوها. وقتل حول جملها مائة رجل**"[3] .

لقد اتفقت كتب التأريخ والسير على إن قصة أم قرفة كانت في سرية زيد إلى بني فزارة في السنة السادسة للهجرة . فقتل المقاتلة وسبى النساء والذرية وكان لأم قرفة من حذيفة ثلاثة عشر ولدا قتلوا وابنة اسمها(جارية) سبيت، فأهداها النبي إلى خاله حزن ابن أبي وهب[4] فبقيت عنده وولدت له عبد الرحمن بن حزن[5]، ولم يذكر أن لأم قرفة ابنة غيرها.[1]

([1]) لم أعثر على ترجمة لها سوى ما أورده ابن حجر، فترجم لها بنفس الخبر الذي أورده الطبري عن سيف وذلك بقوله: "**سلمى بنت مالك بن حذيفة بن بدر الفزارية، أم قرفة الصغرى، هي بنت عم عيينة بن حصن. كانت تشبّه في العز بجدتها أم قرفة الكبرى التي قتلها زيد بن حارثة لما سبى بني فزارة، وكانت سلمى سبيت فأعتقتها عائشة، ودخل النبيّ** صلى الله عليه وآله وسلم **وهي عندها، فقال: إنّ إحداكن تستنبح كلاب الحوأب . قالوا: وكان يعلق في بيت أم قرفة خمسون سيفا لخمسين رجلا كلّهم لها محرم، فما أدري هذه أو أم قرفة الكبرى؟**". ينظر:الاصابة،ج8، ص186. ويرى مرتضى العسكري إنها من مختلقات سيف بن عمر. عبد الله بن سبأ، ج1، ص239؛ خمسون ومائة صحابي مختلق، ج2، ص239.

([2]) امرأة من بني فزارة من سكان وادي القرى ، قيل اسمها فاطمة بنت ربيعة، وكانت رئيسة في قومها، كانت تألب على النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ، فجهزت وفدا من أبنائها لغزو المدينة وقتله ، وقيل بل أن بني فزارة تعرضوا لقافلة للمسلمين بقيادة زيد ، فأرسل لهم النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) سرية بقيادة زيد بن حارثة عام (6هـ)، فأسرت أم قرفة ثم قتلت، وسبيت ابنتها (جارية) .ينظر ابن هشام،السيرة النبوية،ج4،ص103؛ابن سعد،الطبقات،ج2،ص90؛ البغدادي، المحبر، ص490؛ اليعقوبي،تاريخ اليعقوبي،ج2، ص71؛الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج1، ص226.

([3]) تاريخ الرسل، ج2، ص491؛ العسكري، الأسطورة السبأية، ص125.

([4]) حزن بن أبي وهب بن عمرو بن عايذ بن عمران المخزومي، جد سعيد بن المسيب،ذكر أنه أسلم يوم الفتح وقتل شهيدا باليمامة في حروب الردة،وادعى بعضهم أنه ابن خال عبد الله والد النبي (صلى الله عليه وآله وسلم).ينظر: ابن سعد، متمم الصحابة،ج1،ص364؛ التلمساني،الجوهرة ،ج1،ص26، ص87؛ابن حجر،تهذيب التهذيب، ج2، ص243.

([5]) عبد الرحمن بن حزن بن أبي وهب بن عائذ بن عمران بن مخزوم ، عم سعيد بن المسيب، قتل يوم اليمامة، في خلافة أبي بكر، قيل كان للمسيب بن حزن إخوة، منهم: عبد الرحمن هذا، والسائب، وأبو معبد بنو حزن، وقيل أيضا أنهم أدركوا النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ولا تعرف لهم رواية عنه إلا المسيب .ابن عبد البر، الاستيعاب، ج2، ص828؛ ابن الأثير، أسد الغابة، ج3، ص330.

ولقد علق المحقق مرتضى العسكري على تلك الرواية بقوله: " **ولا أدري من اين جاء سيف بسلمى أم زمل إلى عائشة وكيف أخرجها إلى ظفر**[2] **والحوأب،وقوم حذيفة بوادي القرى بين الشام والمدينة،والحوأب على طريق البصرة** ." وانتهى العسكري لنتيجة حول سبب اختلاق سيف بن عمر لهذه الأسطورة' إنما كان دفاعا عن أم المؤمنين، التي نبحت كلاب الحوأب على جملها[3]

فضلا عن ذلك فقد إتضح للباحث أن الراوي سيف بن عمر حاول طمس حقيقة خبر الحوأب بإيراده خبرا آخر، لا يعرف مدى صحته، وهي إن جيش أصحاب الجمل، عندما خرج من مكة لم يسلكوا طريق البصرة المعتاد، فتيامنوا عنه عندما اقتربوا من أوطاس وساروا بمحاذاته، الى أن اقتربوا من البصرة، وأكد على تضمين ذلك في العديد من الروايات التي أوردها منها **قوله** : "**خرجوا حتى إذا انتهوا إلى جبال أوطاس تيامنوا وسلكوا طريقا نحو البصرة وتركوا طريقها يسارا** "[4]، وقوله :" **وتيامنت عن أوطاس وهم ستمائة راكب سوى من كانت له مطية فتركت الطريق ليلة وتيامنت عنها كأنهم سيارة ونجعة مساحلين لم يدن من المنكدر ولا واسط ولا فلج منهم أحد حتى أتوا البصرة**"[5] . وبما أنهم تركوا طريق البصرة، سيكون خبر مرورهم بماء الحوأب الواقع على الطريق بين مكة والبصرة خبر غير صحيح، وتلك هي غاية الراوي الذي أراد طمس حادثة تاريخية بإبدالها بنصوص وأخبار أخرى دون أن يتكلم بصورة مباشرة، عن تلك الحادثة لا من قريب ولا من بعيد.

لكن ما يدعو للتساؤل هو انفراد الطبري بنقل تلك الرواية، ولعله أراد التأسيس لتلك الغاية بإيرادها في أخبار الردة ثم انفرد بقصة العرني التي إتضح لنا إنها غير مقبولة لضعفها متنًا وسندًا ثم ختمها برواية الزهري ذات الأسلوب التمريضي لتضعيف الرواية، مما يبين لنا أن الطبري انتقى روايات تضعف وتخفف من أهمية ذلك الخبر.

([1]) ابن هشام، السيرة النبوية، ج4، ص103 ؛ ابن سعد، الطبقات، ج2، ص90؛ البغدادي، المحبر، ص490؛ اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج2، ص71؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج1، ص226؛ المقريزي، امتاع الاسماع، ج1، ص270.

([2]) يبدو أن الحموي قد أنطوى عليه الخبر الذي أورده الطبري عن سيف فقال في ترجمة ظفر: اسم موضع قرب الحوأب في طريق البصرة إلى المدينة، اجتمع عليه فلّال طليحة يوم بزاخة، ظفر، ثم ذكر ترجمة أخرى فقال: وقال نصر ظفر، موضع إلى جنب الشّميط بين المدينة والشام من ديار فزارة، هناك قتلت أمّ قرفة واسمها فاطمة بنت ربيعة بن بدر، كانت تؤلّب على رسول الله، صلى الله عليه وآله وسلم ، وكان لها اثنا عشر ولدا قد رأس، وكانت يوم بزاخة تؤلّب الناس واجتمع إليها فلّال طليحة، فقتلها خالد وبعث رأسها إلى أبي بكر. معجم البلدان، ج4، ص60.

([3]) عبد الله بن سبأ وأساطير أخرى، ج1، ص206؛ الأسطورة السبأية ، ص125.

([4]) الضبي، الجمل ومسير عائشة، ص283؛ الطبري، تاريخ الرسل، ج3، ص478.

([5]) الضبي، الجمل ومسير عائشة وعلي ، ص272. ص273؛ الطبري، تاريخ الرسل، ج3، ص473.

ولعله ذلك هو السبب الذي دعاه الى عدم نقل رواية سيف من قبل المؤرخين الذين كتبوا تواريخهم عن الطبري، لما فيها تلفيق واضح و أكتفوا برواية العرني رغم نكارتها وضعف سندها أيضا فقط لخلوها من أي اتهام للسلف ولأنها تساير الرأي العام وسياسة السلطات الحاكمة [1]، عدا ابن خلدون الذي نقل معها رواية سيف عن بنت أم قرفة في أحداث الردة [2]. وترك الجميع رواية الزهري لما فيها من ذكر لشهادة الزور وإدانة للسلف من قادة الجمل.

إن خبر حادثة الحوأب، يكشف لنا بشكل واضح ميول ونظرة المؤرخين من أحداث الفتنة وشخصياتها، ومدى مسايرتهم لأوضاع عصورهم، وشاهدنا هنا الطبري الذي انتقده الكاتب هاني ادريس بقوله :" **لاندع أن طريقة الطبري في التصرف في الأخبار كانت بزيادة أو نقيصة، بل بترجيح بعضها على البعض ولو على حساب الوثاقة والسند** "[3]. وعلل الكاتب أن دافع الطبري هو لأجل الحفاظ على التوازنات بين التيارات المذهبية والسياسية في عصره، وأن ذلك كان جزءا من مشروع تاريخي وحدوي هدف الطبري فيه لإرضاء جميع تلك التيارات المؤلفة لكيان الأمة الاسلامية آنذاك سواء كانت السلطة العباسية الحاكمة أو أندادهم من أصحاب التيارات الأخرى كالتيار السلفي المتدفق الذي يمثل آنذاك القاعدة الرئيسية في المجتمع كما كان هناك بقايا لمؤيدي الاتجاه الاموي المهزوم في الأندلس، فضلا عن التيار الشيعي الذي يعد المعارض الأقوى للعباسيين آنذاك .[4]

ولنا أن نتساءل هل إن تحقيق مشروع تاريخي وحدوي ومراعاة حساسية الوضع السياسي و التوازنات المذهبية يعد مسوغا للتشويش على الحقائق التأريخية و السكوت عن بعضها الآخر؟!

إن التناقض الكبير بين الرواة والمؤرخين في خبر الحوأب يدفعنا للتساؤل حول صحة وقوع تلك الأحداث، أم إنها من إضافات الرواة، لتبرير موقف عائشة؟ وهل إن شهادتهم لها تبرر موقفها بمخالفة حديث النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ومواصلة مسيرها بدعوى أنها تريد الإصلاح ؟ وهل شهادة الزور تعد مبررا كافيا لإعفائها من مسؤولية ما نتج على خروجها لتلك الحرب ؟ وهل إنها فعلا صدقت شهادة اولئك الأعراب ؟ أم إنها وجدت نفسها في مأزق لابد من الخروج منه لأنها لما سمعت النباح وعلمت باسم الموضع أظهرت ردة فعل لا إرادية أثارة فضول من كان معها، فذكر أنها صرخت بأعلى صوتها، وبما

([1])ابن الاثير،الكامل في التاريخ،ج3،ص210؛النويري،نهاية الارب،ج2،ص32؛المقريزي إمتاع الاسماع،ج13، ص232.

([2]) ابن خلدون ،المبتدأ والخبر،ج2، ص498، ص604.

([3]) محنة التراث الآخر، ص 26.

([4]) محنة التراث الآخر ، ص26.

أنها كانت الشخصية الأهم في ذلك المعسكر لابد إن صراخها قد أثار فضول من كان معها، فالحدث ينبأ بوقوع أمرا خطير:" **فنبحتهم الكلاب، فنفرت صعاب إبلهم...** "[1] يعلق أحد المحققين لا تنفر الإبل عادة من نباح الكلاب إلا في حالات استثنائية والإبل الصعبة أقل تأثراً بنباح الكلاب، وقد نفرت إبل معسكر الجمل حتى الصعبة لكثرة كلاب الحوأب وشدة نباحها وهجومها عليهم وكأن هذه الكلاب جنٌّ جمعهم الله لتحقيق الآية التي أخبر بها النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وكانت إبلهم ست مئة ومعنى نفرتها أنها هربت في كل جهة، ولم يسيطروا عليها إلا بصعوبة .[2]

فيبدو أن الحديث أوقع عائشة في مأزق، وجعلها محرجة . فما كان منها الا أن تعترف به فقد يكون أحدا ممن تبعها سمع بالحديث من نساء النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) الأخريات، فيخبر به الناس إن لم تخبرهم هي، فيشكلوا عليها وينفضوا من حولها فيدب الضعف في صفوف معسكرها . وبعد أن اعترفت بالحديث كان لابد من وجود مخرج من ذلك المأزق لأقناع الناس أن المكان ليس بالحوأب، لأجل مواصلة المسيرويتضح من رواية ابن ابي الحديد التي رواها بإسناد جمعي أنها هي من طلبت إحظار شهود: " **قال لها الزبير: مهلا يرحمك الله، فإنا قد جزنا ماء الحوأب بفراسخ كثيرة، فقالت: أعندك من يشهد بأن هذه الكلاب النابحة ليست على ماء الحوأب ؟ فلفق لها الزبير وطلحة خمسين أعرابيا جعلا لهم جعلا، فحلفوا لها ... فسارت عائشة لوجهها**" [3]

إن نص ابن ابي الحديد هذا يجيبنا عن بعض ما حاول الرواة تلبيسه، إذ إن لكل واحد من قادة معسكر الجمل دورا في تلك الحادثة،وإنهم جميعا خالفوا حديث النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ، فطلحة والزبير وابنيهما كان يفترض بهم أن يرجعوا معها بعد سماعهم الحديث هذا إن كانت نيتهم الإصلاح كما ادعت الروايات التي صححها علماء الحديث، أما عائشة فكونها زوج النبي وراوية للأحاديث كان الأوجب أن لا تترك ما سمعته من نبي الله ص)، الذي لا ينطق عن الهوى محتجة بشهادة جمع من الأعراب، فلكل منهم نصيبه من الخطأ، وكما قال تعالى: ((**وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى**)) [4].

([1]) ابن أبي الحديد، نهج البلاغة، ج9، ص311؛ الريشهري، موسوعة الإمام علي(عليه السلام)، ص126.

([2]) الكوراني، سيرة أمير المؤمنين (عليه السلام)، ج3، ص72.

([3]) إن أبي الحديد، نهج البلاغة، ج9، ص311؛ الريشهري، موسوعة الإمام علي(عليه السلام)، ص126.

([4]) سورة الزمر، آية (7).

كما أن بعض الروايات تقول أن أم سلمة ذكرتها بالحديث قبل خروجها عندما كانت تحاول ثنيها عن المسير فقالت لها : فاتقي الله يا عائشة في نفسك واحذري ما حذرك الله ورسوله (صلى الله عليه وآله وسلم) ، ولا تكوني صاحبة كلاب الحوأب"[1]وفي رواية أخرى" إنها قالت لها : " **واذكري قوله** صلى الله عليه وآله وسلم **في نباح كلاب الحوأب وقوله : ما للنساء والغزو، وقوله : يا حميراء انظري أن لا تكوني علت علت** [2] "[3] . فضلا عن ذلك فقد أوصى النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) في العديد من الأحاديث بإتباع وطاعة أمير المؤمنين (عليه السلام) ، والتي كانت على مسمع الجميع بما فيهم عائشة، منها حديث الغدير المتواتر: "**من كنت مولاه فعلي مولاه، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه**"[4]، ولقد أصحر النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ليبين للعالم مكانة علي (عليه السلام) الإلهية، ولما لم يدرك المجتمع الإسلامي ذلك، بين لهم أن عليا هو قطب رحى الحق بقوله:" **علي مع الحق والحق مع علي يدور إذما دار** "[5] وقوله (صلى الله عليه وآله وسلم) في عمار الذي كان في مقدمة صفوف أصحاب علي (عليه السلام) "**إن عمارا مع الحق والحق معه، يدور عمار مع الحق أينما دار، وقاتل عمار في النار**"[6]، فإنما أراد أن يبين أن كل طالب حق عليه أن يكون على صلة بعلي (عليه السلام) ليتسنى له أن يعرف الحق ويتصل به .[7]ولاشك أن عائشة كانت ممن سمع بهذا الحديث،فروي أخاها أن محمد بن أبي بكر احتج عليها بعد أن عقر جملها في البصرة قائلا:" **أنشدك الله**

([1]) ابن أعثم ، الفتوح، ج2، ص455.

([2]) **أي ملت عن الحق من العول وهو الميل** . الصدوق، شرح الأخبار، ص375.

([3]) الصدوق، شرح الأخبار، ص375؛ الحر العاملي، إثبات الهداة بالنصوص والمعجزات، ج1، ص289؛ ينظر: ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج5، ص79؛ الباعوني، جواهر المطالب في مناقب الإمام علي(عليه السلام)، ج2، ص29؛ ابن شدقم، الجمل ، ص106؛ التستري، بهج الصباغة في شرح نهج البلاغة، ج10، ص97.

([4]) ابن أبي شيبة، المصنف، ج6، ص368، ص339؛ ابن حنبل، المسند، ج2، ص262، ص269؛ البزاز، المسند، ج2ص133، ص230؛ النسائي، السنن الكبرى، ج7، ص310؛صحيح ابن حبان، ج 15، ص376، ص375؛ الحاكم، المستدرك، ج3، ص118.وطرق هذا الحديث ومصادره كثيرة جدا ومن الفريقين للمزيد عنها ينظر: الأميني، الغدير، ج1، ص152- ص157.

([5]) الشريف المرتضى، الشافي في الإمامة، ج1، ص202. ولقد ورد هذا الحديث بألفاظ وأسانيد صحيحة كثيرة عند الفريقين وبعضها عن عائشة بنت أبي بكر، للوقوف على ألفاظ الحديث وجميع مصادره ينظر: المرعشي، شرح إحقاق الحق، ج5، ص623. ص635؛ أبو معاش، علي، الأربعين في حب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام).

([6]) ابن سعد ، الطبقات، ج3، ص632؛ ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج43، ص476.

([7]) الشاكري، ربع قرن مع العلامة الأميني، ص69.

أتذكرين يوم حدّثتني عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) **أنّه قال : الحقّ لن يزال مع علي وعليّ مع الحق لن يختلفا ولن يتفرقا ؟ قالت : نعم .**"[1].

فتلك الأقوال تركها رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) لتظل حجة على كل من خرج على الإمام (عليه السلام) الواجب الطاعة، وإن زعم البعض أنهم كانوا يطلبون الإصلاح للزموا طريقه الذي هو طريق الحق بشهادة نبي الله (صلى الله عليه وآله وسلم).

([1]) ابن مردويه، مناقب علي بن أبي طالب (عليه السلام)، ص113؛ ينظر: ابن قتيبة، الإمامة والسياسة.ج1، ص98.

المطلب الثالث/ روايات نزول معسكر الجمل الى حفر ابي موسى [1] :

روي أن عائشة ومن كان معها لما قاربوا الوصول الى البصرة لم يدخلوها مباشرة، بل عسكروا عند مشارفها في حفر أبي موسى[2]

ويبدو أن سبب توقفهم وقفّل لما رواه الطبري عن سيف أنهم كان لإجراء المراسلات مع أهل البصرة فأرسلت عائشة عبد الله بن عامر ليدخل البصرة لإيصال كتبها الى جماعة من وجوه ورؤساء البصرة تستميلهم لنصرتها وتشير الرواية ان سبب اختيار ابن عامر لتلك المهمة، لأنه كان له في البصرة صنايع يستعين بهم في مهمته فأندس بين القوم ودخل البصرة: " **وكتبت الى الأحنف بن قيس، وصبرة بن شيمان،وأمثالهم من وجوه الناس، ومضت حتى اذا كانت بالحفير انتظرت الجواب، بالخبر**" [3].

وهذا أمر بديهي فالبصرة كانت تدين بالبيعة لعلي (عليه السلام) ، وواقعة ضمن نفوذه وعامله عليها الأحنف بن قيس كان من خلص خواصه الأوفياء، فلا بد أنه سوف يعترض دخول تلك الأعداد المسلحة والتي بلغ تعدادها ما يقارب الثلاثة آلاف رجل بعددهم وسلاحهم وحينها سيكون الاحتمال الأقوى أن يقف معه الأهالي لحماية مدينتهم، لذلك كانت الخطوة الأولى التي قام بها قادة الجمل هي الدعاية والإعلام لتحشيد أهل البصرة واستنصارهم لتهيئة الأرضية لحركتهم.

أ- روايات بعثة والي البصرة لمعسكر الجمل:

ولي ابن حنيف البصرة من قبل الإمام علي(عليه السلام) ولم يجد فيها من يرده بعد أن خرج منها والي عثمان السابق عبد الله ابن عامر، أي أنه لم يكن له رأي بالاستقلال فيها أو الحرب [4]، وتشير الروايات الى أنه تصدى بمن كان معه من أهل البصرة لدخول جيش الناكثين إليها[5]، وهذا أمر طبيعي يحتمه عليه واجبه بوصفه واليًا مكلفًا بالدفاع عن مدينته وعن سيادة الحكومة الشرعية فيها أمام زحف الجيوش التي قيل كان تعدادها ثلاثة آلاف فارس[6] ويتضح من سير الأحداث أن ابن حنيف لم يبادرهم بالقتال فور وصولهم وإنما لجأ لإتباع أسلوب الحوار والمفاوضة بإرساله سفارة لتلك المهمة. إلا أن الإعلام السياسي ورواة السلطة حاولوا التعتيم على العديد من الأحداث لطمس الحقائق و إشاعة أن معسكر علي

([1]) الحفر في اللغة :هي البئر اذا وسعت فو ق قدرها هي ركايا حفرها ابو موسى الأشعري، على جادة البصرة الى مكة بينه وبين البصرة خمس ليال، ووردت بلفظ مصغر(الحفير)، وهو أول منزل من البصرة لمن يريد مكة، ويبدو أن الموضعان واحد. الحموي، معجم البلدان، ج2، ص275‘ص277.

([2]) ابو مخنف، أخبار الجمل، ص46؛ أنساب الأشراف، ج2، ص226؛ الطبري؛ تاريخ الرسل، ج3، ص479؛ ابن الأثير، ج3، ص210؛ ابن ابي الحديد، الشرح، ج2، ص174؛ ابن مسكويه، تجارب الأمم، ج1، ص474.

([3]) الضبي، الجمل ومسير عائشة، ص241؛ تاريخ الرسل، ج3، ص479.

([4]) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج3، ص203؛ الأمين، أعيان الشيعة، ج1، ص446.

([5]) اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج2، ص181.

([6]) ابن كثير، البداية والنهاية، ج7، ص258.

(عليه السلام) هو من يتحمل مسؤولية قرار المسارعة للقتال لافتقاده للحنكة السياسية. وهذا ما سنتحقق منه بمقارنة النصوص والروايات. من خلال المقارنة بين رواية الطبري عن سيف بن عمر وما جاء عند غيره من الرواة والمؤرخين.

ب ـ رواية الطبري عن سيف بن عمر:

فروى الطبري عن سيف بن عمر أنه أرسل لعمران بن حصين [1] وكان رجل عامة، وأبي الأسود الدؤلي[2]،وكان رجل خاصة، وقال لهما : "**انطلقا إلى هذه المرأة فاعلما علمها، وعلم من معها، فخرجا فانتهيا إليها بالحفير، فأذنت لهما، فدخلا وسلما وقالا : إن أميرنا بعثنا إليك لنسألك عن مسيرك فهل أنت مخبرتنا ؟ فقالت : والله ما مثلي يسير بالأمر المكتوم ولا يغطي لبنيه الخبر، إن الغوغاء من أهل الأمصار ونزاع القبائل غزوا حرم رسول الله** (صلى الله عليه وآله وسلم) **وأحدثوا فيه وآووا المحدثين فاستوجبوا لعنة الله... فاستحلوا الدم الحرام وسفكوه،وانتهبوا المال الحرام ... فخرجت في المسلمين أعلمهم ما أتى هؤلاء وما الناس فيه وراءنا، وما ينبغي لهم من إصلاح ... ننهض في الإصلاح ممن أمر الله و رسوله** (صلى الله عليه وآله وسلم)**،الصغير والكبير والذكر والأنثى، فهذا شأننا إلى معروف نأمركم به،ومنكر ننهاكم عنه** ." [3] بعد القراءة والتمعن النص أعلاه، يتضح ما يأتي :

1ـ إن والي علي (عليه السلام) عندما ارسل المبعوثين أوصاهما بالتوجه لعائشة في المقام الأول ولعل الراوي أراد أن يبين أنها صاحبة والقرار لما كان لها من رمزية وزعامة روحية.

2ـ من باب آخر كما تضمن النص إعلان عائشة عن دوافعها للمسير مع تلك الحركة وهي إنها خرجت لإخبار الناس بما حدث في المدينة على أيدى من أسماهم سيف بالغوغاء ونزاع القبائل، الذين غزوا

([1]) عمران بن حصين بن عبيد بن خلف بن عبد نهم بن عمرو الخزاعي الكعبي صحابي، أسلم في السنة السابعة للهجرة، وبعد وفاة النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) وتمصير البصرة رحل إليها، وبقي فيها الى وفاته، وقيل ولي قضاءها في زمن عثمان لمدة من الزمن ثم طلب استعفاءه، وذكر أنه كان يرى إعتزال الفتنة فلم يشارك في حروب الإمام علي (عليه السلام).ابن الأثير، أسد الغابة، ج3، ص778؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج2، ص508؛ ابن حجر، الاصابة، ج4، ص585.

([2]) ظالم بن عمرو بن ظالم ويقال اسمه ظالم بن عمرو بن سفيان، أسلم في حياة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ، ممن سكن البصرة، من عداد الاعيان الفقهاء والشعراء،وهو من خلص أصحاب الإمام علي(عليه السلام) وذريته وأكملهم رأيًا وعقلًا، شهد معه حروبه، وهو أول من وضع النحو بعد أن رسم له أمير المؤمنين عليّ (عليه السلام) شيئًا من أصوله، فكان أوّل من نقط المصاحف، قيل أنه توفي الطاعون الجارف الذي أصاب البصرة في عام (69هـ/688).ينظر: ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج2، ص535؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ج5، ص276؛ الصفدي، الوافي في الوفيات،ج16؛ 305؛ القلقشندي،صبح الأعشى في صناعة الإنشا، ج1، ص478.

([3]) الضبي، الجمل ومسير عائشة، ص286؛ الطبري، تاريخ الرسل، ج3، ص479؛ ابن مسكويه، تجارب الأمم، ج1، ص474؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج5، ص83؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج3، ص211؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج 7، ص259؛ ابن خلدون، المبتدأ والخبر، ج4، ص193؛ المقريزي، إمتاع الأسماع، ج13، ص232.

المدينة وقتلوا إمام المسلمين وانتهكوا الحرمات والأموال. وأنها خرجت للإصلاح بين الناس، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأن هذا من شأنها أو مما يحتمه عليها واجبها.

ولنا أن نتساءل لما لم تخرج عائشة أو ترسل على الأقل لتبليغ الناس أو طلب النصرة من أهل البصرة أوغيرهم عندما كان عثمان محاصر في بيته لأربعين يومًا من أولئك الغوغاء؟ولما تركته وخرجت لمكة ولم تنهى عن قتله؟ بل كان آخر مواقفها منه أنها أفتت بخروجه عن تعاليم الإسلام بقولها: "**اقتلوا نعثلًا فقد كفر**"وكان بوسعها أن تطلب له العون في مكة لا سيما أنها خرجت في موسم اجتماع الحجيج، ثم أنها ظلت على موقفها السلبي منه حتى بعد أن علمت بمقتله وأشرنا لذلك سابقًا.

من جانبٍ آخر، فإن تصوير من ثار على عثمان بأنهم غوغاء ومن لا مكانة له من العوام الطامعين بنهب الأموال؛ إنما هو ادعاء من الراوي لتضليل وتزوير الأحداث، والتغطية على الدوافع والمسببات الحقيقية لتلك الثورة، فضلًا عن تبرأة الشخصيات التي اشتركت فيها سواءً بالتحريض أو قيادة الثوار وفي مقدمتهم عائشة وطلحة والزبير. ولتبرير نكث طلحة والزبير نجد الراوي يشير في ذلك النص أنهما بايعا تحت تهديد السلاح، وأن سبب معارضتهم لحكومته هو عدم تسليمهم قتلة عثمان، فتنص الرواية على أنهم بعد خروجهم من عند عائشة توجها لطلحة،وقالا: **ما أقدمك ؟ فقال : الطلب بدم عثمان، فقالا : ألم تبايع عليا ؟ بلى والسيف على عنقي وما استقيل عليا إن هو لم يحل بيننا وبينا قتلة عثمان** ". ثم أتيا الزبير وقال لهما مثل قول طلحة [1].

وثمة تساؤل آخر لابد منه ما هو النزاع الحاصل في البصرة والذي تطلب أن تأتي أم المؤمنين لتصلح فيه؟! فلم يُذكر أن ثمة نزاع واقع في البصرة، فالإصلاح بين الناس يكون بوجود طرفين متنازعين، يتطلب تدخل طرف ثالث لحل النزاع وإصلاح ذات البين بالتفاوض سلميًا، لا أن يأتي المصلح بالعساكر والسلاح وقد رد صاحب المعيار والموازنة على ذلك الادعاء وبين أنه على العكس فيه إدانة وتخطئة لعائشة ومن تبعها، فذلك المسير تسبب بزعزعة الأوضاع في البصرة بل في جميع الأمصار بعد أن كانت مستقرةً . عدا الشام . " **فهذا كلام من خالفه من قولها أتينا نصلح... والناس على هدوء وسكون، وسبيل استقامة وطاعة في مصرهم وما بينهم، فلما دخلوا المصر، أوغروا الصدور، وشتتوا الكلمة وعصبوا القبائل، ودعوا إلى خلاف ابن أبي طالب ... فتدبروا أفاعيلهم تجدوها ناقضة لأقاويلهم، منبهة لهم على مرادهم وبغيتهم . فهذه أحوالهم قد كانت مكشوفة لأهل الفطنة والمعرفة**" [2]

ج ـ تضمين نظرية اعتزال الفتنة في رواية سيف بن عمر:

([1]) الضبي، الجمل ومسير عائشة، ص286؛ الطبري، تاريخ الرسل، ج3، ص479؛ ابن مسكويه، تجارب الأمم، ج1، ص474؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج5، ص83؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج3، ص211؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج 7، ص259؛ ابن خلدون،، المبتدأ والخبر ، ج4، ص193؛ المقريزي، إمتاع الأسماع، ج13، ص232.

([2]) الإسكافي، 58.

ومن الطريف في رواية سيف أن يصور هذا اللقاء الذي انتهى دون جدوى بأنه انتهى بالتوديع والإجلال من الطرفين، "**فرجعا إلى أم المؤمنين فودعاها فودعت عمران، وقالت: يا أبا الأسود إياك أن يقودك الهوى إلى النار ((كونوا قوامين لله شهداء بالقسط))** [1] **فسرحتهما، ونادى مناديها بالرحيل، ومضى الرجلان حتى دخلا على عثمان بن حنيف**"[2] لكن التساؤل هنا لماذا خصت أبو الأسود بالوعظ وعمران بالتوديع؟ وما الغاية من ذلك التخصيص بين المبعوثين؟

إن الذي يظهر من ترجمة أبي الأسود أنه كان مواليًا لعلي (عليه السلام) أي أنه يمثل الخط العلوي، وقد بينت النصوص الواردة في غير رواية سيف، أنه عندما أراد المبعوثين مغادرتها، طلبت من عمران تبليغ رسالتها الشفوية لوالي البصرة، ابن حنيف، فرفض، وقبل أبو الأسود، وقد وردت ذلك عن أبي مخنف، بأنها قالت: " **أما إنك الذي بلغني ما بلغتني عن عثمان بن حنيف فهل تبلغه عني ما أوصيك؟ قال: إن كان خيرًا فعلت، قالت أنت يا أبا الأسود؟ قال نعم، قالت: قل له إن عائشة تقول لك: ياطليق، إن ابن أبا عامر حدثني إنك تريد قتالي، قال لها: أجيبك عنه؟ قالت: نعم، قال: نعم وأهونه الشديد.**" [3] و في رواية المفيد عن الشعبي :" **أبو الأسود الدؤلي نعم والله لنقاتلنك فقالت: وأنت أيضا يبلغني عنك ما يبلغني قم فانصرف عني فخرجا من عندها**" [4] .

ونلحظ إن بعض المصادر قد اختزل فيها هذا المقطع من الرواية،فاختصره كلٍ من ابن قتيبة[5] والبلاذري[6] وقد يكون ذلك تخفيفًا لحدة الألفاظ ومراعاة للرأي العام بينما أبدل ذلك الموقف في رواية سيف التي نقلها عنه الطبري بالتوديع الذي خصت به عائشة عمران بينما توجهت بتحذير أبي الأسود دون أن يبين لنا السبب بل إنه ومن بداية سرده لخبر إرسال المبعوثين، حرص على إظهاره ميول كلٍ منهما، بقوله: "**دعا عثمان بن حنيف عمران بن حصين وكان رجل عامة والزه بأبي الأسود الدؤلي وكان رجل خاصة**"[7] فعلى ما يبدو أن الراوي أراد إبدال الإحداث بجعل عائشة هي التي كانت تعظ وتحذر من الوقوع بمحاذير الله، أما الغرض من ذلك التخصيص، يتطلب منا العودة الى ما قيل عن موقف عمران بن حصين، من حرب الجمل أو بالأحرى من علي(عليه السلام)، فتشير كتب التراجم الى أنه كان من المعتزلين لحروب الإمام علي(عليه السلام) [8]،ليس هذا فقط وإنما روى الطبري عن سيف أيضًا إنه كان يخذل

([1]) سورة المائدة، الآية (8).

([2]) الضبي، الجمل ومسير عائشة، ص 286؛ الطبري، تاريخ الرسل،ح3، ص479؛ النويري، الإرب، ج2، ص34.

([3]) الإسكافي، ص57.

([4]) الجمل، ص149.

([5]) الإمامة والسياسة، ج1، ص83.

([6]) أنساب الأشراف، ج2، ص225.

([7]) الضبي، الجمل ومسير عائشة، ص286؛ الطبري، تاريخ الرسل، ج3، ص479؛ ابن مسكويه، تجارب الأمم، ج1، ص474؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج5، ص83؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج3، ص211.

([8]) ينظر: ترجمته في ص 143 من الرسالة.

يخذل الناس عن الفريقين ويدعوهم للاعتزال: " **وأرسل إلى بني عدي... والله لان أكون في جبل حصين مع أعنز خضر وضأن أجز أصوافها وأشرب ألبانها أحب إلي من أن أرمى في شئ من هذين الصفين بسهم فقالت بنو عدي جميعا بصوت : واحد إنا والله لا ندع ثقل رسول الله صلى الله عليه وسلم لشئ يعنون أم المؤمنين**"[1]. يتبين من ذلك أن الراوي سيف بن عمر حرص على إظهار العلاقة الجيدة بين عائشة وابن حصين عكس ما حدث بينها وبين ابو الأسود الدؤلي. ولو لاحظنا كلام ابن حصين، نجد فيه تقاعس عن نصرة الحق، وسكوت على الباطل،في حين أثبتت النصوص أعلاه أنه دحض مطالب المعارضين واعترض على خروجهم على الحاكم الشرعي، مما يجعلنا نرجح أن مثل تلك الروايات لا تخلو من دور للإعلام الأموي المضلل لما تحمله من ملامح للكيد السياسي فيشير أحد المحققين الى أن غرض مثل تلك الروايات التي تؤكد على إظهار شخصيات لها ثقلهاالاجتماعي والديني،بصورة المخذل أو المعتزل الذي ينصح بعدم الإنحيار لأحد الفريقين ؛إنما جاء لتزييف الحقائق من خلال :

1ـ الترويج لنظرية اعتزال الفتنة،بإيهام الناس أن الحق لم يكن واضحًا حتى لمن كان يعد من الأكياس ودهاة العرب كعمران بن حصين والأحنف بن قيس؛ وأن ينسى الناس أن فريق عائشة هو الذي أوغل في قتل عثمان، ثم جاء يدعي المطالبة بدمه [2]

2ـ إن ذلك جاء في سياق التأسيس لفكرة أكثر جرأة، ألا وهي فرض معادلة المساواة وتوزيع الناس بين معسكر علي (عليه السلام) من جهة وبين عائشة وحزبها من جهةٍ أخرى وأن هناك شبهة تفرض نفسها، وأن الناس كانوا يحاولون تجنبها، وبالتالي تبرئتهم من تبعة نكث العهد، ونقض البيعة، وخروجهم على إمام زمانهم وما ترتب عليه من إثارة الفتنة، و قتل الألوف من المسلمين، وما إلى ذلك من المآخذ.[3]

والجدير بالذكر أن المحقق يرجح أن يكون عمران متقلب في موقفه من الإمام علي(عليه السلام) [4]إلا إننا نختلف معه في ذلك الرأي،فالرجل كما تبين من تفاوضه واحتجاجه على عائشة وقادة معسكرها، معسكرها، إنه كان مدركًا بأن الحق مع علي(عليه السلام) وأصحابه، فلم يكن ممن تنطوي عليهم ادعاءات المعارضين المضللة، مما يجعل روايات تخذيل هذا الصحابي وتخلفه عن نصرة الإمام علي(عليه السلام) هي موضع للشك أما ما رواه ابن أبي الحديد عن إنحراف ابن الحصين لأمير المؤمنين(عليه السلام) بقوله : روي أنه كان من المنحرفين عنه(عليه السلام) وأن عليا سيره إلى المدائن، وذلك أنه كان يقول: "**إن مات علي فلا أدرى ما موته، وإن قتل فعسى أنى إن قتل رجوت له .ومن الناس من يجعل عمران في الشيعة**"[5] فلم أجد لذلك الكلام ذكر عند غيره من المؤرخين، ويبدو أنه لم يكن متيقنًا من الخبر بدليل أنه عاد وذكر أن

([1]) تاريخ الرسل، ج3، ص515.

([2]) ينظر: العاملي، الصحيح من سيرة الإمام علي(عليه السلام)، ج30، ص244ـ246.

([3]) ينظر: العاملي، الصحيح من سيرة الإمام علي(عليه السلام)، ج30، ص244ـ246.

([4]) العاملي، الصحيح من سيرة الإمام علي(عليه السلام)، ج30، ص244ـ246.

([5]) الشرح، ج4، ص77.

هناك من يعد عمران من الشيعة. وهذا الاحتمال هو الأقرب، فسيرة الرجل وما ورد عنه من أحاديث النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) بحق أمير المؤمنين كلها تشير الى أنه من الصحابة الذين حفظوا له حقه، فروي لأنه ممن أنكر على أبي بكر وعمر، انتزاع الخلافة من أمير المؤمنين بالإمرة في حياة النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) [1] كما ورد أن الإمام علي(عليه السلام) بعثه رسولًا بكتابه الذي بعثه للتفاوض مع طلحة والزبير ،قبل حرب الجمل[2] وغيرها من الروايات التي تظهر ميله لآل البيت(عليه السلام) ومعرفته لحقهم، وقد اتفق جمة من علماء الإمامية على ذلك وقد عده الكشي من أتباع الإمام علي(عليه السلام) [3] إن أغلب الظن والمرجح أن إمتناعه عن المشاركة في حروبه كان للمرض الذي ألم به فروي أنه لزمه لثلاثين عامًا[4]، ولعل الرواة استغلوا ذلك الإمتناع، للترويج لنظرية اعتزال الفتنة، وضرب النصوص التي أظهر فيها مناقب علي وآل البيت فضلًا عن سياستهم بتجريد الإمام (عليه السلام) حتى من مؤيديه لاسيما الصحابة.

ج ـ روايات بعثة والي البصرة عند غير سيف من الرواة:

عند مقارنة الحوارات التي أوردها سيف بما وردعن غيره من نصوص لأصحاب الأخبار والسير، كأبي مخنف، والواقدي والمدائني، التي حفظتها لنا المصادر التأريخية، يتبين أن ما رواه سيف فيه اختزال كبير لتلك الحوارات وإبدال وتضليل لما دار بين مبعوثي السفارة وأقطاب الجمل، فمن تلك الروايات ما رواه أبي مخنف بسنده عن ابن عباس والتي جاء فيها بأن قادة الجمل عندما، عسكروا في الموضع المسمى حفر أبي موسى، أرسلوا كتابًا لابن حنيف جاء فيه "**أن أخلي لنا دار الإمارة**" [5] فاستشار أتباعه من وجوه البصرة، لحراجة الموقف فقال للأحنف بن قيس: "**إن هؤلاء القوم قدموا علينا ومعهم زوجة رسول اللّه، والناس إليها سراع كما ترى ! فما ترى ؟**" [6]، فكان رأيه أن يخرج لمقاتلتهم قبل أن يدخلوا للمدينة ويكونوا معه في دار واحد فيسهل عليهم تأليب الناس عليه، ويبدو من رد الأحنف أنه كان مدركًا

([1]) روى ابن شهر آشوب: **ان عمران بن الحصين، وأبا بريدة قالا لأبي بكر: قد كنت أنت يومئذ فيمن سلم على علي بإمرة المؤمنين فهل تذكر ذلك اليوم أم نستيه قال: بل اذكره فقال بريدة فهل ينبغي لاحد من المسلمين ان يتأمر على أمير المؤمنين فقال عمر: النبوة والإمامة لا تجتمع في بيت واحد فقال له بريدة: أم يحسدون الناس على ما أتاهم ... فغضب عمر وما زلنا نعرف في وجهه الغضب حتى مات.** مناقب آل أبي طالب، ج 2، ص 253.

([2]) مما جاء فيه:" ... **فقد علمتما وإن كتمتما أني لم أرد الناس حتى أرادوني ... وإنكما ممن أرادني وبايعني ... وإن كنتما بايعتماني كارهين فقد جعلتما لي عليكما السبيل بإظهاركما الطاعة وإسراركما... فارجعا أيها الشيخان عن رأيكما ... من قبل أن يجتمع العار والنار . والسلام** ".الشريف الرضي، نهج البلاغة،ص384.

([3]) الطوسي، إختيار معرفة الرجال، ج1، ص129، ص186، 308.ينظر:الحلي، خلاصة الأقوال في معرفة الرجال، ج8، ص240؛ المامقاني، ج1، ص117؛ ج2، ص350؛ التستري، قاموس الرجال، ج8، ص240.

([4])ابن سعد، الطبقات،ج4،ص288؛ابن الأثير،أسد الغابة،ج3، ص778؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء،ج2، ص508؛ ابن حجر، الاصابة، ج4، ص585.

([5]) ابن أبي الحديد، الشرح، ج9، ص312.

([6]) ابن أبي الحديد، الشرح ج9، 312.

لحراجة الموقف وحقيقة دوافعهم: " **إنهم جاءوك بها للطلب بدم عثمان، وهم الذين ألبوا على عثمان الناس، وسفكوا دمه وأراهم والله لا يزايلون حتى يلقوا العداوة بيننا، ويسفكوا دماءنا... إن لم تتأهب لهم بالنهوض إليهم فيمن معك من أهل البصرة فإنك اليوم الوالي عليهم، وأنت فيهم مطاع،فسر إليهم بالناس**"[1] وأيده بذلك الرأي صاحب شرطته حكيم بن جبلة، بقوله: "**فأذن لي حتى أسير إليهم بالناس فإن دخلوا في طاعة أمير المؤمنين، وإلا نابذتهم**" [2] إلا أنه رفض ورأى بأن ينتظر كتاب أمير المؤمنين(عليه السلام) وقال:" **ولكني أرجو العافية والسلامة إلى أن يأتيني كتاب أمير المؤمنين ورأيه فأعمل به**"[3]

وورد في الإمامة والسياسة أن ابن حنيف خطب بأهل البصرة قائلًا:" **والله لو علم علي أن أحدا أحق بهذا الأمر منه ما قبله،ولو بايع الناس غيره لبايع من بايعوا... ولقد بايعه هذان الرجلان وما يريدان الله ... وقد زعما أنهما بايعا مستكرهين، فإن كانا استكرها قبل بيعتهما كانا رجلين من عرض قريش لهما أن يقولا ولا يأمرا،ألا وإن الهدي ما كانت عليه العامة، والعامة على بيعة علي، فما ترون أيها الناس؟** " فقام حكيم بن جبلة وأبدى استعداده هو وقومه من ربيعة لنصرة الحق،ومواجهتهم خارج المدينة لمنعهم من دخول[4]، وعلى ما يبدو إن ابن حنيف كان يرى إتباع أسلوب المفاوضة لعلهم يرجعون يرجعون الى الحق، مما يبين إلتزامه بالتعليمات المرسلة إليه في كتاب أمير المؤمنين، فقال: " **نعذر إليهما برجلين**" وأوفد لهم كلٍ من أبو الأسود وابن الحصين لتلك المهمة [5] .

ووردت الرواية في كتاب أبي مخنف المحقق مؤخرًا، وجاء فيها أنهما توجها لمعسكر الجمل في الحفر وقالا لعائشة :" **يا أم المؤمنين ما هذا السفر؟ أمعك عهد من رسول الله ؟ قالت : قتل عثمان مظلوماً،والله إنا لنغضب لكم من السوط والعصا، فكيف لا نغضب لكم من السيف؟ قالا لها وما أنت وسيفنا وعصانا ؟ ! إنما أنت حبيس رسول الله له في بيته...**"[6]، وفي رواية صاحب المعيار والموازنة ورد حوار السفارة مع عائشة وطلحة والزبير وفيه كثير من الاستدلالات والحجج التي ألقيت عليهم للرجوع عن موقفهم فجاء فيها :" **يا أم المؤمنين! أبعهد من رسول الله صلى الله عليه وسلم خرجت من بيتك ؟ ألم يبايع الناس لابن عم نبيهم ووصي رسولهم وخير من تعلمون ؟ فتركت بلد رسول الله صلى الله عليه وسلم وحرمه وأتيت البصرة ؟ ! قالت جئنا نطلب بدم عثمان فقال عمران :" ليس بالبصرة أحد من قتلة عثمان . قالت : لكنهم مع علي بن أبي طالب،فجئنا لنقاتلهم فيمن تبعنا من أهل البصرة وغيرهم !**

([1]) ابن أبي الحديد، الشرح ج9، ص312.

([2]) ابن أبي الحديد، الشرح ج9، ص312؛ ينظر: المفيد، الجمل، ص147.

([3]) ابن أبي الحديد، الشرح، ج9، ص312.

([4]) ابن قتيبة، ج1، ص83.

([5]) ابن قتيبة ، السياسة والامامة ، ج1، ص83.

([6]) أخبار الجمل، ص47؛ ابن قتيبة، السياسة الامامة، ج1، ص84.

غضبنا لكم من السوط والعصا ... وتذكري ما يتلى فيه من آيات ربك،فتركت ذلك وجئت تضربين الناس بعضهم ببعض ؟ ولست من طلب الدماء وحضور القتال في شئ ؟ وعلي أولى بعثمان منك ! فقالت : وهل أحد يقاتلني ؟! قال : إي والله قتالا أهونه الشديد، قالت : إنما جئت مصلحة ألم ولا أشعث، وأجمع ولا أفرق[1] ووردت الرواية في أنساب الأشراف: " **لمّا قربت عائشة ومن معها من البصرة... فقالا لهم : فيما قدمتم ؟ فقالوا : " نطلب بدم عثمان وأن نجعل الأمر شورى فإنا غضبنا لكم من سوطه... وقالا لعائشة : أمرك الله أن تقرّي في بيتك فإنك حبيس رسول الله صلَّى الله عليه وسلم وحليلته وحرمته** "[2]

.بعد قراءة تلك النصوص نسجل عدة ملاحظات:

1ـ إن عائشة وطلحة والزبير صرحوا بأن سبب خروجها كان غضبًا لقتل عثمان، أي للطلب بدمه. ولاستنهاض أهل البصرة وتحشيدهم لمحاربة معسكر الإمام علي(عليه السلام) ، بحجة أن قتلة عثمان ضمن صفوفه، وفي نص البلاذري الآخر أعلنوا عن دوافعهم الحقيقية وهي إقالته عن الخلافة وفق نظام الشورى ولا ذكر للإصلاح والأمر بالمعروف الذي تشبث به سيف في نصوصه للتمويه عن الاعترافات الصريحة وقولها: "**خرجت لأعلم الناس بما حدث بالمدينة**"!

2ـ إن طلبهم النصرة من أهل البصرة للاقتصاص من القتلة يثير تساؤلًا لابد منه ؛ فإذا كان ليس في البصرة أحد من قتلة عثمان وأنهم كانوا مع جيش علي في المدينة كما صرحت عائشة في رواية الإسكافي وابن أبي الحديد؛، ما الداعي إذن للذهاب للبصرة واستنهاض أهلها؟ أما كان الأولى بتلك المهمة استنصار معاوية وأهل الشام؟ فهو رأس الأمويين و من أوائل المطالبين بدم عثمان لما لم تطلب نصرتهم ليأتوا للحجاز بدلاً من الخروج من بيتها ومخالفة ما أمرت به ؟ إن هذا التساؤل يقودنا الى حقيقة دوافعهم من طلب نصرة أهل البصرة ألا وهي تحريض أهلها ومن ثم أهل الكوفة لفتح جبهة جديدة معادية ضد الإمام علي (عليه السلام) تضاف الى معارضة جبهة الشام، ومن بعدها تسهل الإطاحة بحكومته في الأمصار شيئًا فشيء، وهذا الأمر لا يعدو أن يكون خطة مدبرة لا تخلو من اضطلاع وكيد أموي.[3]

3ـ اعترفت عائشة بموقفها السلبي من عثمان قبل قتله، لكنها قدمت للرأي العام ثلاثة أسباب لخلافها معه وهي: أنها غضبت عليه لضربه بعض الصحابة بالعصا، وحماية الحمى، وتوليته الفتيان على الأمصار! و لنا أن نسأل هل تلك،الأسباب تعد كافية لاتهامها إياه بأنه خرج عن تعاليم الإسلام بقولها: "**اقتلوا نعثلًا فقد كفر**"؟[4]، وهل تستوجب تلك المخالفات أن تتحشد الوفود الناقمة من الأمصار، وتصاعد الأحداث وما

([1]) الإسكافي، ص57.

([2]) أنساب الأشراف، ج2، ص225.

([3]) ينظر: المفيد، الجمل، ص 125.

([4]) الطبري، تاريخ الرسل، ج3، ص277؛ ابن الأثير الكامل في التاريخ، ج3، ص206. ينظر: ابن قتيبة، الامامة والسياسة، ج1، ص72.71؛ ؛ اليعقوبي،ج2، ص180؛ ابن أعثم، الفتوح،ج2، ص437المفيد الجمل، ص86.

وما انتهى إليه الأمر بمحاصرة بيت الخليفة ومطالبته بالاعتزال ومن ثم قتله ومنع دفنه في مقابر المسلمين؟!.

إن واقع الأحداث كان يشير إلى نقمة واحتجاج عام على سياسة حكومة عثمان التي أخذت تنحى منحًا بعيدًا عن تعاليم ومبادئ الدين الإسلامي وسنة نبيه (صلى الله عليه وآله وسلم) الكريم، لاسيما بعد استبداد أفراد أسرته الأموية بمقاليد حكم البلاد الإسلامية ونهبهم لثرواتها دون رادع. لكن على مايبدو أن عائشة كانت تسعى لتضييق دائرة تلك المخالفات وتحجيمها، لكسب الرأي العام وإقناع الناس بأن عثمان قتل ظلمًا ولابد من الأخذ بثأره، ومن المحتمل أنها أرادت في الوقت نفسه تبرير موقفها السابق منه.

4ـ ومما لوحظ، أن أول ما واجهته عائشة هو التساؤل حول شرعية خروجها من بيتها الذي أمرت بعدم تركه، وعن شرعية إقحام نفسها مع تلك الجيوش والصراعات السياسية، وهل إن ذلك كان بوصيةٍ من النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) أو لحديث سمعته منه أم إنه اجتهاد منها؟ فالمبعوثان يعرفان جليًا أنها سارت لإفساد بيعة علي (عليه السلام) رغم أنها مأمورة بلزوم بيتها فالعهد كان موجودًا وفق نصوص قرآنية صريحة لا تقبل الشك، قال تعالى:((**وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجاهِلِيَّةِ الْأُولى وَأَقِمْنَ الصَّلاةَ وَآتِينَ الزَّكاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ**))[1] فعن ابن عباس أن الله تعالى خاطب زوجات النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) بتلك الآية للتحذير من الخروج لمحاربة علي (عليه السلام) وأن الآية الكريمة ((**يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ مَنْ يَأْتِ مِنْكُنَّ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ يُضَاعَفْ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا**))[2] جاءت في خصوص حرب عائشة له، فضلًا عن تحذير النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) لها في حديث الحوأب[3] وأمره لنسائه بلزوم حصروهن بعد حجة الوداع[4].لكن على ما يبدو أنهما أرادا الاحتجاج عليها بتلك النصوص، وتذكيرها بوجوب الالتزام بأوامر الله ورسوله (صلى الله عليه وآله وسلم) فالعهد لها كان موجود إلا إنها أبت الالتزام به، وأصرت على موقفها.

ويبدو إن مخالفتها بالخروج من بيتها كان محل استنكار الجميع، فلم يكن المبعوثان وحدهما من طالبا عائشة بإثبات شرعية ذلك المسير، فسبق و أن فعلت ذلك أم سلمة قبل توجه المعارضين للبصرة إذ كانت تقول للناس:" **قد عهد إلى جميع نسائه عهدا واحدا أن يقرن في بيوتهن فإن كان مع عائشة عهد سوى ذلك تظهره وتخرجه إلينا**" [5]. وروي أن الأحنف بن قيس، كان هو الآخر ممن احتج على عليها بعدم وجود ما يشرع خروجها لا في الكتاب ولا في السنة بقوله :"**وجدتيه في شئ من كتاب اللّه جل ذكره**

([1]) سورة الأحزاب، الآية(33).

([2]) سورة الأحزاب، الآية (30).

([3])ابن شهرآشوب،مناقب آل أبي طالب،ج2،ص334؛البياضي،الصراط المستقيم،ج3،ص161؛الشيرازي كتاب الأربعين،ص622. ومما ورد عن ابي عبد الله الحسين(عليه السلام) أن الفاحشة هي الخروج بالسيف.تفسير القمي،ج2، ص193.

([4]) أبو داوود، السنن،ج2، ص140؛ الضحاك، الآحاد والمثاني،ج2،ص168؛صحيح ابن حبان، ج9، ص20؛ الطبراني، المعجم الكبير،ج3، ص252.

([5]) الجمل، المفيد، ص127؛ الخوئي، منهاج البراعة، ج16، ص375.

؟ قالت : ما نقرأ الا ما تقرأون . قال : فهل رأيت رسول اللّه عليه الصلاة والسلام استعان بشيء من نسائه إذا كان في قلة والمشركون في كثرة ؟ قالت: اللهم لا، قال الأحنف : فإذاً ما هو ذنبنا ؟ ".[1] أما جارية بن قدامة السعدي فقد عرض عليها الاستعانة بالناس للرجوع إن كانت تعرضت للضغط أو الإكراه على المسيربقوله لها: "**والله لقتل عثمان بن عفان أهون من خروجك من بيتك على هذا الجمل الملعون عرضة للسلاح! إنه قد كان لك من الله ستر وحرمة فهتكت سترك وأبحت حرمتك إنه من رأى قتالك فإنه يرى قتلك وإن كنت أتيتنا طائعة فارجعي إلى منزلك وإن كنت أتيتنا مستكرهة فاستعيني بالناس**" [2].

من جانبٍ آخر استدل المبعوثان بعدم شرعية حركة عائشة لأنها تعد خروجًا على الحاكم الشرعي فبيعته بيعة تستند على المقاييس الصحيحة، فضلًا عن إنها تمت برضا عامة الناس فلا مسوغ لمخالفته من خلال قولهم: "**ألم يبايع الناس ابن عم نبيهم نبيهم ووصي رسولهم وخير من تعلمون؟ فتركت بلد رسول الله** (صلى الله عليه وآله وسلم)**وحرمه وأتيت البصرة ؟!!قالت جئنا للطلب بدم عثمان.**" [3]

فيتضح مما سبق أن تلك الحركة فاقدة للشرعية ليس فقط بالنسبة لعائشة لإنها مأمورة بعدم الخروج من بيتها وإنما لجميع من تبعها وخالف الإمام (عليه السلام) قال تعالى:((**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا**)) [4]،فتكون حركة أصحاب الجمل مخالفة صريحة لأمر الله تعالى ورسوله(صلى الله عليه وآله وسلم) لكونها خروجًا على طاعة الحاكم الشرعي .[5]

ومما يجدر الوقوف عنده هو ورود كلمة "**وصي**" ضمن احتجاج عمران على عائشة، مما يبين أن الناس بايعوا لعلي وهم يعرفون أنه وصي رسول الله [6] كما وصف عمران الإمام بأنه : " **وخير من تعلمون**" كان موجه لعائشة وأقطاب حركتها، فهم أعلم الناس بمكانة علي(عليه السلام) وأحقيته بالمنصب الذي أبعد عنه ردحًا من الزمن، فالنبي(صلى الله عليه وآله وسلم) ما ترك لفظ أو فعل إلا واستخدمه لترسيخ وصايته

([1]) البيهقي، المحاسن والمساوئ، ص43؛ ايوب، زوجات النبي، ص50.

([2])الطبري،تاريخ الرسل،ج3،ص482؛ابن الأثير،الكامل في التاريخ،ج3،ص214؛ابن كثير، البداية والنهاية،ج7، ص259؛ المقريزي، إمتاع الأسماع، ج13، ص234.

([3]) الإسكافي، المعيار والموازنة، ص57.

([4]) سورة النساء، الآية (59).

([5]) ينظر: ابن ادريس الحلي،المنتحب في تفسير القرآن، ص309؛ الرازي مفاتيح الغيب، ج10،ص112؛ابن كثير، تفسير تفسير ابن كثير، ج2، ص345؛ السيوطي، الدر المنثور، ج2، ص573.

([6]) يعد الإسكافي الراوي الذي نقل هذا الكلام من ثقات علماء المعتزلة المنصفين بأفضلية الإمام علي(عليه السلام)،وقد اعترف اعترف كبار علماء مدرسة السنة والحديث بفضله ونزاهته، فوصفه الذهبي في ترجمته **بالعلامة وقال:**" **كان عجيب الشأن في العلم والذكاء، والصيانة، ونبل الهمة والنزاهة ، بلغ في مقدار عمره ما لم يبلغه أحد**"، ولم يجد ما يضعفه إلا القول بأنه يتشيع، رغم تأكيد المصادر الأخرى أنه كان من معتزلة البغداديين. الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج3، ص418؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج10، ص550؛ ابن حجر، لسان الميزان، ج5، ص221.

للإمام (عليه السلام) الى أن حان وقت التبليغ الرسمي للأمر الألهي في خطبة الوداع فكان أشبه بإعلان رسمي لتنصيب علي (عليه السلام) الوصي الشرعي لنبي الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وتم ذلك بحظور آلاف المسلمين بما فيهم جميع الصحابة ونساء النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) كما صرح أصحاب السير والأخبار[1]

لاشك أن عائشة وطلحة والزبير كانوا ممن سمع تلك الأوامر الإلهية، لكن رغم ذلك أصروا على إتباع الأهواء والمصالح الشخصية وحب السلطة، والواقع أنهم لم يكونوا أول من تنكر لتلك البيعة الربانية، وإنما يمكننا القول إن موقفهم في حرب الجمل يعد إكمال لمشروع السقيفة القرشي لإقصاء الإمام علي(عليه السلام) وبني هاشم، عن قيادة الأمة.[2]

وعودٌ لرواية الإسكافي، فقد أشار الى أن مما احتج به عمران على عائشة أنه ذكراها بإنقلاب الأمة بعد وفاة نبيها(صلى الله عليه وآله وسلم) والموقف الحكيم الذي لزمه علي (عليه السلام) إزاء إقصائهم له، فقال لها: " **قد بايع الناس بعد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أباك فرضي وسلم ولم يخالف ولم ينكث ثم جعله عمر سادس ستة فرضي وسلم. ثم كان من أحداث عثمان، وأمر الناس فيه ما قد علمت، وكنت أنت أشد الناس فيه قولا، وأكثرهم عليه تحرضا. ثم بايعه طلحة والزبير والناس وأتتنا كتبهم بذلك فرضينا وبايعنا، فما الذي بدا لكم ؟ !فلم يكن عندها شئ أكثر من أن قالت لهما : القيا طلحة**"[3] .

وفي رواية المفيد أنه ذكر عهد أبي بكر لعمر :"**فاتقي الله واحفظي قرابته وسابقته، فقد علمت أن الناس بايعوا أباك فما أظهر عليه خلاف، وبايع أبوك عمر وجعل الأمر له دونه فصبر وسلم ولم يزل بهما برا،ثم كان من أمرك وأمر الناس وعثمان ما قد علمت ثم بايعتم عليا**(عليه السلام) **فغبنا عنكم، فأتتنا رسلكم بالبيعة فبايعنا وسلمنا** " [4]

([1]) قال سبط ابن الجوزي:"إتفق علماء السير على أن قصة الغدير كانت بعد رجوع النبي (صلى الله عليه آله وسلم) من حجة الوداع في الثامن عشر من ذي الحجة جمع الصحابة وكانوا مائة وعشرين ألفا وقال :من كنت مولاه فعلي مولاه الحديث، نص(صلى الله عليه وآله وسلم) على ذلك بصريح العبارة دون تلويح او اشارة". تذكرة الخواص،ج1، ص265،266.ينظر :الحلبي،السيرة الحلبية،ج3، ص308.

([2]) مما قيل عن دوافع إنكار هذه البيعة الحقة، كلام لأبي حامد الغزالي:" **أجمع جمهور العلماء على أن قول النبي** (صلى الله عليه وآله وسلم) **: من كنت مولاه فعلي مولاه، وكذا قول عمر لعلي :" بخ بخ لك يا أمير المؤمنين أصبحت مولاي ومولى كل مؤمن ومؤمنة "،فهذا يعني تسليم ورضا وتحكيم، ثم بعد هذا غلب الهوى لحب الرئاسة وحمل عمود الخلافة وعقود النبوة وخفقان الهوى في قعقعة الرايات، واشتباك ازدحام الخيول وفتح الأمصار وسقاهم كأس الهوى، فعادوا إلى الخلاف الأول فنبذوه وراء ظهورهم واشتروا به ثمنا قليلا** ". سر العالمين، ص13. للوقوف على مصادر تهنئة عمر بن الخطاب والتي هي بمثابة رضا وبيعة.ينظر: سليم بن قيس،كتاب سليم بن قيس،ص356؛ابن عقدة الكوفي،المناقب، ج2،ص430؛الخطيب البغدادي،تاريخ بغداد،ج9،ص221؛ابن عساكر،تاريخ دمشق،ج42،ص233؛ابن كثير،البداية والنهاية،ج7،ص386. ينظر :.المصنف،ج6،ص372؛ابن حنبل،المسند،ج30، ص430.

([3]) المعيار والموازنة، ص58.

([4]) الكافئة، ص221،22.

فنلحظ كيف أن عمران طالب عائشة بأن تتقبل رجوع الخلافة لعلي(عليه السلام) ، وأن تتعامل معه بالمثل وتلتزم بنفس الموقف الذي لزمه علي (عليه السلام) لسنوات عدة، منذ أن بويع أباها في السقيفة، ومن ثم أوصى بالخلافة لعمرو هو على فراش المرض وكتب له كتابًا بذلك رغم كراهة الناس لتوليته. ومن ثم استبعد علي(عليه السلام) مرةً ثالثة تحت غطاء نظام الشورى العمرية، ورغم ذلك لم ينكث بيعة أحدٍ منهم ولم يتسبب بزعزعة استقرار الدولة الإسلامية.

لكن لابد لنا من الوقوف قليلًا عند هذا الكلام؛ لتوضيح حقيقة الموقف الذي لزمه الإمام (عليه السلام) فسكوته عن المطالبة بحقه بالخلافة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) لا يعني رضاه عن تلك الحكومات لكونه عبر عن سخطه ورفضه لها فعلًا وقولًا، بدليل ما روي بأنه امتنع مع بني هاشم كافة مبايعة أبي بكر حتى توفيت فاطمة الزهراء (عليه السلام) بعد ستة أشهر من وفاة أبيها (صلى الله عليه وآله وسلم) فعند ذلك صُرفت وجوه الناس عنه بالكلية فاضطر إلى بيعة أبي بكر[1] وقد صرح بحقيقة موقفه الرافض لتلك الحكومات قولًا في أكثر من موضع فقال في جوابه لكتاب معاوية:" **وذكرت حسدي الخلفاء،وإبطائي عنهم وبغيي عليهم، فأما البغي فمعاذ الله أن يكون، وأما الابطاء والكراهية لأمرهم فلست أعتذر منه إلى الناس** " [2] فضلًا عما ورد في خطبته الشقشقية :" **فصبرت وفي العين قذى وفي الحلق شجى ... حتى مضى الأول لسبيله ... فيا عجبا بينما هو يستقيلها في حياته إذ عقدها لآخر بعد وفاته، لشد ما تشطرا ضرعيها** "[3] ومن كلام له عندما بايعوا عثمان :" **قد علمتم أني أحق الناس بها من غيري، ووالله لأسلمن ما سلمت أمور المسلمين ولم يكن فيها جور إلا علي خاصة التماسا لأجر ذلك وفضله**"[4]

فيتضح أن سبب سكوته كان حفاظًا لدين الله من الضياع وأن يرتد الناس عنه، لا سيما أنه لم يجد من يعينه على أمره؛ "**فنظرت فإذا ليس لي معين إلا أهل بيتي، فظننت بهم عن الموت** "[5] .

وبالعودة لحوار عمران مع عائشة نلحظ أنه صرح لها بعدم شرعية مطالبتها بالثأر لعثمان، لعدة وجوه، **أولاً**: إن قتل عثمان وقع بأمر الناس أي أنه مسؤولية جماعية استياءً لما حدث منه " **ثم كان من أحداث عثمان، وأمر الناس فيه ما قد علمت**"[6]، **ثانيًا**: إنها كانت من أشد المحرضين عليه " **وكنت أنت أشد الناس فيه قولا، وأكثرهم عليه تحرضا**"[7]. إن الحكم والقضاء بشؤون القصاص وفض النزاعات بين المسلمين،قد جعل على عاتق الرجال، وليس للنساء التدخل فيها. إنها وطلحة والزبير ليسوا أولياء دم

([1]) الصنعاني، المصنف،ج5، ص472؛ الطبري، تاريخ الرسل،ج2، ص448؛ابن طاووس،الطرائف،ص238.

([2]) ابن مزاحم، وقعة صفين، 90؛الخوارزمي، المناقب، ص253؛ابن ابي الحديد، الشرح، ج15، ص78.

([3]) الشريف الرضي،نهج البلاغة،ص15.

([4]) الشريف الرضي،نهج البلاغة، ص69.

([5]) الشريف الرضي،نهج البلاغة،ص34؛ينظر :ابن قتيبة،الإمامة والسياسة،ج1،ص176؛الثقفي،الغارات،ج1، ص309.

([6]) المعيار والموازنة، ص58.

([7]) المعيار والموازنة، ص58.

لعثمان،لذلك لا يحق لهم الطلب بدمه وعلي أحق بذلك منهم فبحكم النسب كلاهما من بني عبد مناف ومن جهة أخرى فهو ولي أمر المسلمين الشرعي، وله الحكم والقضاء وفق كتاب الله وما فيه من مصلحة لعموم المسلمين.

كما لم يتردد المبعوثان ببيان حقيقة الموقف الذي ستواجهه عائشة،لوجود من يعارضها والاستعداد لمقاتلتها إن أصرت على موقفها، ففي رواية الإسكافي قال لها عمران: **وجئت تضربين الناس بعضهم ببعض ؟ ولست من طلب الدماء وحضور القتال في شئ ... فقالت : وهل أحد يقاتلني؟! قال : إي والله قتالا أهونه الشديد، قالت: إنما جئت مصلحة ألم ولا أشعث،وأجمع ولا أفرق .** [1]

لقد ناقشنا في رواية سيف أن الادعاء بالمجيء للبصرة لأجل الصلح،لا يمكن الأخذ به كونه مخالف لما ورد في القرآن الكريم، ولاستقرار أوضاع البصرة قبل مجيئهم لكن الذي يلفت النظر في رد عائشة أنها لم تكن تتوقع وجود من يقف لمقاتلتها، ويمكن تفسير السبب في ذلك باحتمالين:

الأول: انها كانت تعول كثيرًا على منزلة النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) لدى المسلمين بوصفها زوجته وابنة الخليفة الأول،فضلًاعن تصدرها للفتوى بأحاديث النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) في عهد الشيخين[2].

الثاني: لعلها أيضًا كانت تعول على منزلة النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) لدى علي (عليه السلام) وأصحابه فظنت أنه سيمتنع عن مجابهتها،لعلمها أنه لم يكن له هوى في السلطة وأنه سوف يسلم ويعتزل الأمر إن رأى الأمور وصلت حد الاقتتال بين المسلمين كما فعل طيلة السنوات السابقة من بعد وفاة الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) . مما جعلها لا تتوقع أن يتجرأ أحدًا على مقاتلتها.

([1]) الإسكافي، ص57.

([2]) ابن سعد، الطبقات، ج2، ص 375؛ المزي، تهذيب الكمال، ج23، ص431.

د ـ احتجاج المبعوثان على طلحة والزبير في نكث البيعة:

وأخيرًا احتج عمران على عائشة بأن طلحة والزبير كانا راضيين ببيعة علي(عليه السلام) وأنهم أرسلوا الكتب لأهل البصرة لحثهم على بيعة علي (عليه السلام) ، لذلك فأنه طالبها بتقديم أسبابا مقنعة لتبدل مواقفهم من الأحداث، ويبدو أن تلك المواجهة والاستدلالات جعلت عائشة في موقف لا تستطع فيه النكران، أو التبرير مما جعلها تحيل التفاوض مع المبعوثين لطلحة بقولها إلقيا طلحة. أما ما دار مع طلحة والزبير فحسب ما ورد في رواية سيف بن عمر: إن المبعوثين خرجا من عائشة إلى طلحة فقالا له: "**ما أقدمك؟ قال: الطلب بدم عثمان، قالا: ألم تبايع عليا؟ قال: بلى، واللج على عنقي، وما استقيل عليا إن هوبيننا وبين قتلة عثمان**" وتنص الرواية على أن الزبير رد بمثل كلام طلحة [1] نلحظ أن ادعاءهما أنهما بايعا تحت تهديد السلاح، وأنهما لن يتركا محاربة علي(عليه السلام) إن لم يسلمهم قتلة عثمان، فيه تناقض، وقد أورد ابن الأثير الرواية مع زيادة في لفظ واحد فجاءت عنده كالآتي: "**وما استقيل عليا البيعة إن هو لم يحل بيننا وبين قتلة عثمان**"[2] فكلامهما هنا يدل على أنهما كانا راضيين ببيعة الإمام (عليه السلام) ، وأنهما يستقيلان من بيعته بعد أن حال بينهم وبين قتلة عثمان.

وبكل الأحوال هذا الكلام إن صح أنه من قولهما فإن فيه إدانة وتناقض لموقفهما أكثر من أن يكون فيه تبرير، فطلب تسليم قتلة عثمان غير مشروع لا لهما ولا لغيرهما كما ورد عن علي (عليه السلام) ؛ لأنه الحاكم الشرعية، فكيف يعترفان له بالبيعة ولا يعترفان بحاكميته وسلطته القضائية بالحكم على قتلة عثمان، من باب أخر فأنهم ليسوا من أولياء دمه، وعلى فرضٍ أنهما كانوا أولياء دم، فهل يجوز أن يطالب ولي الدم أو غيره الحاكم الشرعي بتسليم المتهمين ليباشر قتلهم بنفسه دون الأخذ بقرار ذلك الحاكم؟ وهل يحق لولي الدم أو غيره أن ينكث البيعة ويعلن الحرب إذا كان الحاكم يرى عدم قتل المتهمين لعدم ثبوت إدانتهم أو غيره من الأسباب؟ ثم ما علاقة نقضهم البيعة بالمطالبة بالقصاص، لماذا يقال علي (عليه السلام) من بيعته لأجل مسألة قضائية له الحق البت فيها بحكم منصبه؟

ولقد شاءت الحكمة الإلهية أن يمر على المجتمع الإسلامي، حادثة مشابهة مزامنة لبيعة عثمان وهي قتل الهرمزان فرغم مخالفة عثمان للحكم الشرعي بتركه القصاص من ابن عمر مع ثبوت إدانته، لم يُذكر أن أحدًا من الصحابة حاول إقالة أو نكث بيعة عثمان، وإنما الجميع سكت وبايع على السمع والطاعة بما فيهم عائشة وطلحة والزبير.[3] كما هنالك حادثة أخرى لايفوتنا ذكرها، ألا وهي حادثة قتل خالد بن الوليد

([1]) الضبي، الجمل ومسير عائشة، ص276؛ الطبري، تاريخ الرسل، ج3، ص480؛ ابن مسكويه، تجارب الأمم، ج1، ص474؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج5، ص84؛ في التاريخ، ج3، ص211؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج 7، ص259.

([2]) الكامل في التاريخ، ج3، ص211.

([3]) ينظر: ص6من الرسالة.

لمالك بن النويرة [1]. عندها عفى أبو بكر عنه رغم اعتراض عمر بن الخطاب [2]، فلم يحدثنا التاريخ أن أحدًا من الصحابة أقاله من بيعته أما الادعاء بأنهما بايعا مكرهين فهو موضع شك لا محالة، فالثابت تاريخيًا أن علي (عليه السلام) لم يكره الشخصيات الممتنعة على بيعته [3]

وعند مقارنة نص سيف بالنصوص الأخرى، نجد أنه أخفى وعتم على الحوارات التي دارت بين مبعوثا الأحنف، وطلحة والزبير، فيقول أبو مخنف أن أبو الأسود قال لطلحة :"**يا أبا محمد، قتلتم عثمان غير مؤامرين لنا في قتله، ثم بايعتم عليّاً غير مؤامرين لنا في بيعته، فلم نغضب لعثمان إذ قتل ولم نَعْصِ علياً إذ بويع، ثم بدا لكم عذر عثمان وخلع علي،ونحنُ على الأمر الأول،وعليكم المخرج مما أحدثتم**" [4]، ثم احتج عمران بن حصين بنفس منطق الدؤلي،مبينا لهم عدم شرعية حركتهم مطالبًا إياهم بأن يبينوا سبب نكثهم لبيعة علي(عليه السلام) بقوله:" **فإن كان قتل عثمان صوابًا فمسيركم خطأ،وإن كان خطأ فقد كنتما فيه وقد خلعتما عليًا(عليه السلام) بعد بيعته،فسموا لنا حدثه**" [5]. فيبدو أن مواجهة طلحة بالحقيقة قد استفزته لذلك لم يتردد بإظهار حقيقة دوافعه فراح يتهدد ويتوعد بسفك دم الإمام علي(عليه السلام) قائلًا:" **يا هذان إن صاحبكما لا يرى أن معه في هذا الأمر أحدًا، وليس على هذا بايعناه، وأيم الله لنسفكن دمه،ولننكصنه[6]على عقبيه**"[7] أما الزبير فقد صرح لهما باتفاقه مع طلحة إلا أنه حاول أن يعطي تبريرًا لما بدر منهم بحق عثمان، بقوله:" **أنا وطلحة روحان في جسد واحد... والله يا هذان، قد كانت منا في عثمان فلتات، احتجنا فيها إلى المعاذير**" [8] .

وفي رواية البلاذري أنهم صرحوا بنواياهم بإعادة الأمر شورى: " **نطلب بدم عثمان وأن نجعل الأمر شورى**"[9] ولا يفهم ما العلاقة بين الطلب بدم عثمان وإرجاع الخلافة شورى إلا أن يكون لأجل خلع علي(عليه السلام). فذكر ابو الهلال العسكري في روايته المسندة للواقدي والمدائني" **ثم دخلا على الزبير**

([1]) مالك بن نويرة بن جمرة اليربوعي الجمري من بني تميم، أسلم هو أخيه متمم بن النويرة في عهد النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) ، وكان مالك سيدًا ومن أشراف قومه، فولاه النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) على صدقاتهم، وبعد أن آلت الخلافة بعده إلى أبي بكر، رفض تسليمه الصدقات وفرقها في قومه وأظهر عدم اعترافه بشرعية تلك الحكومة؛ قتله خالد بن الوليد مع عدد من قومه وخلفه على زوجته في نفس اليوم، وزعم أنه وقومه مرتدين عن الإسلام بامتناعهم دفع الزكاة ينظر: ابن حجر، الاصابة ج5، ص560، ص566.

([2]) ابن سعد، متمم الصحابة،ج1، ص535؛ ابن الاثير، اسد الغابة، ج4، ص277؛ الذهبي،تاريخ الاسلام، ج2، ص24.

([3]) ينظر:المسعودي،مروج الذهب،ج2،ص353،ج3،ص16؛ابن عبد البر،الاستيعاب،ص44.

([4]) أخبار الجمل ، ص46؛ ينظر: ابن قتيبة، الإمامة والسياسة، ج1، ص83.

([5]) اخبارالجمل، ص47؛ ينظر: ابن قتيبة، الإمامة والسياسة، ج1، ص83.

([6]) النكوص: الرجوع إلى وراء، وهو القهقرى. ابن الأثير ابو السعادات، النهاية في غريب الحديث، ج5، ص116.

([7]) أخبار الجمل ، ص46؛ ينظر: ابن قتيبة، الإمامة والسياسة، ج1، ص83.

([8]) أخبار الجمل ، ص46؛ ينظر: ابن قتيبة، الإمامة والسياسة، ج1، ص83.

([9]) أنساب الأشراف، ج2، ص225.

وطلحة،وكلماهما،فوقعا في علي ونالا منه"[1]، فيبدو أنهم كانوا متعجلين للقتال، رافضين لأي محاولة للحوار والحل السلمي، لكونه يعرقل تحقيق ما عزموا عليه وهو خلع علي(عليه السلام) ، ويتضح ذلك جليًا في رواية المفيد، فبعد أن ناشدهما المبعوثان بعدم إراقة دماء المسلمين، رد الزبير قائلا: " **إرجعا من إذ جئتما،لا تُفسِدا علينا، فأيسا منه وخرجا حتى دخلا على طلحة... فقال : أيحبّ عليّ بن أبي طالب أنّه إذا غلب على أمر المدينة أنّ الأمر له، وأنّه لا أمر إلاّ أمره ؟ والله ليعلمنّ، فانصرِفا من حيث جئتما** "[2] وفي روايةٍ أخرى مسندة للشعبي: " **فوقع طلحة بعليّ (ع) وسبّه ونال منه وقال : إنّه ليس أحد مثله،أمَ والله ليعلمنّ غِبّ ذلك، فخرجا من عنده وهما يقولان : غَضِب هذا الدنئ، ثمّ دخلا على الزبير فكلّماه مثل كلامهما لصاحبه، فوقع أيضاً في عليّ** (عليه السلام) **وسبّه، وقال لقوم كانوا بمحضر منه : صبّحوهم قبل أن يمسوكم**"[3].

فيمكننا أن نخلص مما سبق بعدة نقاط أهمها:

1ـ اعتراف طلحة بأن سبب معارضتهم لحكومة الإمام علي(عليه السلام) هو لعدم حصولهم على ما كانوا يتطلعون إليه من المناصب السياسية في تلك الحكومة، ويظهر من كلامه الادعاء بأن تلك المشاركة كانت من شروطهم على الإمام عندما بايعوه، أي أنه نكث وغضب لأجل السلطة أو الملك كما جاء على لسان المبعوثين. فلم نجد الادعاء بأنهما بايعا مكرهين كما صرحت رواية سيف.

2ـ إن موقف عائشة و طلحة والزبير بأحداث قتل عثمان كان أمرًا مكشوفًا ومتعارفًا لدى الجميع، لذلك لم يحاولا الإنكار فالزبير يعترف بأن كانت منهم فلتات بعثمان لذلك جاؤوا للاعتذار والتكفير عنها بالطلب بدمه. وفي موقف آخر قالوا:" **يا أهل البصرة توبة بحوبة**" [4] وعائشة تعترف بأنها كانت من الغاضبين والمعارضين له، وفي الواقع إن هذا القول يعكس تناقض موقفهم، إذ إنهم يدينون أنفسهم بأنفسهم، ثم يحاولون تبرأة أنفسهم وفق رغباتهم، فكيف يكون علاج الخطأ بخطأ آخر؟! وهل التوبة تكون بسفك الدماء، وإثارة الفتن، أم بالاعتراف بالذنب و القبول بقضاء الحاكم الشرعي، ثم ما هو ذنب، أهل البصرة ليتحملوا معهم تبعات فلتاتهم؟!

3ـ إنهم استعجلوا بالزحف لاقتحام البصرة، رافضين الحلول السلمية، خوفًا من إفساد الخطة التي وضعوها، أو أن يتأثر أفراد معسكرهم بمثل تلك الحجج الدامغة، فينفضوا من حولهم. فاستبقوا الأحداث وباغتوا والي البصرة كما جاء في ذيل الرواية الأخيرة: فصبحوهم قبل أن يمسوكم.

لكن علي(عليه السلام) كان مأمورًا هذه المرة بمواجهة الناكثين وقتالهم، فإن كانت عائشة ليس لديها عهد أو إذن لقيادة تلك الحركة كما صرحت بنفسها، فإن لعلي(عليه السلام) من النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) سبعين

([1]) الأوائل، ص202.

([2]) الجمل، ص 148.

([3]) الجمل، ض149.

([4]) البلاذري، أنساب الأشراف، ج2، ص229؛ الطبري، تاريخ الرسل، ج3، ص486.

عهدًا من النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) [1] وفي روايات ثمانين عهدًا من بينها الوصية بقتال معارضيه[2]، ويمكن الاستدلال بذلك من خلال الغيبيات والنبوءات التي جاءت على لسان النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) فيما يخص الأحداث التي سيواجهها الإمام(عليه السلام) من بعده، والتي جاءت بأحاديث صحيحة منها عهده له بقتال الناكثين والقاسطين والمارقين[3] وحديث خاصف النعل والقتال على التأويل "**إن منكم رجلا يقاتل الناس على تأويل القرآن كما قوتلت على تنزيله، فقام أبو بكر فقال: أنا هو يا رسول الله؟ قال: لا، فقام عمر فقال: أنا هو يا رسول الله؟ قال: لا،ولكنه خاصف النعل في الحجرة**" فإذا بعلي يخرج وبيده نعلي رسول الله وقد أصلحهما، وهذا حديث صحيح متواتر لا يقبل الشك[4] . نستخلص من ذلك أن الإمام علي(عليه السلام) كان يستند في قتاله للمتمردين، على نصوص شرعية، فالنبي (صلى الله عليه وآله وسلم) لا ينطق عن الهوى[5]، وقد ذهب عددًا من العلماء في تفسير قوله تعالى ((**وَإِنْ نَكَثُوا أَيْمَانَهُم مِنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا فِي دِينِكُمْ فَقَاتِلُوا أَئِمَّةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَا أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُونَ**)) [6] أنها نزلت في قتال علي(عليه السلام) للناكثين، وذكروا أنه تلا الآية يوم البصرة وقال:" **والله ما قوتل أهل هذه الآية حتى اليوم**" [7] لذلك كان أمير المؤمنين(عليه السلام) يقول في قتالهم:" **لقد ضربت أنف هذا الأمر وعينه**[8] **وقلبت ظهره وبطنه،فلم أر لي إلا القتال أو الكفر بما جاء به محمد**(صلى الله عليه وآله وسلم) " [9] أو كما أورده البخاري بنحو بنحو مختصر في التاريخ الكبير: "**ما وجدت إلا القتال أو الطعن**"[10]. أي انه مأمورا بما فعل من النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) الذي كان مأمورا من الله تعالى.

([1]) ابن أبي عاصم، السنة، ج2، ص564؛ الطبراني، المعجم الصغير، ج2، ص161؛ الأصبهاني، حلية الأولياء، ج1، ص68؛ البغدادي، موضح أوهام الجمع والتفريق، ج2، ص139؛ الهيثمي، مجمع الزوائد، ج9، ص113

([2])ابن شاذان،الإيضاح، ص452؛ابن عقدة الكوفي، فضائل أمير المؤمنين (عليه السلام)، ص86؛ المفيد،الأمالي، ص335؛ الطوسي، الأمالي، ص114.

([3])ابن ابي عاصم،السنة،ج2،ص439؛البزاز،البحر الزخار،ج2،ص215؛المقدسي؛ البدء والتاريخ،ج5،ص224؛ الطبراني، المعجم الأوسط،ج8،ص21؛المعجم الكبير،ج10،ص91؛الحاكم، المستدرك،ج3،ص150؛ابن بطال،شرح صحيح البخاري، ج10، ص24، ص29؛الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد،ج9،ص300؛ابن عساكر،تاريخ دمشق،ج42؛ ص468؛ابن كثير،البداية والنهاية،ج2،ص584؛الهيثمي، مجمع الزوائد،ج6، ص335ج7، ص238.

([4]) ابن أبي شيبة، المصنف، ج6، ص367؛ ابن حنبل، المسند، ج18؛ ص296، ابو يعلى، المسند، ج2، ص241؛ صحيح ابن حبان، ج5، ص385؛ الحاكم، المستدرك، ج3، ص132؛ البيهقي، دلائل النبوة، ج6، ص436؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ج3، ص642؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج6، ص243.

([5]) سورة النجم، الآية (3)

([6]) سورة التوبة، الآية (12) .

([7])ينظر:الطوسي، التبيان، ج3،ص556؛السيوطي،الدر المنثور،ج4، ص137؛الشوكاني، فتح القدير، ج2، ص391.

([8]) مثل تقوله العرب إذا أرادت الاستقصاء في البحث والتأمل والفكر. ابن أبي الحديد، الشرح، ج2، ص323.

([9])الشريف الرضي، نهج البلاغة،ص50. ينظر: الدينوري،الأخبار الطوال،ص188؛ابن الأثير،أُسد الغابة،ج3، ص609.

([10]) ج4، ص309.

ولنا أن نسأل ما دواعي ذلك التشدد في العهد الى حد جعل الأمر يدور بين تنفيذ القتال أو الكفر؟؟ مما لاشك فيه إن الامر أكبر من كونه عقابًا على نكث البيعة، فلابد أن الله تعالى يعلم بأن قريشًا رغم فتح مكة وإخضاعها عسكريا، ظلت تشكل في المستقبل القريب خطرا على أصل الإسلام وأن بني أمية أقدر القبائل على قيادة قريش، فانقيادها لخلافة ابي بكر وعمر لم تكن الا مرحلة طارئة وأن نقمة الصحابة والأمة على عثمان ليست إلا مقطعا قصيرا أيضا، بإمكان بني أمية أن يحتووه، أما طلحة والزبير وعائشة فلو نجحوا في إسقاط حكم علي(عليه السلام)، فهم متناقضون ليست لهم القدرة على قيادة قريش، وسرعان ما ستنتهي الخلافة إلى بني أمية من جديد [1]

وهذا يفسر قول كلٍ من أمير المؤمنين (عليه السلام) وعمار بن ياسر بأن بني أمية ما أسلموا ولكن استسلموا! فلما وجدوا لهم أعوانًا نهضوا لتنفيذ مشروعهم الدفين لضرب الدين المحمدي [2] لذلك كانت وصية النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) لعلي (عليه السلام) أن يستثمر نقمة الأمة على عثمان ويقاتل بني أمية على التأويل كما قاتلهم مع النبي (صلى الله عليه وآله) على التنزيل، وبذلك يتم بعث العهد النبوي مجددا ليبقى ماثلا في تاريخ الأمة وضميرها. [3]

([1]) الكوراني، جواهر التاريخ، ص255.

([2]) ابن مزاحم، وقعة صفين، ص215؛ ابن أبي الحديد، الشرح، ج4، ص31.

([3]) الكوراني، جواهر التاريخ، ص255.

الفصل الثالث

السيطرة على البصرة ونهاية المسير

الفصل الثالث

السيطرة على البصرة ونهاية المسير

المطلب الأول / روايات السيطرة على البصرة و معركة الجمل الصغرى :

بعد فشل سفارة والي البصرة في مساعيها بإقناع قادة معسكر الجمل بالجنوح الى السلم، عاد ابو الأسود وبلغه بعزمهم على الزحف نحو البصرة وأنشد قائلًا:

يا بن حَنِيفٍ قَدْ أُتِيتَ فَانفر وَطَاعِنِ الْقَوْمَ وَضَارِبْ وَاصْبِرِ

فأجابه : أي ورب الحرمين لأفعلن ونادى بأصحابه ليتسلحوا [1] ولا يمكن مؤاخذة ابن حنيف على ذلك، فلم يكن أمامه خيار آخر بعد رفضهم التفاوض، لاسيما أنهم كتبوا له أن يخلي لهم دار الإمارة [2] مما يبين حقيقة نواياهم بالقضاء على سلطة أمير المؤمنين (عليه السلام) في البصرة بأسرع وقت والسيطرة على مقاليد الأمور فيها ليتسنى لهم الإفادة من مقدرات بيت المال لتأمين إمداد عساكرهم ولتقوية جبهتم بتحشيد الناس حولهم بعد أن علموا أنه في الطريق أليهم .

ويروي ابن قتيبة أن ابن حنيف خطب بأهل البصرة وناشدهم لنصرة الحق وبين بطلان مزاعم الناكثين فأجابه حكيم بن جبلة بقومه من ربيعة [3] وبالفعل اصدم الطرفان بعدة معارك أليمة عرفت تأريخياً بوقعة الجمل الصغرى، وكان ذلك قبل قدوم أمير المؤمنين (عليه السلام) للبصرة أما حربه معهم عرفت بوقعة الجمل الكبرى[4] ولقد أشار لأحداث تلك الواقعة العديد من المؤرخين وأصحاب السير [5] وعرفت الوقعة في بعض المصادر بيوم الزابوقة [6] ومن خلال ما ورد في تلك المصادر تبين أن وقعة الجمل الصغرى لم تكن يومًا

([1]) البلاذري أنساب الأشراف،ج2،ص226؛الطبري تاريخ الرسل ج3، ص480؛ابن كثير، البداية والنهاية،ج7،ص259؛ ابن مسكويه، تجارب الامم،ج1، ص475.

([2]) ابن أبي الحديد، الشرح، ج9، ص312.

([3]) الإمامة والسياسة،ج1، ص83.

([4]) ابن ابي الحديد، الشرح،ج9،ص322.

([5]) ابو مخنف، أخبار الجمل،ص53؛ ابن قتيبة، الإمامة والسياسة،ج1،ص87؛ البلاذري، أنساب الأشراف،ج2،ص226؛ الطبري تاريخ الرسل،ج2، ص 38.

([6])من محال البصرة المعروفة سكنها المسلمين بعد الفتح الإسلامي عام (17هـ/ 368م)، وتقع قرب دار الرزق، وفي كتب البلدان ذكر أنها المكان الذي وقعت فيه وقعة الجمل، والأرجح أن المقصود هي الجمل الصغرى، وفق ما جاء عند البلاذري وفي ترجمة مجاشع بن مسعود عند ابن خياط والأصفهاني لشخصية مجاشع بن مسعود، فقالوا انه "**قتل يوم الجمل الأصغر يوم الزابوقة** ". ينظر :الطبقات،ج1،ص؛99أنساب الأشراف،ج2،ص228؛ابن الفقيه، البلدان،ج1،ص299؛تاريخ أصبهان،ج1،ص98؛الحموي،معجم البلدان،ج1،ص431؛شكري،معركة الجمل دراسة في تحديد الموقع،ص104.

واحدًا، بل ثلاثة أيام أو ثلاث حملات متتالية حتى تمت السيطرة لأصحاب الجمل على مقاليد البصرة (دار الإمارة والمسجد وبيت المال) وطرد عامل علي (عليه السلام) منها ، وللوقوف على ذلك و لتبيان كيفية اقتحامهم للمدينة اقتضت الدراسة تتبع خط زحف جيش الجمل وما رافقه من أحداث و كالآتي:

أولًا: الزحف نحو المربد[1](الحملة الأولى) :

روي أن أصحاب الجمل دخلوا للبصرة من ناحية المربد[2] : "**وأقبل طلحة والزبير وعائشة حتى دخلوا المربد مما يلي بني سليم، وجاء أهل البصرة مع عثمان ركبانا ومشاة**"[3] ويصور ابن خياط خط سيرهم في الحملة الأولى بقوله:"... **فتلقاهم الناس بأعلى المربد، فلما كانوا بالدباغين وذلك حضرة قصر زربي [4] في سكة المربد اجتمع الناس حتى لو رمي بحجر وقع على رأس انسان، فتكلم طلحة وتكلمت عائشة وكثر اللغط**" [5] وفي رواية أخرى يصف مشهد الصدام الأول بأن طلحة كان ينادي وهو على ظهر دابته : "**يا أيها الناس انصتوا ؟ فجعلوا يركبونه ولا ينصتون، فقال : أف أف فراش نار وذبان طمع .**" [6]

وفي رواية ابن قتيبة أن الناس اصطفوا لعائشة في الطريق يقولون: "**يا أم المؤمنين، ما الذي أخرجك من بيتك؟ فلما أكثروا عليها تكلمت بلسان طلق... ثم قالت : أيها الناس، والله ما بلغ من ذنب عثمان أن يستحل دمه، ولقد قتل مظلوما... وإن من الرأي أن تنظروا إلى قتلة عثمان، فيقتلوا به، ثم يرد هذا الأمر شورى، على ما جعله عمر بن الخطاب فمن قائل يقول : صدقت، وآخر يقول : كذبت، فلم يبرح الناس يقولون ذلك حتى ضرب بعضهم وجوه بعض**"[7]

كما ورد مضمون تلك الخطبة في رواية البلاذري وجاء عنده أن طلحة والزبير سبقا عائشة وخطبوا بالناس معلنين إخلاء مسؤوليتهم عن قتل عثمان وأنه من أهل السابقة والفضيلة، ولابد من الأخذ

([1]) هو المكان الذي تحبس فيه الإبل، وقيل أيضا الذي يجفف فيه التمر، ومربد البصرة من أشهر محالها، كان سوقًا للإبل ثم صار محلة عظيمة سكنها الناس وبه كانت مفاخرات الشعراء ومجالس الخطباء ،وقيل أنه يقع في الجهة الغربية منها على بعد ثلاثة أميال. الحموي، معجم البلدان، ج5، ص97؛ شكري، معركة الجمل دراسة في تحديد الموقع، ص96.

([2]) ابو مخنف، أخبار الجمل، ص53؛ البلاذري، أنساب الأشراف، ج2، ص226؛ الطبري، تاريخ الرسل، ج2، ص381؛ المفيد، الجمل.

([3]) أنساب الأشراف، ج2، ص226؛ ينظر: الطبري، تاريخ الرسل، ج2، ص381

([4]) قصر بالبصرة يقع على سكة المربد في الدباغين كان لمسلم بن عمرو بن الحصين بن أبي قتيبة بن مسلم.الحموي، معجم البلدان،ج4، ص357.

([5]) تاريخ خليفة،ج1، ص182؛ العقد الفريد، ج5، ص.63

([6])تاريخ خليفة،ج1، ص182؛ العقد الفريد، ج5، ص63.

([7]) الإمامة والسياسة، ج1، ص87؛ ينظر: الطبري، تاريخ الرسل، ج2، ص381.

بثأره من قتلته فضلًا عن اتهامهم لعلي (عليه السلام) وأصحابه بقتله، فضلًا عن اتهامه بابتزاز أمر خلافة الأمة... **وأحدث أحداثا نقمناها عليه فباينا ونافرناه،ثم أعتب حين استعتبناه، فعدا عليه امرؤ ابتز هذه الأمة أمرها بغير رضا ولا مشورة فقتله، وساعده على ذلك رجال غير أبرار ولا أتقياء، فقتلوه بريئا تائبا مسلما... وارتفعت الأصوات وأتي بعائشة على جملها في هودجها فقالت: صه صه** [1] **فخطبت بلسان ذلق وصوت جهوري فأسكت لها الناس فقالت إن عثمان ... فينبغي في الحق أن يؤخذ قتلته فيقتلوا به ويجعل الأمر شورى.فقال قائلون: صدقت. وقال آخرون: كذبت حتى تضاربوا بالنعال وتمايزوا فصاروا فرقتين: فرقة مع عائشة وأصحابها،وفرقة مع ابن حنيف وكان على خيل ابن حنيف حكيم بن جبلة فجعل يحمل ويقول: خَيلي إلي إنها قريشُ لَيردِيَنها نعيمها والطيشُ"** [2]

ويتضح من تلك النصوص عدة امور منها ان معسكر عائشة استطاعوا بث الفرقة في أهل البصرة وتمكنوا من استمالة فريق منهم من خلال ما بثوه من الدعايات والافتراءات بغرض التأليب على حكومة أمير المؤمنين(عليه السلام).

على الرغم من إشارة النصوص للصدام الذي وقع بين معسكر الجمل ومعسكر ابن حنيف، إلا إنها صورت لنا الموقف لا يعدو أن يكون تضارب بالنعال والحجارة، في صفوف أتباع ابن حنيف من اهل البصرة بين بعضهم البعض، في حين ورد في رواية المفيد تفاصيل ذلك الصدام وفيها أن عائشة بعد أن أتمت خطبتها وفي أثناء اللغط الذي حدث بين الفريقين انسحبت برؤوس حزبها لإخراج ابن حنيف من دار الإمارة وأنهم اقتتلوا مع أتباع ابن حنيف حتى منتصف النهار فقال:" **وتركتهم وسارت حتى أتت الدباغين وقد تحيز الناس ... فسارت من موضعها ومن معها ... حتى أتوا دار الإمارة فسألوا عثمان بن حنيف الخروج عنها فأبى عليهم ذلك واجتمع إليه أنصاره وزمرة من أهل البصرة فاقتتلوا قتالا شديدا حتى زالت الشمس وأصيب يومئذ من عبد القيس خاصة خمسمائة شيخ مخضوب من أصحاب عثمان وبلغ الحرب بينهم التزاحف إلى مقبرة بني مازن**" [3] وروي ابن ابي الحديد عن أبي مخنف نحو ذلك بقوله :"**فلما أقبل طلحة والزبير من المربد يريدان عثمان بن حنيف، فوجداه وأصحابه أخذوا بأفواه السكك؛ فمضوا حتى انتهوا إلى الدباغين فاستقبلهم أصحاب ابن حنيف فشجرهم طلحة والزبير وأصحابهما بالرماح فحمل عليهم حكيم بن جبلّة فلم يزل هو وأصحابه يقاتلونهم حتّى أخرجوهم من**

([1]) كلمة زجر للمتكلم، أي: اسكت . ابن منظور، لسان العرب،ج3،ص511؛الزبيدي،تاج العروس،ج36؛ص428.

([2]) أنساب الأشراف،ج2، ص226-227؛ ينظر: الطبري، تاريخ الرسل، ج2، ص381.

([3]) الجمل،ص150-151.

جميع السكك، ورماهم النساء من فوق البيوت بالأحجار فأخذوا إلى مقبرة بنى مازن فوقفوا بها مليّا حتّى ثابت إليهم خيلهم ..." [1]

ورغم عدم تصريح الرواية بمحاولتهم الاستيلاء على دار الإمارة بلفظ مباشر كما ذكر المفيد، إلا أن المغزى واضح من خلال إصرارهم على التوغل في سكك المدينة، لولا تصدي أصحاب ابن حنيف وإمساكهم بأفواه السكك، فهم لم يسيروا من الحجاز ليضلوا مرابطين في ضواحي البصرة، فضلًا عن عما جاء في الرواية بأن معسكر الجمل لما رأوا ذلك الإحكام على مداخل وسكك المدينة، شجروهم بالرماح، فكان من البديهي أن يرد ابن حنيف وأصحابه على اعتدائهم دفاعا عن أنفسهم ولمنعهم من الوصول لدار الإمارة. وفي رواية الطبري عن سيف أشار الى اقترابهم من السكك المؤدية الى المسجد **بقوله:**" **وأتى عثمان بن حنيف فيمن معه حتى إذا كانوا على فم السكة، سكة المسجد عن يمين الدباغين استقبلوا الناس فأخذوا عليهم بفمها**"[2]

نستخلص من ذلك أن تراجع معسكر الجمل كان بسبب المقاومة الشديدة التي وجهوا بها من قبل أهل البصرة بما فيهم النساء من أعلى البيوت وهذا ما أكده ابن خياط في روايته للحادثة وإن غيب شطرًا من وقائعها فلم يذكر محاولة لاستيلاء على دار الإمارة فقال: " **ثم إنهم انحدروا من موضع الدباغين فرماهم الناس بالحجارة، فأخذوا في بني نهد حتى خرجوا على مقبرة بني مازن ثم مقبرة بني حصن، ثم خرجوا على المسناة** [3] **حتى نزلوا الجبل** [4]. إن عدم التصريح بوضوح من قبل الرواة عن الهدف الأساسي من ذلك التوغل وهو الاستيلاء على مقاليد الحكم بالقوة ما هو إلا محاولة لتخفيف مسؤولية معسكر الجمل، عن الأحداث التي وقعت في البصرة بصورة عامة لاسيما واقعة الجمل الصغرى وحقيقة نواياهم السياسية للإطاحة بسلطة حكومة الإمام علي(عليه السلام) بالبصرة، ويتضح ذلك من إصرارهم على إقتحام المدينة رغم اللغط الحاصل في المدينة واستنكار أهلها واحتجاجهم برسائلهم السابقة للتحريض على حكومة عثمان والإطاحة به[5].

([1]) الشرح، ج9، ص318؛ابن ميثم البحراني، شرح نهج البلاغة ج3، ص335؛ الخوئي، منهاج البراعة، ج10، ص105.

([2]) الضبي، الفتنة ووقعة الجمل،ص125؛ تاريخ الرسل،ج3،ص 482.

([3]) سد يبنى لحجز ماء سيل النهر، يبنى من الحجارة أو الخشب، به فتحات للماء تفتح على قدر الحاجة. اليحصبي، مشارق الأنوار على صحاح الآثار، ج2، ص61؛ الزيات وآخرون، المعجم الوسيط، ج1، ص457.

([4]) تاريخ خليفة، ج1، ص182.

([5])ابن قتيبة، الإمامة والسياسة،ج1،ص88؛ البلاذري،أنساب الأشراف،ج2، ص229؛الطبري تاريخ الرسل،ج3، ص486.

تبين النصوص أعلاه بأن السيطرة على البصرة لم تكن بالأمر اليسير على قادة معسكر الجمل، فكان عليهم تسويغ تحركهما وإبداء أسباب تراجعهما عن بيعة علي (عليه السلام) ، لكن عائشة أبدت مقدرة تفوق ما كان لطلحة والزبير، فوضعت حدا للجدل ونجحت في شق صفوف أهل المدينة، الى شطرين [1]، ثم إنها سارت بجملها نحو دار الإمارة وتبعها من كان معها [2] مما يدل على قيادتها الفعلية لأولى المعارك في البصرة بتوجيه تحركات عسكرها والتحشيد للقتال وهذا مالم يستطيع ابن كثير إنكاره فقال:" **وتكلمت أم المؤمنين فحرضت وحثت على القتال، فتناور طوائف من أطراف الجيش فتراموا بالحجارة...**" [3].

تلك هي معارك الحملة الأولى وقد توقفت لانقضاء النهار " **فحجز الليل بينهم . فرجع عثمان إلى القصر، ورجع الناس إلى قبائلهم**"[4].

ثانيًا: النزول في دار الرزق (الحملة الثانية):

تنص الروايات على أن أصحاب الجمل لما انسحبوا بعد فشل حملتهم الأولى اختاروا النزول في الزابوقة قرب دار الرزق[5] فورد في كتاب أبي مخنف :"**وذكروا أنهم لما أتوا مقبرة بني حصن تهيؤوا للقتال ثم خرجوا حتى أتوا مسناة البصرة من قبل الجبانة حتى أتوا سبخة دار الرزق فاقتتلوا فسار إليهم عثمان بن حنيف فاقتتلوا من حين بزغت الشمس إلى أن تصوبت** [6] **وكثر القتلى والجراحات...**" [7]

وجاء في تاريخ خليفة " **وسار طلحة والزبير ومن معهما حتى أتوا الزابوقة فخرج إليهم عثمان بن حنيف فتوافقوا حتى زالت الشمس ثم اصطلحوا وكتبوا بينهم كتابا أن يكفوا عن القتال ...** " [8]

وأضاف الطبري في روايته عن سيف بن عمر بأن الناس أخذوا يتوافدون الى معسكر الجمل " **ثم أتوا مقبرة بني حصن وهي متنحية إلى دار الرزق فباتوا يتأهبون وبات الناس يسيرون إليهم وأصبحوا**

([1]) بيضون، الإمام علي (عليه السلام) في رؤية النهج ، ص81.

([2]) أنساب الأشراف، ج2، ص226-227. ينظر: الطبري، تاريخ الرسل، ج2، ص381.

([3]) البداية والنهاية، ج7، ص259.

([4]) الطبري،تاريخ الرسل،ج3،ص483.

(5) أخبار الجمل، ص55؛ الضبي، الجمل ومسير عائشة، ص291؛ البلاذري، أنساب الأشراف،ج2، ص227؛ الطبري، الطبري، تاريخ الرسل،ج3، ص483؛ المفيد، الجمل، ص151؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج3، ص214.

([6]) بمعنى الى أن مالت الشمس للمغيب، أي إلى آخر ساعة من النهار. ينظر: مقاتل بن سليمان، تفسير مقاتل، ج4، ص829؛ الثعالبي، سحر البلاغة وسر البراعة، ج1، ص23.

([7]) أبو مخنف، أخبار الجمل، ص55. ينظر: البلاذري، أنساب الأشراف، ج2، ص227.

([8]) ابن خياط ، ج1، ص184.

وهم على رجل في ساحة دار الرزق وأصبح عثمان بن حنيف فغاداهم وغدا حكيم بن جبلة وهو يبربر وفي يده الرمح..." [1].

وفي شرح نهج البلاغة عن ابن عباس: "**ثم أصبحا من غد فصفا للحرب، وخرج عثمان بن حنيف إليهما في أصحابه فناشدهما الله والاسلام، وأذكرهما بيعتهما عليا** عليه السلام" إلا أنهم لم ينصتوا لمناشدته وشتوا أمه شتمًا قبيحًا كما ورد في الرواية، فقال:" **اللَّهمّ إنّي قد أعذرت إلى هذين الرجلين . ثمّ حمل عليهم فاقتتل الناس قتالا شديدا . ثمّ تحاجزوا واصطلحوا على أن يكتب بينهم كتاب صلح**[2]. وفي وفي رواية المفيد التي نقلها من عدة طرق :" **ثم خرجوا على مسناة البصرة حتى انتهوا إلى الزابوقة وهي ساحة دار الرزق فاقتتلوا قتالا شديدا كثر فيه القتلى والجرحى من الفريقين ثم إنهم تداعوا إلى الصلح ودخل بينهم الناس لما رأوا من عظيم ما ابتلوا به فتصالحوا ...**" [3]

من خلال تلك النصوص يمكننا تسجيل الملاحظات الآتية:

1. إن انسحاب أصحاب الجمل كان لأجل تجميع القوى تأهبًا لهجمة ثانية للاستيلاء على البصرة.

2. تلك الحملة كانت في اليوم الثاني من الحملة الأولى، بدليل ما جاء في النصوص من أن القتال بدء من الصباح الى آخر النهار ويمكن أن نستدل من خلال التدقيق بالألفاظ الزمانية الواردة في النصوص أعلاه وهي:" **فاقتتلوا من حين بزغت الشمس إلى أن تصوبت**"[4] وفي رواية الطبري عن سيف أنهم بعد بعد انسحابهم من الجولة الأولى التي انتهت لحلول الليل **(فباتوا يتأهبون) (وبات) الناس يسيرون إليهم ثم يقول"(وأصبحوا) وهم على رجل في ساحة دار الرزق**"[5] . وتتفق معها رواية ابن ابي الحديد"**(أصبحا)** الحديد"**(أصبحا) من غد فصفا للحرب**"[6]

ويبدو أن نزولهم في هذا الموضع لم يكن صدفة، وإنما كان لأجل تأمين المؤونة لعساكرهم[7] .

3. إن تلك الأرزاق كانت خاصة لأهل البصرة ومن واجب والي المدينة حمايتها ومنعهم من استغلالها لتموين جيوشهم، لاسيما أنهم باتوا يستعدون لهجمة ثانية على المدينة، فكان من البديهي أن يخرج لهم

([1]) الضبي،الجمل ومسيرعائشة،ص291؛الطبري،تاريخ الرسل،ج3،ص483؛ابن الأثير،الكامل في التاريخ،ج3 ص 214.

([2]) ابن ابي الحديد،ج9،ص318؛ابن ميثم البحراني،شرح نهج البلاغة،ج3، ص335.

([3]) الجمل، ص151.

([4])أبو مخنف، أخبار الجمل، ص55. ينظر: البلاذري،أنساب الأشراف،ج2، ص227.

([5])الضبي، الجمل ومسيرعائشة،ص291؛الطبري،تاريخ الرسل،ج3،ص483 .

([6])ابن ابي الحديد،ج9، ص318.

([7]) شكري، معركة الجمل دراسة في تحديد الموقع، ص104. ينظر:**ابن عبد البر**، الاستيعاب، ج1، ص368.

أصحاب ابن حنيف، لمنعهم من الاستيلاء عليه لأنهم سوف يتقووا به لقتالهم فضلًا عن أن وجودهم في دار الرزق حتمًا سيعيق حصول إصحاب ابن حنيف على أرزاقهم، وقد يكون هذا ضمن خطة معسكر الجمل لقطع الإمدادات على الطرف المقابل. كما تتفق النصوص أعلاه على أن ابن حنيف حاول مناشدتهما وتذكيرهما بالبيعة التي في أعناقهما لعلي (عليه السلام) لكنهما قابلاه بالسب والشتم مما يبين إصرارهما على الإطاحة بسلطة المدينة.

4. ومرة أخرى نجد أن أقلام رواة السلطات الحاكمة تحاول إلقاء اللوم على جنود الإمام علي(عليه السلام) وتحديدًا حكيم بن جبلة فروى الطبري مالفقه سيف بن عمر من اتهام تلك الشخصية بالشروع بالقتال و سب عائشة قتل رجل وامرأة من أنصارها فقال:"... **وغدا حكيم بن جبلة وهو يبربر وفي يده الرمح، فقال له رجل من عبد القيس: ...فوضع حكيم السنان بين ثدييه فقتله ثم مر بامرأة وهو يسبها- يعني عائشة... قالت: يا بن الخبيثة، ألأم المؤمنين تقول هذا! فطعنها بين ثدييها فقتلها ثم سار...**" [1] فمما نلحظه أن الراوي يظهر حكيم بصورة المعتدي على معسكر الجمل رغم أنه كان يؤدي واجبه في الدفاع عن مقدرات المدينة ،على وفق ما جاء عن غيره من الرواة ، هذا فضلًا عن سيرة الرجل التي تتصف بحسن السيرة والخلق الفضيل، باتفاق علماء التراجم[2] ، مما ينفي تلك الطعون والاتهامات الموجه له من الراوي .

ثالثًا : كتاب الصلح بين ابن حنيف ومعسكر الجمل:

تبين من الروايات السابقة أن الفريقين جنحوا إلى الصلح بعد ازدياد عدد القتلى والجراحات، ولم تنقل لنا المصادر أعدادهم، ومن الواضح أن الخسائر طالت الفريقين، الا أن سيف ومن نقل عنه انفردا بقول أن فريق ابن حنيف هم الذين طلبوا الصلح بعد أن عضتهم الحرب[3] ولو كانت فعلًا كفة معسكر الجمل هي المنتصرة لما وافقوا على الصلح، بل كانوا سيسارعون للإفادة من نصرهم بالإطاحة بسلطة ابن حنيف وأعوانه الذين شكلوا عائقًا لسيطرتهم على المدينة.

وعلى أية حال، فقد اتفقت المصادر على أن الكتاب نص على البنود الآتية:

" ... **على أن لعثمان الإمارة وبيت المال ومسجده ومنزل أصحابه حيث شاؤوا من البصرة حتى ضار بعضهم بعضاً في طريق ولا سوق ولا شريعة، وأن ينزل طلحة والزبير حيث شاؤوا من البصرة حتى يقدم علي بن أبي طالب، فإن اجتمعوا جميعاً دخلوا دخل فيها فيه الأُمّة، وإن افترقوا الحق كلّ قوم**

([1])الضبي، الجمل ومسير عائشة،ص291؛ تاريخ الرسل، ج3، ص484؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج3، ص214.

([2]) ينظر: ابن عبد البر، الاستيعاب، ج2، ص3 .

([3])الضبي، الجمل ومسير عائشة،ص 291؛ تاريخ الرسل، ج3، ص484؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ،ج3، ص214.

هواهم، وعليهم في ذلك عهد الله وميثاقه وذمة رسوله،ما وثقوا وشدّدوا. وأشهدوا بين الفريقين جميعاً"[1].

يتضح من هذا الكلام أن بنود الصلح تحددت بما يلي:

أولًا: أن يكون لابن حنيف :1. دار الإمارة .2. المسجد .3. بيت المال. وهذا يعني بقاء مراكز السلطة الإدارية والدينية والاقتصادية في البصرة بيد عامل علي(عليه السلام) حتى يصل أمير المؤمنين (عليه السلام) .

ثانيًا: السماح لقادة معسكر الجمل ومن معهم أن ينزلوا حيث يشاؤون من المدينة.

ثالثًا: لا يحق لأي طرف التعرض للطرف الآخر في الأماكن العامة كالطرق والأسواق والشريعة حتى يقدم أمير المؤمنين(عليه السلام)

رابعًا: تحديد مدة الصلح حتى قدوم أمير المؤمنين (عليه السلام) الى البصرة، بعدها ترك الخيار لأصحاب الجمل إما الدخول فيما اجتمعت عليه الأمة من طاعته أو مفارقته أي الخروج عليه.

خامسًا: على الطرفين الالتزام بتلك البنود، ولتوكيد الالتزام وعدم النكث، كتبوا بأن عليهم عهد الله ورسوله(صلى الله عليه وآله وسلم) وأشهدوا الشهود.

وقد اتفق على معظم تلك البنود أصحاب التواريخ المعتبرة [2] والجدير بالذكر إن تلك البنود تدل على أن ذلك الصلح لم يكن إلا هدنة، بسبب إحتدام القتال وكثرة القتلى بين الطرفين.

رابعًا: نقض الهدنة وشن الحملة الثالثة:

تنص الروايات التاريخية أن ابن حنيف أمن بعد عقد الهدنة وأحسن الظن بأصحاب الجمل فأمر أصحابه بإلقاء السلاح والعودة لمنازلهم [3]أما قادة الجمل فيقول ابن اعثم أنهم نزلوا في الخريبة [4]، يدبرون أمرهم بينهم[5]، فلم يكن بإمكان تحالف المعارضين أن يجلسوا بهدوء وادعين في البصرة انتظاراً لقدوم علي

([1]) أخبار الجمل، ص55؛ ينظر: أنساب الأشراف، ج2، ص327؛ ابن ابي الحديد، الشرح، ص151.

([2]) ينظر:ابن خياط، تاريخ خليفة، ج1،ص184؛ ابن قتيبة؛ الإمامة والسياسة،ج1، ص89؛البلاذري، أنساب الأشراف، ج2، ص227؛ اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي،ج2،ص181؛ المسعودي، مروج الذهب، ج2، ص358؛ابن اعثم،الفتوح،ج2.

([3]) ينظر: ابن قتيبة، الإمامة والسياسة، ج1، ص89؛ اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج2، ص181 ؛ ابن أعثم الفتوح،ج2، ص458؛ ابن عبد البر، العقد الفريد، ج5، ص63؛ المسعودي، مروج الذهب، ج2، ص358.

([4]) من نواحي البصرة، قيل أنها سميت بذلك لأن المرزبان كان ابتناها قصراً خرب بعده فابتناه المسلمون بعد ذلك وسموه الخريبة. وقيل أنها كانت مدينة عتيقة من مدن الفرس تسمى وهشتاباذ أردشير، وكان فيها مسالح لهم، وفي حركات الفتح عام (14هـ/ 635م)، خربت بشنّ الغارات عليها، فسميت الخريبة، كما ذكر أن فيها وقعت وقعة الجمل بين عليّ (عليه السلام) وعائشة. الحموي، معجم البلدان، ج1، ص431، ج2، ص363.

([5]) الفتوح، ج2، ص.458.

السلام). فهم لم يدخلوا كل هذه المغامرة ويقودوا كل هذا التحرك لينتهي بهم المطاف إلى جدال كلاميّ ومحاججة كانوا يعرفون أنهم سيخسرون فيها أمامه . ولو كانوا يريدون التفاوض معه لفعلوا ذلك في المدينة، دون الحاجة لإعلان الانشقاق وحشد القوات.[1]

فروي أنه لم تمضِ إلا أيام قلائل حتى نقضوا العهد وشنوا الحملة الثالثة للاستياء على المدينة [2] واستولوا على دار الإمارة، بإخراج ابن حنيف منه، فلم يراعوا عهدهم الله معه ولا سابقته وصحبته للنبي(صلى الله عليه وآله وسلم) فأسروه وضربوه ثم نتفوا شعره ولحيته و حاجبيه، واستولوا على أموال بيت مال البصرة في حادثة أشبه ما تكون بعملية تصفية جماعية راح ضحيتها أعداد كبيرة من أهالي البصرة [3] .

فروى ابن قتيبة:" **فمكث عثمان بن حنيف في الدار أياما، ثم إن طلحة والزبير ومروان بن الحكم أتوه نصف الليل في جماعة معهم، في ليلة مظلمة سوداء مطيرة وعثمان نائم، فقتلوا أربعين رجلا من الحرس، فخرج عثمان بن حنيف، فشد عليه مروان فأسره، وقتل أصحابه، فأخذه مروان، فنتف لحيته ورأسه وحاجبيه**"[4].

وتوضح رواية البلاذري أن طلحة والزبير قد اتفقوا مسبقًا مع بقية قادة الحركة :" **فعزما على تبييت ابن حنيف وهو لا يشعر، وواطآ أصحابهما على ذلك، حتى إذا كانت ليلة ريح وظلمة جاؤا إلى ابن حنيف وهو يصلي بالناس العشاء الآخرة فأخذوه وأمروا به فوطئ وطئا شديدا، ونتفوا لحيته وشاربيه... وحبساه. وبعثا عبد الله بن الزبير في جماعة إلى بيت المال وعليه قوم من السبابجة [5] يكونون أربعين، ويقال: أربعمائة، فامتنعوا من تسليمه دون قدوم علي، فقتلوهم ورئيسهم أبا سلمة الزطي** [6]

([1]) شحادة، قريش وعلي، ص427.

([2]) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج3، ص486؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج3، ص216.

([3]) ابن قتيبة،الإمامة والسياسة،ج1، ص89؛ اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي،ج2، ص181؛ابن أعثم الفتوح،ج2،ص458؛ ابن عبد البر، العقد الفريد،ج5 ص63؛ المسعودي، مروج الذهب،ج2،ص358.

([4]) الإمامة والسياسة، ج1، ص89.

([5]) السبابجة قوم ذوو جلد من السند والهند ، يكونون مع رئيس السفينة البحرية وواحدهم يقال له: سيبجي، أو السابج كانوا بالبصرة جلاوزة وحراس السجن.ابن منظور، لسان العرب،ج2،ص294.

([6])نسبة الى الزط وهم:جيل من الهند والسودان كانوا في البصرة إليهم تنسب الثياب الزطية،.ابن منظور، لسان العرب،ج7،ص308.

وكان عبدا صالحا." [1] ويتفق المسعودي معه في سبب قتل الحراس، وأضاف أنهم أول من قتل صبرًا في الإسلام فقال:"... **فقتل منهم سبعون رجلا غير من جرح، وخمسون من السبعين ضربت رقابهم صبرا من بعد الأسر وهؤلاء أول من قُتل ظلماً في الإسلام وصبرا**"[2].

أما بالنسبة للطبري فقد روى روايتين عن تلك الحادثة منها رواية للزهري ورغم اقتضابها لأحداث سيطرة أصحاب الجمل على المدينة إلا أنها تدينهم بوضوح وفيها أنهم لما قدموا البصرة سألهم ابن حنيف :" **ما نقمتم على صاحبكم ؟ فقالوا : لم نره أول بها منّا وقد صنع ما صنع قال : فإنّ الرّجل أمّرنى فأكتب إليه فأُعلمه ما جئتم له على أن أُصلّى بالناس حتّى يأتينا كتابه فوافقوا عليه، وكتب فلم يلبث إلّا يومين حتّى وثبوا عليه فقاتلوه بالزابوقة عند مدينة الرزق فظهروا، وأخذوا عثمان فأرادوا قتله، ثمّ خشوا غضب الأنصار فنالوه في شعره وجسده**"[3] وفي لفظ ابن الأثير "**فلم يلبث إلا يومين أو ثلاثة...**"[4].

نلحظ أن الرواية لم تتطرق للانتهاكات التي وقعت كاقتحام دار الإمارة؛ ومقتل حراس بيت المال إلا أنها تبين بصورة واضحة من هو الطرف المعتدى عليه ومن هو الذي غدر ونكث بالاتفاق بعد يومين أو ثلاث. كما نلاحظ أن الطبري قدم على تلك الرواية المقتضبة رواية سيف الطويلة المتناقضة مع الواقع العملي ومجريات الأحداث وقد تضمنت ما انفرد به سيف:

1. بأن مدة الهدنة كانت على شرط إرسال كعب بن سور للمدينة للسؤال عن بيعة طلحة والزبير لعلي (عليه السلام) "**فإن كانا أكرها خرج عثمان عنهما وأخلى لهما البصرة، وإن لم يكونا أكرها خرج طلحة والزبير**"[5] فضلًا عن إغفال بند بقاء مراكز السلطة الثلاث لابن حنيف[6] .

2. ثم يدعي أن كعب عاد ومعه خبر يشير إلى إجبار طلحة والزبير فقال: **وقدم كعب بن سور فأرسلوا إلى عثمان ليخرج فاحتج بالكتاب** (من علي (عليه السلام)) **وقال هذا أمر آخر غير ما كنا فيه...**"[7] فصورت روايته ابن حنيف أخل بالشرط ولم يسلمهم المدينة لأن علي(عليه السلام) كتب اليه يمنعه من تنفيذ الشرط، والأدهى أنه نسب إليه الاعتراف يعترف بإكراه الرجلين على بيعته فقال في روايته :"**فبادر بالكتاب**

([1]) ج2، ص227.

([2]) مروج الذهب، ج2، ص358.

([3]) تاريخ الرسل والملوك، ج3، ص486.

([4]) الكامل في التاريخ، ج3، ص216.

([5]) الضبي، الجمل ومسير عائشة، ص 292؛ تاريخ الرسل، ج3، ص484.

([6]) الضبي، الجمل ومسير عائشة، ص 292؛ تاريخ الرسل، ج3، ص484.

([7]) الضبي، الجمل ومسير عائشة،ص292؛ تاريخ الرسل،ج3، ص484؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج3، ص215.

إلى عثمان يعجزه ويقول: والله ما أكرها إلا كرها على فرقة، ولقد أكرها على جماعة وفضل فإن كانا يريدان الخلع فلا عذر لهما ".[1] لاشك أن تلك الأكاذيب الملفقة تخالف العديد من الروايات التي جاءت عن لسانه للتأكيد على أنهما بايعا دون إكراه والتي لايسع المقام لذكرها[2].

ولابد من الإشارة إلى أن قصة ارسال كعب بن سور والشرط المزعوم لم تأتي عند غيره من الرواة، فخالف فيه رواية كل من الزهري التي تصرح بأن الصلح كان حتى يأتي كتابًا من علي[3]، ورواية ابن خياط[4] وأبو مخنف وفيها أن الصلح كان حتى قدوم علي (عليه السلام) إلى البصرة.[5] وقد اتق على ذلك القول معظم أصحاب السير[6]،عدا الطبري الذي انفرد بنقل رواية سيف[7] وبجانبها رواية الزهري المقتضبة[8]، وقد تبعه بذلك من نقل عنه من التواريخ[9] بهدف ضرب الروايات التي تدين معسكر الجمل الجمل أو التشكيك بها على الأقل، لأغراض سياسية، تتماشى مع رؤية السلطات الحاكمة والآراء المذهبية المتحزبة للدفاع عن السلف.

ولنا أن نسأل كم من الوقت يحتاج كعب بن سور للسفر إلى المدينة المنورة ذهابًا وإيابًا ليعود بتلك الأخبار؟ على أقل الاحتمالات يحتاج أياماً، فالمسير للمدينة ذهابًا وإيابا لا يسعه اليوم واليومين.

وممن تنبه لتلفيق سيف لذلك الخبر؛ الهيثم بن عدي[10] فيما رواه عنه سبط ابن الجوزي فقال:" **لم يكتبوا كتابًا إلى المدينة، ولم يَبعثوا رسولًا؛ لأن أمير المؤمنين**(عليه السلام) **ما أقام في طريق البصرة مدةً**

([1]) الضبي، الجمل ومسير عائشة، ص292؛ تاريخ الرسل،ج3،ص484؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج3، ص215.

([2]) للاطلاع على تلك الروايات ينظر: العاملي، الصحيح في سيرة أمير المؤمنين(عليه السلام) ، ج19، ص277.

([3]) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج3، ص486؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج3، ص216.

([4]) تاريخ ابن خليفة، ج1، ص184

([5]) أخبار الجمل، ص55؛ أنساب الأشراف، ج2، ص327؛ ابن ابي الحديد، الشرح، ص151.

([6]) ابن قتيبة، الإمامة والسياسة، ج1، ص89؛ اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج2، ص181؛ابن أعثم الفتوح، ج2، ص458؛ ص458؛ ابن عبد البر، العقد الفريد، ج5، ص63؛ المسعودي ، مروج الذهب، ج2، ص358.

([7]) الضبي، الجمل ومسير عائشة، ص 292؛ تاريخ الرسل ، ج3، ص484.

([8]) تاريخ الرسل والملوك، ج3، ص486.

([9]) ابن مسكويه، تجارب الأمم،ج1،ص478؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج3،ص215؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج7، ص232؛ ابن خلدون، المبتدأ والخبر، ج2، ص610.

([10]) الهيثم بن عدي المروزي صاحب الأنساب والأيام، كان إخباريًا كوفيًا غير متفق عليه عند الحفاظ، لينوه، ذو تصانيف ومعرفة بهذا الشأن، سمع هشام بن عروة، وشعبة، وغيرهما، سمع منه الكبار أبو عبيد القاسم بن سلام، ومحمد بن عبد الكريم المروزي، وكان الهيثم مكروها لأنه كان يتعرض لأحوال الناس وأخبارهم فيرويها على وجهها ويشيع ما كتموا، فكرهوه ووشوا به إلى الولاة، وقيل أنه تكلم في العباس بن عبد المطلب، فأمر هارون الرشيد بضربه وسجنه، توفي،سنة(207هـ/ 822م)الخليلي،الإرشاد، في معرفة علماء الحديث،ج3، ص895؛ الحموي، معجم الأدباء، ج6، ص2791.

يُرسلون فيها رسولًا ويعود إليهم بالجواب، وإنما اتقوا مع عثمان أن يُوقف الأمر حتى يَرَوا ما يكون من أمير المؤمنين، ولا يَعترض أحدٌ لأحد..."[1] وبين أنهم اتقوا على التبييت لابن حنيف والغدر به للسيطرة على البصرة، لعلمهم أنه لوقدم علي(عليه السلام) لن يتمكنوا من ذلك فقالوا: "**والله لئن قَدِم ابنُ أبي طالب ليَأخذنَّ بأعناقنا**"[2]، كما تجاهلها ابن الجوزي رغم أنه اعتمد على رواية سيف دون غيره في نقله لأحداث لأحداث واقعة الجمل[3]

أما عن موقف عائشة وطلحة والزبير، مما حدث بابن حنيف و مقتل السبايجة فقد روى الطبري روايتين الأولى عن سيف بن عمر وهي تخلي مسؤوليتهم وتصور أن رجالهم تصرفوا دون أمر منهم بقوله: "**وأدخلوا الرجال على عثمان ليخرجوه إليهما فلما وصل إليهما توطؤوه وما بقيت في وجهه شعرة فاستعظما ذلك وأرسلا إلى عائشة بالذي كان واستلطعا رأيها فأرسلت إليهما أن خلوا سبيله فليذهب حيث شاء ولا تحبسوه...**"[4]

أما الرواية الثانية فسندها لعمر بن شبه عن المدائني عن ابي مخنف: " **أرسلوا أبان بن عثمان إلى عائشة يستشيرونها في أمره، قالت: اقتلوه، فقالت لها امرأة: نشدتك بالله يا أم المؤمنين في عثمان وصحبته لرسول الله**(صلى الله عليه وآله وسلم) "**قالت: ردوا أبانا، فردوه، فقالت: احبسوه ولا تقتلوه" قال: لو علمت أنك تدعينني لهذا لم أرجع، فقال لهم مجاشع بن مسعود: اضربوه وانتفوا شعر لحيته، فضربوه أربعين سوطا، ونتفوا شعر لحيته ورأسه وحاجبيه وأشفار عينيه وحبسوه**" [5]

ورغم توارد خبر تلك الانتهاكات في العديد من المصادر على اختلاف ميول أصحابها، نجد أن هناك من يطعن بصحة تلك الروايات واستند في رأيه على سببين إن الروايات لم تأتي من طريق صحيح. الثاني: إن الصحابة منزهين عن مثل هذا المثلة القبيحة.[6]

فالباحث يجعل نظرية عدالة الصحابة من الاعتبارات الأساسية لآرائه كما صرح في مقدمة دراسته[1] ولا ندري هل غاب عن الباحث ما روي في الصحاح عن النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) تفند تلك النظرية وتشير إلى أن الصحابة ليسوا كلهم عدول، وفيهم من يرتد بعده.[2]

([1]) مرآة الزمان في تواريخ الأعيان، ج6، ص150.

([2])سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان في تواريخ الأعيان، ج6، ص150.

([3]) المنتظم، ج5، ص 84.

([4]) تاريخ الرسل، ج3، ص485؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج3، ص216.

([5]) تاريخ الرسل، ج3، ص485؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، 216

([6]) اليحيى، مرويات أبي مخنف في تاريخ الطبري، ص217.

أما ما يتعلق بالتشكيك بسند رواية الطبري أبي مخنف، فلقد وجدنا أن ابن عبد البر ذكر في ترجمته لحكيم بن جبلة ثلاثة طرق للرواية [3]، وقد تكون تلك الطرق مما لا يعتد بها عند أصحاب المنهج الحديثي الذي إعتمده الباحث، مما ساعده في الطعن بالروايات التي تحدثت عن الوقائع الفادحة التي إرتكبها الصحابة وزوج النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) عائشة، إلا أن الباحث يعود ويناقض نفسه فيحتج برواية الطبري عن سيف بن عمر ويعدها الأصح، رغم ما قيل فيه بأنه يروي عن المجهولين [4] فضلًا عن اتفاق الرجاليين على جرحه، ومنهم من أتهمه بوضع الحديث عن رسول الله(صلى عليه وآله وسلم) [5].

أما حادثة تصفية قائد الحرس حكيم بن جبلة ومن ثار للتصدي لمعسكر الجمل لما عرفوا بما فعلوه بوالي المدينة وحراسه، فقد نقل الطبري عن سيف عدة روايات منذ بدء الحديث عن أحداث الثورة على عثمان تأسس لتصوير حكيم بأنه رجلًا لصًا يغتلس الغنائم والأموال من البلاد المفتوحة، وأقحمه بأسطورته عن ابن سبأ، فادعى أنه ممن اجتمع به قبل إنتفاضة الأمصار على عثمان بن عفان، وتأثر بآرائه، ثم ترأس وفد البصرة المنتفض[6]، وعندما وصل معسكر الجمل للبصرة، اتهمه بالتسبب بنشب القتال، والتطاول على عائشة بالسب، وسفك دماء أنصارها، فقتل رجل وامرأتين من عبد القيس، فقط لأنهم اعترضوا على تطاوله[7].

أما عن المقتولين معه من أهل البصرة، في الوقعة الخيرة من الجمل الصغرى في الزابوقة فادعى سيف: أن حكيم بن جبلة إنما حارب طلحة والزبير وعائشة بالأشخاص الذين غزوا معه الخليفة عثمان، وهم من نزاع القبائل كلها على حد تعبير سيف. وذلك لأنهم عرفوا أنهم مطلوبين، وأنهم لا مقام لهم بالبصرة[8] ويصور الراوي موقف قادة معسكر الجمل بقوله: **وقد أمرتهم عائشة أن لا يقاتلوا إلا من قاتلهم** وأن أصحابها نادوا: "**من لم يكن من قتلة عثمان فليكفف عنا، فإنا لا نريد إلا قتلة عثمان ولا**

([1]) اليحيى، مرويات أبي مخنف في تاريخ الطبري، ص5.

([2]) " **يرد علي يوم القيامة رهط من أصحابي، فيحلئون عن الحوض، فأقول: يا رب أصحابي فيقول: إنك لا علم لك بما أحدثوا بعدك، إنهم ارتدوا على أدبارهم القهقرى**" . صحيح البخاري، ج8، ص120.وري بلفظ آخر في صحيح مسلم، ج3، ص1796.

([3]) **ابن عبد البر**، الاستيعاب، ج1، ص368.

([4]) الذهبي، ميزان الاعتدال، ج2، ص255.

([5]) جمع تلك الأقوال ابن حجر .ينظر:تهذيب التهذيب، ج4، ص296.

([6]) الضبي، الفتنة ووقعة الجمل، ص42؛ الطبري، تاريخ الرسل، ج3، ص ٣٦٨.

([7])الضبي، الجمل ومسير عائشة،ص 291؛ تاريخ الرسل، ج3، ص484؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ،ج3، ص214.

([8])الضبي، الجمل ومسير عائشة،ص295؛الطبري،تاريخ الرسل،ج3،ص478؛ابن الأثير، الكامل في التاريخ،ج2،ص99.

نبدأ أحداً. فأنشب حكيم القتال. ولم يرع للمنادي. فقال طلحة: الحمد لله الذي جمع لنا ثأرنا من أهل البصرة. اللهم لا تبق منهم أحداً وأَقِدْ منهم اليوم فاقتلهم..."[1] إلى أن قال سيف **أن** منادي طلحة والزبير نادى بأهل البصرة : "**ألا من كان فيهم من قبائلكم أحد ممن غزا المدينة فليأتنا بهم فجيء بهم كما يجاء بالكلاب، فقتلوا، فما أفلت منهم من أهل البصرة جميعاً إلا حرقوص بن زهير، فإن بني سعد منعوه، فمسهم في ذلك أمر شديد. وهدد بنو سعد بالاعتزال، وكانوا عثمانية. وغضبت عبد القيس..."**[2] **القيس..."**[2]

وبتلك الرواية المتناقضة أبدا سيف الأحداث و برر لمعسكر الجمل حادثة مقتل حكيم وأصحابه، إن تزوير سيف الأحداث لصالح معسكر الجمل، لا يصمد أمام النقد والتساؤلات لملىء قصته بالتناقضات، فكيف تقبل القبائل تسليم ابناءها للقتل كالكلاب كما يصور سيف الموقف، و إن كانوا من أمهات سبايا كما يدعي؟[3]، ثم أن قبيلة سعد التي امتنعت عن تسليم الناجي الوحيد حرقوص وهددوا بالاعتزال لماذا لم تنتصر للبقية و تمتنع عن تسليمهم ؟

ولنا أن نتساءل إن صحت تلك الرواية هل يجوز استباحة دماء من قتلوا لمجرد السفر إلى المدينة للاعتراض على سياسة الحاكم ومخالفات ولاته؟ ثم إن توسيع دائرة إقامة الحد بتلك الطريقة الرهيبة مخالف لما شرعه الله في كتابه فقد خص القصاص لولي الدم بشرط عدم الإسراف بالقتل[4]، ولم يثبت تاريخيًا أن حكيم بن جبلة والوفد البصري كان لهم يد في قتل عثمان، فروى الطبري عن الواقدي أنهم إنسحبوا مع وفد الكوفة[5] ثم عاد الوفد المصري، بعد حادثة العثور على الكتاب المختوم بختم عثمان في الطريق[6] .

فضلًا عن ذلك فإن قصة سيف لا تصمد أمام الروايات التأريخية المتسالم عليها لتلك الواقعة، فالسؤال الذي يفضح زيف تلك الادعاءات هل كان السبابجة والزط الذين قتل منهم أربع مئة ومنهم أربعون رجلاً في المسجد، وقتل منهم حراس بيت المال ممن سافر إلى المدينة وشارك في قتل عثمان؟!.

([1])الضبي، الجمل ومسير عائشة،ص295؛الطبري،تاريخ الرسل،ج3،ص478؛ابن الأثير، الكامل في التاريخ،ج2،ص99.

([2]) الضبي، الجمل ومسير عائشة، ص296؛ الطبري، تاريخ الرسل، ج3، ص488؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج3، ج3، ص219؛ المقريزي، إمتاع الأسماع ، ص236؛ ابن خلدون، المبتدأ والخبر، ج2، ص611.

([3]) يطلق مصطلح النزاع على من كانت أمه سبية، كما يطلق على الذين يجاورون قبائل ليسوا منهم .ينظر: الزبيدي، تاج العروس، ج22، ص242.

([4]) سورة الإسراء، الآية (33).

([5]) تاريخ الرسل، ج3، ص411.

([6]) تاريخ الرسل، ج3، ص408.

لقد روى الطبري نفسه في رواية للزهري أن طلحة والزبير بعد سيطرتهم على مدينة البصرة وطردهم لواليها، خطبوا ليبرروا موقفهم من مقتل عثمان بقولهم: "**يا أهل البصرة توبة بحوبة**" فاعترض عليهم أهلها بأن كتبهم التي كانوا يرسلونها إليهم لم تكن على ذلك الرأي بعثمان، ومن بينهم رجل من عبد القيس (وهي قبيلة حكيم بن جبلة)، بين لهم أن القرار السياسي بتعيين عثمان وغيره من الخلفاء تم باتفاق أهل الشورى دون مشاورة أهل البصرة وغيرهم من الأمصار، كما واجههم بمسؤوليتهم بقتل عثمان فقال: " **فقتلتموه عن غير مشورة منا، ثم بايعتم عليا عن غير مشورة منا، فما الذي نقمتم عليه فنقاتله؟** "[1] فهموا بقتله لولا أن قامت دونه عشيرته، لكنهم وثبوا عليه وعلى عشيرته في اليوم التالي فقتلوا سبعين رجلا منهم[2]، وهؤلاء السبعين هم حكيم وأتباعه.

وفي رواية الطبري عن عمر بن شبه عن أبي مخنف أشار لحقيقة ما جرى في تلك الحادثة فذكر أن حكيم لما علم بما فعلوه بالوالي ابن حنيف وأصحابه ومقتل حراس بيت المال، استنفر قومه فخرج معه سبعمائة من عبد القيس وبكر بن وائل وتوجه لدار الرزق في الزابوقة حيث وجد معسكر الجمل قد سيطروا عليها وفيها عبد الله بن الزبير يريد توزيع أرزاقها على عساكرهم فقال له:" **مالك يا حكيم؟ قال: نريد أن نرزق من هذا الطعام، وأن تخلوا عثمان بن حنيف فيقيم في دار الإمارة على ما كنتم كتبتم بينكم وبينه حتى يقدم علي** (عليه السلام) **علي ما تراضيتم ... وإن دماءكم لحلال بمن قتلتم من إخواننا، أما تخافون الله؟ بم تستحلون الدماء؟ قالوا: بدم عثمان. قال: فالذين قتلتموهم قتلوا عثمان أو حضروا قتله، أما تخافون الله؟**" فرد ابن الزبير:" **لا نرزقكم من هذا الطعام، ولا نخلي عثمان حتى نخلع عليا.**"عندها إقتتلو قتالًا شديدًا فسقط حكيم قتيلًا بعد أن قطعت ساقه ومعه ابنه الأشرف، وأخ له وسبعين رجلًا من قومه[3].

ولقد دمجت تلك الرواية عند من نقل مادته التاريخية من الطبري وكأنها جزء من رواية سيف[4] رغم أنها كما نرى تبين أن الرجل خرج لتأدية واجبه في الدفاع عن المدينة وسلطة واليها بحكم عمله قائدًا

([1]) الطبري، تاريخ الرسل، ج3، ص486.

([2]) الطبري، تاريخ الرسل، ج3، ص486.

([3]) تاريخ الرسل، ج3، ص 490؛ الاستيعاب، ج1، ص369.

([4]) ابن مسكويه، تجارب الأمم، ج1، ص479؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ،ج3، ص217؛ المقريزي،ج13، ص263. ص263.

لشرطتها[1]، فضلًا عن الواجب الشرعي الذي يحتم على المرء الأمر بالمعروف ودفع المنكر فلا تصح تخطأت موقفه[2].

أما البلاذري، فرواها بإقتضاب وعنده أن من حاور حكيم هما طلحة والزبير[3]، وأضاف في روايته مدى تأثر الإمام علي(عليه السلام) بما جرى لإنصاره فقال عن الزهري: "**وبلغ عليا خبر حكيم بن جبلة، وعثمان بن حنيف، فأقبل في اثنا عشر ألفا حتى قدم البصرة وجعل يقول:**

والَهفَتِياه عَلَى رَبِيعَةْ رَبِيعَةَ السَّامِعَةِ الْمُطِيعَةْ" [4]

فنستخلص مما سبق أن السبب الحقيقي لمقتل الأعداد الكبيرة من أهل البصرة في موقعة الجمل الصغرى كان بهدف تصفية المدينة من أنصار أمير المؤمنين(عليه السلام) ليتسنى لهم السيطرة على المدينة ومقدراتها قبل وصوله وهذا ما تؤكده رواية ابن أعثم، فجاء فيها:" **وعزم طلحة والزبير ومن كان معهم أن يهجموا على عثمان عامل علي بن أبي طالب (عليهما السلام) فيقتلوه ويقتلوا الأنصار الذين لعلي**(عليه السلام) **... فلما كان الليل لم يسمع عثمان بن حنيف إلا وطلحة والزبير وابنه عبد الله ومروان... فقتلوا أشياعه وهم أنصار علي بن أبي طالب (عليهما السلام)، ثم أخذوا عثمان بن حنيف فأرادوا قتله...**"[5].

([1]) البلاذري، أنساب الأشراف، ج2، ص227.

([2]) ممن خطأ حكيم بن جبلة وابن حنيف ابن العربي فقال: ولو خرج مسلمًا مستسلمًا لا مدافعًا لما أصابه شيء، وأي خير كان له في المدافعة، وعن أي شيء كان يدافع؟ وهم ما جاءوا مقاتلين ولا ولاة، وإنما ساعين في الصلح، راغبين في تأليف الكلمة. العواصم، ج1، ص157.

([3]) أنساب الأشراف، ج2، ص229.

([4]) أنساب الأشراف، ج2، ص230.

([5]) الفتوح، ج2، ص459.

المطلب الثاني / الدور الدعائي والإعلامي لعائشة بنت أبي بكر في البصرة:

المحور الأول: مراسلات زعماء ووجوه البصرة:

عندما توجه أصحاب الجمل بمسيرهم نحو البصرة، كانوا يعلمون أن في أعناقهم اهلها بيعة لأمير المؤمنين علي (عليه السلام) ،وأنها واقعة تحت سلطة حكومته كسائر الأمصار عدا الشام[1]، فلقد تسنم واليها ابن حنيف مهامه بعد هروب عبد الله ابن عامر والي عثمان السابق، دون أن يكون لأحد فيها رأي بالحرب أو الاستقلال[2]، ورغم أنه عندما وصل خبر مقتل عثمان والبيعة لعلي(عليه السلام) وحاول استنهاض اهل البصرة للطلب بدمه، لم يجد من يجيبه، فحمل ركائبه وغادر ليلًا[3]، لذلك كان أمام أصحاب الجمل مهمة صعبة، وهي كيفية استقطاب أهل البصرة، وإقناعهم بنكث بيعة الخليفة الشرعي بعد أن تمت بتأييد منهم، وحتمًا ان واليها سيعترض دخول جيوشهم التي قاربت ثلاثة الآلف بعددهم، و سيكون الإحتمال الأقوى أن يقف معه الأهالي لحماية مدينتهم لذلك لجأوا إلى مخاطبة وجهاء البصرة، بمشورة عبد الله بن عامر، فقد رشح لهم أهم الشخصيات المؤثرة في المجتمع البصري، بوصفه واليًا لعثمان، ولم يبخل عليهم بالمشورة للتحريض على حكومة أمير المؤمنين(عليه السلام) فقال لهم:" **ثلاثة، كلهم سيد مطاع: كعب بن سور في اليمن والمنذر بن ربيعة، والأحنف بن قيس في البصرة**" [4]، فكتب طلحة والزبير لهم يستنصرونهم على الطلب بدم عثمان، إلا أنهم أجابوهما بكتب تحمل ردودًا سلبية بغير ما كانوا يحبون، فذكروهم بأنهم ممن خذل عثمان، لذا لا يحق لهم المطالبة بدمه[5]

والجدير بالذكر، أن ذلك الموقف من وجهاء البصرة إنما يعكس موقف المجتمع البصري من الخروج على حكومة الخليفة الشرعي وعدم قناعتهم بالشعارات المقدمة إليهم لذا نشط قادة ثلاثي الجمل عندما وصلوا البصرة لتكثيف الدعاية والإعلام المضلل للضغط على الرأي العام والتحريض على حكومة الإمام علي(عليه السلام) ، لتهيأة الأرضية المناسبة لحركتهم بشتى الوسائل أهمها :

أولًا : القاء الخطب الإعلامية، لبث الشعارات التي خرجوا بها، لإلهاب مشاعر العامة، وبث الدعايات المحرضة على حكومة أمير المؤمنين(عليه السلام).

([1]) ابن حجر، فتح الباري، ج1، ص72.

([2]) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج3، ص203؛ الأمين، أعيان الشيعة، ج1، ص446.

([3]) ابن حبان، الثقات، ج2، ص247.

([4]) ابن قتيبة، الإمامة والسياسة، ج1، ص79.

([5])ابن قتيبة، الإمامة والسياسة ،ج1، ص79.

ثانيًا: تكثيف الضغط على وجهاء قبائل البصرة، بالمكاتبة والمراسلات، واستغلال المكانة الدينية والإجتماعية اذ استطاعت توظيف لقب أمومة المؤمنين ومكانتها كزوجة لرسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بما تمتلكه من طلاقة وفصاحة مما كان له الأثر في نفوس السذج من الناس ولقد تصدرت عائشة لذلك الدور الخطير المهمة فقد سجلت لنا مصادر التاريخ العديد من تلك الكتب والمراسلات منها :

1. روى الطبري عن سيف بن عمر، عندما وصل معسكر الجمل فناء البصرة، أرسلت عبد الله بن عامر لتهيئة صنائعه لنصرتهم ولإيصال كتبها فقال: "...**وكتبت عائشة إلى رجال من أهل البصرة، وكتبت إلى الأحنف بن قيس وصبرة بن شيمان، وأمثالهم من الوجوه ومضت حتى إذا كانت بالحفير انتظرت الجواب بالخبر**"[1]، ويبدو أن صبرة بن شيبان من أول المستجيبين لخطابات عائشة فيذكر البلاذري أنه بايعهم مع قومه من بني أزد[2]، وروى الطبري عن سيف بن عمر أن عائشة نزلت في منازل بني أزد ورئيسهم ابن شيمان[3]. وروي أن كعب بن سور نصحه أن يكون على الحياد ويعتزل بقومه **فأبى** قائلًا :" **تأمرني أن أعتزل أم المؤمنين وادع الطلب بدم عثمان، لا أفعل**".[4]

3. روي أن قبيلة أزد لم تكن كلها تبعًا لرأي ابن شيمان، حيث تأخر قسم منهم لتأخر كعب بن سور[5]، فروى البلاذري أنه عندما بلغ عائشة أن كعب بن سور يدعو قومه للاعتزال "**ركبت على بعيرها فلم تزل به حتى أخرجته ومعه راية الأزد** [6]، وأشار المفيد الى وجود مراسلات بينهما، فبعد أن يأس طلحة والزبير والزبير من استمالته. طلبا من عائشة أن تذهب إليه فرفضت، "**وراسلته تدعوه إلى الحضور عندها، فاستعفاها من ذلك، فقال طلحة والزبير: يا أم إن قعد عنا كعب قعدت عنا الأزد كلها، وهي حي البصرة، فاركبي إليه فإنك إن فعلت لم يخالفك وانقاد لرأيك... فاستأذنت عليه فأذن لها ورحب بها فقالت : يا بني أرسلت إليك لتنصر الله عز وجل، فما الذي أخرك عني ؟ فقال : يا أماه، لا حاجة لي في خوض هذه، فقالت: يا بني أخرج وخذ بخطام جملي فإني أرجو أن يقربك بي إلى الجنة واستعبرت باكية ! فرق لها كعب بن سور وأجابها، وعلق المصحف في عنقه وخرج معها !**"[7]، وروى ابن سعد نحو ذلك الخبر،

([1]) الضبي، الجمل ومسير عائشة، ص287؛ تاريخ الرسل، ج3، ص479.

([2]) أنساب الأشراف، ج2، ص237.

([3]) تاريخ الرسل، ج3، ص516؛ البلاذري، أنساب الأشراف، ج2، ص273.

([4]) أنساب الأشراف، ج2، ص273.

([5]) المفيد، الجمل، ص173.

([6]) المفيد، الجمل، ج2، ص 173،.

([7]) المفيد، الجمل، ص173.

الخبر، وذكر أن ابن سور هذا كان قاضيًا وسيدًا في أهل البصرة، ولما حدثت الفتنة اعتزل و بنى على نفسه بيتًا من الطين وجعل فيها كوة يناول منها طعامه، ويقول أنه بعد أن إلتحق بفريق عائشة، خرج يوم المعركة حاملًا مصحفه يدعو الصفين لما فيه فجاءه سهم غرب فقتله[1]، والصحيح أنه خرج مع معسكر الجمل على وفق رواية خليفة، فقتل وهو آخذاً بزمام خطام جمل عائشة[2]. ونلحظ أن اعتزال هذا القاضي لم يفده بل العكس أوقعه في شباك الفتنة، فلو أنه خرج باحثًا عن الحق وسمع من الفريقين، بدلًا من الاختباء في بيته، لربما تمكن أن يحكم عقله بدلًا من عاطفته؛ لذلك روي أن الإمام علي(عليه السلام) بعدما انتهت المعركة طاف على القتلى، فلما رآه بينهم قال: "**هذا الذي خرج علينا في عنقه المصحف، يزعم أنه ناصر أمه يدعو الناس إلى ما فيه وهو لا يعلم ما فيه**[3]**، ثم استفتح وخاب كل جبار عنيد**"[4]

4- روى ابن حجر عن عمر بن شبه أن عائشة أرسلت إلى أبي بكرة لنصرتها فقال: "**إنك لأم وإن حقك لعظيم ولكن سمعت رسول الله** صلى الله عليه وآله وسلم **يقول لن يفلح قوم تملكهم امرأة**"[5]،والرواية لها أصل في في كتب الحديث والصحاح[6] وبغض النظر عن صحة هذا الحديث، والصبغة السياسية التي يحملها، إلا أن موضع الشاهد فيه هو التصريح تملك رأي عائشة على من تبعها، فكانت تمثل المحور والأساس في التصميم والقرار، وهي المؤثر الأكبر في جمع الناس، وفي إثارة حماسهم، واندفاعهم إلى المشاركة[7]، مما مما جعل ابن أبي بكرة يغير قناعته، بقوله:" فعرفت أن أصحاب الجمل لن يفلحوا"[8]، رغم ذلك إعتزل ولم ولم يلتحق بالمعسكر الآخر، وتعلل بحديث آخر، فروي عن الأحنف بن قيس قال:" خرجت وأنا أريد هذا الرجل فلقيني أبو بكرة، فقال: أين تريد يا أحنف؟، قال: قلت: أريد نصر ابن عم رسول الله (صلى الله عليه وآله

([1]) الطبقات، ج7، ص92.

([2]) تاريخ ابن خليفة، ج1، ص185.

([3]) روى الصنعاني عن ابن سيرين: "**كان كعب بن سور يحلف أهل الكتاب يضع على رأسه الإنجيل، ثم يأتي به إلى المذبح فيحلف بالله**". المصنف،ج6،ص130.مما يبين أن هذا القاضي،بقي فيه شيء من النصرانية و لم يكن راسخًا بعقائد الإسلام.

([4]) المفيد الإرشاد، ج1، ص255؛ الطبرسي، ص239؛ ابن شدقم، وقعة الجمل، ص156.

([5]) فتح الباري، ج13، ص56.

([6]) روي أن ابا بكرة كان يقول : **لقد نفعني الله بكلمة سمعتها من رسول الله** (صلى الله عليه وآله وسلم) **أيام الجمل، بعد ما كدت أن ألحق بأصحاب الجمل فأقاتل معهم، قال: لما بلغ رسول الله** (صلى الله عليه وآله وسلم) **أن أهل فارس، قد ملكوا عليهم بنت كسرى، قال: "لن يفلح قوم ولوا أمرهم امرأة**". صحيح البخاري،ج6، ص8؛ الترمذي، السنن، ج4، 97؛ النسائي، السنن الكبرى، ج5، ص402، .

([7]) العاملي، الصحيح من سيرة الإمام علي(عليه السلام) ، ج30، ص229.

([8]) ابن حجر، فتح الباري، ج13، ص56؛ القسطلاني، إرشاد الساري، ج10، ص193.

وسلم) قال: فقال لي: يا أحنف ارجع، فإني سمعت رسول(صلى الله عليه وآله وسلم) يقول: إذا تواجه المسلمان بسيفيهما، **فالقاتل والمقتول في النار...**"[1] ولاشك أن هذا الحديث لم يكن يتفق مع تلك الواقعة، كون القتال مع علي(عليه السلام) كان حقا وصوابا . ولكن أبو بكرة حمل حديثا وارد في غير الحالة التي قاتل فيها علي (عليه السلام) الباغين، وهو فهم من أبي بكرة ؛ لكنه فهم في غير محله.[2] لذا لما بلغ الإمام علي(عليه السلام) تشبث البعض بهذا الحديث رد بقوله:" **القاتل والمقتول منهم**"[3].

ولسنا بصدد تحليل موقف ابي بكرة أو غيره، إنما يهمنا توضيح مدى الجو الإعلامي المضاد للإمام علي(عليه السلام) والعقبات الفكرية التي واجهته، فعندما أصبحت الحرب على الأبواب ظهرت أحاديث الاعتزال والتماس سيوف من خشب[4] والقاتل والمقتول في النار . وأحاديث في أعماقها سلب مهمة الأمر الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كي تصبح الأمة بلا مهمة وتمهد الطريق لأغيلمة قريش، وكان الإمام علي (عليه السلام) وسط هذه الأمواج المتلاطمة حجة بذاته ومن حوله نجوم ساطعة كعمار بن ياسر وزيد بن صوحان، وفي هؤلاء نصوص كثيرة من النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) تدعو للالتفاف حولهم.[5]

ويمكن القول، أن فتح المجال أما تأويل الأحاديث، وتوظيفها سياسيًا ؛كان سببه منع الرواية بعد النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ، لذلك كان الإمام علي (عليه السلام) يقول: "**عقلوا الخبر إذا سمعتموه عقل رعاية لا عقل رواية فإن رواة العلم كثير ورعاته قليل**"[6].

5. ومن الشخصيات الأخرى التي لها ثقلها في المجتمع البصري، هو الأحنف بن قيس، وقد جهد ثلاثي الجمل لطلب نصرته بشتى السبل لما سيترتب عليه من لحاق قومه به[7]، إلا أن الروايات تشير إلى أنه كان أكثر وعيًا وحنكة من أن تنطوي عليه الشعارات الدعائية، أو أن تتغلب عليه عاطفته كما هو حال القاضي ابن سور وغيره، فروي أن عائشة أرسلت اليه ليأتي إليها مرتين فأبى، فلما آيست كتبت أليه

([1]) صحيح مسلم، ج4، ص22113. ينظر:ج1، ص15؛ ابو داوود، السنن،ج4، ص103.

([2]) حوى، الأساس في السنة، ج4، ص1711؛ أيوب، معالم الفتن، ج2، ص25.

([3]) الطبرسي، الإحتجاج، ج1، ص251.

([4]) روي أن الإمام لما وصل البصرة، ذهب لرجل له صحبة يدعى أهبان بن صيفي، يدعوه لنصرته، فأجابه بأن النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) عهد إليه "**إذا كانت فتنة بين المسلمين، أن اتخذ سيفا من خشب، فهذا سيفي، فإن شئت خرجت به معك، فقال علي** (عليه السلام) **حاجة لنا فيك، ولا في سيفك**". ينظر: ابن حماد، الفتن، ج1، ص90؛ ابن حنبل، المسند، ج34، ص270؛ ابن ماجة، السنن، ج2، ص1309.

([5]) أيوب، معالم الفتن، ج2، ص22.

([6])الشريف الرضي، نهج البلاغة، ص422؛ خصائص الأئمة، ص95.

([7]) ابن قتيبة، الإمامة والسياسة، ج1، ص72.

تأنبه:" **يا أحنف ما عذرك في ترك جهاد قتلة أمير المؤمنين، أمن قلَّة عدد، أو أنك لا تطاع في العشيرة ! فكتب إليها : إنه والله ما طال العهد بي، ولا نسيت عهدي في العام الأول وأنت تحرضين على جهاده، وتذكرين أن جهاده أفضل من جهاد فارس والروم فقالت: ويحك يا أحنف إنهم مَاصُوه مَوْص الإناء ثم قتلوه، فقال لها : إني آخذ برأيك وأنت راضية أحب إلي من أن آخذ به وأنت ساخطة**"[1].

وهناك عدة روايات متضاربة حول اعتزال الأحنف للحرب، إلا أن الرواية الأكثر وضوحًا هي التي رواها المفيد، وتقول أنه عندما وصل أمير المؤمنين البصرة، ونزل الخريبة وأتته جموع من أرادوا اللحاق به بعث إليه الأحنف :" **إني مقيم على طاعتك في قومي فإن شئت حبست عنك أربعة آلاف سيف من بني سعد فبعث إليه أمير المؤمنين** (عليه السلام) **بل احبس وكف فجمع الأحنف قومه فقال يا بني سعد كفوا عن هذه الفتنة واقعدوا في بيوتكم فإن ظهر أهل البصرة فهم إخوانكم لم يهيجوكم وإن ظهر علي** (عليه السلام) **سلمتم فكفوا وتركوا القتال.**[2]

الذي يتضح من رواية المفيد أن اعتزال الأحنف بقومه كان اعتزالا سياسيًا وافقه عليه الإمام(عليه السلام) ، فواقع الحال أن البصرة أصبحت تحت تصرف معسكر الجمل واستطاع طلحة والزبير استمالة زعماء آخرين من قومه كهلال بن وكيع[3]، مما جعل الأحنف يقف لمنع أكبر عدد ممكن من ابناء عشيرته من زج زج أنفسهم في التهلكة، كما تشير بعض الروايات أنه كان أشبه بالمحاصر عن الخروج من البصرة من قبل معسكر الجمل بعد أن يأسوا من استمالته لمنعه من الانضمام لمعسكر الإمام (عليه السلام) [4] ويبدو أن

([1]) القاضي النعمان، شرح الأخبار،ج1،ص381؛ ابن عبد البر،الاستيعاب،ج2، ص716، وعنده أنها أرسلت إليه فأتى، أي أنه جعل ما جاء في الرسالة حوارًا بينهما.

([2]) الجمل، ص158.

([3]) هلال بن وكيع بن بشر التميمي الدارمي، قيل كان أبوه من سادات بني تيم رأسه عمر بن الخطاب عليهم، ثم رأس أبنه أبنه هلال من بعده، قتل مع عائشة يوم الجمل، وقيل أنه كان كان صاحب ميسرتها، وجاء في شرح نهج البلاغة، أنه لما جاء أصحاب الجمل للبصرة، بعثوا إليه، فلم يأتيهم، فسار طلحة والزبير إلى داره فتوارى عنهم، فقالت له أمه: "**ما رأيت مثلك، أتاك شيخا قريش فتواريت عنهما ! فلم تزل به حتى ظهر لهما ، وبايعهما ومعه بنو عمرو ابن تميم كلهم وبنو حنظلة إلا بنى يربوع ، فإن عامتهم كانوا شيعة علي عليه السلام وبايعهم بنو دارم كلهم إلا نفرا من بنى مجاشع ذوي دين وفضل**". الأزدي، الإشتقاق، ج1، ص235؛ ابن إبي الحديد، ج1، ص 258، ج9، ص320.

([4]) روي أنه خير معسكر الجمل، بين ثلاث، إما أن يتركوه يجلس في بيته، أو يفتحوا له الجسر ليخرج إلى الأهواز، أو الخروج إلى معسكر علي(عليه السلام) ، فتشاوروا بينهم، و قرروا أن يبقى قريبًا منهم " **فإن تحرك وطأتماه صماخه فأمروه أن يقعد فاعتزل في وادي السباع**". المفيد، الجمل، ص159. ينظر: البلاذري، أنساب الأشراف، ج2، ص232؛ الطبري، تاريخ الرسل، ج3، ص510.

الإمام(عليه السلام) فهم مبتغاه فعلق على موقفه بأن وصفه: " **أدهى العرب وخيرهم لقومه**"[1]. ولابد من الإشارة إلى أن قبوله لاعتزال الأحنف بقومه، وكان بمقدوره أن يختار الخيار الأول، إنما نابع من نهجه السياسي كونه لم يخرج لجمع الأنصار أو لسفك الدماء، وإنما لدرء الفتنة.

ولابد من الإعتراف بأن تلك الحملة الدعائية حققت نجاحًا واسعا على صعيد التحشيد والتجييش فعندما وصل الإمام علي(عليه السلام) للبصرة كان الرأي العام البصري قد انقسم الى عدة فئات:

القسم الأول:مؤيد لأصحاب الجمل، وهم على اتجاهين :الأول جماعة من أهل البصرة ممن دخل الإسلام في عهد عمر، فلم ير النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) ،ولم يعلم شيئاً عن أحاديثه ووصاياه، فلما رأى عائشة أم المؤمنين وسمع خطاباتها، انطلق مناصراً لها، وغالبيتهم من قبيلة الأزد.أما الإتجاه الثاني، فهم أصحاب المنهج الفكري المخالف لمنهج أمير المؤمنين (عليه السلام)ومنهم الذين خسروا مصالحهم وامتيازاتهم في العهد السابق. [2]

القسم الثاني :المعتزلون، وهم جماعة الأحنف بن قيس . ويظهر أنّ موقفَ الأحنف كانَ موقفاً سياسيّاً.

القسم الثالث : المؤيدون للإمام علي ، وهم (عليه السلام) عامّة عبد القيس وربيعة، الذين ناصروا والي الإمام عثمان بن حنيف، ورفضوا مجيء المعارضين، بقيادة حكيم بن جبلة، فقاموا بتصفيتهم واضطروهم للانسحاب خارجَ البصرة والتقوا بالإمام عند دخوله البصرة في الزاوية [3] [4]

يتضح مما تقدم الدور الإعلامي الخطير الذي لعبته زوج النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) عائشة في تعبئة أهل البصرة لمحاربة الإمام علي (عليه السلام) ، لذلك نجد الإمام علي(عليه السلام) يلخص موقف الذين اتبعوها بقوله: " **كنتم جند المرأة،وأتباع البهيمة، رغا فأجبتم، وعُقِر فهربتم**"[5]. ولنا أن نضرب مثلًا في الحد الذي وصل إليه البعض في طاعتها أنهم كانوا يقدسون حتى عذرة بعيرها! فيروي الطبري أن الأزد وضبة إلتقوا

([1]) المفيد، الجمل، ص159.

[2] نصر الله، الإمام أمير المؤمنين(عليه السلام) في رحاب البصرة، ص 54.

[3] موضع يبعد فرسخين عن البصرة، قيل نزل فيه الإمام (عليه السلام) عند قدومه لحرب الجمل، فصلى أربع ركعات وعفر خديه بالتراب وبكى ثم رفع رأسه يدعو:"**اللهم إن هؤلاء القوم قد بغوا علي وخلعوا طاعتي ونكثوا بيعتي اللهم احقن دماء المسلمين**."الحميري، الروض المعطار،ج1،ص283.

[4] ينظر :الكنزاوي؛الزهيري،المواقف السياسية لأهل البصرة أبان خلافة أمير المؤمنين(عليه السلام) ،ص388.391.

([5])الشريف الرضي،نهج البلاغة،ص22؛ الدينوري،الأخبار الطوال،ص151؛ابن قتيبة،عيون الأخبار،ج1،ص315؛ المسعودي، مروج الذهب، ج2، ص368؛ الخوارزمي، المناقب، ص189.

للدفاع عن جمل عائشة وكان رجال منهم "**يفتون بعر جملها ويشمونه ويقولون: بَعْرُ جَمَلِ أُمِّنَا رِيحُهُ رِيحُ الْمِسْكِ.**"!(1)

(1) تاريخ الرسل،ج3، ص530؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج3،ص247.ينظر:ابن أعثم، الفتوح، ج2، ص487.

المحور الثاني : مكاتبة أهل الأمصار:

أ ـ رسالة عائشة إلى أهل المدينة:

روى الواقدي عن رجاله أنه لما أفرج القوم عن عثمان ابن حنيف لما خافوه من أخيه سهل بن حنيف كتبت عائشة إلى أهل المدينة :" **من أم المؤمنين عائشة زوجة النبي** (صلى الله عليه وآله وسلم) **وابنة الصديق إلى أهل المدينة أما بعد فإن الله أظهر الحق ونصر طالبيه... فاتقوا الله عباد الله واسمعوا وأطيعوا واعتصموا بحبل الله جميعا وعروة الحق ولا تجعلوا على أنفسكم سبيلا فإن الله قد جمع كلمة أهل البصرة وأمروا عليهم الزبير بن العوام فهو أمير الجنود والكافة يجتمعون على السمع والطاعة له فإن اجتمعت كلمة المؤمنين على أمرائهم عن ملأ منهم وتشاور فإنا ندخل في صالح ما دخلوا فيه فإذا جاءكم كتابي هذا فاسمعوا وأطيعوا وأعينوا على ما سمعتم عليه من أمر الله** " **وكتب عبيد بن كعب لخمس ليال من شهر ربيع الأول سنة**[1] إن أهم ما يمكن ملاحظته بعد قراءة ذلك الكتاب:

أنه كان يحمل طابعًا دعائيًا من خلال توظيف صفة أمومة المؤمنين للتأثير في الرأي العام، فضلًا عن ذلك لا يخلو مضمون الخطاب من نبرةٍ تهديدية لأهل المدينة إن تمسكوا ببيعة علي(عليه السلام) ، من خلال توظيف الآيات القرآنية وماجاء فيها من تحذير ووعيد، وهو اسلوب لا يعدو أن يكون كلمة حق يراد بها باطل.

يبدو أن الغاية من إرساله بث الإشاعة في المدينة بانتصار معسكر الجمل، رغم أن المعركة لم تكن قد بدأت بعد. كما أشاعت عائشة في رسالتها أن كلمة أهل البصرة قد إجتمعت على السمع والطاعة لأحد قادة حزبها وهو الزبير، وفي الوقت ذاته تناقض كلامها بأنه أمير الجنود، والواقع إن ليس كل أهل البصرة كانوا جنودًا لأصحاب الجمل، فكما تنص الروايات أن منهم من إعتزل ورفض تأييدهم، والبعض الآخر ظل على بيعة علي(عليه السلام).[2]

نلحظ أن عائشة تبدي استعدادها هي وأقطاب حزبها بالدخول مع الجماعة فيمن يختارونه إمامًا لهم لكنها تشترط أن يتم الأمر بالتشاور وعلى الملأ بقولها: ان اجتمعت كلمة المؤمنين على خليفة سيدخلوا معن في الطاعة، والواقع إن كلمة المؤمنين قد اجتمعت فعليًا على اختيار علي(عليه السلام) إمامًا للأمة، وكانت بيعته في المسجد و بحضور جميع صحابة المدينة ومن كان حاضرًا فيها ولم يتخلف عنها إلا نفيرًا يسيرًا ممن لا يمكن الاعتداد برأيهم أمام الجموع المؤيدة، فضلًا عن إن تخلفهم كان لأسبابٍ

([1]) المفيد، الجمل، ص160؛ ابن شدقم، وقعة الجمل، ص34؛ الغروي، موسوعة التاريخ الاسلامي، ج4، ص550.

([2]) ينظر: ص 182من الرسالة.

شخصية ودنيويةٍ [1] فلنا أن نتساءل لماذا لم تدخل عائشة مع المؤمنين في تلك البيعة رغم اجتماع كلمة المؤمنين؟؟

وقد رد الإمام (عليه السلام) على من اعترض على بيعته بقوله: "**ما كانت بيعتكم إياي فلتة...**"[2] أي إنها لم تكن كبيعة من سبقه من الخلفاء، والغريب أنها تشترط شروطًا إفتقرت لها بيعة أبيها التي كانت فلتة كما اعترف بنفسه [3]، وأقر بذلك عمر أيضًا [4] فلم تخلو بيعته من النزاعات وأخذ للبيعة بالضغط و القوة[5] فضلًا عما صرحت به المصادر من افتقار بيعته للإجماع، لغياب بني هاشم مع جمع ممن مالوا إلى أحقية علي (عليه السلام) بالخلافة [6]، ولا يخفى أن غياب بني هاشم كان يعد انتهاكًا لشرط الشورى، لما لهم من ثقل ديني واجتماعي لقرابتهم من صاحب النبوة. ثم حدث الشيء ذاته عندما عهد ابو بكر للخليفة الثاني من بعده دون مشورة و رضا الصحابة.[7] مما يبين أن قاعدة الشورى لم تكن شرطًا في اختيار الخلفاء السابقين، بل إنها كانت ظرفًا طارئًا استحدثه عمر بن الخطاب لاستبعاد علي(عليه السلام) عن الخلافة بطريقة ديمقراطية على وفق المصطلحات الحديثة، وأرادت قريش إتباع اسلوب عمر مرة أخرى والاستفادة من ذلك القانون المدعى به، في حين نجد أن الأمر قد حسم بأمرٍ رباني منذ بيعة الغدير [8] بآية التبليغ [9]، وقد حذر الله عز وجل ونهى عن مخالفة أوامره وأوامر رسوله(صلى الله عليه وآله وسلم) بقوله:

([1]) ينظر :البلاذري، أنساب الأشراف،ج2،ص209 الطبري،تاريخ الرسل،ج3،ص452.

([2])الشريف الرضي،نهج البلاغة ، ص156.

([3]) الجوهري، السقيفة وفدك، ص46.

([4]) ابن حنبل، المسند، ج1، ص451؛ صحيح البخاري، ج8، ص168؛ صحيح ابن حبان، ج2، ص157.

([5]) أشارت المصادر في أحداث السقيفة إلى اعتراض الأنصار، وهناك إشارة إلى الاستعانة بقبيلة أسلم الذين اقبلوا للمدينة حتى تضايقت بهم السكك فتقوى بهم أبو بكر، وكان عمر يقول ما إن رأيت أسلم حتى أيقنت بالنصر. ينظر: الطبري، تاريخ الرسل، ج2، ص459؛ الشريف المرتضى، الشافي في الإمامة، ج3،ص191؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج2، ص331؛ النويري، نهاية الإرب، ج19، ص36.

([6])ينظر :الصنعاني،المصنف،ج5،ص471؛الطبري،تاريخ الرسل،ج2،ص443؛ابنالأثير،الكامل في التاريخ،ج2،ص331.

([7]) عن عمر بن شبه :" **وسمع بعض أصحاب النبي** (صلى الله عليه وآله وسلم) **بدخول عبد الرحمن وعثمان على أبي بكر وخلوتهما به؛ فدخلوا على أبي بكر فقال قائل منهم: ما أنت قائل لربك إذا سألك عن استخلافك عمر علينا، وقد ترى غلظته**...".تاريخ المدينة، ج5، ص667؛ المتقي الهندي، كنز العمال، ج5، ص675.

([8])ابن أبي شيبة، المصنف، ج6، ص368؛ ابن حنبل، المسند،ج2، ص262؛ البزاز،المسند،ج2ص133، ص230؛ النسائي، السنن الكبرى،ج7،ص310؛صحيح ابن حبان،ج 15، ص376،ص375؛الحاكم،المستدرك، ج3، ص118.

([9]) سورة المائدة، الآية (67)

((وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا)) [1].

من جانب آخر نلحظ أن عائشة طالبت أهل المدينة بوجوب السمع والطاعة، لكن لم تصرح لمن؟ فهل كانت تعني إطاعة أمرها هي؟ أم أمر الزبير الذي لم يكن إلا أميرًا لجنود عسكرها؟ كما صرحت بنفسها! فالواقع إن التنازع والطمع بالسلطة كان قد أخذ مأخذه بين كلٍ من طلحة والزبير لاسيما بعد الاستحواذ على مقاليد الأمور في البصرة وسبق أن أشرنا إلى تدافعهما على إمامة الصلاة [2] فضلًا عن الاستيلاء على أموال بيت المال، وإصرار الزبير على توزيعه على أتباعه، فيما كان يرى البقية تأجيل ذلك بعد المواجهة مع علي (عليه السلام) كي لا ينفض الناس من حولهم فهددهم قائلًا: "**والله لتَدَعُوني أو ألحق بمعاوية فقد بايع لي في الشام الناس فأمسكوا عنه** " [3].

وأمام هذا الإصرار على تولي زمام الأمور أو الانسحاب من المعركة، لم تجد عائشة وطلحة إلا الإذعان له حتى تنتهي المعركة' ولعل هذا هو السبب الذي جعلهم يتأخرون بأخذ البيعة من أهل البصرة للخلافة لأحدهما، خشية أن يدب الخلاف بينهم ويتشتتوا وهم مقبلين على خوض غمار الحرب، لذلك كانت عائشة تقول: " **لا تبايعوا الزبير على الخلافة ولكن على الامرة في القتال، فإن ظفرتم رأيتم رأيكم**" [4]، ويبدو أن عبد الله ابن الزبير علم بنوايا خالته من تلك المقولة لذلك نبه أباه قائلا:" **إنما تريد هذه أن تجعل حارّ أمر الناس بك، وبارده لابن عمها**"[5] مما يبين حقيقة دوافعها بإعادة الخلافة لبني تيم او من ترتضيه قريش وليس كما جاء في خطابها لأهل المدينة وحديثها عن الموافقة على من تختاره الأمة.

ب ـ رسالة السيدة عائشة لحفصة بنت عمر بن الخطاب: روي أنه لما بلغ عائشة نزول أمير المؤمنين (عليه السلام) بذي قار كتبت إلى حفصة بنت عمر رسالة جاء فيها : **أما بعد فلما نزلنا البصرة ونزل علي بذي قاروالله داق عنقه كدق البيضة على الصفا أنه بمنزلة الأشقر، إن تقدم نحر وإن تأخر عقر**[6] **فلما**

([1]) سورة الأحزاب، الآية (36).

([2]) ينظر: ص110 من الرسالة.

([3]) المفيد، الجمل، ص155.ينظر: أنساب الأشراف، ج2، ص257.258.

([4]) البلاذري، أنساب الأشراف، ج2، ص229

([5]) البلاذري، أنساب الأشراف ، ج2، ص266

([6]) وهو من أمثال العرب، وقائله يدعى لقيط بن زرارة، فيقال أن العرب كانت تتشاءم من الفرس الأشقر شقر الخيل سراعها، وكمتها، صلابها، فكان لقيط بن زرارة يوم جبلة على فرس أشقر فجعل يقول: أشقر، إن تتقدم تنحر، وإن تتأخر

فلما وصل الكتاب إلى حفصة استبشرت بذلك ودعتصبيان بني تيم وعدي وأعطت جواريها دفوفا وأمرتهن أن يضربن بالدفوف ويقلن: ما الخَبرْ ماالخبر عليٌ كالأشقَر إن تقدمَ نَحر وإن تَأخَرَ عُقِرْ

فبلغ أم سلمة اجتماع النسوة على ما اجتمعن عليه من سب أمير المؤمنين والمسرة بالكتاب الوارد عليهن من عائشة فبكت وقالت أعطوني ثيابي حتى أخرج إليهن وأوقع بهم . فقالت أم كلثوم بنت أمير المؤمنين (عليه السلام) **أنا أنوب عنك فإنني أعرف منك فلبست ثيابها وتنكرت وتخفرت واستصحبت جواريها متخفرات وجاءت حتى دخلت عليهن كأنها من النضارة فلما رأت إلى ما هن فيه من العبث والسفه كشفت نقابها وأبرزت لهن وجهها ثم قالت لحفصة: إن تظاهرت أنت وأختك على أمير المؤمنين** (عليه السلام) **فقد تظاهرتما[1]على أخيه رسول الله** (صلى الله عليه وآله وسلم) **من قبل فأنزل الله عز وجل فيكما ما أنزل، والله من وراء حربكما وأظهرت حفصة خجلا وقالت إنهن فعلن هذا بجهل وفرقتهن في الحال.**" [2]

وروى المفيد تلك الرواية وقال أنها جاءت عن الأصم عن الحسن البصري[3]، كما أوردها ابن ابي الحديد مع إختلاف ضئيل بالألفاظ وأشار إلى أنها وردت من عدة طرق :عن ابي مخنف بطريقين الأول :عن جرير بن يزيد عن الحكم، والثاني عن الحسن بن دينار [4] عن الحسن البصري وقال إن كلٍ من الواقدي والمدائني رووا مثلها. وجاءت روايته كالآتي: " **ولما نزل علي**(عليه السلام) **ذا قار، كتبت عائشة إلى حفصة بنت عمر، أما بعد فإني أخبرك أن عليا قد نزل ذا قار، وأقام بها مرعوبا خائفا لِما بلغه من عدتنا وجماعتنا... فدعت حفصة جواري لها... وجعلت بنات الطلقاء يدخلن على حفصة، ويجتمعن لسماع ذلك الغناء ...**" (5)

إن أهم ما يمكن أن نستنتجه بعد قراءة هاتين الروايتين:

تعقر، أي: يا أشقر، إن جريت على طبعك فتقدمت إلى العدو قتلوك، وإن أسرعت فتأخرت منهزما أتوك من ورائك فعقروك، فاثبت والزم الوقار، وانف عني وعنك العار. النيسابوري، مجمع أمثال العرب، ج2، ص140.

([1]) التظاهر: هو التعاون والتساعد. الرازي، مختار الصحاح، ج1، ص197.

([2]) المفيد، **الجمل، ص150.149**؛ الكافئة، ص17.

([3]) الحسن بن أبي الحسن، تابعي، كان مولى لزيد بن ثابت ، قيل اسم ابيه يسار، يقال إنه من سبي ميسان، وقع إلى المدينة، اشترته عمة أنس بن مالك، فأعتقته، قيل ولد الحسن لسنتين بقيتا من خلافة عمر، وسكن البصرة وكان من الحفاظ، مات بالبصرة سنة (110هـ/ 728م).ينظر: ابن ابي حاتم، الجرح والتعديل، ج، ص40.

([4]) الحسن بن دينار أبو سعيد البصري وهو الحسن بن واصل التميمي ودينار زوج أمه، حدث عن الحسن البصري وابن سيرين وغيرهم، وحدث عنه سفيان الثوري توفي، ضعفه معظم الرجاليين، والبعض الآخر قال لم يجد في حديثه ما يوجب التكذيب أو التضعيف. الذهبي، ميزان الاعتدال، ج1، ص487؛ ابن حجر، تهذيب التهذيب، ج2، ص275.

([5]) الشرح، ج14، ص13.

1. الموقف السلبي الذي وقفته حفصة بنت عمر من أمير المؤمنين(عليه السلام) ، ولابد من القول إن تلك الرواية لم تكن الأولى التي تفصح عن موقف حفصة المناهض له فسبق وأشرنا أنها ابدت موافقتها على مرافقة أصحاب الجمل لحربه (عليه السلام) إلا أن أخاها عبد الله بن عمر منعها فأرسلت لعائشة معتذرة عن عدم الألتحاق بذلك الجمع .[1]

2. تبين تلك الرواية مدى التوافق والانسجام بين المرأتين، مما يثير التساؤل عن دوافع حفصة واسباب فرحها لسماع اجتماع الناس حول عائشة وهي ضرتها، كما أنها لم يكن لها صلة قرابة بمعارضيه سواءً طلحة أو الزبير، فهي امرأة من بني عدي[2]، وأخيها عبد الله رغم تخاذله عن نصرة أمير المؤمنين (عليه السلام) لم يكن له ميل للحكم أو الامرة [3]؟!

لعلنا نجد في الكلام الذي جبهتها به السيدة أم كلثوم خير جواب، حيث ذكرتها بأنها وصاحبتها سبق وأن تظاهرتا على النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) فأنزل الله فيهما قرأنًا نصرةً لنبيه الكريم فباتفاق العلماء أن الآيات الأولى من سورة التحريم قد نزلت بعائشة وحفصة[4] إلى قوله تعالى محذرًا ومنذرًا إياهما **((إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ عَسَى رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُنَّ أَنْ يُبْدِلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِنْكُنَّ مُسْلِمَاتٍ مُؤْمِنَاتٍ قَانِتَاتٍ تَائِبَاتٍ عَابِدَاتٍ سَائِحَاتٍ ثَيِّبَاتٍ وَأَبْكَارًا))** [5] .

ورد عن عائشة ان حفصة كانت من حزبها في حياة النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) [6] فكانت ظهيرةً لها في المكائد والمنافرات بين الضرائر والتي غالبًا ما كانت تطال شخص النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) ، وعلى الرغم من اختلاف العلماء في الحادثة التي أوجبت ذلك التحذير الشديد من الله تعالى، إلا أنهم اتفقوا على أنها نزلت بخصوص تحذير و إنذار زوجتي النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) عائشة وحفصة ولنا أن نتساءل ماهو

([1]) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج3، ص208؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج7، ص258.

([2]) ابن سعد، الطبقات، ج8، ص81.

([3]) ابن قتيبة، الإمامة والسياسة، ج1، ص79؛ ابن اعثم، الفتوح، ج2، ص453.

([4]) القمي، تفسير القمي، ج2، ص376؛ ابن أبي حاتم، تفسير القرآن العظيم، ج10، ص3362؛ المفيد، تفسير القرآن المجيد، ص531؛ الزمخشري، الكشاف، ج4، ص566؛ الشوكاني، فتح القدير، ج5، ص30.

([5]) الآيتين (4) و(5).

([6]) صحيح البخاري، ج3، ص156؛ الطبراني، المعجم الكبير، ج23، ص50.

ذلك الخطب الجلل الذي بدر منهما بحق النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) فاستوجب أن يهيأ الله له تلك القوة لنصرته بنفسه ومعه جبريل والملائكة كلهم وصالح المؤمنين (عليهم السلام) ؟! [1]

ويبدو أن السيدة أم كلثوم أرادت من تلك المجابهة إيصال رسالة لحفصة وكل من إجتمعت عندها من نساء قريش أن الله تعالى سيكون في نصرة أبيها أمير المؤمنين كما نصر نبيه من قبل، ولربما أيضًا أرات ردع حفصة عن إشاعة الأقاويل التي بثتها على ألسن الجواري والصبيان والكلام عن هزيمة أمير المؤمنين (عليه السلام)، وبالفعل ما إن ذكرتها بتلك الآيات حتى أظهرت الخجل وفرقت من إجتمع حولها[2]. ولعل هذا هو السبب الذي جعلها تمنع أم سلمة من الذهاب لبيت حفصة بقولها: "**أنا أنوب عنك فإنني أعرف منك...**"[3] ثم إنها دخلت وهي متنكرة لتوقع بحفصة ومن إجتمعت عندها من النساء بالوقع المشهود فلا تدع لهن فرصة للإنكار. وفي رواية ابن ابي الحديد قالت حفصة :" **كفي رحمك الله، وأمرت بالكتاب فمزق واستغفرت**"[4] ولعلها خشيت من أن تبوح أم كلثوم أمام الملأ بما كان منها ومن صاحبتها بحق بيت النبوة(صلى الله عليه وآله وسلم).

على الرغم من القول بأن حفصة خجلت أو أظهرت خجلًا من فعلتها، فإن ذلك لم يمنع من إنتشار خبر كتاب عائشة لها في المدينة، مما أدى إلى استياء و غضب الأنصار من تصرفات عائشة وصاحبتها فأنشد الوالي سهل بن حنيف أبياتًا أعرب فيها عن ذلك الاستياء جاء فيها:

عَذرنا الرِجالَ بحربِ الرجال فما لِلنِساءِ وما لِلسباب

إلى أنْ أتانا كِتاب لها مشومٌ فَيا قبحَ ذاك الكتابْ[5]

وممن أورد تلك الحادثة من مؤرخي القرن الرابع؛ ابن أعثم الكوفي، لكن بشكلٍ مقتضب مع التمويه بأن حفصة سمعت بأنباء ترجيح كفة معسكر الجمل، وتزايد أعداد المجتمعين حولها حتى بلغوا ثلاثين ألفًا[6]، في حين لم يميل لمعسكر علي (عليه السلام) إلا عشرين ألفًا، فجاءت الرواية عنده كالآتي:" **وبلغ ذلك حفصة بنت عمر بن الخطاب فأرسلت إلى أم كلثوم فدعتها ثم أخبرتها باجتماع الناس إلى**

([1]) الروايات الأكثر شيوعًا وإنصافًا تقول إن صالح المؤمنين هو علي (عليه السلام) ،و للاطلاع على الآقوال التي رويت عن سبب نزول الآية ينظر: ابن الجوزي، زاد المسير في علم التفسير، ج4، ص312؛ القرطبي، تفسير القرطبي، ج18، ص202؛ الشوكاني، فتح القدير، ج5، ص403.

([2]) المفيد، **الجمل، ص149.150**؛ الكافئة، ص17؛ ابن ابي الحديد، الشرح، ج14، ص13.

([3]) المفيد، **الجمل، ص149.150**؛ الكافئة، ص17.

([4]) الشرح، ج14، ص13.

([5]) ابو مخنف، أخبار الجمل ص83، المفيد، الجمل، ص151، ابن أبي الحديد، الشرح،ج14، ص83.

([6]) الفتوح، ج2، ص464؛ العاملي، الدر النظيم، ج2

عائشة كل ذلك ليغمها بكثرة الجموع إلى عائشة، قال : فقالت لها أم كلثوم : على رسلك يا حفصة ! فإنكم إن تظاهرتم على أبي فقد تظاهرتم على رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) **فكان الله مولاه وجبريل وصالح المؤمنين والملائكة بعد ذلك ظهير، فقالت حفصة: يا هذه! أعوذ بالله من شرك فقالت أم كلثوم : وكيف يعيذك الله من شري وقد ظلمتني حقي مرتين الأول ميراثي من أمي فاطمة بنت رسول الله** (صلى الله عليه وآله وسلم)**، والثاني ميراثي من أبيك عمر بن الخطاب! قال: ولامت النساء حفصة على ذلك لوما شديدا .**"[1]

فنلحظ كيف ان نص ابن أعثم عتم على أمر الكتاب، والابيات التي أرسلتها عائشة وحاول أيهام القارئ، للتعتيم على رسالة عائشة لما فيها من كيد و نيل من أخي رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ووصي المسلمين. فسلط الضوء فقط على موقف حفصة وإظهار شماتتها، مع إغفال أمر غناء جواريها وصبيانها لأن ذلك سيلزمه إظهار الأبيات التي بعثتها عائشة. وبقراءة سطحية لنص ابن أعثم ومن ثم مقارنته بنص بالنص الوارد في كتاب ابي مخنف المحقق مؤخرًا[2]، ورواية كلٍ من المفيد [3] وابن ابي الحديد[4] و ما ورد في كتاب الدر النظيم من أعلام القرن السابع[5] يمكننا القول إن ابن أعثم إقتطع الرواية.

وفضلًا عن المقارنة، فلو تمعنا فيما جاء بذيل روايته " **ولامت النساء حفصة على ذلك لوما شديدا**"[6] نلحظ أنه لم يذكر في متن روايته وجود نساء في لقاء ام كلثوم بحفصة، ثم يفاجئ القارئ بوجود نساء يلمن حفصة دون أن يشير من هن وما سبب وجودهن عند حفصة.!! مما يشير إلى أنه إقتطع جزءًا من الرواية وعتم على الكتاب المذكور.

ولابد من الإشارة إلى مسألة مهمة حاول رواة السلطة ووضاعيها دسها وتضمينها في تلك الحادثة، ألا وهي توكيد الادعاء القائل بتزويج أمير المؤمنين(عليه السلام) ابنته أم كلثوم للخليفة الثاني، من خلال الكلام الذي ورد على لسان السيدة أم كلثوم والإيحاء بأن غضبها وتمثلها بالآية القرآنية كان لغضبها من حرمانها من الإرث، وشهادة عائشة وحفصة على الحديث المزعوم القائل بعدم توريث الأنبياء، كما ذكرت بعض المصادر[7]، إلا إن خبر حرمان أم كلثوم من إرث عمر بن الخطاب لم نجد له ذكر في أي من تلك المصادر أو غيرها عدا ما جاء في كتاب إبي مخنف وكتاب الدر النظيم، ورغم إعتماد كلٍ من المفيد

([1]) الفتوح، ج2، ص464؛ الميانجي، مواقف الشيعة، ج2، ص141.

([2]) أخبار الجمل، س82.

([3]) الجمل، ص150.

([4]) الشرح، ج14، ص13.

([5]) العاملي، الدر النظيم، 343.

([6]) الفتوح، ج2، ص464؛ الميانجي، مواقف الشيعة، ج2، ص141.

([7]) ينظر: ص71من الرسالة.

وابن أبي الحديد على رواية أبي مخنف، لكن كليهما لم يشير إلى مطالبة أم كلثوم بالأرث المزعوم ولا حتى بإرث فاطمة (عليه السلام) ، ولعلهما تجاهلا تلك الإضافة لما تأكد عندهما عدم صحة ذلك الخبر، وهذا ما أشار إليه محقق الكتاب[1] فقد يكون أبو مخنف نقل الرواية على علاتها بما تضمنه من ذلك الخبر المدسوس، بينما إعتمد المفيد وابن ابي الحديد على مصادر أخرى إلى جانب رواية ابي مخنف كالمدائني والواقدي مما جعلهما يتجاهلان هذا الخبر الموضوع في رواية ابي مخنف[2] بينما نقل ابن أعثم الرواية ورغم أنه إقتطع شطرًا من الرواية وتلاعب في مضمونها، لكنه أبقى على خبر مطالبة ام كلثوم بإرثها من عمر، وأما صاحب الدر النظيم فقد نقل رواية أبي مخنف على علاتها دون نقد أو تمحيص.

و على أية حال فلقد فند غير واحد من المؤرخين والأعلام خبر ذلك الزواج وبينوا عدم صحته لضعف رواته وأسانيده وعدم موافقته للأخبار الصحيحة. [3]

ج ـ كتاب السيدة عائشة إلى أهل اليمامة[4]:

روى المفيد عن الواقدي أن عائشة كتبت لأهل اليمامة والنواحي المحيطة بها، هذا الكتاب لا يختلف من حيث اسلوبه ومضمونه الدعائي عن كتابها لأهل المدينة، من خلال تذكير أهالي تلك البلاد بنعمة الإسلام التي أنعمها عليهم، وتوظيف الآيات القرآنية وأمومة المؤمنين لتعبئة الناس وتحشيدهم لنصرتها لكن أهم ما تضمنه هو الإفتاء بإعلان الجهاد بقولها : " **أما بعد فإني أذكركم الله الذي أنعم عليكم وألزمكم بالإسلام ... فاعتصموا بحبل الله وكونوا مع كتابه فإن أمكم ناصحة لكم فيما تدعون إليه من الغضب له والجهاد لمن قتل خليفة له حرمة وابتز المسلمين أمرهم وقد أظهر الله عليه...** "[5] لاشك أن الغرض من تلك الاتهامات خلط الحق بالباطل، ولبس الأمور على أهل الأمصار ولقد رد الإمام (عليه السلام) تلك الدعايات التي كانت تبث في رسالة أرسلها لأهل الكوفة لتوضيح حقيقة موقفه من قضية مقتل عثمان جاء فيها:" **فإنّي أخبركم عن أمر عثمان حتى يكون سمعه كعيانه إنّ الناس طعنوا عليه**

([1]) علق المحقق على تلك الزيادة في رواية أبي مخنف قائلًا:" **وهذا الكلام وما يترتب عليه من الإرث المدعى في هذه الرواية مما وقع فيه النقض والإبرام بين الأعلام، وليس يصح منه شيءٌ تأريخيٌ**". ابو مخنف، أخبار الجمل، ص82.

([2]) المفيد، الجمل، ص 147؛ الشرح، ج14، ص13.

([3]) ينظر:المفيد،المسائل السروية،ص85؛الهندي،إفحام الأعداء والخصوم بتكذيب ما أفتروه على السيدة أم كلثوم؛الميلاني، الرسائل العشر في الأحاديث الموضوعة في كتب السنة،ص5.

([4]) ناحية بين الحجاز و اليمن، تبعد عن مكة خمس عشر مرحلة، كما تبعد بنفس المسافة عن البصرة وتتصل جهاتها الغربية بأرض عمان، قيل كان اسمها في الجاهلية جوا، ثم سميت باليمامة نسبة لزرقاء اليمامة المشهورة بحدة البصر، ممن ينسب إليها مسيلمة الكذاب الذي ادعى النبوة في عهد النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) في السنة العاشرة للهجرة. ينظر: الديار بكري، المسالك والممالك، ج1، ص380؛ الحموي، معجم البلدان؛ الحميري، الروض المعطار، ج1، ص620.

([5]) الجمل، ص 161.

فكنت رجلا من المهاجرين أكثر استعتابه وأقلّ عتابه وكان طلحة والزبير الوجيف[1]حدائهما العنيف،وكان من عائشة فيه فلتة غضب فأتيح له قوم فقتلوه،وبايعني الناس غير مستكرهين ولا مجبرين، بل طائعين مخيّرين" [2].

وعلى ما يبدو أن معسكر الجمل خشوا من سخط الأمصار وأن، يلتفوا حول معسكر علي(عليه السلام) ، بعد وقائع الجملة الصغرى، فنلحظ أن كتاب عائشة لأهل اليمامة تضمن عدة مغالطات فيها خلط للحق بالباطل فمما جاء فيه ايضًا:" **وأن ابن حنيف الضال المضل كان بالبصرة يدعو المسلمين إلى سبيل النار وإنا أقبلنا إليها ندعو المسلمين إلى كتاب الله وأن يضعوا بينهم القرآن فيكون ذلك رضى لهم وأجمع لأمرهم ... فلما دنونا البصرة وسمع بنا ابن حنيف جمع لنا الجموع وأمرهم أن يتلقونا بالسلاح فيقاتلونا ويطردونا وشهدوا علينا بالكفر... فأكذبهم المسلمون وأنكروا عليهم وقالوا ... ويحك إنما تابعنا زوج النبي وأم المؤمنين وأصحاب رسول الله وأئمة المسلمين فتمادى في غيه وأقام على أمره وسفائهم وضعهم دون المسجد بالسلاح فالتمسنا أن يبايعوا على الحق ولا يحولوا بيننا وبين المسجد فرد علينا ذلك كله حتى إذا كان يوم الجمعة وتفرق الناس بعد الصلاة عنه دخل طلحة والزبير ومعهما المسلمون وفتحوه عنوة وقدموا عبد الله بن الزبير للصلاة بالناس وإنا نخاف من عثمان وأصحابه أن يأتونا بغتة ليصيبوا منا غرة فلما رأى المسلمون أنهم لم يبرحوا تحرزوا لأنفسهم ولم يخرج ليسفكوا دمي فوجدوا نفرا على باب بيتي فردوهم عني وكان حولي نفر من القرشيين والأزديين فدفعوهم عني وقتل منهم من قتل وانهزموا فلم نتعرض لبقيتهم وخلينا ابن حنيف منا منا عليه وقد توجه إلى صاحبه..."[3]**

نلحظ أنها وصفت ابن حنيف بالضال المضل وأنه يدعو الناس إلى النار رغم أنه من الصحابة الإجلاء وكان يدعوا أهل البصرة للوفاء ببيعة إمامهم الشرعي ويحذرهم النكث الذي حذر الله منه[4]، أما القول بأنه لما سمع بوصولهم استقبلهم بالسلاح يخالف الواقع العملي فتنص الروايات على أنه رفض مشورة الأحنف بن قيس وحكيم بن جبلة بمقاتلتهم قبل الدخول للمدينة، وقال لكل منهما :" **لكنني أكره**

([1]) الوجيف : ضرب من سير الخيل والإبل سريع أي أنهما سارعا لإثارة الفتنة عليه . والحداء: زجر الإبل وسوقه. عبده، شرح نهج البلاغة، ج3، ص2.

([2]) الشريف الرضي،نهج البلاغة،ص309. وينظر: ابن قتيبة، الإمامة والسياسة، ج1، ص86؛ المفيد، الجمل، ص132. علق الشيخ محمد عبده في شرحه على هذه الجملة :" **إن أم المؤمنين عائشة أخرجت نعلي رسول اللَّه** (صلى الله عليه وآله وسلم) **وقميصه من تحت ستارها، وعثمان يخطب على المنبر، وقالت له : هذان نعلا رسول اللَّه وقميصه لم تبل ، ولقد بدلت من دينه، وغيّرت من سنّته . وجرى بينهما كلام المخاشنة فقالت عائشة : اقتلوا نعثلا . تشبهه برجل معروف، فأتيح له أي قدر له قوم فقتلوه، أي ان القوم استجابوا بقصد أو غير قصد لأمر أم المؤمنين بقتل عثمان** ". شرح نهج البلاغة ج3، ص3.

([3]) المفيد، الجمل، ص161.

([4]) سورة الفتح، الآية (10).

الشرّ وأن أبدأهم به وأرجو العافية والسلامة إلى أن يأتيني كتاب أمير المؤمنين ورأيه فأعمل به" [1] وفي رواية ابن قتيبة أنه قال نعذر لهم برجلين[2] وأرسل لها الدؤلي و ابن حصين، لمناشدتهم في درء القتال وحفظ دماء المسلمين فأبوا وأصروا على موقفهم [3]

ولو دققنا في العبارة الواردة في خطاب عائشة أعلاه: " **فلما رأى المسلمون أنه قد عصاهم ورد عليهم أمرهم غضبوا لله عز وجل ولأم المؤمنين ولم نشعر به حتى أطلبا في ثلاثة آلاف من جهلة العرب...**" [4] يتضح أن أتباع عائشة هم الذين غضبوا فلابد أن الغاضب هو الذي بدء بالقتال، كما أن كلامها فيه اعتراف بأنهم كانوا يبتغون أن يسلمهم المسجد وأن ابن حنيف جمع ثلاثة آلاف من العرب لمنعهم عنه، وهذا الأمر لا يعني أنه اعتدى عليهم، بل العكس، يوضح أنه كان في موقف دفاع عن نفسه وسلطة حكومته.

ونلحظ كيف ان الكلام عن فتح أصحاب الجمل للمسجد عنوة جاء دون ذكر الصلح الذي سبقه، وهذا تغييب واضح للحقائق، فمن بنود الصلح أن يكون المسجد ودار الإمارة وبيت المال للوالي ابن حتى يقدم علي (عليه السلام) أو إلى أن يكتب له ابن حنيف حسب رواية الزهري،[5] وبناءً عليه يكون أخذ المسجد عنوة يعد نقض للعهد وتجاوز على صلاحيات الوالي. كما لم يشر الكتاب إلى دماء الزط والسبابجة الذين قتلوا دون ذنب.

وينص الخطاب على أن ابن حنيف بعد أخذهم المسجد منه عنوة جمع أصحابه وسار إلى بيت عائشة لقتلها وسفك دمها، لكن مجرى الأحداث يشير إلى العكس، فالأخبار المشهورة تقول أنهم أسروا ابن حنيف، وأمروا بسجنه، فكيف ومتى هاجم بيت عائشة؟ فحسب رواية أبي مخنف أنهم بعد أن أُسروا ابن حنيف ومعه الحرس أُخذوا لعند عائشة فقالت لأبان بن عثمان: "**أُخرج إليه فاضرب عنقه فإنّ الأنصار قتلت أباك وأعانت على قتله...** " فخوفهم بأخيه سهل ابن حنيف فخشوا أن يوقع بعيالاتهم وأهلهم بالمدينة، فتركوه "**وأرسلت عائشة إلى الزبير : أن اقتل السبابجة، فإنّه قد بلغني الّذى صنعوا بك** [6]**، قال**

([1]) ابن ابي الحديد، الشرح، ج9،ص312.

([2]) ابن قتيبة، الإمامة والسياسة، ج1، ص83.

([3]) المفيد، الجمل، ص161. ينظر: ص142وما بعدها من الرسالة.

([4]) المفيد، الجمل، ص161.

([5]) ينظر: ص 167، ض169 من الرسالة.

([6]) جاء في بداية الرواية أن طلحة والزبير قدموا للمسجد وقد ألبسوا رجالهم الدروع تحت ملابسهم، وتدافعوا مع ابن حنيف على إمامة الصلاة فدفعهم السبابجة وقدموا ابن حنيف فدفعه أصحاب الزبير وظلوا كذلك حتى كادت الشمس تطلع فصاح بهم الناس، ابن ابي الحديد، الشرح، ج9، ص320. لكن ما تضافرت عليه الأخبار أن التدافع على إمامة الصلاة وقع بين

قال : فذبحهم والله الزبير كما يذبح الغنم ... وبقيت منهم طائفة مستمسكين ببيت المال ...فسار إليهم الزبير في جيش ليلًا، فأوقع بهم وأخذ منهم خمسين أسيراً، فقتلهم صبراً"[1]

ونقل الطبري عن عمر بن شبه من رواية ابي مخنف أن امرأة ناشدت عائشة لتركه: " **أرسلوا أبان بن عثمان إلى عائشة يستشيرونها في أمره، قالت: اقتلوه، فقالت لها امرأة: نشدتك بالله يا أم المؤمنين في عثمان وصحبته لرسول الله**(صلى الله عليه وآله وسلم) **قالت: ردوا أبانا، فردوه، فقالت: احبسوه ولا تقتلوه، قال: لو علمت أنك تدعينني لهذا لم أرجع، فقال لهم مجاشع بن مسعود: اضربوه وانتفوا شعر لحيته، فضربوه أربعين سوطا، ونتفوا شعر لحيته ورأسه وحاجبيه وأشفار عينيه وحبسوه"**[2] .

ولنا أن نشك في صحة إقحام مجاشع بالحدث فليس له إصدار الأوامر مع وجود عدة رؤوس لمعسكر الجمل؛ لاسيما أن الذهبي يشير في روايته إلى أن مجاشع قُتل في المعارك التي سبقت دخول بيت ابن حنيف[3]. ولقد صرح سبط ابن الجوزي بأن ذلك كان بأمر من عائشة نفسها. بعد أن حذرتها المرأة من غضب أخيه والأنصار، فتراجعت وقالت :" **احبسوه واضربوه أربعين سوطا وانتفوا شعر رأسه ولحيته وحاجبيه وأشفار عينيه ! ! ففعلوا** "[4]

عود للكلام الذي ورد في ذيل خطاب عائشة لأهل اليمامة"... **وعرفناكم ذلك عباد الله...**"[5] يوضح الدافع التحريضي فيه، فضلًا عن تبرير معسكر الجمل لأنفسهم ما أحدثوه ببث الإعلام المغالط، فعلى ما يبدو أنهم خشوا أن يفقدوا مكانتهم في تلك الأمصار، في الوقت الذي كانوا يحاولون جمع المؤيدين لهم، لذلك لجأوا لهذا الاسلوب الإعلامي لخلط الحقائق على الناس.

د ـ رسائل السيدة عائشة لأهل الكوفة: ذكر الطبري في روايته عن سيف، أن الناكثين بعد أن استولوا على البصرة، وبعد أحداث وقعة الجمل الأصغر، أرسلوا عدة كتب للأمصار لأعلامهم بمجريات الأحداث التي عدوها انتصارا لهم، فأرسلوا : الى أهل اليمامة، والى أهل المدينة وأرسلوا كتابا الى الشام وأورد نص هذا الكتاب على النحو الآتي:" **إنا خرجنا لوضع الحرب وإقامة كتاب الله عز وجل بإقامة حدوده... فبايعنا خيار أهل البصرة ونجباؤهم وخالفنا شرارهم ونزاعهم فردونا بالسلاح و قالوا نأخذ أم المؤمنين**

قادة معسكر الجمل أنفسهم تنافسًا على تولي زمام الإمرة فأمرت عائشة حلًا للنزاع أن يصلي عبدالله بن الزبير يومًا ومحمد بن طلحة يومًا. ينظر: اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج2،181.

([1]) ابن أبي الحديد، الشرح، ج9، ص321.

([2]) تاريخ الرسل، ج3، ص485؛ ابن عبد البر، الاستيعاب، ج1، ص368.

([3]) تاريخ الإسلام، ج2، ص270؛ سير أعلام النبلاء، راشدون، ص252.

([4]) تذكرة الخواص، ج1، ص370.

([5])المفيد، الجمل، ص161.

رهينة أن أمرتهم بالحق ... حتى إذا لم يبق حجة ولا عذر استبسل قتلة أمير المؤمنين فخرجوا إلى مضاجعهم فلم يفلت إلا حرقوص بن زهير والله سبحانه مقيده إن شاء الله ... وإنا نناشدكم الله في أنفسكم إلا نهضتم بمثل ما نهضنا به فنلقى الله عز وجل وتلقونه وقد أعذرنا وقضينا الذي علينا "[1].

ويضيف الراوي أنهم كتبوا إلى أهل المدينة و الكوفة بمثله وكتبت عائشة الى أهل الكوفة كتابا خاصا بها لا يختلف عن مضمون كتاب أهل الشام، فجاء فيه :" **فانا قدمنا البصرة... فأجابنا الصالحون إلى ذلك واستقبلنا من لا خير فيه بالسلاح وقالوا لنتبعنكم عثمان ليرتدوا الحدود تعطيلا فعاندوا فشهدوا علينا بالكفر وقالوا لنا المنكر فقرأنا عليهم...**[2] **فأذعن لي بعضهم واختلفوا بينهم، فتركناهم وذلك ... وعزم عليهم عثمان بن حنيف الا قاتلوني حتى منعني الله عز وجل بالصالحين فرد كيدهم في نحورهم ... فمكثنا ستا وعشرين ليله ندعوهم إلى كتاب الله واقامه حدوده، وهو حقن الدماء ان تهراق دون من قد حل دمه، فأبوا واحتجوا بأشياء فاصطلحنا فخافوا وغدروا وخانوا، فجمع الله عز وجل لعثمان رضي الله عنه ثارهم، فاقادهم فلم يفلت منهم الا رجل، وأردانا الله ومنعنا ... فالزموا الرضا الا عن قتله عثمان بن عفان حتى يأخذ الله حقه ...**" [3] .

نلحظ كيف ان هذين الخطابين لا يختلفان كثيرًا عن الخطاب الموجه لأهل اليمن والمدينة من حيث الطابع الدعائي، لأحداث السيطرة على البصرة وما رافقها من وقائع معركة الجمل الصغرى، فضلًا عن التحريض على إعلان الحرب في تلك الأمصار تحت شعار الطلب بدم عثمان، وهذا ما أشار إليه ابن الأثير الذي لخص مضمون تلك الكتب دون إيرادها[4] لكن أهم ما لاحظه الباحث أن سيف بن عمر قام بدس وتضمين بعض الأخبار التي يكمل بها أحداث قصته، وبالطبع لن يجد أفضل من خطابات زوج النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) عائشة، ليدس فيه ما يحلو له، من ذلك ما أورده بأن قادة معسكر الجمل ظلوا ستة وعشرين ليلة يدعون ابن حنيف وأصحابه لإقامة كتاب الله ثم أن أصحاب ابن حنيف هم الذين نكثوا وغدروا بعد الصلح، وهذا مخالف للواقع العملي إذ أوضحنا سابقًا على وفق ما ورد في مصادر تاريخية عدة أن وقعة الجمل الصغرى ونكث الصلح أو الهدنة بمعنى أصح حدث بعد أيام قلائل من عقدها، فأشرنا أن الطبري روى من طريق الزهري ما يبين نكثهم للبيع :" ... **فإنّ الرّجل أمّرنى فأكتب إليه فأُعلمه ما جئتم له على أن أُصلّى بالناس حتّى يأتينا كتابه فوافقوا عليه، وكتب فلم يلبث إلّا يومين حتّى وثبوا**

([1]) الضبي، الجمل ومسير عائشة، ص298؛ الطبري، تاريخ الرسل ج3، ص488.

([2]) سورة آل عمران، الآية (23) .

([3]) الضبي، الجمل ومسير عائشة، ص299؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج3، ص489.

([4]) الكامل في التاريخ، ج3، ص220.

عليه فقاتلوه بالزابوقة عند مدينة الرزق فظهروا، وأخذوا عثمان فأرادوا قتله، ثمّ خشوا غضب الأنصار فنالوه في شعره وجسده"[1] وفي لفظ ابن الأثير" **فلم يلبث إلا يومين أو ثلاثة...**"[2].

فرواية الزهري رغم اقتضابها للوقائع وعدم إشارتها للانتهاكات التي ارتكبها أصحاب الجمل، وإقحامهم لدار الإمارة؛ ومقتل حراس بيت المال، إلا أنها تبين بصورة واضحة من هو الطرف المعتدى عليه ومن هو الذي غدر ونكث بالاتفاق بعد يومين أو ثلاث. والواضح إن ادعاء سيف بأنهم مكثوا يدعون ابن حنيف الى كتاب الله لمدة ستة وعشرين ليلة بعد عقد الهدنة ؛ لم يكن سدىً ؛وإنما لأجل توكيد خبره القائل بأن الهدنة عقدت على شرط إرسال كعب بن سور للمدينة المنورة لسؤالهم عن بيعة طلحة والزبير لعلي (عليه السلام) [3]. وبما أن الطريق للمدينة المنورة ذهابًا وإيابا يستغرق مدة طويلة لا يسعها اليوم أو اليومين، أبدل الرواي زمان الواقعة وجعلها بعد ستة وعشرين يومًا ليتسنى له القول بأن كعب بن سور عاد ومعه جواب أهل المدينة القائل بإكراه طلحة والزبير على البيعة[4] بل أنه أبدل زمان الحادثة فبينما يصرح الواقدي عن رجاله أن كتابة تلك الكتب وإعلام أهل الأمصار بأحداث الجمل الصغرى كان في شهر ربيع الأول: "**وكتب عبيد بن كعب لخمس ليال من شهر ربيع الأول سنة** ست وثلاثين للهجرة [5]، نجد أن سيف يبدل ذلك بما يتناسب مع سير أحداث قصته بجعلها في الـ (25م من ربيع الآخر) فذكر في آخر الكتاب الموجه لأهل الكوفة : "**وكانت الوقعة لخمس ليال بقين من ربيع الآخر سنة ست وثلاثين، وكتب عبيد بن كعب في جمادى**[6]

يتضح مما تقدم أن الراوي سيف ابتغى من تلك القصة التي نسجها قلب الأحداث وإلقاء مسؤولية أحداث الجمل الصغرى على عاتق معسكر علي (عليه السلام) تخطأت ابن حنيف وأتباعه، والقول إنهم هم

([1]) تاريخ الرسل والملوك، ج3، ص486.

([2]) الكامل في التاريخ، ج3، ص216.

([3]) الضبي، الجمل ومسير عائشة، ص292؛ تاريخ الرسل،ج3،ص484؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج3، ص21

([4]) روى سيف أن كعب بن سور عندما وصل المدينة وسأل أهلها لم يجبه أحد من القوم عدا أسامة بن زيد، "...**فإنه قام فقال: اللهم إنهما لم يبايعا إلا وهما كارهان فأمر به تمام، فواثبه سهل بن حنيف والناس، وثار صهيب بن سنان وأبو أيوب بن زيد، في عدة من أصحاب رسول الله ص، فيهم محمد بن مسلمة، حين خافوا أن يقتل أسامة، فقال: اللهم نعم**..." الضبي، الجمل ومسير عائشة، ص 292؛ تاريخ الرسل ، ج3، ص484؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج3، ص215.

([5]) المفيد ، الجمل، ص160.

([6])الضبي، الفتنة ووقعة الجمل،ص 134؛الطبري،تاريخ الرسل،ج3،ص490؛ابن الأثير،الكامل في التاريخ،ج3، ص220. ص220.

الذين نكثوا بالاتفاق بإيعاز من علي (عليه السلام) ومن ثم سيتسنى له ضرب الروايات التي تدين معسكر الجمل، أو التشكيك بها. فقصة ارسال كعب بن سور والشرط المزعوم لم تأتي عند غيره من الرواة، و خالف فيها رواية كل من الزهري الذي قال ان الصلح كان حتى يأتي كتابًا من علي[1]، واتفقت رواية ابو مخنف وابن خياط [2] على أن الصلح كان حتى قدوم علي (عليه السلام) إلى البصرة.[3] وقد اتق على ذلك القول معظم أصحاب السير[4]،عدا الطبري الذي اختار رواية سيف وبجانبها رواية الزهري المقتضبة[5].

ز ـ مكاتبة السيدة عائشة لشخصيات من أهل الكوفة :بعد أن نقل الطبري عن سيف كتاب طلحة والزبير لأهل الشام وما كتبته عائشة لأهل الكوفة، ذكر عن سيف أيضًا أنها أرسلت كتبًا خاصة لشخصيات من أهل الكوفة فقال:" :**فكتبت إلى رجال بأسمائهم فثبطوا الناس عن منع هؤلاء القوم ونصرتهم واجلسوا في بيوتكم، فان هؤلاء القوم لم يرضوا بما صنعوا بعثمان بن عفان وفرقوا بين جماعه الامه، وخالفوا الكتاب والسنة** ..." [6] ولا يهمنا ما تضمنه الكتاب، كونه يشبه إلى حد كبير الكتاب الموجه للعامة كما أسماه سيف فأهم ما تضمنه هو طلبها تخذيل أهل الكوفة عن نصرة معسكر الإمام علي (عليه السلام) لكن،ما يثير الاستغراب أن الراوي غيب أسماء الرجال الذي أرسلت إليهم ذلك الطلب رغم أنه ذكر بنفسه أنها أرسلت إلى رجال بأسمائهم، ثم ما الداعي للسرية وإرسال الكتب الخاصة طالما أنها وجهت كتابًا عامًا لكافة أهل الكوفة إلا إذا كانت تلك الكتب تحمل في طياتها اتفاقات سرية.

والجدير بالذكر، أننا وجدنا سيف يعود لذكر تلك الكتب كتاب العامة والخاصة كما أطلق عليها عند الحديث عندما تكلم عن الجدال الذي وقع بحضرة سفارة الإمام الحسن (عليه السلام) وعمار بن ياسر، لوالي الكوفة أبو موسى الأشعري، بعد تلكأه في إجابة الوفود والسفارات المتعددة من أمير المؤمنين(عليه السلام) ، لنصرته على معسكر الجمل فجاءت رواية سيف كالآتي::"...**فغضب عمار...وثار زيد بن صوحان وطبقته وثار الناس، وجعل أبو موسى يكفكف الناس، ثم انطلق حتى أتى المنبر، وسكن الناس، وأقبل زيد على حمار حتى وقف بباب المسجد ومعه الكتابان من عائشة إليه وإلى أهل الكوفة،**

([1]) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج3، ص486؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج3، ص216.

([2]) تاريخ ابن خليفة، ج1، ص184

([3]) أخبار الجمل، ص55؛ أنساب الأشراف، ج2، ص327؛ ابن ابي الحديد، الشرح، ص151

([4]) ابن قتيبة، الإمامة والسياسة، ج1، ص89؛ اليعقوبي،تاريخ اليعقوبي، ج2، ص181؛ ابن أعثم الفتوح، ج2، ص458؛ ص458؛ ابن عبد البر، العقد الفريد، ج5، ص63؛ المسعودي، مروج الذهب، ج2، ص358.

([5])تاريخ الرسل والملوك، ج3، ص486؛ ج3،ص490.

([6]) الجمل ومسير عائشة وعلي، ص299؛ الطبري، تاريخ الرسل، ج3، ص489.

وقد كان طلب كتاب العامة فضمه إلى كتابه، فأقبل بهما ومعه كتاب الخاصة وكتاب العامة: أما بعد، فثبطوا أيها الناس واجلسوا في بيوتكم إلا عن قتلة عثمان" .[1]

نلحظ كيف ان سيف عرض الحدث بصورة مشوشة للغاية فالوالي ابو موسى هو الذي صعد المنبر ليتكلم، لكن الراوي قطع الرواية، وركز على زيد و الكتابين الذي أسماهما كتاب الخاصة الموجه إليه وكتاب العامة الموجه الى أهل الكوفة، وجعل زيد هو الذي يقرأ كتب عائشة، مما يدفعنا للترجيح أن الراوي أراد التعتيم على حقيقة موقف أبي موسى الأشعري ودوافع تخذليه أهل الكوفة عن نصرة الإمام(عليه السلام) حيث تكشف لنا مصادر أخرى أن كتاب الخاصة كان موجهًا لوالي المدينة، وأن ثمة كتابًا آخر موجهًا لزيد بن صوحان، وسنتناول دراسة مضامين كل منهما على حدة:

1. الكتاب الموجه لأبي موسى الأشعري:

روى ابن أعثم أن الإمام (عليه السلام) كان نازلًا في الربذة فعندما بلغه خبر سيطرة معسكر الجمل على البصرة وما فعلوه بواليه و أنصاره، سار من الربذة حتى نزل بذي قار ثم وجه ابنه الحسن(عليه السلام) وعمار بن ياسر إلى الكوفة يستنفرون أهلها إلى البصرة لمحاربة القوم، لكن واليه أبا موسى الأشعري تلكأ في الإجابة وأخذ يخذل الناس عن نصرته بتوظيف الآيات القرآنية وفقا لهواه ويحثهم على الاعتزال [2] فغضب منه عمار بن ياسر وزيد بن صوحان وهدداه بالسيف إن لم يطع أمير المؤمنين(عليه السلام) عندها كشف أبو موسى الأشعري عن كتاب عائشة له فقال:" **أيها الناس، اسكتوا واسمعوا كلامي، هذا كتاب عائشة إلي تأمرني فيه أن أقرأه إن أقر الناس في منازلهم إلى أن يأتيهم ما يحبون من صلاح أمر المسلمين فقال له عمار بن ياسر : يا أبا موسى ؛ إن عائشة أمرت بأمر وأمرنا بغيره أمرت أن تقر في بيتها، وأمرنا أن نقاتل حتى لا تكون فتنة، فأمرتنا هي بما أمرت وركبت ما أمرنا به .**"[3] وقريب منه عند شهر آشوب: " **يا أهل الكوفة اتقوا الله ولا تقتلوا أنفسكم ان الله كان بكم رحيما**[4] **ومن يقتل مؤمنا متعمدا** [5] **فسكته عمار، فقال أبو موسى : هذا كتاب عائشة تأمرني ان تكف أهل الكوفة فلا تكونن لنا لنا ولا علينا ليصل إليهم صلاحهم .**"[6]

([1]) الجمل ومسير عائشة وعلي، ص299؛ الطبري، تاريخ الرسل، ج3، ص489.

([2]) الفتوح، ج2، ص460

([3]) الفتوح، ج2، ص479.

([4]) سورة النساء، الآية (29).

([5]) سورة النساء، الآية (93).

([6]) مناقب آل أبي طالب، ج2، ص ٣٣٧

أما ابن حبان فقد روى أن زيد بن صوحان هو الذي قدم بالكتابين : " **وقدم زيد بن صوحان من عند عائشة معه كتابان وإذا في كل كتاب منهما " من عائشة أم المؤمنين إلى عبد اللّه بن قيس الأشعري... أما بعد، فإنه قد كان من قتل عثمان ما قد علمت وقد خرجت مصلحة بين الناس، فمر من قبلك بالقرار في منازلهم والرضا بالعافية حتى يأتيهم ما يحبون من صلاح أمر المسلمين، فإن قتلة عثمان فارقوا الجماعة وأحلوا بأنفسهم البوار. فلما قرأ الكتابين وثب عمار بن ياسر فقال : أمرت عائشة بأمر، وأمرنا بغيره، أمرت أن تقر في بيتها، وأمرنا أن نقاتل حتى لا تكون فتنة فهو ذا تأمرنا بما أمرت، وركبت ما أمرنا به** ." [1] فنلحظ في نص ابن حبان أن زيدًا بن صوحان هو الذي قدم بالكتابان، مما يدفعنا للظن بأنه عندما فهم بمضمون تلك الكتب جاء لكشف الأمر أمام الملأ.

والواضح أن عائشة استطاعت من خلال المراسلات والكتب التي بعثتها للأشعري أن تجعله، جنديًا مخلصًا لمعسكرها، فقام بدوره التخذيلي على أتم وجه، واللافت للنظرهو الشراسة التي دافع بها أبو موسى عن أفكاره .لقد كان يقاتل بالفعل في سبيل ثني الكوفيين عن الاستجابة لنصرة أمير المؤمنين (عليه السلام) .حيث كان مختلفاً عن غيره من "**المعتزلين**". فهؤلاء لم يشاركوا في الصراع ولم يتدخلوا في مجريات الأحداث واكتفوا بالجلوس في بيوتهم ولكنّ أبا موسى لم يرغب في الجلوس ببيته،بل أظهر إصراراً غريباً على تحدّي طلب الخليفة، وقام بمجهودٍ هائل في أوساط الكوفيين لإقناعهم برفض دعوة عليّ. كان أبو موسى يناظر ويجادل ويتصرف كمن يؤدي مهمة مقدسة. [2] فكان لموقفه السلبي هذا أثرًا كبيرًا في تأخير وصول الإمدادات البشرية لمعسكر الإمام علي(عليه السلام) ،مما أتاح الفرصة لمعسكر عائشة، للاستيلاء على البصرة، فحسب ما جاء من الروايات إن الإمام علي(عليه السلام) قام بإرسال أكثر من بعثة لاستنهاض أهل الكوفة، وكان الأشعري يجادل و يرفض الاستجابة في كل مرة [3]، ويمكن تفسير استجابته لأوامر عائشة رغم أنه واليا في حكومة علي (عليه السلام) بالآتي :

1. انه كان أحد ولاة عثمان ، ورغم أن علياً (عليه السلام) ،أقره على منصبه بعد توليه الحكم الا أنه من الطبيعي أن يقف موقفًا سلبيًا من حكومته كونه من الشخصيات التي حصلت على امتيازات وممتلكات واسعة أبان حكومة عثمان، فحتمًا سوف تتضرر مصالحه وفقًا لسياسة علي (عليه السلام) الاصلاحية.

([1]) السيرة النبوية وأخبار الخلفاء، ج2، ص532.

([2]) شحادة، قريش وعلي، ص436.

([3]) ابن خلدون، المبتدأ والخبر ، ج2، ص613.

2. الأمر الآخر يتعلق بميله عن الخط العلوي، وتأييده للخط القرشي، كما أنه كان من الصحابة الذين انتموا الى مدرسة عائشة الفقهية،[1] ومن الذين حفظوا لها مقامها، ومكانتها ويبدو أن ذلك الولاء هو الذي جعلها تعهد إليه بتلك المهمة[2].

أما الاسلوب الذي اتبعه ذلك الوالي لأقناع الناس بالجلوس في بيوتهم، فكان من خلال تبنيه الدعاية لنظرية اعتزال الفتنة، فلما سأله الإمام الحسن (عليه السلام) عن سبب تخذيله الناس عن نصرة الإمام علي(عليه السلام) ، ادعى أنه سمع حديثًا من النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) يوصي فيه:" **إنها ستكون فتنة، القاعد فيها خير من القائم، والقائم خير من الماشي، والماشي خير من الراكب**"، فغضب عمار لما لفقه عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وبين أن الحديث يخصه وحده بالاعتزال، وليس عامة المسلمين[3]

فروي أنه خطب بالناس موضحًا زيف نظرية اعتزال الفتنة، من خلال ما ورد من أحكام القتال في القرآن الكريم فقال: "**لم يدع ملة من الملل الا وقد حكم فيها حكمًا أمر بجهادهم حتى تفيء**"[4] فبين حكم قتال المشركين الذي ورد في سورة محمد[5] وأهل الكتاب الذي ورد في سورة التوبة [6] ثم وضح لهم حكم قتال أهل القبلة (أي المسلمين)، في قوله تعالى :((**وَإِنْ طائِفَتانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُما فَإِنْ بَغَتْ إِحْداهُما عَلَى الْأُخْرى فَقاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلى أَمْرِ اللَّهِ فَإِنْ فاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُما بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ**))[7] فشرح لهم أن الله تعالى لم يرضَ لعباده الجلوس في بيوتهم، ويتركوا الناس يسفك بعضهم دماء البعض الآخر وبذلك أقام الحجة على أهل الكوفة بوجوب السير لمعرفة أي الفريقين المصيب وأيهم

([1]) ابن حجر، الأصابة، ج8، ص235؛ طهماز، السيدة عائشة، ص189

([2]) مما رواه ابو موسى الأشعري في فضل عائشة : " **كمل من الرجال كثير، ولم يكمل من النساء إلا آسية امرأة فرعون، ومريم ابنة عمران، وإن فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام.**" .ابن حنبل، فضل الصحابة، ج2، ص780؛ المسند،ج2،ص288؛صحيح البخاري،ج4،ص158؛صحيح مسلم، ج4، ص1886؛ ابن حبان، ج16، ص51.

([3]) الضبي، الجمل ومسير عائشة، ص308؛ الطبري تاريخ الرسل، ج3، ص498.

([4]) أخبار الجمل،ص70.71؛ ابن قتيبة، الامامة والسياسة،ج1، ص85؛ للمزيد عن إحتجاج عمار بن ياسر على الأشعري، وخطبة الإمام الحسن (عليه السلام) لفض النزاع ينظر:؛ لإسكافي، المعيار والموازنة، ص115؛ ابن ابي الحديد، الشرح، ج14، ص18؛ العطاردي، مسند الإمام الإمام المجتبى، ص248؛ الميانجي، مواقف الشيعة، ج2؛ ص238.

([5]) الآية:(74).

([6]) الآية:(29).

([7]) الحجرات، الآيتين:(9)و(10). عن ابن العربي " **وثبت بدليل الدين أن عليا** (عليه السلام) **كان إماما، وأن كل من خرج عليه باغ، وأن قتاله واجب حتى يفيء إلى الحق**" فبذلك ينطبق على اصحاب الجمل قوله تعالى : ((**فقاتلوا التي تبغي حتى تفئ إلى أمر الله**)) " أحكام القرآن، ج4، ص150.

الباغي الذي وجب مقاتلته،وفقًا لما أمر به الله تعالى. ثم قام الإمام الحسن (عليه السلام) وخطب باهل الكوفة ودعاهم لطاعة ولي الأمر فزال الشك من نفوسهم، وإمتثلوا فسار معه الوف منهم لنصرة أمير المؤمنين (عليه السلام)(1)

2ـ كتاب عائشة لزيد بن صوحان: روى الطبري عن أبي مخنف من طريق ابن شبه أن عائشة لما قدمت البصرة كتبت إلى زيد بن صوحان : " **من عائشة ابنة أبي بكر أم المؤمنين حبيبة رسول الله** (صلى الله عليه وآله وسلم) **إلى ابنها الخالص زيد بن صوحان أما بعد فإذا أتاك كتابي هذا فاقدم فانصرنا على أمرنا هذا فإن لم تفعل فخذل الناس عن علي** .[2] كما جاء خبر هذا الكتاب في مصادر، باختلاف في بعض الألفاظ، فورد عند بن عبد ربه كالآتي "... **أما بعد، فإن أباك كان رأسا في الجاهلية، وسيدا في الإسلام وإنك من أبيك بمنزلة المصلّي من السابق، يقال : كاد أو لحق؛ وقد بلغك الذي كان في الإسلام من مصاب عثمان ابن عفان؛ ونحن قادمون عليك، والعيان أشفى لك من الخبر. فإذا أتاك كتابي هذا فثبّط الناس عن علي بن أبي طالب، وكن مكانك حتى يأتيك أمري، والسلام** ."[3]. كما روى مضمون الكتاب بلفظ مختلف كل من المفيد وقال أنه من الأخبار المشهورة [4]، وابن أبي الحديد عن شيخه المعتزلي ابو سعيد الحسن البصري[5].

ولقد أشار البعض إلى أن إرسال عائشة لزيد بن صوحان، كان بعد علمها بوصول جيش الإمام علي(عليه السلام) الى ذي قار، على أثر ما حدث لعثمان بن حنيف وأصحابه في يوم الجمل الأصغر[6] .

ونلحظ أن مطالبة عائشة لزيد بن صوحان بالقدوم لنصرتها أو التخذيل عن علي (عليه السلام) ، أمرًا يثير الاستغراب فموقف زيد معروفا بأنه كان في مقدمة وفود أهل الأمصار الثائرة على حكومة عثمان، ولطالما أظهرهو وأخوه صعصعة المعارضة لسياسة ولاته، فنفاهما عثمان مع جمع من قراء الكوفة لما

---

(1) أخبار الجمل،ص70.71؛ ابن قتيبة، الامامة والسياسة،ج1، ص85؛ للمزيد عن إحتجاج عمار بن ياسر على الأشعري، وخطبة الإمام الحسن (عليه السلام) لفض النزاع ينظر:؛ لإسكافي، المعيار والموازنة، ص115؛ ابن ابي الحديد، الشرح، ج14، ص18؛ العطاردي، مسند الإمام الإمام المجتبى، ص248؛ الميانجي، مواقف الشيعة، ج2؛ ص238.

(2)تاريخ الرسل،ج3، ص192؛ابن الأثير،الكامل في التاريخ، ج3، ص216؛ المقريزي، إمتاع الأسماع، ج13، ص235.

(3) ابن عبد ربه، ج5، ص66؛ الباعوني، جواهر المطالب في مناقب الأمام علي بن أبي طالب، ص12.

(4) الجمل، ص229.

(5) الشرح، ج6، ص226.

(6)الطبري تاريخ الرسل، ج3،ص498؛ ابن حبان، السيرة النبوية ،ج2، ص532؛ابن ابي الحديد،الشرح،ج6، ص226.

اشتدت المعارضة على واليه سعيد بن العاص[1] فبناءً على القاعدة التي نادى بها أصحاب الجمل في وجوب معاقبة كل من شارك بالثورة على حكومة عثمان، يكون زيد بن صوحان وجميع قراء الكوفة ممن وجب الإقتصاص منهم! لكن يمكن الترجيح أن تكون سألت عن الشخصيات المأثرة في الكوفة فأشير عليها بزيد بن صوحان، فأرسلت إليه.

وعلى أية حال تتفق المصادر التاريخية إلى أنه كان حازمًا في جوابه لكتابها، الذي جاء فيه :" **من زيد بن صوحان إلى عائشة ابنة أبي بكر الصديق رض حبيبة رسول الله** (صلى الله عليه وآله وسلم) **أما بعد فأنا ابنك الخالص ان اعتزلت هذا الامر ورجعت إلى بيتك وإلا فأنا أول من نابذك** "،**ثم قال رحم الله ام المؤمنين أمرت أن تلزم بيتها وأمرنا أن نقاتل فتركت ما أمرت به وأمرتنا به وصنعت ما أمرنا به ونهتنا عنه.**" [2] وفي رواية ابن عبد ربه: " **فكتب إليها: من زيد بن صوحان إلى عائشة أم المؤمنين سلام عليك ؛ أما بعد، فإنك أمرت بأمر وأمرنا بغيره : أمرت أن تقرّي في بيتك وأمرنا أن نقاتل الناس حتى لا تكون فتنة ؛ فتركت ما أمرت به؛ وكتبت تنهيننا عما أمرنا به، والسلام** ."[3].وفي شرح نهج البلاغة :"... **فأمرك عندي غير مطاع، وكتابك غير مجاب والسلام** ".[4]

ومما يثير الإنتباه أن خطاب عائشة إتسم بصفة القداسة، والترغيب والترهيب في آنٍ واحد، فنلحظ في نص ابن عبد به كأنها كانت تعني، إن لم تنفذ "... **نحن قادمون عليك، والعيان أشفى لك من الخبر**"[5] كما أخذت تذكره بما كان عليه أبيه في الجاهلية، وكيف صار سيدًا بعد إسلامه، ولا ندري ما الداعي لذلك، فلعلها كانت تريد إفهامه أن المكانة الاجتماعية التي تمتع بها هو وأسرته كانت من فضائل الإسلام ودين محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) عليه لذلك فلابد له من إطاعة زوجته، ونصرتها.

ورغم أن كتاب عائشة له يتسم بصفة القداسة والشرعية بالقرب من رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) والأمومة، التي انطوت على الكثيرين اذ كان بعض أهل البصرة يقولون:" **إنا لا ندع ثقل رسول الله** (صلى الله عليه وآله وسلم) **لشيء أبدًا**" [6]، لكن زيد لم يكن ممن يغتر بالمسميات، ولم تؤخذه في الله لومة لائم، وبين لها أن مكانتها تحتم عليها أن تكون أول من يمتثل للأوامر الإلهية .فرؤية زيد تكشف عن علمه بأنّ قضايا الإسلام المصيرية لم توكل إلى النساء وكان يمكن لعائشة أن تكون امّاً للمؤمنين وتتمتّع بمميّزات هذا

([1]) ينظر: الطبري، تاريخ الرسل، ج3، ص431؛ ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج19، ص430؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج3، ص158؛ أبي الفدا، المختصر في تاريخ البشر، ج1، ص166.

([2])الطبري، تاريخ الرسل،ج3،ص192؛ابن الأثير،الكامل في التاريخ،ج3،ص216.

([3]) ابن عبد ربه، ج5، ص66؛ الباعوني، جواهر المطالب في مناقب الأمام علي بن أبي طالب، ص12.

([4]) ابن أبي الحديد، ج6، ص226.

([5])ابن عبد ربه، ج5، ص66؛ الباعوني، جواهر المطالب في مناقب الأمام علي بن أبي طالب، ص12.

([6]) الطبري، تاريخ الرسل، ج3، ص515.

اللقب، إن قرّت في بيتها وإن لم تفعل فليست للمؤمنين بامّ ولا يمكنه أن يكون ابناً لها . لقد أراد زيد أن يشير إلى ما رسمه وخطه القرآن الكريم[1] في خطابه لأزواج النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وذكّر عائشة به فطالبها بالرجوع إلى بيتها، وأن تترك أمر الرجال للرجال، ودون ذلك فلا حرمة لها ولا حقّ لها بالافتخار بذلك اللقب أو بالقرب من رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم).[2]

لقد أثبت زيد بن صوحان تطبيق رؤيته بصورة عملية، وذلك عندما أطاع وصدق كلام أم المؤمنين أم سلمة، لما وجده مطابقًا لأمر الله ورسوله(صلى الله عليه وآله وسلم) فروي عن أبي عبد الله الحسين (عليه السلام) ، أنه لما سقط زيد شهيدًا في معركة الجمل، جلس أمير المؤمنين (عليه السلام) عند رأسه وقال :" **يرحمك الله يا زيد فقد كنت خفيف المؤونة عظيم المعونة**" فرفع زيد رأسه ثم قال : **وأنت فجزاك الله خيرا يا أمير المؤمنين ما علمتك إلا بالله عليما ... والله ما قاتلت معك على جهالة ولكني سمعت أم سلمة زوجة رسول الله** (صلى الله عليه وآله وسلم) **تقول : سمعت رسول الله** (صلى الله عليه وآله وسلم) **يقول : " من كنت مولاه فعلي مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه وانصر من نصره واخذل من خذله، وكرهت والله أن أخذلك فيخذلني الله ."**[3]

ولابد من إيضاح أن صفة أمومة المؤمنين هي صفة تشريفية منحها الله لزوجات النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) لكنها مشروطة بالحفاظ على طاعة الله ورسوله(صلى الله عليه وآله وسلم)، وعائشة أخلت بتلك الشروط عندما خرجت من بيتها على الإمام الشرعي الواجب الطاعة، وقد روي عن الإمام الحسن العسكري(عليه السلام)ما يؤيد ذلك[4]، ولعل وصيتها بأن لا تدفن مع النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) لأنها أحدثت تعضد هذا الرأي .[5]

وبناءً على ما تقدم نستخلص ما يأتي:

([1]) سورة الأحزاب، الآيات، 27- 34.

([2]) النكراني، الإشراقي، آية التطهير، رية مبتكرة، ص30.

([3]) المفيد، الإختصاص، ص91.

([4]) روي عن الإمام العسكري(عليه السلام) أنه قال: إنّ اللّه تقدّس اسمه عظّم شأن نساء النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، فخصهنّ بشرف الأمّهات، فقال رسول اللّه (صلى الله عليه وآله وسلم):" **يا أبا الحسن، إنّ هذا الشرف باق لهنّ ما دمن للّه على الطاعة، فأيّتهن عصت اللّه بعدي بالخروج عليك فأطلق لها في الأزواج، وأسقطها من شرف أمومة المؤمنين .الطبري الشيعي، دلائل الإمامة، ص512؛ الصدوق، كمال الدين وتمام النعمة، ص 459؛ ابن طاووس، طرف من الأنباء ، ص494.**

([5])ابن سعد، الطبقات،ج8،ص74؛الحاكم،المستدرك على الصحيحين،ج4،ص7؛الذهبي،سير أعلام النبلاء،ج2، ص193. ص193.

1. إن مطالبة عائشة لأهل الكوفة بالجلوس في بيوتهم واعتزال الحرب لا يستند على أسس شرعية وأنه مخالف لأحكام القرآن الكريم، فلم يكن غرضها من تلك الكتب إلا إضعاف جبهة الإمام علي (عليه السلام) لما تيقنت أنه عازم على اللحاق بهم الى البصرة.

2. وعوداً لرواية سيف و دوافعه في التشويش على كتاب عائشة لأبي موسى الأشعري إتضح أنه ابتغى من ذلك التعتيم على موقفه المتخاذل وعدم إظهار تواطئه وانحيازه لأوامر عائشة، ولعل الراوي أراد أيضًا الحفاظ على حديث اعتزال الفتنة الذي لفقه ابو موسى الأشعري، فإظهار مكاتبة عائشة له ستبين تآمره وانحيازه لمعسكرها، وستكشف أن الحديث الذي نسبه للنبي (صلى الله عليه وآله وسلم) هو من تلفيقه، ولابد من القول إن ذلك الحديث الملفق يمثل نظرية تيار الاعتزال التي إعتنقها العديد من المنحرفين عن أمير المؤمنين (عليه السلام) لتبرير عدم نصرتهم له، رغم علمهم أنه ولي الأمر الشرعي الواجب الطاعة، فضلًا عن سماعهم أقوال النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) بأنه والحق لا يفترقان.

فضلًا عن ذلك فإن ابا موسى الأشعري لعب دورًا مهمًا في قضية التحكيم بعد معركة صفين[1] التي بينت انحرافه عن أمير المؤمنين (عليه السلام) [2]، فدان له الإعلام الأموي لذلك الموقف، فأخذوا بتلميع صورته عما يشوبها، في حين طعن الراوي برجال معسكر علي (عليه السلام) ، فدان في روايته موقف زيد بن صوحان وعمار بن ياسر في استنهاض أهل الكوفة واعتراضهما على كتاب عائشة، من خلال روايته التي تكلم فيها عن وصول كتب عائشة للكوفة، إذ اتهم الصحابي عمار بن ياسر على لسان إحدى الشخصيات بأنه رأس الفتنة إشارة الى اتهاماته المسبقة بأنه كان من أتباع ابن سبأ: " **قام رجل من بني تميم فقال لعمار: اسكت أيها العبد أنت أمس معه واليوم تسافه أميرنا**" [3] وأتهم الصحابي زيد بن صوحان بأنه سرق في جلولاء[4]،بقوله: "**فقام إليه شبث بن ربعي** [5] **فقال: يا عماني ... سرقت بجلولاء فقطعك الله**

([1]) ينظر، ابن مزاحم، وقعة صفين، ص540. 546.

([2]) ابن علد ربه، الاستيعاب، ج4، ص1764.

([3]) الضبي، الجمل ومسير عائشة، ص309، الطبري، تاريخ الرسل، ج3، ص498.

([4]) جلولاء: مدينة صغيرة عامرة تقع في العراق؛ على طريق خراسان، تبعد عن بعقوبة 27ميلًا، فتحها المسلمون في عهد عمر بن الخطاب سنة (16هـ/ 637) ينظر: اليعقوبي، البلدان، ج1، ص260؛ الحموي، معجم البلدان، ج1، ص167.

([5]) شبث بن ربعي التميمي اليربوعي، الكوفي، قيل كان مؤذن لسجاح التي ادعت النبوة، ثم أسلم، ثم كان أول من أعان على قتل عثمان، ثم صحب علي (عليه السلام) ، فكان من أوائل الحرورية الخوارج، وهو ممن إشترك بقتال الإمام الحسين (عليه السلام)ثم ولي بعد ذلك شرطة الكوفة لبني لأمية، قيل أنه توفي سنة(80هـ/ 690م). ينظر: البخاري، التاريخ الكبير،ج4، ص266؛العجلي،الثقات،ج1،ص214؛ابن حجر،الإصابة،ج3، ص303.

وعصيت أم المؤمنين فقتلك الله"[1] ولاشك إن سبب تلك الادعاءات هو مواقف كل منهما السابقة في معارضة حكومة عثمان فضلًا عن دورهما بمواجهة و فضح تآمر الأشعري وتحريفه لحديث النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) وكيف رد زيد على رسالة عائشة بحزم، ولم يعبأ بكلامها، دون أن يأخذه في الله لومة لائم.

ولابد من الإشارة الى أن ابن ربعي هذا الذي روى سيف عن لسانه اتهام زيد يفترض أن يكون ممن انضم لمعسكر علي (عليه السلام)، وفقًا لما ورد في ترجمة حياته، وقيل أنه أول من أعان على قتل عثمان[2] لكن على ما يبدو أن عصبية سيف لقبيلته، جعلته يحاول نفي تلك الشبهة عن ابن ربعي كونه من أشراف بني تيم، أولًا ولأنه من أعوان السلطة الأموية التي جهد سيف لتلميع صورتها فأقحمه في ذلك الجدال، بصورة المدافع عن أم المؤمنين.

([1]) الجمل ومسير عائشة، ص309، الطبري، تاريخ الرسل، ج3، ص498.

([2]) العجلي، الثقات، ج1، ص214.

المطلب الثالث / نـهاية مسير السيدة عائشة للبصرة

أولاً: أحداث ما قبيل المعركة :

انتهى مسير عائشة للبصرة، بالحرب التي اشتبك فيها معسكرها مع أصحاب الإمام علي(عليه السلام) ، والتي عرفت بيوم الجمل الأكبر، فيروى أن الإمام علي (عليه السلام) ، عندما أتته أنباء واقعة الجمل الأصغر، كان معسكرا في ذي قار فسارع بالمجيء الى البصرة وكان قد تحشد معه ما يقارب أثنى عشر ألف مقاتل[1]، و قيل أنه دخلها من الزاوية وصلى فيها اربع ركعات وبكى وتضرع إلى الله لدرء الفتنة.[2] والذي تتفق عليه الروايات التاريخية، أنه مكث أيام قبل بدء المعركة، يبعث الوفود والرسل، لقادة معسكر الجمل، لإعطائهم فرصة للرجوع السلمي، والدخول في الطاعة والجماعة[3]، ومن تلك المبادرات:

1ـ إرساله عبد الله بن عباس ووصيته بتجنب الحوارمع طلحة،بقوله:" **فإنك إن تلقه تجده كالثور عاقصاً قرنه ... ولكن القَ الزبيرَ فإنه ألينَ عريكة، فقل له يقول لك ابن خالك : عرفتني بالحجاز وأنكرتني بالعراق فما عدا مما بدا؟!**[4]

2ـ أرسل لهما مع عمران بن حصين:"...**فارجعا أيها الشيخان عن رأيكما ، فانّ الآن أعظم أمركما العار ، من قبل أن يجتمع العار والنار. والسلام** ".[5]

3ـ وفي الإمامة والسياسة أنه كتب لخصوص عائشة ينهاها ويحذرها بقوله: " **أما بعد، فإنك خرجت غاضبة لله ولرسوله، تطلبين أمرا كان عنك موضوعا، ما بال النساء والحرب والاصلاح بين الناس ؟ تطالبين بدم عثمان، ولعمري لمن عرضك للبلاء وحملك على المعصية، أعظم إليك ذنبا من قتلة عثمان وما غضبت حتى أغضبت وما هجت، حتى هيجت، فاتقي الله، وارجعي إلى بيتك**"[6]، أي أنه يشير إلى دور طلحة والزبير بدفعها للحرب معهم واستغلال غضبها لما علمت ببيعته ولعله أيضًا يريد أن غضبها وخروجها مع الناكثين، إشارة الى دورها بالمشاركة بتحشيد الناس ضد حكومته، مما أدى الى تفاقم الأزمة. كما أشار ابن اعثم إلى رسالة أخرى أرسلها إليها في اليوم التالي مع عبد الله بن عباس وزيد بن صوحان

([1]) الطبري، تاريخ الرسل، ج3، ص519.

([2]) المسعودي، مروج الذهب، ج2، ص36؛

([3]) الدينوري، الأخبار الطوال، ص147؛ الطبري، تاريخ الرسل، ج3، ص513؛ المفيد، الجمل، 47.

([4])الشريف الرضي،نهج البلاغة،ص40؛ابن قتيبة،الدينوري،عيون الأخبار،ج1،ص292؛الجاحظ،البيان والتبيين، ص496.

([5]) الشريف الرضي،نهج البلاغة،ص384؛ مكاتيب الإئمة؛ ص115.

([6]) الإمامة والسياسة، ج1، ص90. كما أورد ابن أعثم الكتاب مع إختلاف في بعض الألفاظ "**أما بعد فإنك قد خرجت من بيتك عاصية لله تعالى ولرسوله محمد** (صلى الله عليه وآله وسلم) ...".الفتوح، ج2، ص465.

وقال لهما:" **امضيا إلى عائشة فقولا لها: ألم يأمرك الله تبارك وتعالى أن تقري في بيتك ؟ فخدعت وانخدعت واستنفرت فنفرت، فاتقي الله الذي إليه مرجعك ومعادك، وتوبي إليه فإنه يقبل التوبة عن عباده، ولا يحملنك قرابة طلحة وحب عبد الله بن الزبير على الاعمال التي تسعى بك إلى النار**" [1]

وكانت الردود على تلك المبادرات ردودًا سلبية، تعبر رفض الطرف الآخر للرجوع أو التفاوض، فكانت كالآتي: " .... **أما أنتَ فلستَ راضياً دون دخولنا في طاعتك. ولسنا بداخلين فيها أبدا. فاقضِ ما أنتَ قاضٍ**"[2] وكتبت له عائشة : " **جلّ الأمرُ عن العتاب. والسلام**"[3]. ولم تجبه بشيء على الرسالة الثانية معترفة بأنها ليس لديها شيء ترد فيه على حجج علي(عليه السلام) "**ما أنا برادة عليكم شيئا فإني أعلم أني لا طاقة لي بحجج علي بن أبي طالب**"[4]، وفي بعض المصادر أن الزبير رد بقوله:" **قل له : بيننا وبينك عهد خليفة ودم خليفة، واجتماع ثلاثة وانفراد واحد، وأمّ مبرورة، ومشاورة العشرة**"[5] ويقصد بدم الخليفة : دم عثمان الذي يتهم به علي بن أبي طالب، ووصية خليفة : عهد عمر بن الخطاب بالشورى، واجتماع اثنين : اجتماع طلحة والزبير من أهل الشورى على نقض بيعته وانفراد واحد : انفراد علي بالأمر، وأم مبرورة : عائشة، التي كانت معهم ضد علي[6]. إن هذا الرد من الزبير، يعبر بوضوح عن خطتهم للإطاحة بحكومته(عليه السلام): الأول: استغلال أمومة زوج النبي(عليه السلام). والثاني: الرجوع الى قاعدة الشورى التي وضعها عمر، لعلمهم أنها أفضل وسيلة لتحقيق مبتغاهم.

وفي رواية البلاذري أنه (عليه السلام) لم يتوقف عن مناشدة أصحاب الجمل إلى يوم المعركة فذكر أنه في اليوم الثالث، واقفهم من صلاة الغداة إلى صلاة الظهر، يدعوهم ويناشدهم ويقول لعائشة :" **إن الله أمرك أن تقري في بيتك فاتقي الله وارجعي** ..."[7]. مما يبين أنه (عليه السلام) كان حريصًا على إخراجها من من أرض المعركة، لعلمه ما سيترتب على وجودها من أثر في نفوس المقاتلين، فجاء في مجمع الزوائد أنه خاطبها بنفسه قبل أن يحتدم القتال، وجاء اليها هو وعمار بن ياسر وذكراها بوصية للنبي(صلى الله عليه وآله وسلم) فقال :" **قال: أنشدك بالله الذي أنزل الكتاب على رسول الله** (صلى الله عليه وآله وسلم) **في بيتك، أتعلمين أن**

([1])الفتوح،ج2،ص467.

([2]) الإمامة والسياسة، ج1، ص90؛ ابن أعثم، الفتوح، ج2، ص465.

([3]) الامامة والسياسة ، ج1، ص91؛ الأردبيلي، كشف الغمة في معرفة الأئمة، نج1، ص240.

([4]) ابن أعثم، الفتوح، ج2، ص465.

([5]) الجاحظ، البيان والتبيين، ص496؛ ابن قتيبة، عيون الأخبار، ج1، ص292؛ ابن عبد ربه، العقد الفريد،ج5، ص64. ص64.

([6]) العسكري، أحاديث أم المؤمنين عائشة، ج1، ص214.

([7]) أنساب الأشراف، ج2، ص239.

رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) **جعلني وصيا على أهله وفي أهله؟ قالت: اللهم نعم. قال: فما لك؟ قالت: أطلب بدم أمير المؤمنين عثمان. قال: أريني قتلة عثمان. ثم انصرف والتحم القتال.**"[1]، و زاد صاحب شرح الأخبار أنه قال لها في نهاية كلامه:" **فبإذن من خرجت ؟ ؟ فارجعي، فسكتت، ولم تجبه بكلمة، فناشدها الله (العودة) وكلمها ووعظها فلم تكلمه، فانصرف، ودارت الحرب**"[2]

ومما يثير العجب من شخصية عائشة أنها كانت تعترف بقوة حجة علي (عليه السلام) ، كما تعترف بفضله وإقتدائه بنهج وسيرة رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) ، وفي ذات الوقت، تصر على مخالفته، فيروى عن الزهري أنها عندما رأته في أرض المعركة رافعًا يديه يدعو إلى السماء، فقالت: **ما أشبهه بأخيه !**، فقال لها الرجل الضبي الذي كان ممسكًا بخطام جملها: **ومن أخوه ؟ قالت : رسول اللّه**(صلى الله عليه وآله وسلم) **قال : فلا أراني أقاتل رجلا هو أخو رسول اللّه**(صلى الله عليه وآله وسلم) **، فنبذ خطام راحلتها من يده ومال إليه**"[3] وفي رواية ابن أعثم أنها قالت ذلك لما رأته يقتدي بما فعله رسول الله يوم معركة بدر[4]، فكان يعبأ أصحابه ويوصيهم بقوله:" **أيها الناس غضوا أبصاركم وأكثروا من ذكر ربكم، وإياكم وكثرة الكلام فإنه فشل، قال: ونظرت إليه عائشة وهو يجول بين الصفوف، فقالت : انظروا إليه كأن فعله فعل رسول الله** (صلى الله عليه وآله وسلم) **يوم بدر، أما والله ! ما ينتظر بكم إلا زوال الشمس فقال علي**(عليه السلام) **: يا عائشة !((عما قليل ليصبحن ندمين))**"[5][6].وفي كلتا الروايتين اعتراف من عائشة بأن عليًا (عليه السلام) كان شبيهًا لرسول الله مقتديًا لأثره ونهجه، في إعطاء خصومهم، فرصة الرجوع السلمي وعدم التعجل في الحرب، ولعل ذلك ما جعلها تتنبأ بأنه ينتظر زوال الشمس، وهذا ما حدث فعلًا، رغم أن جماعة من أصحابها كانوا يستفزون جنوده برشق السهام، فكلمه بعض رجاله أن يرد على اعتداءاتهم[7]، لكنه كان يحاول تأخير ذلك، وفي محاولة أخيرة لإلقاء الحجة عليهم، أرسل إليهم غلامًا يحمل المصحف ليحتج

([1]) الهيثمي، ج7، ص238، وقال عن سند الحديث أن رجاله ثقات . ينظر: المجلسي، بحار الأنوار، ج32، ص214.

([2]) القاضي النعمان، ج1، ص125.

([3]) البيهقي، المحاسن والمساوئ، ص43.

([4]) لعل في ذلك اشارة إلى ما روي بأن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، عندما رأى راية قريش يحملها ابليس لعنه الله يوم بدر متمثلًا بصورة سراقة بن مالك، نادى بأصحابه قائلًا: غضّوا أبصاركم وعضّوا على النواجذ ، ولا تسلّوا سيفا حتّى آذن لكم . ثمّ رفع يده إلى السّماء ، وقال : يا ربّ إن تهلك هذه العصابة لا تعبد..."،القمي، تفسير القمي، ج1، ص266؛ البحراني، البرهان في تفسير القرآن، ج2، ص655.

([5]) سورة المؤمنون، الآية (40).

([6]) ابن أعثم، ج2، ص472.

([7]) ابن أعثم، ج2، ص472.

عليهم بكلام الله، لكن الذي حدث أنهم رشقوه بالسهام فقطعت يداه وقتل وهو حامل المصحف فلم يبقَ عذر لقتالهم، ويروى أن أم الغلام رثت ابنها بأشعارٍ تلوم فيه عائشة وأصحابها:

لاهم إنَّ مُسْلِمًا دَعَاهُمْ يَتْلُو كِتَابَ اللَّهِ لَا يَخْشَاهُمْ

وأُمُّهُمْ قَائِمَةٌ تَرَاهُمْ تَأْمُرُهُمْ بِالْقَتْلِ لَا تَنْهَاهُمْ[1]

ويبدو أن عائشة فهمت ما يتركه الاقتداء بفعل رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) من الأثر النفسي في المعركة ولعلها كانت تريد أن تبين لمن شهدوا اقتداء علي (عليه السلام) بالنبي(صلى الله عليه وآله وسلم) أنها أيضًا تتبع نهجه فلا فرق بينها وبينه. فيقول الثعالبي " **ولما حمي الوطيس يوم الجمل وكادت تكون الدائرة على عسكر عائشة غضبت ودعت بكف من حصى فحصبت بها عسكر علي وقالت : شاهت الوجوه. فصاح بها رجل من أصحابه** :" **وَما رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلكِنَّ اللَّهَ رَمى**"[2]، وقد وردت تلك الرواية في أكثر من مصدر منها كتاب الجمل للمفيد وشبه فعلها هذا بفعل رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) مع كفار قريش يوم بدر[3]، وشبهه ابن أبي الحديد بصنيعه يوم معركة حنين [4]، ومما يجدر الإشارة إليه أن في رواية الثعالبي الثعالبي أُبدل اللفظ الوارد في ذيل الرواية، لكن الاستشهاد بالآية الآنفة لا تصح في هذا الموضع، ولا تتلاءم مع الموقف، بل أن ما صحت عليه الرواية في المصادر الأخرى وأقدمها رواية الفتوح أن الرد الذي جاءها كان:" **وما رميت إذ رميت ولكن الشيطان رمى**"[5].وصرح المفيد بأن الرجل هو علي (عليه السلام).

ثانيًا: قيادة المعركة

روى جمع من العلماء، أن معسكر الجمل فقد قائديه في بداية المعركة، فقيل أن الزبير إنسحب من المعركة بعد أن ذكره علي (عليه السلام) بقول رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) له يوماً : "**لتقاتلنّه وأنتَ له ظالم**"[6]. وقيل سبب رجوعه أنه عرف بوجود عمار بن ياسر في جيش علي[1]. وفي الواقع لا يمكن

([1]) الطبري، تاريخ الرسل، ج3، ص521؛ القاضي النعمان، شرح الأخبار، ج1، ص394؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج3، ص262؛ سبط ابن الجوزي، تذكرة الخواص، ص73. وورت الأشعار بإختلاف في اللفظ والترتيب في مصادر أخرى الاطلاع ينظر: البلاذري، أنساب الأشراف، ج2، ص241؛ المسعودي، مروج الذهب، ج2، ص36؛ المفيد، الجمل، ص182؛ ابن ابي الحديد، الشرح، ج9، ص112.

([2]) الإقتباس من القرآن الكريم، ج1، ص192.

([3]) ص186.

([4]) الشرح، ج1، ص257.

([5]) ابن أعثم، 478؛ الجمل، ص186؛ ابن أبي الحديد، ج1، ص257.

([6]) ابن أبي شيبة، المصنف، ج7، ص545؛ أنساب الأشراف، ج9، ص430؛ الحاكم، المستدرك، ج3، ص413.

التعويل كثيرًا على تلك الأخبار لأنه كان يعرف منذ البدء أن عماراً هو مع عليّ ثم هل من المعقول أن يكون نسي حديثًا لرسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بهذه الأهمية يتعلق بصراعه مع علي(عليه السلام) دون أن يتذكره طيلة المدة التي كان يجهز فيها لقتاله حتى ؟! ثم لماذا لم يذكره علي (عليه السلام) بالحديث في الرسائل التي كان يبعثها لهم وترك الأمر إلى أن اصطف الفريقان للقتال؟!

إن من الصعوبة ترجيح سبب انسحاب الزبير المفاجئ من المعركة، إلا إن الثابت أنه لم ينسحب إلا بعد استعار الحرب، فيروى أنه بعد سماعه للحديث حلف ان لا يقاتل وعاد لمعسكره فاتهم بالجبن من قبل عائشة وقيل ابنه عبد الله، فاعتق غلاما له وعاد للحرب[2] ولوصح أن انسحابه كان صحوة وتوبة في اللحظات الأخيرة لوجب عليه أن ينادي أتباعه للرجوع ليجنبهم تبعات القتال التي طالت الفريقين لا أن ينجو بنفسه. وعلى أية حال تنص المصادر أنه خرج إلى وادي السباع، ولحقه رجلًا من بني تميم يدعى ابن جرموز فقتله[3]؛ أما طلحة فروي أنه جاءه سهم غرب فقتله، إلا أن المتفق عليه أن الذي قتله هو مروان بن الحكم ثأرًا لدم عثمان بن عفان[4]، وقد يثير موقف مروان هذا الاستغراب، فقتله لطلحة في ذلك الظرف لا يصب بمصلحته، لأنه سيترك إنكسارً في صفوفهم لا محال، مما يجعلنا نرجح رواية الدينوري التي تنص على أن طلحة هم بالفرار من الميدان كما فعل الزبير؛" **فعلم مروان بن الحكم ما يريده، فرماه بسهم... فنزف حتى مات.**"[5]، فروي أن طلحة كان أول قتيل من معسكر الجمل[6].

والأمر الذي لابد الوقوف عنده هو كيف استطاع جيش المعارضين الصمود ومواصلة المعركة رغم انكساره بمقتل قائديه العسكريين، حيث تقول بعض الروايات أن المعركة استمرت عدة ثلاثة أيام، وفي رواية ابن قتيبة

ـ أما الطبري فأشار إلى زمان الواقعة بروايتين وكلاهما تنص على أن المعركة كانت يومًا واحدًا، فجاء في أحداهما والتي نقلها عن ابي مخنف عن الشعبي: "**حملت ميمنة أمير المؤمنين على ميسرة أهل البصرة**

([1]) البلاذري،أنساب الأشراف،ج2،ص257؛الطبري،تاريخ الرسل،ج3،ص521؛ابن الأثير، الكامل في التاريخ،ج3، ص261.

([2]) ينظر: ابن قتيبة،الإمامة والسياسة،ج1،ص92؛الطبري،تاريخ الرسل،ج3،ص514.

([3]) ابن سعد، الطبقات، ج3، ص111؛ الطبري، تاريخ الرسل، ج4، ص511؛ ابن حبان، الثقات، ج2، ص340؛ ابن عبد البر، الاستيعاب ج2، ص515؛ طقوش، تاريخ الخلفاء الراشدين، ج1، ص447.

([4]) ابن خياط، تاريخ خليفة، ج1، ص181، ص185؛ البخاري، الهداية والإرشاد، ج1، ص317؛ الطبري، تاريخ الرسل، ج4، ص509؛ ابن عبد البر، الاستيعاب، ج2، ص766؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج1، ص35.

([5]) الأخبار الطوال، ص148.

([6]) ابن خياط، تاريخ خليفة،ص138.

فاقتتلوا ولاذ الناس بعائشة رضي الله عنها أكثرهم ضبة والأزد وكان قتالهم من ارتفاع النهار إلى قريب من العصر ويقال إلى أن زالت الشمس..."[1]

والثانية نقلها عن سيف بن عمر:" **ان القتال الأول يستحر إلى انتصاف النهار وأصيب فيه طلحة وذهب فيه الزبير فلما أووا إلى عائشة وأبى أهل الكوفة إلا القتال ولم يريدوا إلا عائشة ذمرتهم عائشة فاقتتلوا حتى تنادوا فتحاجزوا فرجعوا بعد الظهر... فاقتتلوا صدر النهار مع طلحة والزبير وفي وسطه مع عائشة**".[2]

وبغض النظر عن المدة التي استغرقتها المعركة إلا أن كلتا الروايتين تشير إلى ثبات عائشة في ساحة القتال بعد مقتل طلحة والزبير وتصدرها لقيادة المعركة، وفي الوقت الذي جاءت رواية الشعبي بلفظ مخفف للحدث" **لاذ الناس بعائشة**"، جاءت رواية سيف بن عمر بلفظ أكثر وضوحًا بأن المعركة أمست مع عائشة فلو عدنا لكتب المعاجم واللغة لمعرفة معنى "**ذمرتهم**" الذي ورد في كلام سيف نجد: "**الذمر: اللوم والحض معا، والقائد يذمر أصحابه اي يلومهم ويسمعهم ما يكرهون ليكون أجد لهم في القتال.**"[3].والشيء الأهم في نص سيف بن عمر أنه أشار إلى أن الفريقين تنادوا لوقف القتال بعد مقتل طلحة والزبير، أي أن المعركة كانت شبه منتهية، فلولا ثباتها وذمرها لإتباعها لربما كان بإمكان أمير المؤمنين(عليه السلام) السيطرة على الموقف قبل إتساع نطاق المعركة وتزايد القتلى.

ولابد أن نشير إلى تلاعب سيف بن عمر بمجرى الأحداث في ذلك النص لتبرير ثبات عائشة ومواصلتها للقتال، من خلال إلقائه بالمسؤولية على أهل الكوفة الذين يقصد بهم جنود علي(عليه السلام) بقوله: "**وأبى أهل الكوفة إلا القتال ولم يريدوا إلا عائشة**"، ولو دققنا النظر في روايته لوجدنا أنه يناقض نفسه بنفسهِ، فلو أن أهل الكوفة هم من أصر على متابعة القتال لماذا قبلوا بإيقافه بعد هزيمة الطرف الآخر أما كان الأولى بهم استغلال تلك الهزيمة للقضاء على بقية الرموز، كما لم نسمع التاريخ يحدثنا بمثل ذلك الادعاء، بل تناقضها تمامًا إذ أشار ابن أعثم في روايته لأحداث المعركة أنه بعدما قتل طلحة في اليوم الأول أصيب أتباعه بالانكسار بقوله:" **دخل من ذلك على أهل البصرة غم عظيم، وكذلك على عائشة لأنه ابن عمها؛ وجاء الليل فحجز بين الفريقين**" [4]، ثم أشار إلى أن عودتها للحرب كانت في اليوم التالي" **فلما كان من الغد دنا القوم من بعضهم بعض، وتقدمت عائشة على جملها عسكر حتى**

([1]) الطبري، تاريخ الرسل،ج3،ص522.

([2]) تاريخ الرسل،ج3،ص524.

([3]) الفراهيدي،العين،ج8، ص185؛ الهروي، تهذيب اللغة،ج14، ص309؛ ابن منظور، لسان العرب، ج4، ص312.

([4]) الفتوح، ج2، ص479.

وقفت أمام الناس والناس من ورائها وعن يمينها وشمالها... وتقدم كعب بن سور الأزدي حتى أخذ بخطام الجمل وجعل يرتجز..."[1]، وأشار ابن شهر آشوب إلى أن هناك من طلب من عائشة الاستسلام وإنهاء القتال، إلا أنها أبت "**فقالوا: يا عائشة قتل طلحة والزبير وجرح عبد الله بن عامر من يدي علي فصالحي عليا فقالت : كبر عمرو عن الطوق**[2] **وجل امر عن العتاب . ثم تقدمت فحزن علي (عليه السلام) وقال إنا لله وإنا إليه راجعون فجعل يخرج واحد بعد واحد ويأخذ الزمام حتى قطع ثمان وتسعين رجلا ثم تقدمهم كعب بن سور الأزدي"**[3].

مما تقدم يبدو أن عائشة أبت تقبل الهزيمة، وآلمها موت ابن عمها وولده، لذلك رجعت في اليوم التالي لتتولى قيادة المعركة بنفسها من داخل الهودج الذي صنع لها ليحملها على جمل الذي إشتراه لها يعلى بن منية[4].

وقد تواترت الروايات حول الكيفية التي حصن بها ليكون مهيأً لدخول ميدان القتال فروى الصنعاني: "**ركبت عائشة جملا لها يقال له عسكر، وهي في هودج قد ألبسته الدفوف – يعني جلود البقر – فقالت: إنما أريد أن يحجز بين الناس مكاني قالت: ولم أحسب أن يكون بين الناس قتال**"[5]، أما الهودج فقيل رواه ابن قتيبة أنها لما أرادت الخروج للبصرة " **أمرت فعمل لها هودج من حديد و جعل فيه موضع لعينيها**"[6]، ووصف المسعودي ذلك التحصين بقوله: "**وعائشة على جَمَل في هَوْدج من دفوف الخشب قد ألبسوه المسوح وجلود البقر وجعلوا دونه اللبود، وقد غشي على ذلك بالدروع**"[7] وتتفق وتتفق رواية الطبري عن سيف بن عمر مع ما تقدم:" **البسوا هودجها الأدراع...** "[8]. وتضافرت الروايات التي تتحدث عن الكيفية التي حصن فيها الجمل والهودج، وتشير الروايات أن هذا الجمل أختير منذ بدء قرارها بالخروج من مكة، فروي أنهم طلبوا لها جملًا قويًا، فقيل في صفته: **لما عزمت عائشة على الخروج**

([1]) ابن أعثم ،الفتوح ، ج2، ص479.

([2]) اي لم يبق للصلح مجال . وهذه العبارة من أمثال العرب وعمرو هذا هو عمرو بن عدي، وقائلها هو خاله جذيمة ملك الحيرة، للاطلاع على قصته ينظر: الفيروز أبادي، القاموس المحيط، ج1،ص905؛الزبيدي تاج العروس،ج21؛ ص105.

([3]) مناقب أل أبي طالب، ج3، ص158.

([4]) الطبري،تاريخ الرسل،ج3 ص518؛ابن عبد البر،الاستيعاب،ج4،ص1587؛ابن كثير، البداية والنهاية، ج7، ص258.

([5]) المصنف، ج5، ص452.

([6]) ابن قتيبة، الإمامة والسياسة، ج1، ص72.ينظر:البيهقي المحاسن والمساوئ، ص43؛ العصامي، سمط النجوم العوالي، ج2، ص567.

([7]) مروج الذهب، ج2، ص362؛ الخوئي، منهاج البراعة، ج17، ص58.

([8])الضبي، الفتنة ووقعة الجمل، ص157؛ الطبري،تاريخ الرسل، ج3،ص127؛ابن عساكر،تاريخ دمشق،ج25، ص110. ص110.

إلى البصرة طلبوا لها بعيراً أيْداً يحمل هودجها، فجاءهم يعلى بن منية ببعيره المسمى عسكراً، وكان عظيم الخلق شديداً، فلما رأته أعجبها، وأنشأ الجمال يحدثها بقوته وشدته"[1].

فيتضح من تلك التحصينات المسبقة أن عائشة كانت مستعدة ومتهيئة لمرافقة معسكرها لساحة الحرب، ولا صحة للروايات التي تقول أنها جاءت لساحة المعركة بناءً على نداء كعب بن سور لتصلح بها بين الفريقين[2]، وكيف لها أن تصلح بعد أن نشبت الحرب واستعد القتال، وقد أسلفنا أنهم رفضوا كل مبادرات الصلح التي جاءت من الطرف الآخر.

وحقيقة الأمر، أن جمل عائشة وهودجها أمسيا رمزًا ولواءً لأتباعها، حتى قيل أنه لم يكن لهم لواءً غيره، فقتلوا دونه كما تقتل الرجال تحت راياتها تقتل[3]، فاستماتوا للدفاع عنه، فقيل عندما علمت بالهزيمة بالهزيمة الأولى بعد مقتل قائديها؛ كان أول شئ أحدثته أن نادت: "**أيها الناس، إلعنوا قتلة عثمان وأشياعهم، وأقبلت تدعو**، فضج أتباعها بهذا النداء، بعد ذلك أرسلت لعبد الرحمن ابن عتاب وعبد الرحمن بن الحارث : "**أثبتا مكانكما، وذمرت الناس حين رأت أن القوم لا يريدون غيرهما**"[4]، وتصور لنا بعضًا من الروايات ذات الطابع الملحمي، الدور الحماسي الذي لعبته عائشة لاستقطاب أتباعها و حثهم على الثبات لمواصلة القتال ومن تلك الصور:" **قبلت على كتيبة بين يديها فقالت من القوم ؟ قالوا بنو ناجية قالت بخ بخ ! سيوف أبطحية وسيوف قرشية ! فجالدوا جلادا يتفادى منه : صبرا يا بني ناجية**[5] **فاني فاني اعزف فيكم شمائل قريش** . فقتلوا حولها جميعا[6]، " **ثم أطافت بها بنو ضبة فقالت ويها**[7] **جمرة**

([1]) ابن أبي الحديد، الشرح، ج6، ص224؛ المجلسي، بحار الأنوار، ج3، ص138.

([2])الضبي، الفتنة ووقعة الجمل، ص157؛ الطبري،تاريخ الرسل، ج3،ص127؛ابن عساكر،تاريخ دمشق،ج25، ص110. ص110.

([3]) ينظر: ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج5، ص74؛ ابن شهر آشوب، مناقب آل أبي طالب، ج2، ص340؛ ابن ابي الحديد، الشرح، ج2، ص252، ج6، ص227؛ المجلسي، بحار الأنوار، ج2، ص340.

([4])الضبي، الفتنة ووقعة الجمل، ص157؛الطبري تاريخ الرسل، ج3، ص523ابن عساكر، تاريخ دمشق،ج25، ص111؛ ص111؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج3، ص245.

([5]) بنو ناجية نسبة إلى أمهم ناجية زوجة سامة بن لؤي بن غالب القرشي، أخ الجد السابع للنبي (صلى الله عليه وآله وسلم) كعب بن لؤي، فقيل أن سامة خرج الى البحرين مغاضبًا لأخيه كعب ، فلدغته أفعى فقتلته، فمات ولم يعقب، وتزوجة ناجية، رجلًا فأنجبت الحارث، وتوفي والده وهو صغيرا، فنسبته للحارث ، طمعًا في نسب قريش، فكانت قريش تدفعهم عنها، وذكر ابو الفرج الأصفهاني، أن الزبير بن بكار أدخلهم في قريش وسماهم قريش العازبة، لميله إليهم لإجماعهم على بغض علي (عليه السلام). ينظر: الأغاني، ج10، ص383؛ ابن ابي الحديد، ج3، ص126؛ الزبيدي، تاج العروس، ج32، ص425.

([6]) ابن أبي الحديد، الشرح، ج1، ص265؛ الأمين، أعيان الشيعة، ج1، ص458.

([7])ويه : كلمة حث وتحريض ، فإذا أغريت رجلا قلت له ويها يا فلان وهو تحريض كما تقول دونك يا فلان. الزيات وآخرون، المعجم الوسيط، ج2، ص1062.

الجمرات[1]**!** فلما رقوا خالطهم بنو عدي بن عبد مناة وكثروا حولها فقالت:" **من أنتم قالوا: بنو عدي خالطنا إخواننا** فقالت:" **ما زال رأس الجمل معتدلا حتى قتلت بنو ضبة فأقاموا رأس الجمل وضربوا ضربا شديدا ليس بالتعذير**[2] **ولا يعدلون بالتطريف**[3]"[4] .

يتضح من تلك الرواية، أن خطابها لبني ناجية يشير إلى فراسة وعلم بما يؤثر في النفوس، فبنو ناجية كانوا مطعون في نسبتهم لقريش، وكانوا يحاولون إلصاق أنفسهم بها، وقريش تدفعهم عن ذلك، فرفضهم أبو بكر وعمر، وروى علي عن النبي(عليهما الصلاة والسلام) :"**عمي سامة لم يعقب**"[5]، وبالفعل كان تشريفهم بهذا الانتماء قد أثار فيهم النخوة، ودفعهم للاستبسال، فقاتلوا حول جملها حتّى قتلوا . وكذلك هو الحال مع بني ضبة الذين بثت فيهم روح الافتخار بقبائلهم، فيروي الطبري عن عمر بن شبه أنهم استماتوا للدفاع عنها بقوله "**كلما قتل واحد ممن يمسك الجمل يقوم غيره حتى قتل منهم أربعون رجلا**" [6].وكذلك الحال لما فني صناديد ضبة والتف حول جملها الأزد وبني عدي فأثارت حماستهم وعاطفتهم بقولها :" **صبراً فإنّما يصبر الأحرار ما زلت أرى النصر مع بنى ضبّة فلمّا فقدتهم أنكرته** "[7] مما أثار فيهم العاطفة العاطفة والحماسة بهذا الكلام فتفانوا في الدفاع عن جملها كما فعلت قبلهم ضبة، فقاتلوا دونه قتالًا شديداً.[8]

نستخلص مما سبق أن جمل عائشة كان هو الدافع والمحرك للمعركة، فقيل لم يكن يأخذ بخطام الجمل أحد إلا وسالت نفسه أو قطعت يده، ويصور ابن ابي الحديد عن الواقدي ذلك المشهد إنّهم كانوا

([1]) كل قبيل انضموا فصاروا يدا واحدة ولم يحالفوا غيرهم فهم جمرة. وقيل جمرات العرب ثلاث: بنو ضبة بن أد، وبنو الحارث بن كعب، وبنو نمير بن عامر، وقيل، هم يقال: هم عبس والحرث وضبة، وهم إخوة وأمهم امرأة من اليمن. الجوهري، الصحاح، ج2، ص616؛ ابن منظور، لسان العرب، ج4، ص146.

([2])أي ليس فيه تعذير،و التعذير هو التقصير.ابن قتيبة،غريب الحديث،ج3،ص198؛ابن منظور،لسان العرب،ج4، ص547.

([3]) التطريف: أن يرد الرجل على أخريات أصحابه، والمطرف: هو الذي يقاتل أطراف الناس. الزبيدي، تاج العروس، ج24، ص84. ويبدو المعنى هنا أنهم لم يتركوا قلب المعركة إلى طرفها.

([4]) الكامل في التاريخ، ج3، ص247؛ النويري، نهاية الأرب، ج2، ص72؛

([5]) ينظر: ابو الفرج الأصفهاني، الأغاني، ج10، ص383؛ ابن حمدون، التذكرة الحمدونية، ج7، ص376؛ ابن ابي الحديد، ج3، ص126؛ الزبيدي، تاج العروس، ج32، ص425.

([6]) الطبري، ج3، ص527؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج3، ص249؛ ابن كثير، البداية والنهاية،ج7، ص17

([7]) ابن ابي الحديد، الشرح، ج6، ص228.ينظر: الطبري، تاريخ الرسل، ج3، ص527؛ ابن شهر آشوب، مناقب أل ابي ابي طالب، ج2، ص345ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج3، ص249.

([8]) ابن أبي الحديد، ج6، ص228. الطبري، تاريخ الرسل، ج3، ص527؛ ابن شهر آشوب، مناقب أل ابي طالب، ج2، ص345ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج3، ص249.

حول الجمل يحامون عنه، وقد كانت الرؤوس تندر عن الكواهل، والأيدي تطيح من المعاصم، وأقتاب البطون تنزلق من الأجواف، وهم كالجبال الثابتة حول الجمل[1]

وقد تنبه أمير المؤمنين (عليه السلام) لتمحور الناس حول الجمل، لذلك هم بقتله، فعن عبد الله بن الزبير:" **ونادى علي : أُعقروا الجمل فإنه إن عقر تفرقوا، فضربه رجل فسقط، فما سمعت صوتاً قط أشد من عجيج الجمل**"[2]، وروي أنه نادى بأصحابه:" **فإنّ الحرب لا يبوخ ضرامها ما دام حيّاً، انّهم اتخذوه قبلة**"[3]، فعقر الجمل واختلفت المصادر فيمن تولى عقره، لكنها تضافرت على أن المعركة توقفت بمجرد أن برك وسقط عنه الهودج، ففر الناس من حوله كما يفر الجراد. وقيل أن هذا الجمل شوهد منه في ذلك اليوم كل العجب، كلما انبتت منه قائمة من قوائمه ثبت على أخرى ! حتى روي أن أمير المؤمنين(عليه السلام) نادى : أقتلوا الجمل فإنه شيطان.[4]

ومن المدهش حقًا أن تتوقف المعركة فور وقوع الجمل ويترك وهو مغطى كالقنفذ بالسهام كما نصت الروايات، فلم تتوقف لانعدام المقاتلة، بل لأن الرمز المقدس قد تهاوى، كما لو أن القداسة انتقلت من عائشة لتحل في الجمل، كأنه دابة فربانية وكأن القتال لم يكن دائرًا لقتل عائشة أو الدفاع عنها، بل لأجل الجمل الذي يحملها! فلما عقر توقف كل شيء![5]، فأصحاب عائشة يعلمون أنها ماتزال داخل الهودج رغم ذلك تركوها تلاقي مصيرها!

ولابد من الإشارة إلى تحقق نبوءة النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) عن تقاتل الناس حول هذا الجمل وقوله لنسائه: "**ليت شعري أيتكن صاحبة الجمل الأدبب... يقتل عن يمينها وشمالها خلق كثير، وتنجو بعد ما كادت**"[6]، لقد كان كلامه إنذار ونهي واضح من المغامرة التي سارت فيها عائشة وأصحابها.

([1])ابن ابي الحديد، الشرح، ج6، ص228

([2])الطبري،تاريخ الرسل،ج3،ص528؛ابن الأثير، الكامل في التاريخ،ج3،ص252؛ابن مسكويه،تجارب الأمم،ج1، ص500.

([3]) ابن أبي الحديد، الشرح، ج6، ص228؛

([4]) الشريف المرتضى، رسائل الشريف المرتضى، ج4، ص63. ينظر: ابن أعثم، الفتوح، ج2، ص482؛ المفيد، الأمالي، الأمالي، ص59، الطبرسي،الإحتجاج، ج1، ص240؛ الخوارزمي، المناقب، ص189؛ ابن شهر آشوب، المناقب، ج2، ص346.

([5]) جعيط، الفتنة، ص168.

([6]) ابن ابي شيبة، المصنف، ج7، ص538؛ البزاز، المسند، ج11، ص73؛ الزمخشري، الفايق، ج1، ص408؛ الذهبي، الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج2، ص198؛ ابن كثير، البداية والنهاية؛ ج6، ص236؛ الهيثمي، مجمع الزوائد، ج7، ص232.

ثالثًا: موقف الإمام علي(عليه السلام) من السيدة عائشة وجيش الجمل عقب هزيمتهم في المعركة

يبدو أن عائشة بعد سقوط هودجها وفر أتباعها، أيقنت أنه لم يبقى أمامها في هذا الموقف إلا طلب عفو وسماحة علي(عليه السلام) بقولها :"**ملكت فأسجح**"[1][2] وبالفعل امر بتوفير الحماية لها،و حرص أن لايصل لعائشة أحد بعد سقوط الجمل فحملت من بين القتلى وضرب لها فسطاطاً، ثم أنزلوها في دار من دور البصرة لعبد الله بن خلف الخزاعي، فأوكل أخاها محمد بن أبي بكر بتلك المهمة بقوله له:" **شأنك بأختك، فلا يدنو منها أحد سواك**"([3]) .

وهذا الموقف له عدة مبررات، فهو نابع من نبل أخلاقه كونها امرأة ولا يجوز المساس بها وفق أعراف وتقاليد العرب، من باب آخر، فإن حراجة الموقف تحتم عليه حمايتها، فهو مدرك للمكانة التي احتلتها عائشة بين أوساط العامة طيلة الخمسة وعشرين عامًا عقب وفاة النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) ، وأي ضرر يقع عليها، ليس بالبعيد أن تستغله الأطراف المناوئة لرفع شعارات حرب وفتنة جديدة كما حدث في قضية قتل عثمان، وما يصدق تلك الرؤية هو مقالة داهية بني أمية ومستشار معاوية عمرو بن العاص لعائشة بعد المعركة:" **لوددت أنّك قتلت يوم الجمل، قالت : ولم لا أبا لك ؟ قال : كنت تموتين بأجلك، وتدخلين الجنة، ونجعلك أكبر التشنيع على عليّ**"[4]. بل إن هناك من الروايات ما تشير إلى أن معاوية حاول استغلال ما حدث لعائشة وطلحة والزبير لإدانة علي (عليه السلام) فيروى أنه كتب إليه في إحدى مراسلاته قبل وقعة صفين يأنبه ويلومه بقوله: " **ثم كان منك بعدما كان، من قتلك شيخي المسلمين ... وهما الموعودين بالجنة ...هذا إلى تشريدك بأم المؤمنين عائشة، وإحلالها محل الهون، مبتذلة بين أيدي الأعراب وفسقة أهل الكوفة . فمن بين مشهر لها وبين شامت بها . وبين ساخر منها . ترى ابن عمك كان بهذا لو رآه راضيا ... أن تؤذي أهله وتشرد بحليلته**"[5]، يتضح من هذا الكلام مدى الاستعداد الاستعداد الأموي للمتاجرة بقضية وقعة الجمل إعلاميًا للنيل من حكومة علي(عليه السلام) ويرد ابن ابي الحديد على كلام معاوية المزيف للحقيقة بقوله: **أيرضى رسول الله أن تؤذي حليلته أخاه ووصيه، ويضيف لو أنها أقامت في منزلها لم تكن لتبتذل بين الاعراب وأهل الكوفة، ثم أن أمير المؤمنين** (عليه

([1]) أيْ ظفِرْت فأحْسِن، فكانت العرب تقول للرجل إذا قدر: قد ملكت فأسجح.الازهري، تهذيب اللغة، ج4، ص75؛ ابن منظور، لسان العرب، ج2، ص475.

([2])البلاذري، أنساب الأشراف، ج2،ص249؛ الطبري،تاريخ الرسل، ج3، ص520؛المفيد،الأمالي،ص24.

([3])ابن أعثم،الفتوح،ج2،ص482؛الخوارزمي،المناقب،ص189.ينظر:المفيد،الجمل،ص183.

([4])المبرد، الكامل في اللغة، ج1، ص220؛ الأفطسي، المجموع اللفيف، ص77؛ ابن أبي الحديد، الشرح، ج6، ص322.

([5]) ابن ابي الحديد، الشرح، ج17، ص252.

السلام) **أكرمها وصانها وعظم من شأنها**. ثم يقارن على الفرض فيما لو كانت قد خرجت على عمر بن الخطاب، وشقت عصا الأمة عليه ثم ظفر بها، لقتلها ومزقها إربا، ولكن عليا كان حليما كريما[1].

إن من الحقائق التاريخية،التي حاول الرواة والمؤرخين تضليلها على مَر الأزمنة هي حقيقة موقف الإمام علي(عليه السلام) من عائشة والكيفية التي تعامل بها معها، حيث أضفي عليه الضبابية والتعتيم، قدر المستطاع، فروى الطبري عن الزهري:" **فضرب عليها فسطاط، فوقف علي عليها فقال: استفززت الناس وقد فزوا، فألبت بينهم، حتى قتل بعضهم بعضا (في كلام كثير) فقالت عائشة: يا بن ابى طالب، ملكت فأسجح نعم ما أبليت قومك اليوم! فسرحها علي، وأرسل معها جماعة من رجال ونساء، وجهزها، وأمر لها باثني عشر ألفا من المال**"[2]. ولنا أن نتساءل ما هو الكلام الكثير الذي أحجم الطبري وغيره عن ذكره، وماذا دار في حواره معها؟؟

قد نعثر على مغزى هذا الكلام الذي بتره الطبري في روايات غيره من المؤرخين ممن قاربوا عصره ،فروى المسعودي أنه ضرب الهودج بقضيب وقال لها: "**رسول الله** (صلى الله عليه وآله وسلم) **أمرك بهذا ؟ ألم يأمرك أنّ تقرّي في بيتك ؟ والله مّا أنصفك الذين صانوا عقائلهم وأبرزوك!**"[3].وجاء في رواية للبلاذري: "**وانتهى عليّ إلى الهودج فضربه برمحه وقال : " كيف رأيتِ صنيع الله بكِ يا أخت إرم ؟ فقالت : ملكت فأسجح**"[4] وفي رواية أخرى عنده رواها بسنده عن ابن حاطب قال : " **أقبلت مع عليّ يوم الجمل إلى الهودج وكأنّه شوك قنفذ من النبل، فضرب الهودج ثمّ قال : إنّ حميراء إرم أرادت أن تقتلني كما قتلت عثمان بن عفان** "[5]

ويرى أحد المحققين أن الإمام (عليه السلام) أطلق ذلك الوصف عليها، نسبة إلى إرم الكلبة وهو حسب ما ورد في المصادر: اسم موضع قريب من النباج بين البصرة والحجاز كانت فيه حرب أشعلتها امرأة اسمها الكلبة ماتت ودفنت هناك فنسب إليها الإرم وهو العَلَم، ويوم إرم الكلبة من أيام العرب[6]، ورغم أن الرواية بهذا التشبيه لم ترد في مصادر أخرى إلا أن ابن عقدة الكوفي أشار لذلك الكلام برواية

([1]) ابن أبي الحديد، الشرح، ج17، ص252.

([2]) تاريخ الرسل، ج3، ص520؛ ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج3، ص262.

([3]) المسعودي، مروج الذهب، ج2، ص367.

([4]) البلاذري، أنساب الأشراف، ج2، ص 249. ووردت الرواية في مصادر اخرى دون اللفظ الأخير(يا أخت إرم)، ينظر: الصدوق، معاني الأخبار، ص304؛ البري، الجوهرة في نسب النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وأصحابه العشرة، ج6، ص229.

([5]) البلاذري، أنساب الأشراف، ج3، ص170.

([6]) الخرسان، موسوعة عبد الله بن عباس، ج3، ص167. ينظر: البكري، معجم ما إستعجم، ج4، ص1214؛ الحازمي، الأماكن، ج1، ص806. الحموي، معجم البلدان، ج1، ص157.

تنتهي بسندها لمحمد ابن الحنفية وهو شاهد عيان للمعركة، وفيها أنه (عليه السلام) ضرب الهودج بعصا قائلًا: "**هيه يا حميراء أردت أن تقتليني كما قتلت ابن عفّان ؟ ! أبهذا أمرك اللّه أو عهد به إليك رسول اللّه** (صلى الله عليه وآله وسلم) **قالت : ملكت فاسجح**"[1] ،فبذلك نستطيع أن نفهم أن الطبري عتم على كلام أمير المؤمنين لعائشة وما فيه من توبيخ، لما فيها من إدانة وغلظة في المواجهة، كما هو حال روايته لحادثة نفي الصحابي أبي ذر[2]، مما يثير التساؤل عن دوافع الطبري أهي إنتقاء وتبني للروايات التي تأسس لإلقاء مسؤولية أحداث مقتل عثمان وحرب الجمل على عاتق عبد الله بن سبأ (ابن السوداء) وأتباعه السبأية؛ أم لدوافع سياسية ومذهبية ومراعاة للرأي العام في عصره؟

فنجده في الوقت الذي يعتم عما ورد في رواية البلاذري، يروي رواية الزهري الآنفة الذكر، وإلى جانبها رواية أخرى عن سيف بن عمر تصور حوار علي (عليه السلام) وعائشة بصورة لا تمت الى واقع مجرى الحدث ولا تتناسب مع حراجة الموقف وشدته عن سيف بن عمر، فزعم أنه بعد سقوط هودجها انتهى إليها علي يتفقدها بقوله: " **كيف انت يا أمه؟ قالت: بخير، قال: يغفر الله لك قالت: ولك**"[3]. وفي رواية أخرى قال: "**يغفر الله لنا ولكم قالت غفر الله لنا ولكم**"[4]. ويبدو أن الراوي أراد تسوية الأمور بين الطرفين باستغفار أحدهما للآخر، والقول بأن علي(عليه السلام) استغفر للخارجين عليه، وكان يترحم على موتاهم، لإثبات أن الحرب وقعت دون رغبة الطرفين، بتدبير من السبأية فضلًا عن ذلك فإن الراوي حرص دائمًا على الموازنة بينهما، فعندما روى الرواية التي تقول أن عائشة كانت تقول ووددت لو أنني مت قبل عشرين سنة، أضاف أن علي(عليه السلام) لما علم بكلامها قال مثلها:" **والله لوددت أني مت قبل هذا اليوم بعشرين سنة فكان قولهما واحدا**"[5]، ولنا أن نتساءل إن كانت عائشة ندمت بعد أن تيقنت خطأ رأيها، لماذا يندم علي(عليه السلام) ، ألم يكن مأمورًا بقتال الناكثين؟ فكيف يندم على إمتثاله لما أمر به؟! أوليس هو

([1]) مناقب أمير المؤمنين (عليه السلام) ، ج2، ص12؛ المفيد، الأمالي، ص24.

([2]) حيث صرح بأنه اقتصر على رواية العاذرين لبني أمية وهي رواية بن عمر سيف حيث أظهر ابا ذر أحد المتأثرين بأفكار ابن سبأ، أما الروايات الأخرى فأعتذر الطبري بأنه كره ذكرها. ينظر: أحداث سنة 30هـ/650م)، تاريخ الرسل، ج3، ص520؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج3، ص114.

([3]) الضبي، الجمل ومسير عائشة، ص353؛ الطبري، تاريخ الرسل، ج3، ص543؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج3، ص254؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج7، ص272؛ ابن خلدون، المبتدأ والخبر، ج2، ص619.

([4]) الضبي، الجمل ومسير عائشة، ص352؛ تاريخ الرسل، ج3، ص539؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج5، ص92.

([5]) الضبي، الجمل ومسير عائشة، ص361؛ الطبري، تاريخ الرسل، ج3، ص361. وجاء قريب من تلك الرواية المكذوبة على لسان الامام الحسن في حوار مع ابيه (عليهما السلام).ينظر: ابن حماد، الفتن، ج1، ص80؛ ابن سعد، الطبقات، ج5، ص545؛ ابن أبي شيبةج7، ص546؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج1، ص37.

القائل: "**أنا فقأت عين الفتنة لولا أنا ما قوتل أهل النهروان وأهل الجمل، ولولا أني أخشى أن تتركوا العمل لأنبأتكم بالذي قضى الله على لسان نبيكم**(صلى الله عليه وآله وسلم) **عليه وسلم لمن قالتهم مبصرا ضلالتهم عارفا بالهدى الذين نحن عليه**"[1]. وكلامه (عليه السلام) يبين حقيقة موقفه رغم صعوبة الموقف وخطورته، حيث في الطرف الأخر أم المؤمنين فمن يجرؤ على مقابلتها إذا كانت على خطا ؟ إلا أن يكون وصي النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وابن عمه[2] .

في الواقع لم تكن حربه مجرد مواجهة مع شخوص أو خارجين طمعًا في الدنيا، بقدر ما كانت مواجهة للأفكار التي طغت على العقول، فلقب أمهات المؤمنين تقرر بالقرآن الكريم[3]، وأصبح له هالة من القدسيّة والتعظيم ولكن بشرط التقوى، ومع سقوط هذا الشرط لا يبقى لهنّ التفضيل، كما بيّنه قوله تعالى : ((**يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَد مِنَ النِّسَاءِ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ**)) [4]. فكانت حربه لبعض من يُدعى أنّه من العشرة المبشّرين بالجنة كشف لزيف هذه الفكرة فأبطلتها وبثّت الوعي في الأُمّة، ليظهر الحقّ ويُعلم أصحابه وتتكشف أوراق الظلمة عن الناس[5] .

والطريف أن تلك الرواية المسخفة للواقع أصبحت الرواية الرسمية التي رددها كثير من أصحاب التواريخ بعد الطبري متجاهلين روايته الأخرى عن الزهري[6]، بل وأضاف بعضهم بعض الألفاظ كابن كثير الذي أضاف أن عليًا جاء اليها مسلمًا، للتمويه عن غضبه و توبيخه لها[7].

وهناك من أشار لرواية الزهري لكنه بتر الكلام الوارد عن علي(عليه السلام) كابن خلدون فقال :" **ووقف عليها عليّ يعاتبها، فقالت له : ملكت فأسجح نعم ما أبكيت قومك اليوم**"[1]، نلحظ كيف انه بتر

([1]) النسائي، خصائص أمير المؤمنين، (عليه السلام) ، ص146، وأخرجها أيضًا في السنن الكبرى، ج7، ص479، ولم يذكر الا أهل النهروان، وأخرجها المتقي الهندي، كنز العمال، ج11، ص298. وذكر أنه خرجها عن ابن ابي شيبة وحلية الأولياء، لكن الرواية عند الأول طالها التزوير بالتعتيم على أسماء الخارجين عليه(عليه السلام) بالنحو الاتي "...**ولو لم أكن فيكم ما قوتل فلان وفلان وأهل النهر**...".ينظر: المصنف، ج7، ص528؛ الاصبهاني، ج7، ص186. مما يكشف عن أساليب التضليل والتعتيم على الأحداث والمواقف التاريخية سواءًا من النساخ أو من المؤرخين.

([2]) السند، بحوث معاصرة في الساحة الدولية، ص270.

([3]) سورة الأحزاب، الآية (6).

([4]) سورة الأحزاب، الآية (32).

([5]) السند، الحداثة، العولمة ، الإرهاب في ميزان النهضة الحسينية، ص ٢١٥.

([6]) ابن مسكويه، تجارب الأمم، ج1، ص503؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج5، ص92؛ النويري، نهاية الإرب، ج2، ص79؛ ص79؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج7، ص272.؛ ابن خلدون، المبتدأ والخبر، ج2، ص619؛ ابن عماد الحنبلي، شذرات الذهب، ج1، ص206؛ الصلابي، أسمى المطالب، ج1، ص544.

([7]) البداية والنهاية، ج7، ص272.

الرواية وتلاعب بها للتمويه على حقيقة موقف علي(عليه السلام) رغم أن هذا الأخير صرح بأنه نقل مادته التاريخية لأحداث الجمل عن تاريخ الطبري لوثاقته[2]، لكن الذي اتضح هنا أن نقله، يفتقد الأمانة العلمية ولعل دافعه لا يختلف عن غيره من أصحاب التواريخ السياسية.

ويمكننا أن نستخلص مما سبق أن سبب انتقاء أولئك المؤرخين لرواية سيف، لأنها وبكل وبساطة وضعت لتأييد النظرية التي يتبناها أصحاب مدرسة السنة والحديث القائلة بأن الصحابة كلهم عدول وكلهم مغفورةٌ ذنوبهم، وأخطاؤهم ما هي الا إجهاد يثابون عليه، ولإقناع العامة بتلك التناقضات، كان لابد من كتمان كل ما يسيء لرموز تلك النظرية، وقد عبر الذهبي عن ذلك الإجماع بقوله:" **تقرر الكف عن كثير مما شجر بين الصحابة... وهذا فيما بأيدينا وبين علمائنا، فينبغي طيه وإخفاؤه بل إعدامه، لتصفو القلوب، وتتوفر على حب الصحابة، والترضي عنهم، وكتمان ذلك متعين عن العامة، وآحاد العلماء وقد يرخص في مطالعة ذلك خلوة للعالم المنصف، العري من الهوى، بشرط أن يستغفر لهم.**"[3]

ولعلنا نفهم سبب دوافع التمسك بتلك النظرية إذا ما عرفنا أن الحكومات المتعاقبة كانت تستند عليها لتوطيد شرعية غصب م:الخلافة، لاسيما سلطة معاوية ومن خلفه من الأمويين، وتوالى علماء السلطة على اختلاف فرقهم على عدم الخروج عنها، فلكل واحد من الصحابة رأيه في المسائل بصورة عام، من ذلك اختلافهم في مسألة الخلافة، وبما أنهم كلهم عدول، إذن لا مانع على الفقهاء الأخذ برأي أي منهم بما يتفق مع الأهواء والمصالح السياسية والمذهبية[4].

وعودًا لما في كلام الذهبي من دلالة واضحة على أن كثيرًا من الحقائق التي شجرت بين الصحابة تم التعتيم عليها من قبل العلماء بل وحثوا الناس على عدم البحث في تلك الأخبار إلا مع اليقين التام بأنهم مغفور لهم، وبذلك تفشى التضليل بمرور الزمن، وراح البعض إلى إضافة ما يوطد تلك النظرية تبعًا لأهوائهم، فدمجوا بين روايتي الطبري عن الزهري وسيف بن عمر، وأضاف إليها قول عائشة لعلي أنها كانت تريد الاصلاح، وهذا مالم يرد في أي من الروايتين أو غيرهما في المصادر القديمة، فجاءت

([1]) العبر وتاريخ المبتدأ والخبر، ج2، ص621.

([2]) العبر وديوان المبتدأ والخبر، ج2، ص622.

([3]) سير أعلام النبلاء، ترجمة الاشعري، ج10، ص150.ينظر:الأشعري، رسالة الى اهل الثغر، ج1، ص172؛ الباقلاني، عقيدة الأوائل، ج1، ص24؛ النووي، شرح النووي على مسلم، ج18، ص11؛ ابن تيمية، منهاج السنة، ج4، ص311، ص316، ج5، ص146؛ المستدرك على فتاوي ابن تيمية، ج2، نص236.

([4]) فعلى سبيل المثال إتخذ أبو حنيفة قول عمر في الشورى: " **لو كان سالم مولى أبي حذيفة حيّاً لولّيته عليكم**"[4] حجة لجواز خلافة الموالي ولذلك اعتنق الأتراك مذهب أبي حنيفة عندما استولوا على الخلافة وسمّوه الإمام الأعظم. التيجاني، إسألو أهل الذكر، ص85. ينظر: ابن خلدون، المبتدأ والخبر، ج1، ص243.

الرواية كالآتي:"... **ثم جاء علي إلى عائشة فقال: غفر الله لك فقالت: ولك، ملكت فاسجح فما أردت إلا الاصلاح فبلغ من الأمر ما ترى**"[1].

ثم يأتي مؤرخ معاصر، ليتسند على تلك الرواية لإثبات شرعية خروج عائشة للبصرة، وأنها لم تخالف ما أمرها الله به من لزوم بيتها[2]، فلاشك أن ذلك الكاتب لم يكن جاهلًا بأصل النصين، إلا أنه إختار عدم الرجوع للنصوص الأصلية عند الطبري لأنها لا تخدم غاياته في تضليل القراء.

رابعًا:تسيير السيدة عائشة من البصرة:

بعد انتهاء المعركة لم يبق للإمام أمر أهمّه إلاّ إرجاع عائشة إلى بيتها ولمّا كان(عليه السلام) يتّبع أمر النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) في قتاله للناكثين فهو يقتفي ما رسم له، ومن ذلك ما ورد عنه (صلى الله عليه وآله وسلم) بخصوصها في السنة الشريفة المتواترة أنّه قال لعليّ :" **سيكون بينك وبين عائشة أمر، فإذا كان ذلك فارددها إلى مأمنها**"[3] لقد كانت تلك المهمة من الأمور ذات الخطر الّتي أراد عليّ أن يفرغ منها قبل أن يترك البصرة، لتقرّ في بيتها كما أمرها الله[4]. وتكمن تلك الخطورة أنه (عليه السلام) لما أنزلها في دار عبد الله بن خلف، أصبحت ملجئً لفلول الجرحى وغيرهم من أصحابها، فكان لابدّ له من إنذارها بالتهيؤ للرحيل، قبل أن يتعاظم الخطب بطول بقائها[5]، فالبصرة مهيأة لتقبل حركات المعارضة سواءً من الناحية المكانية والمادية أو الإمكانات البشرية والتركيب الاجتماعي وتحزب القبائل، وهذا مالا يتوافر في مكة أو الحجاز بصورة عامة .وعلى الأحرى هذا هو سبب إصرارها على البقاء،."[6] ففي ذلك الموقف المتأزم لا يستبعد التفاف القبائل المهزومة حولها مجددًا للثأر لهزيمتها، كبني ناجية الذين ظلوا معسكرين ولم يبايعوا[7] ويبدو أن ذلك لم يكن غائبًا عن حنكة الأمام(عليه السلام) فضلًا عن معرفته بطبيعة شخصية عائشة وإبائها للتسليم بالهزيمة لذلك عندما رفضت المسير للمدينة، أشار عليه ابن عباس بتركها في البصرة، رفض وأصر على

([1]) اليافعي، مرآة الجنان وعبر اليقظان، ج1، ص81؛ ابن عماد الحنبلي، شذرات الذهب،ج1،ص206؛الآلوسي، مختصر التحفة الأثني عشرية، ج1، ص275.

([2]) الصلابي، أسمى المطالب، ج1، ص544.

([3]) ابن حنبل، المسند، ج45، ص175؛ البزاز، البحر الزخار، ج9، ص326؛ الطبراني، المعجم الكبير، ج1، ص332؛ الهيثمي، مجمع الزوائد، ج7، ص243؛ ابن حجر، فتح الباري، ج3، ص55.

([4]) طه حسين، الفتنة الكبرى،

([5]) الخرسان، موسوعة عبد الله بن عباس، ج3، ص201.

([6]) الشافي في الإمامة، ج4، ص356.؛ الطبرسي، الإحتجاج، ج1، ص241؛ الخوئي، منهاج البراعة، ج9، ص281.

([7]) الثقفي، الغارات، ج1، ص330؛ ابن ابي الحديد، الشرح، ج3، ص127.

إرجاعها بقوله:" **إنها لا تألو شرا ولكني أردها إلى بيتها الذي تركها رسول**(صلى الله عليه وآله وسلم) **فيه فإن الله بالغ أمره**"[1]

فيتضح أن خشيته من فتحها لباب الفتنة مجددًا، جعله يتعجل بترحيلها، وروايات رفضها للعودة إلى بيتها بعد انتهاء المعركة فيها دلالة واضحة على عدم استسلامها، ولعل ذلك ما دفع الإمام(عليه السلام) لإتباع شتى السبل معها وقد تعددت الروايات بهذا الشأن، منها أنه بعث لها مع ابن عباس أن تتهيأ للعودة إلى بيتها الذي أمرت أن تقر فيه، فذهب ابن عباس لبيت ابن خلف وطلب الإذن للدخول عليها فرفضت مقابلته[2]، لكنه دخل و تناول شيئًا وجلس عليه فأنكرت عليه ذلك بقولها: **أخطأت السنة يا ابن عباس مرتين، دخلت بيتي بغير إذني، وجلست على متاعي بغير أمري** "[3] فرد عليها قولها بكلام فيه تأنيب وغلظة ودارت بينهما محاورة إقتضبها البعض كاليعقوبي فنقلها كالآتي:" **نحن علمنا إياك السنة، إن هذا ليس ببيتك، بيتك الذي خلفك رسول الله** (صلى الله عليه وآله وسلم) **به، وأمرك القرآن أن تقري فيه**"[4] وقريب من ذلك في مروج الذهب[5]. وزادت مصادر أخرى بأنه لما بلغها أن أمير المؤمنين(عليه السلام) يأمرها يأمرها بالارتحال إلى المدينة أبت وأبدت عدم اعترافها بولايته وقالت: "**رحم الله أمير المؤمنين ! ذاك عمر بن الخطاب !**" ففهم ابن عباس مقصدها ورد عليها:" **وهذا والله أمير المؤمنين وإن رغمت له الأنوف واربدت له الوجوه !**"[6] وهذا النص من المحاورة تم اختصاره في العديد من المصادر، ومما دار بينهما أيضًا أن ابن عباس واجهها بقسوة بفقدانها لمكانتها السابقة بعد ما أحدثته بقوله:" **لقد كانت أيامك قصيرة المدة ظاهرة الشؤم بينة النكد... حتى صرت ما تأخذين تعطين ولا تأمرين ولا تنهين...**"[7] . وتتفق مصادر الرواية على أن عائشة لم تحتمل هذا الكلام فجاشت في البكاء، ورضخت للأمر الواقع وقالت: "**نعم والله أرحل عنكم، فما خلق الله بلدا هو أبغض إلي من بلد أنتم به يا بني هاشم**"[8]. لكن جاء في

([1]) الشافي في الإمامة، ج4، ص356.؛ الطبرسي، الإحتجاج، ج1، ص241؛ الخوئي، منهاج البراعة، ج9، ص281.

([2]) ابن أعثم، الفوح، ج2، ص486؛

([3]) اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج3، ص183.

([4]) اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج2، ص183؛

([5]) المسعودي، ج2، ص368.

([6]) ابن أعثم، الفتوح، ج2، ص486.

([7]) ابن أعثم، الفتوح، ج2،ص486. ونحوه عند: ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج5، ص76؛ القاضي النعمان، شرح الأخبار، الأخبار، ج1، ص390؛ الشريف المرتضى، الشافي في الإمامة، ابن حمدون، التذكرة الحمدونية، ج7، ص208؛ البري، الجوهرة في نسب النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وأصحابه العشرة، ج2، ص269؛ سبط ابن الجوزي، تذكرة الخواص، ص79.

([8]) ابن اعثم،الفتوح،ج2،ص486.

شرح الأخبار إنها تثاقلت عن الخروج بعد ذلك[1]، وهذا ما يفسر ذهاب أمير المؤمنين(عليه السلام) بنفسه ليكلمها في العودة للمدينة ومن كلامه معها:" **قومي الآن فارحلي واختفي في الموضع الذي خلفك فيه رسول الله** (صلى الله عليه وآله وسلم) **إلى أن يأتيك فيه أجلك**"[2].

ومما أتضح لنا هو تعدد النصوص الواردة في تسيير عائشة للمدينة، وكيف تم حملها على الرحيل رغم ما ابدته من إصرار على البقاء بالبصرة فبعضها يشير أنها خافت لما هددها علي(عليه السلام) بإرجاعها بالقوة إن امتنعت فروى ابن ابي شيبة عن الأحنف بن قيس أنه بعث لها بالرحيل فأبت فأرسل اليها ثانية بقوله: "**والله لترجعن أو لأبعثن إليك نسوة من بكر بن وائل معهم شفار حداد يأخذنك بها . فلما رأت ذلك خرجت.**"[3]، وقيل أنه بعث لها عمار بن ياسر فرفضت "**فبعث إليها بامرأتين وامرأة من ربيعة معهن الإبل، فلما رأتهن ارتحلت**"[4].وروي أيضًا أنه هددها بما كان له من عهد ووصية من رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بخلافته في أهله[5]، فتنص مصادر الإمامية أن تلك الوصاية تتضمن إسقاط شرف شرف الزوجية وامومة المؤمنين عن التي تخالف من نسائه بعد وفاته[6]، وبناءً عليه هددها (عليه السلام) بقوله بقوله :"**إرجعي وإلا تكلمت بكلمة تبرئين إلى الله تعالى ورسوله فارتحلت.**"[7] وعلى أية حال رغم تناقض الروايات إلا أنها تتفق على أمرين: **الأول** استمرار عصيان عائشة لعلي(عليه السلام) ورفضها لطاعته، **الثاني:** إنها رضخت للأمر الواقع في النهاية، وأنه جهز رحلها بكل ما تحتاجه من متاع وزاد وحراسة.[8]

([1]) القاضي النعمان، ج1، ص392.

([2]) ابن أعثم، الفتوح،ج2،ص482.

([3]) المصنف، ج7؛ ص545؛ المفيد، الجمل، ص83؛ الكافئة، ص30؛ المجلسي، بحار الأنوار، ج32، ص275.

([4]) المفيد، الكافئة، ص30؛ المجلسي، بحار الأنوار، ج32، ص275.

([5])ينظرالحديث:ابن حنبل،المسند،ج2،ص650؛فضائل الصحابة،ج2،ص225؛المقدسي،الأحاديث المختارة،ج2، ص131. ص131.

([6]) ينظر: ابن سعد، الطبقات، ج8، ص208؛ الفضل بن شاذان، الإيضاح، ص79؛ ابن أعثم، الفتوح، ج2، ص484؛ القاضي النعمان، شرح الأخبار،ج1، ص211؛ ص392، ج2،ص190؛ الصدوق، كمال الدين، ص359؛ المفيد، الكافئة، ص31، ابن شهر آشوب، فضائل آل أبي طالب، ج1، ص397؛ الطبري الشيعي، دلائل الإمامة، ص511؛ الطبرسي، الإحتجاج، ج1، ص294؛ ص200؛ ابن أبي الحديد، الشرح، ج18، ص65؛ ابن طاووس، طرف من الإنباء، ص493؛ الخوئي، منهاج البراعة، ج3، ص88؛ العاملي، مختصر مفيد، ج5، ص146.

([7]) المفيد، الكافئة، ص31؛ ابن شهر آشوب، ج1، ص397؛ المجلسي، بحار الأنوار، ج32، ص275.ينظر: ابن أعثم،الفتوح، ج2، ص484؛القاضي النعمان،شرح الأخبار، ج1، ص211.

([8]) اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي،ج2، ص346؛ الطبري، تاريخ الرسل، ج3، ص547؛ ابن أعثم، الفتوح، ج2، ص484؛ المسعودي، مروج الذهب، ج2، ص368.

لكن ثمة أخبار واردة لابد من الوقوف عندها فروي أن الإمام (عليه السلام) "**وجه معها سبعين امرأة من عبد القيس في ثياب الرجال، حتى وافوا بها المدينة**"[1]، وأنه أمرهن بعدم إخبارها بحالهن[2]، وأشار الى ذلك المسعودي وزاد بأنه بعث رجالًا ونساءً وأنه أمرهن بتقلد السيوف ولم تعرف حقيقتهن حتى وصلت المدينة وأنها لم تعرف حقيقتهن حتى وصلت المدينة "... **وكن اللاتي تلين خدمتها وحملها**" [3]، ويروي ابن أعثم أن عائشة كانت تقول في الطريق:" **فعل بي علي وفعل، ثم وجه معي رجالا يردوني**" [4] فلما كشفن عن وجوههن استرجعت واستغفرت وقالت : "**هذا ما لقيت من ابن أبي طالب.**"[5]. إن صح ذلك الخبر؛ فالأحرى أنه كان إجراءً احتياطيًا من قبل علي (عليه السلام) لحراسة عائشة خشية أن يغتالها أحد في الطريق بدافع الانتقام كما فعل ابن جرموز بابن الزبير[6]،أو بدافع تأجيج الفتنة عليه، وفي كلتا الحالتين سيحمله المتربصون المسؤولية كما حدث بعد قتل عثمان، ولعله أيضًا كان يخشى من التقائها في الطريق بأحد الزمر المعارضة له والمتربصة من الأمويين أو أتباعهم، فيلتفوا حولها من جديد لإشعال الفتنة، مما قد يترتب عليه تمردها أو امتناعها عن إكمال المسير، فيبدو أنه أراد ردعها عن أي محاولة للعصيان وبالطبع لم يكن من الجائز تكليف رجالًا غرباء بمهمة حراستها، لأنه أحرص الناس على حفظ عرض النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) من ذلك قوله لأخيها محمد بعد عقر الجمل:" **شأنك بأختك، فلا يدنو منها أحد سواك**"([7]). فالواضح أنه ترك مهمة ملازمة عائشة وحملها وخدمتها للنساء، ومن خلفهن الرجال للحراسة أما أمره لهن بالتنكر وعدم إشعار عائشة فلا مبرر له إلا أن يكون قد أراد تخويفها وردعها عن أي محاولة للتمرد أو العصيان.

([1]) اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج2، ص346.

([2]) ابن أعثم، الفتوح، ج2، ص484

([3]) المسعودي، مروج الذهب، ج2، ص368.

([4]) الفتوح،ج2، ص484.

([5]) الفتوح، ج2، ص484. وفي رواية المسعودي أن ذلك كان لما وصلت المدينة وسألها أهلها عن حن حالها. ينظر: مروج الذهب، ج2، ص368.

([6]) ابن سعد، الطبقات، ج3، ص110.112؛ ابن خياط، تاريخ خليفة، ج1، ص186؛ الدينوري، الأخبار الطوال، ج1، ص148.

([7])ابن أعثم،الفتوح،ج2،ص482؛الخوارزمي،المناقب،ص189.ينظر:المفيد،الجمل،ص183.

خامسًا: خطبة السيدة عائشة عند رحيلها وتسوية الخلاف:

في حين نجد أن ذلك الحدث التاريخي تم نقله بصورة بعيدة كل البعد عن مجرى الأحداث والمنطق فتناقل العديد من أصحاب التواريخ رواية الطبري عن سيف بن عمر التي مفادها أن الخلاف بين الطرفين تم تسويته قبل رحيل عائشة فبعد أن ذكر الراوي تجهيز الإمام (عليه السلام) لرحل عائشة وإرساله أخاها محمد وأربعين امرأة معها، ينص على أن الجميع خرجوا لتشييعها وتوديعها بما فيهم علي (عليه السلام) في مشهد درامي بعيد عن المنطق فقال: " **فلما كان اليوم الذي ترتحل فيه جاءها حتى وقف لها وحضر الناس فخرجت على الناس وودعوها وودعتهم وقالت يا بني تعتب بعضنا على بعض استبطاء واستزادة فلا يعتدن أحد منكم على أحد بشيء بلغه من ذلك إنه والله ما كان بيني وبين علي في القديم الا ما يكون بين المرأة وأحمائها وإنه عندي على معتبتي من الأخيار**." وقال علي(عليه السلام) : " **يا أيها الناس صدقت والله وبرت ما كان بيني وبينها الا ذلك، وإنها لزوجة نبيكم** (صلى الله عليه وآله وسلم) **في الدنيا والآخرة**"[1].

لاشك أن تلك الزيادات التي تصب بمصلحة عائشة وأتباعها هي من وضع الراوي بدافع التبرير وتهوين ما صدر منها بالقول إن خروجها على علي (عليه السلام) لم يكن إلا بدافع الاستعتاب الشخصي، وأن خلافها معه تم تسويته بذلك التوادع وهذا ما راح إليه البعض[2] ويبدو أن الراوي أراد إرجاع ذلك الى عتبها عليه لموقفه منها في حادثة الإفك وقد نوهنا سابقًا إلى أن تلك القضية هي من افتراء الرواة أيضًا، ثم إن خطبة عائشة تلك هي مما انفرد به سيف وقد خالف فيها كل النصوص الواردة في عصيانها للرحيل، وما روي من ذمها لعلي(عليه السلام).

وإن صح مثل ذلك الكلام من عائشة، فهل يعد مبررًا لحربها لعلي (عليه السلام) فقط لأجل حساسيتها الشخصية تجاهه، مع اعترافها بعدالته وأنه من الأخيار، وهل هذا مبررًا كافيًا لإقحام آلاف من الناس والتسبب بإراقة دمائهم، فأين ذهبت مزاعم الدعوة إلى الاصلاح والطلب بدم عثمان؟! من باب آخر، هل يصح من علي(عليه السلام) موافقتها على ذلك المنطق والشهادة بأنها صدقت وبرت بما معناه أنه لا تزال تحتفظ بمقام أمومة المؤمنين!

([1]) الضبي، الجمل ومسير عائشة، ص369؛ الطبري، تاريخ الرسل، ج3، ص547؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج5، ص94؛ النويري، نهاية الإرب، ج20، ص84؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج7، ص274.

([2]) ينظر: المظفر، دلائل الصدق، ج1، ص62.

في الواقع لو تتبعنا ما نسبه سيف للإمام(عليه السلام) ، لا نجد له أساسًا من الصحة، بل أن الشطر الأخير منه منسوبًا للصحابي عمار بن ياسر ولا يخلو من الدس أيضًا[1]، والأهم من ذلك إنه يناقض بصورة واضحة النص القرآني المخاطب لنساء النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) **((يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا))**[2]، فضلًا عما روي عن النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) من قوله لنسائه: "**أيكن اتقت الله ولم تأت بفاحشة مبينة ولزمت ظهر حصيرها فهي زوجتي في الآخرة**"[3].ولا شك أن الغاية منه تفخيم مقام عائشة، وإخلاء مسؤوليتها من التسبب في تلك الوقعة التي أزهقت أرواح المسلمين، وفرقت شملهم، وإلقاء اللوم على ابن سبأ والسبأية، فادعى سيف أن ثمة صلح كاد أن يقع بين المعسكرين قبل بدء المعركة، بوساطة القعقاع [4]، وبات الطرفين في خير ليلة، لولا تدخل ابن سبأ وأتباعه، لإفساد الصلح، خشية من أن ينفذ بهم القصاص بدم عثمان، فأتمروا بينهم ونشبوا القتال واندلعت الحرب دون علم أو اختيار من قادة الطرفين، بعد أن خرجت الأمور عن السيطرة[5] و تلك الرواية هي خلاصة أسطورة سيف التي ابتغى منها إدانة خواص الإمام علي (عليه السلام) ، ومن تشيع له والطعن بمعتقداتهم والقول إنها من الأفكار اليهودية التي بثها ابن سبأ.[1]

([1]) فروي أنه لما بعثه الإمام (عليه السلام) مع ولده الحسن (عليه السلام) لإستنفار أهل الكوفة صعد المنبر وقال: "**إن عائشة قد سارت إلى البصرة، ووالله إنها لزوجة نبيكم** (صلى الله عليه وآله وسلم) **في الدنيا والآخرة، ولكن الله تبارك وتعالى ابتلاكم، ليعلم إياه تطيعون أم هي**". صحيح البخاري، ج9، ص55.ينظر:ابن حماد، الفتن، ج1، ص86؛ البزاز، البحر الزخار، ج4، ص242. والواضح أن تلك الرواية هي مما طالته أيدي الوضاعين، والمزورين، بدس لفظة (والآخرة)؛ فظاهر الرواية يدل بوضوح على أن طاعتهم لعائشة فيها معصية وإبتلاء من الله، ثم كيف لعمار أن يقسم على أمر في علم الغيب، كما أن ابن حجر روى الرواية من طريق آخر دون ذكر لفظ (في الدنيا والآخرة).فتح الباري، ج3، ص58. وينظر أيضًا: الثقفي، الغارات، ص115؛ المفيد، الجمل، ص142.

([2]) سورة الأحزاب، الآية (32).

([3]) ابن سعد، الطبقات، ج8، ص208؛ المتقي الهندي، كنز العمال، ج12، ص142.

([4]) القعقاع بن عمرو التيمي، كوفي، قيل أنه روى عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) و شهد وفاته، وهذا ما ضعفه وشكك به كل من ترجم له، لأن أخباره لم ترد إلا من طريق سيف بن عمر المتروك عند علماء الحديث، وأضافوا بأنه صاحب البطولات في حروب فتح العراق وفارس، شهد الجمل وصفين مع علي (عليه السلام) . وعده العلامة العسكري في بحوثه القيمة أنه من الشخصيات التأريخية التي اختلقها سيف بن عمر، فليس له ذكر عند أي من رواة القرن الأول أو الثاني سوى سيف بن عمر، ونقلها عنه الطبري، فسرت أخباره في كتب التراجم والتاريخ المتأخرة. ينظر: ابن عبد البر، الاستيعاب، ج3، ص1283؛ ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج49، ص352؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج2، ص378؛ ابن حجر، الإصابة، ج5، ص342.؛ العسكري، خمسون و مائة صحابي مختلق ، ج ١، ص95.

([5]) أورد سيف بن عمر أسماء الشخصيات (السبئية) التي زعم أنهم تآمروا لإفساد الصلح، وكان من ضمنه شخصيات من خلص قادة الأمام علي (عليه السلام) كمالك الأشتر، و الصحابي عدي بن حاتم الطائي، فقال: " **فاجتمع نفر منهم علباء بن**

ويكفينا لرد رواية ذلك الصلح المزعوم ما خلص إليه العلامة مرتضى، بأن القعقاع صاحب الوساطة هو من الشخصيات المختلقة من سيف، ولا وجود له في كتب التراجم والتاريخ المتقدمة، فهل يعقل أن شخصي لعبت هذا الدور المهم، في التاريخ الإسلامي لا تعرف أخباره حتى يأتي سيف بن عمر في أواسط القرن الثاني ليعرفه [2].ان الصلح المزعوم لا وجود له عند غيره من الرواة . كما انها تثير الدهشة، فقال أنهم بعد انتهاء تعبئة وتقسيم الفريقين لجيوشهما:" **فتواقفوا وتكلموا فيما اختلفوا فيه فلم يجدوا أمرا هو أمثل من الصلح ووضع الحرب حين رأوا الأمر قد أخذ في الانقشاع، وأنه لا يدرك، فافترقوا عن موقفهم على ذلك** "[3] .وعند تتبع الرواية سنلحظ أنها لم تذكر شيئًا عن بنود الصلح، فهل يعقل أن حدثًا بتلك الضخامة والجيوش الهائلة،ينتهي بكلمتين فتواقفوا وتكلموا؟! والأهم من ذلك هو بقاء المعسكرين على تعبئتهما، فما الذي منع البصريين على الأقل من العودة لمنازلهم إن كان الله قد مَن على الجميع بالصلح؟ إن دعوى الصلح لا أساس لها من الأصل وهي مردودة بالكثير من الشواهد التي أوجزها أحد المحققين[4]

أما اختيار الطبري ومن نقل عنه من المؤرخين لتلك الرواية الهزيلة، فسببه يعود دون شك للأسباب السياسية والمذهبية ومراعاة الرأي العام، التي نهجتها الحكومات المتعاقبة لتخفيف المسؤولية عن الصحابة والشخصيات المتسببة بتلك الوقعة الأليمة وغيرها من الحوادث ، لإضفاء الصفة الشرعية لتلك الشخصيات ومن ثم الحكومات التي عقبتها ، أي منظومة الخلافة التي تناقلها أولئك الحكام دون وجه حق بعد رحيل رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) للرفيق الأعلى .

الهيثم وعدي بن حاتم وسالم بن ثعلبة العبسي وشريح بن أوفى بن ضبيعة والأشتر في عدة ممن سار إلى عثمان ورضي بسير من سار وجاء معهم المصريون: ابن السوداء وخالد بن ملجم وتشاوروا ..." الضبي، الفتنة ووقعة الجمل، ص147. الطبري، تاريخ الرسل، ج3، ص507.

([1]) الضبي، الفتنة ووقعة الجمل، ص145؛ الطبري، تاريخ الرسل، ج3، ص502؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج5، ص85؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج3، ص233.

([2]) ينظر، العسكري، خمسون و مائة صحابي مختلق، ج ١، ص95؛ المالكي، نحو إنقاذ التاريخ، ص73.

([3]) الضبي، الفتنة ووقعة الجمل، ص155؛ الطبري، ج3، ص518؛ ابن مسكويه، تجارب الأمم، ج1، ص47؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج3، ص492؛ ابن خلدون، المبتدأ والخبر، ج2، ص617.

([4]) ينظر: المياحي، النظرية السبئية في منظور ابن تيمية، ص242.

المطلب الرابع/ موقف السيدة عائشة من الإمام علي(عليه السلام) وخصومه بعد حرب الجمل :

اتضح فيما سبق الدور الخطير الذي لعبه معاوية والأمويين بتأجيج حرب الجمل، فكان معاوية العقل المدبر لها رغم عدم ظهوره في الصورة، بتسخير رجالاته كمروان بن الحكم وولاة عثمان المعزولين.

ورغم انتصار حكومة الإمام علي(عليه السلام)، في حرب الجمل، إلا أنها خلفت آثارًا سيئة لعيدة المدى فقد فتحت باب الاستيلاء على الخلافة بقوة السلاح، فيقول الشهرستاني في ذلك:" **ما سل سيف في الإسلام كما سل في الأمامة**"[1]، وقد لخص الأستاذ محمد جواد تلك الآثار بقوله: لولا حرب الجمل لما كانت حرب صفّين والنّهروان ولا مذبحة كربلاء ووقعة الحرّة، ولا رميت الكعبة المكرمة، بالمنجنيق أكثرمن مرّة، ولا كانت الحرب بين الزّبيريين والأمويين، ولا بين الأمويين والعبّاسيين .ولما افترق المسلمون إلى سنّة وشيعة، ولما صارت الخلافة الإسلاميّة ملكا يتوارثها الصّبيان، ويتلاعب بها الخدم والنّسوان "[2].

وكان من أول تلك الحروب المترتبة هي معركة صفين التي قادها معاوية، ضد حكومة الامام علي(عليه السلام) تحت نفس الشعار الإعلامي لحرب الجمل، وهو الطلب بدم عثمان، بعد فترة وجيزة من انتهاء معركة الجمل عام (37هـ/657م)[3].

لذا اقتضت الدراسة تسليط الضوء على موقف السيدة عائشة من تلك الأحداث السياسية ، وفي الواقع لم أعثر على نصوصٍ تاريخية تبين أن لها دور فعلي أو مباشر في تلك المعركة، سوى ما رواه الشريف الرضي وقال أنه عن محمد بن إسحق: أن عائشة لما رجعت إلى المدينة " **لم تزل تحرض الناس على أمير المؤمنين عليه السلام وكتبت إلى معاوية وإلى أهل الشام مع الأسود بن أبي البختري[4] لتحرضهم عليه** "[5].

([1]) ج1، الملل والنحل، ص2.

([2]) مغنية، فضائل الإمام علي(عليه السلام)، ج1، ص2.

([3]) للأطلاع على حوادث معركة صفين وقضية التحكيم، ينظر: البلاذري، أنساب الأشراف، ج2، ص275؛الطبري، تاريخ الرسل، ج4، ص20.

([4]) الأسود بن أبي البختري، واسم أبي البختري العاص بن هاشم بن الحارث ابن أسد بن عبد العزى بن قصي بن كلاب القرشي الأسدي، وأمه عاتكة بنت أمية بن الحارث بن أسد.أسلم الأسود يوم الفتح، وصحب النبي(صلى الله عليه وسلم وآله) أبوه أبو البختري قتل يوم بدر كافرا، قيل ان الناس اصطلحوا عليه في المدينة ايام علي (عليه السلام) ومعاوية،ابن الاثير،الكامل في التاريخ،ج1،ص 223،ابن عبد البر،الأستيعاب،ج1،ص 221.

([5]) الشافي في الإمامة، ج4 ، ص206؛ الطوسي، تلخيص الشافي، ج4، ص158؛ الطبرسي،الإحتجاج،ج1،ص241؛ المجلسي، بحار الأنوار، ج28، ص150.

ولم أجد لتلك الرواية أثرًا فيما إطلعت عليه من المصادر التأريخية، سوى ما ذكر في بعض المصادر عن زفر بن الحارث[1]: " **كنت رسول معاوية إلى عائشة بوقعة صفين فلما قدمت عليها قالت من قتل من الناس قلت عمار بن ياسر قالت ذاك رجل يتبعه الناس في دينه قالت: ومن قلت: هاشم الأعور قالت ذاك رجل ما كادت أن ترد رايته قال: ثم نمت عن صلاة العشاء فأراد بعض أهلها أن يوقظني فقالت: دعوة فإنه رجل قد أدأب السير ولا يضره أن يؤخر هذه الصلاة إلى ثلث الليل أو نصف الليل** "[(2)]، والواضح من هذين الخبرين أن ثمة مراسلات كانت بين الطرفين في تلك الفترة.

والجدير بالذكر أن معاوية كان يتاجر بما حدث لعائشة وطلحة والزبير، كما هو الحال بقضية مطالبته بدم عثمان، ضمن حربه الإعلامية ضد حكومة الإمام علي(عليه السلام) فكتب في إحدى كتبه للإمام علي (عليه السلام):" **ثم كان منك بعدما كان، من قتلك شيخي المسلمين ... وهما الموعدين بالجنة، ...هذا إلى تشريدك بأم المؤمنين عائشة وإحلالها محل الهون، مبتذلة بين أيدي الأعراب وفسقة أهل الكوفة، فمن بين مشهر لها، وبين شامت بها. وبين ساخر منها ...** "[(3)] .

لكن على ما يبدو أن العلاقة ساءت بعد ذلك بعد حادثة مقتل أخيها محمد بن أبي بكر البشعة على يد حكومة معاوية والتمثيل به بحرقه في جوف حمار، فيروى أن تلك الحادثة أثرت بعائشة، وأنها حلفت أن لا تأكل بعده الشواء[(4)]، فضلًا عما روي من شماتة أم حبيبة بنت أبي سفيان فروي أنها أظهرت الإبتهاج بالخبر وأمرت بشواء كبش وبعثت به لعائشة تقول: "**هكذا شوي أخوك**"[(5)]، وقد أشار الطبري أنها أنها بعد مقتل أخيها كانت تدعي على معاوية وعمرو بن العاص في دبر الصلاة جزعًا على أخيها[(6)].

([1]) زفر بن الحارث أبو الهذيل سمع من عائشة ومعاوية، سكن البصرة وكان في جيش البصرة الذي خرج لإعانة عثمان في الحصر وانتقل إلى الشام بعد الجمل وشهد صفين أميرا على أهل قنسرين، كان رسول معاوية الى عائشة بوقعة صفين، وشهد وقعة مرج راهط زبيريا مع الضحاك بن قيس وأصيب له يومئذ ثلاث بنين ، ثم هرب ولحق بقرقيساء من أرض الجزيرة فتحصن بها، قيل مات أيام عبد الملك بن مروان. ينظر: ابن عساكر،تاريخ دمشق،ج19،ص35،ابن العديم، بغية الطلب، ج8، ص3796؛الصفدي، الوافي في الوفيات، ج14، ص134.

([2]) ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج9، ص35، ابن العديم، بغية الطلب في تاريخ حلب، ج8، ص3796،

([3]) ابن ابي الحديد، الشرح، ج17، ص252.

([4]) ابن بكار، جمهرة نسب قريش،ج2،ص الثقفي،الغارات،ج1،ص188؛الزمخشري، ربيع الأبرار، ج1، ص164.

([5]) الكندي، الولاة و القضاة،ص30؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج5، ص152؛ الدميري، حياة الحيوان، ج1،ص350؛ الديار بكري، تاريخ الخميس، ج2، ص239.

([6]) تاريخ الرسل، ج4، ص79؛ابم الأثير،الكامل في التاريخ، ج3، ص357؛ابن أبي الحديد،الشرح، ج6، ص88.

أما بالنسبة لموقف عائشة من حرب الإمام علي(عليه السلام) **للخوارج**[1] فتشير المصادر التأريخية إلى أنها تصدت لتلك الحركة بإظهار الأحاديث الغيبية التي سمعتها من رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) ، فروي أنه بعد إنتهاء معركة النهروان، رجع أتباع أمير المؤمنين (عليه السلام) من أنصار المدينة وهم قرابة السبعين رجلًا، فبادرتهم عائشة بالسؤال عن ماهية تلك الحركة آراءها، فقال لها أبو قتادة الأنصاري: "**يسبون أمير المؤمنين،وعثمان،وأنتِ ويكفرونكم، فلم نزل نقاتلهم وعلي(عليه السلام) بين أيدينا ... فقالت:" ما يمنعني ما بيني وبين علي أن أقول الحق. سمعت النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) يقول: تفترق أمتي على فريقين،تمرق بينهما** فرقة محلقون رؤوسهم،محفون شواربهم،أزرهم إلى أنصاف سوقهم،يقرؤون القرآن،لا يتجاوز **تراقيهم،يقتلهم أحبهم إليّ، وأحبهم إلى الله تعالى** ."[2] ويبدو أن الأمويين كانوا يبثون دعاياتهم للتشكيك بفضيلة الإمام (عليه السلام) التي أخبره بها نبيه (صلى الله عليه وآله وسلم) وهي قتله لزعيم الخوارج الملقب بذي الثدية [3]، فروى ابن كثير أنها لما علمت بذلك الخبر قالت: " **لعن الله عمرو بن العاص، فإنه زعم لي أنه قتله بمصر**" ثم بكت وقالت:" "**رحم الله عليا لقد كان على الحق وما كان بيني وبينه إلا كما يكون بين المرأة وأحمائها**" [4].

([1])هم الذين خرجوا على علي(عليه السلام)، بعد أن اضطروه الى التحكيم في حربه لمعاوية ،في صفين، وكان يطلق عليهم الحرورية نسبة لقرية قرب الكوفة فقاتلهم وهزمهم في معركة النهروان عام37هـ ثم افترقوا الى عدة فرق ذات أهواء آراء متعددة، لكن ما أجمعوا عليه أول نشأتهم هو تكفيرهم للأمام علي (عليه السلام) لقبوله التحكيم، وعثمان لما أنكروا عليه من أفعال،وطلحةوالزبير وعائشة لخروجهم لحرب الجمل.ينظر:البغدادي،الفرق بين الفرق،ج1،ص54،ص99؛الشهرستاني،الملل والنحل،ج1، ص114.

([2]) البغدادي،تاريخ بغداد،ج1،ص503؛ العاملي، الدر النظيم، ص334. ينظر: الهيثمي، كشف الأستار عن زوائد البزار، ج2، ص363؛محمع الزوائد،ج6، ص239؛ابن حجر، فتح الباري،ج12، ص286.

([3]) ذو الثُّديَّة شيخ الخوارج وكبيرهم الذي علَّمهم الضلال، وقيل هو حرقوص بن زهير ذو الثدية، قيل أيضا أنه نفسه ذي الخويصرة، رأس المارقة،أراد رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) استئصال شأفة عيثه وفساده في الأرض فأمر بقتله، لكن رياء هذا المارق بتخشعه في صلاته غر الشيخين فكرها قتله وآثرا استحياءه ! فلما قصده عليّ(عليه السلام) لم يره، وأخبره النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) أنه سيقتل على يده ؛فقتله يوم النهروان. ينظر: ابن بشكوال، غوامض الأسماء،ج2، ص543؛ابن الأثير، أسد الغابة، ج2،ص20؛ ابن ابي الحديد الشرح، ج2، ص268، ج13، ص183.

([4]) البداية والنهاية. وينظر: ابن حجر، فتح الباري، ج9، ص289. وفي رواية الهيثمي جاءت لفظة فلانًا عوض أسم عمرو. دلائل النبوة، ج6، ص435 ومر بنا في رواية سيف بن عمر أنها قالت هذا الكلام وهي مودعة الجموع المشيعة لها أثناء لرحيلها من البصرة والواقع الزماني لرواية ذي الثدية أقرب للصحة، فلم يكم موقفها آنذاك مناسبًا لإظهار كلاما فيه مدح واثناء لخصمها. ينظر: الجمل ومسير عائشة، ص369؛ الطبري، تاريخ الرسل، ج3، ص547.

وعلى الرغم من تلك النصوص التي وردت في ذم الخوارج والثناء على علي(عليه السلام)، نجد أن المصادر التاريخية تشير إلى روايات تدل على عدم زوال ما في نفسها نحوه، فذكر أنه لما انتهى إلى عائشة قتل علي (عليه السلام) على يد الخوارج أنفسهم قالت متمثلة بأبيات من الشعر :

فَأَلْقَتْ عَصَاهَا وَاسْتَقَرَّتْ بِهَا النَّوَى ... كَمَا قَرَّ عَيْنًا بِالْإِيَابِ الْمُسَافِرُ[1]

فمن قتله؟ قيل رجل من مراد فقالت: فَإِنْ يَكُ نَائِيًا فَلَقَدْ نَعَاهُ ... نَعِيٌّ لَيْسَ فِي فِيهِ التُّرَابُ

وتضيف الرواية أنّ زينب بنت أبي سلمة [2] كانت حاضرة فأنكرت ما أظهرته عائشة قائلةً :" **ألعليّ تقولين؟ فقالت: إنّي أنسى فإذا نسيت فذكّروني**" [3].وتشير بعض المصادر الى أنها سجدت لله لما سمعت بنعيه[4]، وروى البعض عن أبي البختري[5]، أنها قالت :" **لتصنع العرب ما شاءت فليس لها أحد ينهاها**"[6].

إن تلك المواقف إن دلت على شيء فإنها تدل على استمرار خصومتها لعلي (عليه السلام) حتى آخر يوم في حياته. فلا يمكن التوفيق بين أحاديث ذمها للخوارج وهذا الموقف لاسيما أن الذي قتله خارجي. ويعلل صاحب كتاب عائشة والسياسة أن موقفها هذا كان ردة فعل لا إرادية بسبب الخصومة القديمة وأنها إعتذرت منها في نفس اللحظة من زينب بنت أم سلمة لما أنكرت عليها هذا التصرف[7].

([1]) الأبيات لمعقر بن أوس بن حمار، وهو من شعراء الجاهلية. الأزدي، الاشتقاق، ص481.

([2]) زينب بنت أم سلمة بن عبد الأسد المخزومية، ربيبة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وابنة زوجته أم سلمة، ذكر أنها تزوجت عبد الله بن زمعة الأسدي، وأنها شهدت وقعة الحرة سنة64هـ وقتل لها ولدان فيمن قتل من أهل المدينة على يد عساكر الأمويين. ينظر: ابن عبد لبر، الاستيعاب، ج4، ص1854؛ابن الأثير، أسد الغابة، ج6، ص131.

([3]) الطبري، تاريخ الرسل، ج4، ص115؛.ولقد ورد هذا الخبر في مصادر عدة للوقوف عليها ينظر: ابن بكار ، الأخبار الموفقيات، ص131؛ابن سعد، الطبقات، ج3، ص40؛البلاذري، أنساب الأشراف، صج2، ص505؛ابي الفرج الأصفهاني، مقاتل الطابيين، ص26؛ القاضي النعمان ، شرح الأخبار، ج2، ص70؛ابن مسكويه، تجارب الأمم، ج1، ص559؛ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج3، ص394.

([4]) ابو الفرج الأصفهاني،مقاتل الطالبيين،ج1، ص55؛الديار بكري، تاريخ الخميس،ج2،ص283؛التستري،قاموس الرجال، ج2، ص299؛ابن شدقم، وقعة الجمل، ص26.

([5]) سفينة ابو عبد الرحمن، مولى لرسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، وقيل مولى للسيدة أم سلمة وهي من أعتقته، وقد اختلف في اسمه، فقيل:مهران وقيل رومان،ويكنى ابو البختري، وقيل أنه من أبناء فارس وذكر أنه آخر من توفي من صحابة ينظر: ابن حبان،الثقات ج3، ص180؛ابن عبد البر،الاستيعاب،ج2،ص684؛ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج4، ص261.

([6]) ابن عبد البر،الاستيعاب،ج3،ص1123؛ المحب الطبري،الرياض النضرة،ج3، ص237؛ذخائر العقبى،ج1، ص115؛ ص115؛ البري،الجوهرة،ج2،ص275؛الصفدي،الوافي في الوفيات،ج21،ص182؛الديار الخميس،ج2،ص283.

([7]) الأفغاني، ص66.

بينما فسر الشريف المرتضى هذا التصرف بقوله: "**وهذه سخرية منها بزينب وتمويه عليها تخوفا من شناعتها، ومعلوم ضرورة أن الناسي الساهي لا يتمثل بالشعر في الأغراض التي تطابق مراده ولم يكن ذلك منهاإلا عن قصد ومعرفة** ."[1]، واستدل على تأصل خصومتها وعدم زوالها؛ بموقفها من حادثة منع دفن جثمان الإمام الحسن (عليه السلام)، من قبل مروان والأمويين.[2]

من ذلك يمكننا القول أن اعترافها بفضائل علي(عليه السلام) كان لأسبابٍ سياسية أو كما قال أحد المحققين إنما بسبب انفعالها لما عرفت أن الخوارج يسبونها ويكفرونها مع أصحاب الجمل، لذلك اعترفت بالأحاديث التي تذمهم وتمدح قاتلهم [3]. تمامًا كما حدث بعد توتر العلاقة مع الأمويين، وتزايد طغيانهم.

فبعد سيطرة معاوية على مقاليد الحكم عقب استشهاد الأمام علي (عليه السلام) روي أنها لما تلقت ذلك الخبر، عللت الأمر بنظرية الحكم الإلهي فقيل لها :" **ألا تعجبين لرجل من الطلقاء ينازع أصحاب محمد** (صلى الله عليه وآله وسلم) **في الخلافة قالت: وما تعجب من ذلك هو سلطان الله يؤتيه البر والفاجر وقد ملك فرعون أهل مصر أربع مائة سنة** "[4]

والأحرى أن نفوذ معاوية وتسلطه،هو الذي دفعها لمهادنته، فضلًا عن حلم معاوية ودهائه فتشير المصادر إلى أن وئامًا وانسجامًا نسبيًا ساد بين الطرفين بعد ذلك فيبدو أن معاوية سعى لاسترضائها تجنبًا لتعريضها به والتحدث فيه وإكرامها وتقديم الرعاية لها بإرساله الهدايا والهبات[5]، من ذلك ما رواه ابن كثير:" **بعث معاوية إلى عائشة وهي بمكة بطوق قيمته مائة ألف فقبلته.**" وأنه بعث لها بمائة ألف دينار، وأنه قضى عنها دينًا بثمانية عشر ألف دينار.[6] و بعد أن نجح معاوية بتصفية الإمام الحسن (عليه السلام) [7]، عزم على أخذ البيعة لولده يزيد، وتحويل الخلافة الى ملكًا عضوضًا في بني أمية ، وقد جوبه هذا المشروع الأموي بالمعارضة لاسيما من قبل أبناء الصحابة، من بينهم ابن اختها عبد الله بن

([1]) الشافي في الإمامة، ج ٤، ص356.

([2]) الشافي في الإمامة،ج4، ص356. للوقوف على ذلك الخبر ينظر: الكليني، الكافي،ج2، ص44؛اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج2، ص225؛ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج13، ص290.

([3]) العاملي،علي والخوارج، ص239.

([4]) ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج8، ص 145؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج3، ص143؛ابن كثير، البداية والنهاية، ج8، ص140.ينظر: ابن أبي شيبة، المصنف، ج6، ص186.

([5]) الحاكم، المستدرك، 4،ص15؛ابو نعيم،حلية الأولياء،ج2،ص47؛الذهبي، سير أعلام النبلاء،ج2،ص186ص187؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج8، ص145.

([6]) ابن كثير، البداية والنهاية ج8، ص146. ينظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج3، ص187.

([7]) المقدسي، البدء والتاريخ، ج5، ص85؛ أبو الفرج الأصفهاني، مقاتل الطالبيين،ج1، ص60، ص80.

الزبير فكان من أشد المعترضين[1]، وكذلك أخاها عبد الرحمن فقيل أنه كان أجرأهم على معاوية وأجلدهم عليه في الكلام رغم توعد معاوية وتهيده لهم بالقتل[2]، وروي أنه اصدم مع واليه على المدينة مروان بن الحكم عندما خطب في المسجد ليأخذ البيعة ليزيد، فثاروا عليه بقيادة مروان، فلجأ لبيت عائشة، فتدخلت عائشة لصالح اخيها، وأخذت تتكلم وتظهر مساوئ بني أمية، وما قاله النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) فيهم من اللعن والذم فيروى انها قالت: :" **سمعت رسول الله يقول لأبيك وجدك أنكم الشجرة الملعونة في القرآن**"[3].

ويبدو أن تلك الحادثة أثارت حفيظة الأمويين وبدأ يشعر معاوية بخطر أسرة بني تيم وعائشة خصوصًا خشية أن يناله منها ما نال عثمان وعلي(عليه السلام)، خشية من تأثيرها في الرأي العام و قلب موازين الأمور[4]، فتوجه إلى مكة بنفسه ليمهد لتنفيذ مخططه بشتى الطرق، وأخذ يهدد ويتوعد المعترضين المعترضين بالقتل بما فيهم الإمام الحسين(عليه السلام)، إلا أنه تجنب بدهائه المعهود الصدام مع عائشة، فزارها في بيتها وتلطف لها، ويروى أنها عاتبته وأنبته على قتله لحجر بن عدي وأصحابه وعدم قبول وساطتها فيهم، لكنه سرعان ما ذكرها بحسن إكرامها لها بقوله:" **كيف أنا في الذي بيني وبينك، وفي حوائجك؟ قالت: صالح، قال: فدعينا وإياهم حتى نلقى ربنا عز وجل**"[5]، وفي البداية والنهاية أنه ظل يعتذر لها حتى عذرته[6].

([1]) ابن قتيبة، الإمامة والسياسةج1، ص199.

([2]) ابن كثير، البداية والنهاية، ج8، ص86.

(3)السيوطي، الدر المنثور،ج5 ص309؛ الشوكاني، فتح القدير،ج3،ص285.ينظر: ابن أعثم، الفتوح، ج4، ص335؛ابو ص335؛ابو الأصفهاني،الأغاني،ج17،ص229؛ابن عساكر،تاريخ دمشق،ج57،ص244،ص245؛ابن الأثير،الكامل في التاريخ؛ المتقي الهندي، كنز العمال،ج11،ص357 . وفي صحيح البخاري، أن عبد الرحمن هرب منهم الى بيت عائشة فلم يقدروا عليه فقال مروان: " **إن هذا الذي أنزل الله فيه، ((والذي قال لوالديه أف لكما أتعدانني))، فقالت عائشة من وراء الحجاب: "ما أنزل الله فينا شيئا من القرآن إلا أن الله أنزل عذري**".ج6، ص133. نلاحظ كيف أن البخاري غيب الشطر الأخير من كلام عائشة عن النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) بلعن مروان بن الحكم ، وأبدل بحديث البراءة من الافك.

([4]) روي أنه قال في عائشة: "**ما فتحت بابا قط تريد أن تغلقه إلا غلقته ولا أغلقت بابا قط تريد أن تفتحه إلا فتحته**". الزمخشري، ربيع الأبرار،ج5،ص221؛ابن عساكر، تاريخ دمشق، 19،ص196؛ابن الجوزي، صفة الصفوة،ج2، ص26.

([5]) ابن حنبل، المسند، ج19، ص241؛ ابن قتيبة، الإمامة والسياسة، ج1، ص206. ينظر: الطبراني، المعجم الكبير، ج19، ص319؛ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج13، ص229.

([6]) ابن كثير، ج8، ص60.

ويبدو أنه نجح في مبتغاه إلى حد ما، فيروى أنه طلب منها إنبجانية[1] رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وشعره فأرسلتها له[2].

وتشير بعض المصادر أن موقفها كان حياديًا بادىء الأمر من بيعة يزيد لكنها رفضت تهديده للمعترضين بما فيهم الإمام الحسين (عليه السلام) وأخيها لما بلغها قوله : " **لاقتلنهم إن لم يبايعوا فشكاهم إليها فوعظته... وقالت له: فارفق بهم فإنهم يصيرون إلي ما تحب إن شاء الله، فقال :أفعل**"[3].

لكن ابن أعثم يشير إلى أنها أغلظت له في الكلام فقال لها: "**مهلا يا أم المؤمنين ! لكني أخذت البيعة لابني يزيد، وقد بايعه كافة المسلمين،أفتريني أنقض بيعة قد ثبتت وتأكدت وأن يخلع الناس عهودهم ! فقالت له: إني لا أرى ذلك ولكن عليك بالرفق والتأني، إنهم لا يخالفونك، وانظر لا يبلغني عنك أسأت إلى أحد منهم فتلقى مني ما لا تحب...**"[4].

لكن معاوية لم يلتزم بوعده فيما يخص أخاها عبد الرحمن الذي قيل أنه مات ميتة،مجهولة لكن ظروف موته تشير بوضوح إلى تورط معاوية[5]. فلقد كان قتله ضرورياً لفسح المجال لبيعة يزيد، وتصفية الخصوم السياسيين ليس غريبًا عليه [6]، ولما علمت عائشة بالفاجعة يروى انها ذهبت لمكة للوقوف على قبر أخيها، وتمثلت باكية بأبيات رثاء متمّم بن النويرة لمقتل أخيه مالك[7] **ثم قالت: لو حضرتك دفنتك حيث متّ، ولما بكيتك**"[8] والحقيقة أن الأمويين سعوا لتصفية المعارضة التيمية منذ وقت مبكر، فقد سبق

([1]) كساء من الصوف له خمل، وقيل أنه كسَاء غليظ بَين الكساء والعباء، وهي من الأكسية التي تصنع بحلب، فتحمل إلى منبج. ينظر: اليحصبي، مشارق الأنوار، ج1، ص40؛ الزبيدي، تاج العروس، ج6، ص228.

([2]) ابن سعد، متمم الصحابة، ج1، ص112،الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج3، ص148؛ ابن كثير، ج8، ص140. لابد من الاشارة الى ان معاوية لم يكن يبغي التبرك بأثار النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) كما تصور الرواية، وإنما غرضه الحقيقي شرعنة سلطته وإضفاء عليها غطاءًا دينيًا، بجعلها امتدادًا للعهد النبوي الشريف، كقصة شرائه بردة رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) ، ومحاولته نقل منبره الشريف للشام.ينظر: ابن الأثير الكامل في التاريخ، ج3، ص463.

([3]) الكامل في التاريخ،ج3، ص509.

([4]) الفتوح، ج4، ص327.

([5]) فروي أن معاوية بعث إليه بمائة ألف دينار كي يوافق على البيعة لكنه رفضها وقال: **لا أبيع ديني بدنياي. وخرج إلى مكة فمات بها قبل أن تتمّ البيعة ليزيد، وكان موته فجأة من نومة نامها بمكان على عشرة أميال من مكة، فحمل إلى مكة ودفن بها**، ابن حجر، الإصابة، ج4، ص276.

([6]) كالإمام الحسن بن علي(عليهما السلام) وسعد بن أبي وقاص روي أن معاوية أمر بدس السم لهما عندما أراد أخذ البيعة ليزيد، فكانت وفاتهما في أيام متقاربة. المقدسي، البدء والتاريخ، ج5، ص85؛أبو الفرج الأصفهاني، ج1، ص60، ص80.

([7]) تمت ترجمته في ص 157من الرسالة .

([8]) ابن حجر،ج4، ص276. وكلامها يشير إلى أنها لو شهدته موته وتيقنت أنه مات دون قتل لاستراحت ولما بكت عليه. عليه. وأشار كل من الحاكم والبيهقي، أن عائشة كانت تشك بأنه قد قتل أو دفن حيًا فقال :"**كان عبد الرحمن رقد في مقيل**

وأن قتلوا قبله محمد بن أبي بكر أبشع قتله[1] كما قتلوا ابن عمها طلحه ثأرًا لعثمان[2]، ولابد أن ذلك لم يكن ليخفى على عائشة، لكنها على ما يبدو لم يعد لديها من تشد بهم أزرها لمجابهة نفوذ معاوية، بعد مقتل أقربائها الزبير وطلحة وابنه وأخيرًا أخاها، فيروى أنها كانت تشنع على معاوية وتقول:

ذَهَبَ الَّذِينَ يُعَاشُ فِي أَكْنَافِهِمْ وَبَقِيتُ فِي خَلَفٍ كَجِلْدِ الأَجْرَبِ[3]

فضلًا عن أن السن تقدم بها، فلم تعد تستطيع الركوب وقطع المفاوز لإشعال نار الحرب على آل أمية بالسيف، فأقامت عليهم عامة حربا شعواء من الدعاية ضدهم بدأتها بنشر ما سمعته من النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) في شأن مروان وأبيه، وجابهت سياسة معاوية والتي كانت تهدف إلى طمس فضائل بني هاشم وبالأخص الامام علي (عليه السلام) وولديه الحسنين(عليه السلام)، فقد بلغ الامر به أن أمر بلعن الإمام علي على منابر المسلمين.[4]

مما تقدم يظهر أن صراع السلطة ، بين الأسرتين الاموية والتيمية دفع بعائشة لإظهار مناقب علي وآل البيت(عليه السلام)،كناية بخصومها الجدد، وإضعافًا لأمرهم، بعد أن ساءت علاقتها بهم، وفقدت أخاها المقرب وتفشي استئثارهم بالبلاد الإسلامية واستبدادهم لأهلها. ولعل هذا هو السبب؛ الذي جعلهم يقررون إنهاء حياتها، وإن كانت مصادر التاريخ لم تحدثنا عن تلك الأمور بصراحة تامة، فالمشهور أنها توفيت عام58هـ وهي السنة التي توفي فيها أخيها عبد الرحمن فأوصت أن تدفن ليلًا في البقيع، ولم يحضرها والي المدينة الأموي، فصلى عليها أبو هريرة [5] في حين نجد بعض المصادر المتأخرة كشفت أن سبب وفاتها بأنها اغتيلت من قبل حكومة معاوية كصاحب الصراط المستقيم، فيما نقله من رواية للأعمش وغيره[6]، وصاحب كتاب حبيب السير[7]. ولعل ما يرجح هذا الرأي عدم حضور والي المدينة الأموي

فذهبوا يوقظونه فوجدوه قد مات، فدخل نفس عائشة تهمة أن يكون صنع به شيء،أو عجل عليه، فدفن وهو حي"
.المستدرك، ج3، ص541؛ شعب الإيمان، ج12، ص458.

([1])أبو نعيم، معرفة الصحابة،ج1،ص168؛ابن عبد البر،الاستيعاب،ج3،ص1366؛المالقي،التمهيد والبيان،ج1، ص219.

([2])ابن سعد، الطبقات،ج3،ص223؛ابن خياط، تاريخ خليفة،ص139؛ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق،ج25، ص113.

([3]) البلاذري، أنساب الأشراف، ج1، ص416؛ابن عبد البر،الاستيعاب،ج1، ص332. ينظر: الصنعاني، المصنف، ج11، ص247؛ابن أبي شيبة، المصنف، ج6، ص176.

([4]) العسكري، أحاديث أم المؤمنين عائشة، ص346؛ معالم المدرستين، ج1، ص242.

([5]) ينظر: ابن كثير، البداية والنهاية، ج8، ص95، ص98، ص101.

([6]) البياضي،ج3، ص48.

([7])خواندمير،ص425.وينظر: الشاهرودي، مستدرك سفينة البحار،ج5،ص214؛الشيرازي،كتاب الأربعين، ص633.

دفنها، واستنكار معاوية لبكاء عبد الله بن عمر عليها فروي أنه قال له: " **أتبكي على امرأة فقال: إنما يبكي على أم المؤمنين بنوها وأما من ليس لها بابن فلا.**"[1].

(1) ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج3، ص16.

الخاتمة

1. لقد تمخضت عن وقعة الجمل آثارًا سيئة للغاية انعكست على واقع الأمة على المدى القريب و البعيد، سواء على الصعيد السياسي كشرعنة الخروج على الحاكم الشرعي، واستخدام القوة لانتزاع الحكم، أو على الصعيد الفكري والعقائدي وظهور أراء وفرق عدة تنقسم فيما بينها في الأفكار والمعتقدات كالخوارج والقدرية والمعتزلة، وبطبيعة الحال كان لتلك الأفكار أثر واضح في وضع الروايات التاريخية تبعًا للأهواء والانتماءات المذهبية و السياسية .

2. إن الموروث التاريخي من الروايات التاريخية التي تعرض لأحداث صدر الإسلام بصورة عامة وفترة حكومة الإمام علي(عليه السلام) بصورة خاصة يتصف بالازدواجية والتناقض بصورة يصعب معها على الباحث تفسير تلك الأحداث وصولًا للحقيقة أو الاقتراب منها، وبناءً عليه لابد من خضوع ذلك الموروث للنقد التاريخي ومقارنة تلك الأحداث ضمن عدة موارد ومصادر متعددة، وتوظيف العقل والمنطق والاستدلال بنصوص القرآن الكريم، والسنة المتواترة بعيدًا عن القوانين السندية الموضوعة لتضعيف الأحاديث والروايات وفقًا للأهواء والميول السياسية والفكرية .

3. توصلت الدراسة من خلال تتبع النصوص والأخبار التاريخية إن الدور الذي خاضه معارضي حكومة الإمام (عليه السلام) سواءً زوج النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) أو قادة الجمل (الناكثين) و من ساندهم من الأمويين وغيرهم؛ يعد جزءاً وحلقة مكملة لمشروع قديم اختطه الزعامة القرشية منذ رحيل النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) وحوادث السقيفة، لإقصاء الإمام علي وولده من آل بيت النبوة (عليهم السلام)عن حقهم الشرعي بتولي منصب إمامة الأمة، لأسباب دنيوية وسلطوية وقبلية .

4. كما توصلت الدراسة إلى أن خلاف السيدة عائشة للإمام علي(عليه السلام) والدور الذي لعبته في معركة الجمل، وتأييدها للخط القرشي لم يكن وليدًا لأحداث فتنة مقتل عثمان بن عفان، فتشير العديد من المصادر إلى تجذر ذلك الخلاف منذ وقت مبكر منذ العهد النبوي الشريف، وما عقبه من حوادث ونزاعات حول منصب الخلافة .

5 . منذ العهود الأولى لكتابة الرواية التاريخية، دأبت أقلام السلطة ووضاعيها، للعمل على طمس الحقائق وتزييفها، من ذلك إبدال وقلب الحقائق في تفسير أحداث الفتنة ومعركة الجمل، لتبرأة وتبرير الأدوار السلبية للمضطلعين الحقيقين في تلك الفتنة، وذلك من منظار الدفاع نظرية عدالة الصحابة ومن أخطر ما تم الترويج له في هذا الصدد؛ الادعاء أن تلك الأحداث الخطيرة التي عصفت بالأمة و مزقتها كانت نتيجة لتآمر شخصية يهودية مبتكرة (عبد الله بن سبأ)، ظهرت فجأة في الأوساط

الإسلامية، وليس هذا وحسب اذ أسس راوي القصة سيف بن عمر لإقحام الرعيل الأول من الصحابة الذين عرفوا بخطهم العلوي كأبي ذر وعمار بن ياسر وغيرهم ممن عرف بتشيعه لعلي(عليه السلام) والقول بأحقيته بالخلافة، فقام الراوي ببث الشبهات حول معتقداتهم والزعم أنهم ممن انتمى لحركة ابن سبأ وتأثر بأفكاره ومعتقداته اليهودية المغالية، والغاية الحقيقية للراوي من تلك التلفيقات هي ضرب مذهب التشيع بأكمله والتشكيك بأصوله ومعتقداته كالوصية والنص بالإمامة، وربطها بالمعتقدات اليهودية وغيرها من الديانات الأخرى .

6. ولقد أثبتت الدراسة في أكثر من موضع أن قصة ابن سبأ والسبأية التي انفرد بها سيف بن عمر تتعارض كليا مع الأخبار الروايات المتواترة والمجمع عليها في المصادر التاريخية المعتبرة ، كما أنها لا تصمد أمام المقارنة و النقد والاستدلال التاريخي . مما يفند ما جاء به من أكاذيب وشبهات فضلًا عما اتفق عليه علماء الجرح والتعديل من عدم وثاقته وعدالته، لوضعه الحديث عن رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) ومن يكذب ويروي الأحاديث المنحولة عن أكرم الخلق، لا يمكن الوثوق بسائر الأخبار والروايات المروية عنه، لا سيما أن تلك الأخبار تمس قضايا جوهرية وعقائدية في الفكر الإسلامي .

7. رغم ضعف روايات سيف بن عمر متنًا وسندًا إلا أن قصة ابن سبأ والسبأية المزعومة أصبحت المحور الأساسي والرواية الشبه رسمية لدي العديد من الكتاب والمؤرخين لتفسير أحداث الفتنة، ولعل سبب ذلك أنها نفذت للأوساط التاريخية و الموروث الإسلامي عن طريق أحد أهم مصادره وهو تاريخ الرسل والملوك للطبري، فقد عده كثير من أصحاب التواريخ من أوثق المصادر وعولوا عليه لوثاقة صاحبه، كما صرحوا بأنفسهم كابن الأثير وابن كثير وابن خلدون، فتناقلوها رغم علاتها، وتابعهم في ذلك العديد من أصحاب الدراسات الحديثة، ونقول أن ذلك التتابع في تبني روايات وقصص سيف بن عمر وتجاهل نقدها و وغربلتها لم يكن قصورًا في معرفة الضعيف و الغث من السمين من الروايات والأخبار، لدى أولئك المؤرخين على مر العصور، وإنما البعض كان واقعًا تأثير الانتماءات القبلية أو المذهبية والرأي العام السائد في مجتمعه، ولعل السبب الأهم أن تلك الروايات توافق الرؤى و أيدولوجيات السلطات الحاكمة على مر العصور و الأزمنة، والدليل أن البعض تجاهل أو قلل من أهمية الروايات التي تتضارب مع روايات سيف بن عمر كالتي جاءت عن أبي مخنف و الواقدي خليفة ابن خياط، ولعل هذا هو السبب الذي جعل الطبري ومن نقل عنه يقدم رواية سيف بن عمر

لأحداث الفتنة ويعول عليها بصورة كبيرة، مقارنة بالروايات المقتضبة عن غيره من الرواة [1]، وعذا إن دل على شيء فإنه يدل على المنهج الانتقائي للطبري .

8. اتضح من خلال الدراسة أن عديد من الروايات الموضوعة جاءت لترسيخ نظرية عدالة الصحابة وتنزيههم عما يسوئهم والتي يتبنها معظم علماء مدرسة العامة؛ القائلة بعدم جواز تخطئة أي من الجيل الأول الذي عاش مع رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وصحبه في عصر نشر الرسالة، وأنهم كلهم عدول ولهم حق الاجتهاد، في الوقائع التي دارت بينهم، وأن كلا الطرفين المتنازعين منهما (المخطئ والمصيب) يُؤجرعلى اجتهاده، وهذا ليس من المنطق بشيء، ومخالف للنصوص السماوية الصريحة[2].

9. ومن الغايات الأخر لتبني نظرية عدالة الصحابة هو شرعنة منظومة الخلافة السياسية والشخصيات التي توالت على حكمها، فضلًا عن هدف تبرير الأدوار السلبية للشخصيات المناوئة لحكومة الإمام علي (ع) سواءً في المرحلة الأولى (حوادث السقيفة ومجلس الشورى) أو في فترة حكمه، التي تمثلت بخروج السيدة عائشة، وطلحة والزبير في حرب الجمل ومن ثم معاوية بن أبي سفيان في حرب صفين، فخروجهم عليه بعد إعطائه البيعة يعد خروج على ولي أمر المسلمين والحاكم الشرعي الواجب الطاعة كما أمر الله عز وجل في كتابه الكريم[3]

10. مما تمخض عن الدراسة أن واقعة الجمل وغيرها من وقائع صدر الإسلام تعد عبرة وعظة لما قد يعتري النفس البشرية من خبايا لا تخلو من الخير والشر والإساءة والإحسان، وقد ضرب لنا القرآن الكريم الأمثال التي تؤكد بأن لا حصانة لأحد من تلك الطبائع مهما بلغت مكانته وقرابته من النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) عدا آل بيت النبوة الذين طهرهم الله من الرجز ولآثام[4] كما لا حصانة في الاختبارات الإلهية، **((فمن يعمل مثقال ذرة خيرًا يره ومن يعمل مثقال ذرةٍ شرًا يره))**[5]، فكان من تلك الأمثال مواقف لشخصيات مقربة من الأنبياء المرسلين كأخوة يوسف(عليه السلام) الذين ائتمروا عليه رغم أنهم تربوا في بيت نبوة وزوجتي اثنين من أولي العزم، نوح ولوط (عليهما السلام) اللتان انحازتا لقومهما .

([1]) العلي، موارد تاريخ الطبري، مجلة المجمع العالمي، العدد : 1، ص182، العدد : 8، ص48.

([2]) سورة أل عمران، الآية (144)، سورة التوبة الآيتين، (83) (99) ؛ سورة النور، الآية (37)؛ سورة النساء الآية (141).

([3]) سورة النساء، الآية (59).

([4]) سورة الأحزاب، الآية (33).

([5]) سورة الزلزلة، الآية (7).

قائمة

المصادر والمراجع

قائمة المصادر

القرآن الكريم

أولا – المصادر:

ابن الأثير، أبو الحسن علي بن أبي الكرم بن عبد الكريم الشيباني (ت: 630هـ / 1232م):

1- أسد الغابة في معرفة الصحابة، دار الفكر (بيروت، 1409هـ/ 1989م).

2- الكامل في التاريخ، دار صادر (بيروت: 1385هـ/ 1965م).

ابن الأثير، أبو السعادات المبارك، مجد الدين بن محمد الجزري (ت:606هـ/1209م):

3- النهاية في غريب الحديث، تحقيق: طاهر احمد الزاوي، محمود محمد الطناحي، الطبعة الأولى، دار الكتبة العلمية (بيروت: 1399هـ /1979م).

الآجري، ابو بكر محمد بن الحسين بن عبد الله (ت360هـ /970م) :

4 – الشريعة، تحقيق: عبد الله بن عمر الدميجي،ط2،دار الوطن (الرياض:1420هـ /1999م).

5- **الأربلي، أبى الحسن علي بن عيسى بن أبي الفتح (ت: 693هـ/ 1293م):**

6- كشف الغمة في معرفة الأئمة، دار الأضواء (بيروت: 1405 هـ / 1985 م).

الأزدي، أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد (ت: 321هـ):

7- جمهرة اللغة، تحقيق: رمزي منير بعلبكي،ط1، دار العلم للملايين (بيروت: 1987هـ/1407م).

الأزهري، أبو منصور محمد بن أحمد الهروي (ت 895 هـ/ 981 م) :

8- تهذيب اللغة ، تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي(بيروت:1422هـ/ 2001م).

الأشعري، أبو الحسن علي بن إسماعيل بن إسحاق (ت: 324هـ/ م936):

9- رسالة إلى أهل الثغر بباب الأبواب، تحقيق: عبد الله شاكر محمد الجنيدي، الناشر: عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية (المدينة المنورة: 1413هـ / 1993م).

الاسكافي: أبو جعفر محمد بن عبد الله المعتزلي (ت 220هـ /834م)

10- المعيار و الموازنة في فضائل الأمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (صلوات الله عليه) و بيان أفضليته على جميع العالمين بعد الأنبياء و المرسلين، تحقيق: محمد باقر المحمودي، ط1،(د.م: ١٤٠٢هـ /١٩٨١ م).

الاصبهاني، ابو نعيم أحمد بن عبدالله بن احمد بن اسحاق (ت:430هـ/ 1038م) .

11- معرفة الصحابة، تحقيق: عادل بن يوسف العزاوي، ط1، دار الوطن، (الرياض،:1419هـ/ 1998م)

12- حلية الاولياء وطبقات الاصفياء، دار السعادة (مصر:1394هـ / 1974م).

ابن أعثم، أبي محمد أحمد بن أعثم الكوفي (314هـ / 926م):

13- الفتوح، تحقيق: علي شيري، ط1، دار الأضواء (بيروت: 1411هـ / 1990م).

الأفطسي، محمد بن محمد بن هبة الله الحسيني (ت بعد 515 هـ / 1121 م):

14- المجموع اللفيف، تحقيق: حيى وهيب الجبوري،دار الغرب الإسلامي (بيروت: 1425هـ / 2005م).

الباعوني، شمس الدين أبي البركات محمد بن أحمد الدمشقي الشافعي (ت: 871 هـ / 1466م)

15- جواهر المطالب في مناقب الإمام علي (ع)،تحقيق: محمد باقر المحمودي، ط 1، مجمع إحياء الثقافة الإسلامية (قم المقدسة: ١٤١٦م).

البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم الجعفي (ت: 256هـ/869م):

18- التاريخ الصغير، تحقيق: محمود إبراهيم زايد، ط1، دار المعرفة (بيروت: 1406هـ/1986م).

19- التاريخ الكبير، تحقيق: محمد عبد المعيد خان، دار المعارف العثمانية (حيدر آباد: د.ت).

20- خلق أفعال العباد والرد على الجهمية وأصحاب التعطيل،مؤسسة الرسالة (بيروت: 1404هـ).

21- الجامع المسند الصحيح = صحيح البخاري، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي،دار طوق النجاة(د.م:1422هـ).

ابو البركات، شمس الدين محمد بن احمد الدمشقي الشافعي (ت 871هـ /1466م)

22- جواهر المطالب في مناقب الامام علي بن ابي طالب عليه السلام، تح: محمد باقر المحمودي، ط1، دانش (قم، 1415هـ)

البزار، ابو بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق بن خلاد بن عبيد الله (ت 292هـ / 904م) :

23- البحر الزخار، تح: محفوظ الرحمن زين الله وصبري عبد الخالق وآخرون، ط1، مكتبة العلوم والحكم (المدينة المنورة، 2009م).

ابن بشكوال ،خلف بن عبد الملك بن مسعود الخزرجي الأندلسي (ت: 578 هـ/ 1183 م).

24- غوامض الأسماء المبهمة الواقعة في متون الأحاديث المسند ، تحقيق : عز الدين علي السيد ، محمد كمال الدين عز الدين، عالم الكتب (بيروت : 1407هـ / 1987م) .

ابن بطال، ابو الحسن علي بن الخلف بن عبد الملك (ت449هـ) :

25- شرح صحيح البخاري لأبن بطال، تحقيق: ابو تميم ياسر بن ابراهيم، ط2، مكتبة الرشيد(الرياض، 1423هـ / 2003م).

البغوي، محيي السنة أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء (ت510هـ /1116م):

26- معجم الصحابة، تحقيق: محمد الامين الجكني، ط1، مكتبة دار البيان، الكويت (1421هـ / 2000م).

البكري، أبو عبيد الله عبد الله بن عبد العزيز الأندلسي (ت: 478هـ / 1085م):

27- معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع ، ط 3، عالم الكتب (بيروت: 1403هـ / 1983م).

البلاذري، أحمد بن يحيى بن جابر (ت: 279هـ / 892م):

28- أنساب الأشراف، تحقيق: محمد باقر محمودي ، ط1،مؤسسة الأعلمي (بيروت: 1394هـ/ 1974م).

29- فتوح البلدان، تحقيق: صلاح الدين المنجد، مكتبة النهضة المصرية(القاهرة: 1956م).

البيهقي، ابراهيم بن محمد (ت320هـ /932م):

30- المحاسن والمساوئ، ط1، تحقيق: عدنان علي دار الكتب العلمية (بيروت: د. ت).

البيهقي، أحمد بن الحسين (ت: 458هـ / 1065م):

31- السنن الكبرى، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، ط3، دار الكتب العلمية (بيروت: 1424هـ/2003م).

- التبريزي، أبو زكريا يحيى بن علي بن محمد الشيبانيّ، (ت: 502هـ/ 1109م).

32- شرح ديوان الحماسة، دار القلم (بيروت:د.ت).

الترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى (ت: 279هـ / 892م):

33- سنن الترمذي، تحقيق: بشار عواد معروف، دار الغرب الاسلامي (بيروت 1418هـ/ 1998م).

- ابن تغري بردي، يوسف بن عبد الله الظاهري (ت: 874هـ/0 147م):

34- مورد اللطافة في من ولي السلطنة والخلافة، تحقيق: نبيل محمد عبد العزيز أحمد، دار الكتب المصرية (القاهرة: د.ت).

ابن تيمية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم الحنبلي الدمشقي (ت 728هـ: 1328م):

35- منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية، تحقيق: محمد رشاد سالم، ط1، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية (المملكة العربية السعودية: 1406 هـ - 1986م).

الثعالبي،عبد الملك بن محمد بن إسماعيل أبو منصور (ت:429هـ / 1038م):

36- سحر البلاغة وسر البراعة، تحقيق: عبد السلام الحوفي، دار الكتب العلمية (بيروت: **د.ت**).

الثعلبي، احمد بن محمد بن ابراهيم (ت:427هـ / 1035م):

37- الكشف والبيان عن تفسير القرآن، تحقيق: ابي محمد بن عاشور،ط1، دار احياء التراث العربي، (بيروت: 1422هـ/2002م).

الثقفي،أبي إسحاق إبراهيم بن محمد الثقفي الكوفي (ت: 283 هـ /):

38- الغارات،تحقيق: السيد جلال الدين الحسيني الأرموي (د.م: د.ت).

الجاحظ، أبو عثمان عمر بن بحر (ت: 255هـ / 867م):

39- البيان والتبيين، تحقيق: الدين أبي حامد عبد الحميد، دار الكتب العلمية (بيروت: د ت).

ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد (ت: 597هـ/ 1200م):

40- المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، ومصطفى عبد القادر عطا، ط1، دار الكتب العلمية (بيروت: 1412هـ /1992م).

41- زاد المسير في علم التفسير، تحقيق:عبد الرزاق المهدي، ط1، دار الكتاب العربي (بيروت: 1422هـ/2001م).

الجوهري، أحمد بن عبد العزيز البصري البغدادي (ت: 323 هـ):

42- السقيفة وفدك، تحقيق: محمد هادي الأميني، ط2، شركة الكتبي للطباعة والنشر بيروت: (1413هـ / 1993م).

الجوهري، إسماعيل بن حماد الفارابي (393هـ – 1002م) :

43- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تح: أحمد عبد الغفور عطار، ط4، دار العلم للملايين (بيروت: 1407هـ /1987م)

ابن ابي حاتم،أبو محمد عبد الرحمن بن محمد التميمي الحنظلي الرازي (ت: 327هـ / 938م):

44- تفسير القرآن العظيم، تحقيق: اسعد محمد الطيب،ط3، مكتبة نزار مصطفى الباز (السعودية: 1419هـ/1998م).

45- الجرح والتعديل،ط1، دار إحياء التراث العربي (بيروت1271: هـ /1952م).

الحاكم النيسابوري، أبو عبد الله محمد بن عبد الله (ت: 405هـ / 1014م):

46- المستدرك على الصحيحين، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، ط1، دار الكتب العلمية (بيروت: 1411هـ / 1990م).

الحازمي ، أبو بكر محمد بن موسى بن عثمان الهمداني (ت: 584هـ/ 1188م):

47- الأماكن أو ما اتفق لفظه وافترق مسماه من الأمكنة، تحقيق: حمد بن محمد الجاسر، دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر (د.م: 1415هـ).

ابن حبان، محمد بن حبان بن أحمد (ت: 354هـ / 965م):

48- الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة(بيروت: 1408 هـ /1988 م).

49- الثقات، الطبعة الأولى، دائرة المعارف العثمانية (الهند: 1393هـ / 1973م).

50- السيرة النبوية وأخبار الخلفاء، تحقيق: الحافظ السيد عزيز بك، ط3، (بيروت: 1417هـ/ 1996م).

51- المجروحين من المحدثين والضعفاء والمتروكين، تحقيق: محمود ابراهيم زايد، ط1، دار الوعي،(حلب: 1396هـ/1976م).

ابن حبيب البغدادي، محمد (ت: 245هـ / 859م) :

52- المحبر، مطبعة الدائرة (د م، 1361هـ / 1942م).

ابن حجر، احمد بن علي العسقلاني (ت: 852هـ / 1448م):

53- الإصابة في تمييز الصحابة، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية (بيروت: 1415هـ / 1995م).

54- تغليق التعليق على صحيح البخاري، تحقيق: سعيد القزقي، دار عمار (عمان: 1406هـ / 1984م).

55- تقريب التهذيب، تحقيق: محمد عوامه، ط1، دار الرشيد (سوريا: 1406هـ / 1986م).

56- تهذيب التهذيب،ط1، دار المعارف النظامية (الهند: 1426هـ/2005م).

57- فتح الباري شرح صحيح البخاري / تحقيق: محب الدين الخطيب، دار المعرفة (بيروت: 1379).

58- الدراية في تخريج أحاديث الهداية، تحقيق: السيد عبد الله هاشم اليماني، دار المعرفة (بيروت:د.ت).

ابن حجر الهيتمي،أحمد بن محمد بن علي(ت 974هـ/ - 1567 م):

59-الصواعق المحرقة على أهل الرفض والضلال والزندقة، مؤسسة الرسالة (لبنان: 1417هـ / 1997م).

ابن أبي الحديد، عز الدين عبد الحميد بن هبة الله (ت: 656هـ / 1258م):

60- شرح نهج البلاغة، تحقيق: أبو الفضل إبراهيم، ط1،دار إحياء الكتب (بيروت:1378هـ/ 1959م)

الحربي، ابراهيم بن إسحق بن بشير بن عب الله بن ديسم البغدادي (ت:285 هـ/813):

61- المناسك وأماكن طرق الحج ومعالم الجزيرة، تحقيق: حمد الجاسر، منشورات دار اليمامة (الرياض: 1389هـ / 1969م).

ابن حزم، أبو محمد علي بن الأندلسي (ت: 456هـ / 1063م):

62- جمهرة انساب العرب، تحقيق: لجنة من العلماء، دار الكتب العلمية،(بيروت:1403هـ / 1983م).

ابن حماد المروزي، نعيم بن معاوية بن الحارث الخزاعي (ت: 228هـ /843م):

63- الفتن، تحقيق: سمير أمين الزهيري، ط1، مكتبة التوحيد (القاهرة: 1412هـ / 1992م).

ابن حمدون،محمد بن الحسن بن محمد بن علي ، بهاء الدين البغدادي (المتوفى: 562هـ/ 1167 م):

64-التذكرة الحمدونية،تحقيق: إحسان عباس وبكر عباس، دار صادر(بيروت: 1417 هـ/1996م).

الحموي، ياقوت ابو عبد الله شهاب الدين الرومي البغدادي(ت: 626هـ/ 1228م):

65- معجم البلدان، دار صادر، ط2، (بيروت: 1415هـ / 1995م).

66- معجم الأدباء = إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، ط1، تحقيق: إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي (بيروت: 1414 هـ /1993 م).

الحميري، عبد الله بن جعفر(من أعلام القرن الثالث الهجري):

67- قرب الإسناد الحميري، تحقيق : مؤسسة آل البيت (عليهم السلام) (قم المقدسة :1413هـ/1993م).

الحميري، محمد بن عبد الله بن عبد المنعم (ت900هـ / 1494م):

68-الروض المعطار في خبر الأقطار،تحقيق:احسان عباس، مؤسسة ناصر(بيروت، 1358هـ/1980م).

الحلّي، ابن إدريس محمد بن أحمد (من أعلام القرن السّادس الهجري/ الحادي عشر الميلادي).

69- المنتخب من تفسير القرآن والنكت المستخرجة من كتاب التبيان، تحقيق: مهدي الرجائي، إشراف: محمود المرعشي مكتبة آية الله العظمى المرعشي (قم المقدسة: ١٤٠٩هـ/ 1986م).

الحلي، عز الدين الحسن بن سليمان (من أعلام القرن التاسع الهجري/الرابع عشر ميلادي):

67- مختصر بصائر الدرجات، المطبعة الحيدرية (النجف الأشرف: 1370 هـ /1950 م).

ابن حنبل، احمد بن محمد (ت: 241هـ / 855م):

68- مسند ابن حنبل،تحقيق: شعيب الارنؤوط ،عادل مرشد ،مؤسسة الرسالة(د .م: 1421هـ/2001م)

69- فضائل الصحابة، تحقيق: وصي الله محمد عباس،ط1، مؤسسة الرسالة (بيروت: 1403هـ/ 1983م).

الحنبلي، شمس الدين محمد بن أحمد بن عبد الهادي (ت: 744هـ / 1343م):

70- شذرات من ذهب في أخبار من ذهب، تحقيق: عبد القادر الأرناؤوط ومحمود الأرناؤوط، دار ابن كثير (دمشق:1406هـ / 1986 م).

الخطيب البغدادي، أبو بكر أحمد بن علي (ت 463هـ / 1070م):

71- تاريخ بغداد، تحقيق: بشار عواد معروف،ط1،د ار الغرب الإسلامي (بيروت: 1422هـ /2002 م).

72- المتفق والمفترق، تحقيق: محمد صادق آيدن الحامدي، ط1،دار القادري (دمشق: 1417هـ/ 199 م).

ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد بن محمد (ت: 808هـ/1405م):

73- ديوان المبتدا والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم ومن ذو الشأن الاكبر، تحقيق: خليل شحاده،ط2، دار الفكر (بيروت: 1408هـ/ 1988م)

ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن أبي (ت: 681هـ / 1282م):

74- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر (بيروت: د. ت).

ابن خياط، خليفة ابو عمرو بن خليفة بن خياط الشيباني البصري (ت: 240هـ / 854م):

75- تاريخ خليفة، تحقيق: اكرم ضياء العمري، دار القلم (بيروت: 1397هـ / 1976م).

76- طبقات خليفة بن خياط، تحقيق: سهيل زكار، دار الفكر (بيروت: 1414هـ / 1993م).

الخوارزمي ، موفق بن أحمد بن محمد المكي (ت568هـ - 1172م)

78- المناقب، تحقيق: مالك المحمودي، ط2، مؤسسة النشر الاسلامي (قم المقدسة، 1411هـ / 1990م)

خواند مير،غياث الدين محمد بن همام الدين الحسيني(ت492هـ/1534م).

79-تاريخ حبيب السير في اخبار افراد من البشر،منشورات خيام(د.م:د.ت).

أبو داود، سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير الأزدي السجستاني (275هـ / 888م):

80- سنن أبي داود، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد ، المكتبة العصرية (بيروت :د ت).

الدميري، محمد بن موسى بن عيسى بن علي، الشافعي (ت: 808هـ/1405 م):

81- حياة الحيوان،ط2،دار الكتب العلمية (بيروت: 1424 هـ/ 2003م).

ابن أبي الدنيا، عبد الله بن محمد بن عبيد بن سفيان ابن قيس القرشي البغدادي (ت: ٢٨١هـ / 894م):

82- مكارم الأخلاق، تحقيق: مجدي السيد إبراهيم، مكتبة القرآن للطبع والنشر والتوزيع (القاهرة: د. ت).

الديار بكري، حسين بن محمد بن الحسن (ت: 966هـ /1558م):

83- تاريخ الخميس في احوال انفس النفيس، دار صادر، (بيروت: د ت).

الديلمي، الحسن بن محمد (من اعلام القرن الثامن الهجري / الثالث عشر الميلادي) :

84- إرشاد القلوب،ط2، انتشارات الشريف الرضي (د. م: ١٤١٥ هـ /١٣٧٤م).

الدينوري، ابو حنيفة احمد بن داوود،(ت: 282هـ/895م):

85- الاخبار الطوال،تحقيق: عبد المنعم عمر،ط1، دار احياء التراث العربي، (القاهرة1380هـ/ 1960م).

الذهبي، شمس الدين ابو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز (ت: 748هـ / 1347م).

86- تاريخ الاسلام ووفيات المشاهير والاعلام، تحقيق: بشار عواد معروف، ط1، دار الغرب الاسلامي، (د م:1424هـ/ 2003م). ونسخة أخرى تحقيق: عمر عبد السلام التدمري،ط2،: دار الكتاب العربي (بيروت: 1413 هـ /1993 م).

87- تذكرة الحفاظ، ط1، دار الكتب العلمية (بيروت: 1419هـ /1998م).

88- سير أعلام النبلاء، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، ط3، مؤسسة الرسالة (بيروت: 1405 هـ / 1985 م).

89ـ ميزان الاعتدال في نقد الرجال،تحقيق: علي محمد البجاوي، دار المعرفة (بيروت: 132 هـ/1963 م).

الرازي، زين الدين محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي (ت: بعد 666 هـ / بعد 1268 م):

90- مختار الصحاح، تحقيق : يوسف الشيخ محمد،ط5، المكتبة العصرية (بيروت: 1420هـ / 1999م).

الرازي، ابو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي (ت606هـ /1209م):

91- مفاتيح الغيب، ط3، دار احياء التراث العربي (بيروت: 1420هـ /1999م).

92- المحصول، تحقيق: طه جابر فياض العلواني، ط2، مؤسسة الرسالة (بيروت:1412هـ/ 1992م).

ابن راهويه، أبو يعقوب إسحاق بن إبراهيم بن مخلد بن إبراهيم الحنظلي المروزي (ت: 238هـ/

93- مسند ابن راهويه، تحقيق: عبد الغفور بن عبد الحق البلوشي ط1، مكتبة الإيمان (المدينة المنورة: 1412 هـ / 1991م).

ابن رجب، أبي الفرج عبد الرحمن البغدادي الحنبلي (ت: 795 هـ /1393 م):

94- الاستخراج لأحكام الخراج، **تحقيق:** إياد بن عبد اللطيف بن إبراهيم القيسي، نشر بيت الأفكار الدولية (بيروت: 1425هـ /2004م).

ابن بكار،الزبير ابن عبد الله القرشي (ت256هـ - 869م) :

95- جمهرة نسب قريش وأخبارها، تحقيق: محمود محمد شاكر، مطبعة المدني (د. م، 1381هـ).

96- الاخبار الموفقيات، تحقيق: سامي مكي العاني، منشورات الشريف الرضي (قم المقدسة: 1416هـ / 1996م).

الزركشي ، بدر الدين محمد بن عبد الله(794هـ/1391م):

97- الإجابة لإيراد ما استدركته عائشة على الصحابة ط المكتب الإسلامي ،تحقيق: سعيد الأفغاني ، تعليق وتخريج : عصمت الله ،ط2، نشر المكتب الإسلامي (بيروت : 1358هـ /1939م) .

الزمخشري، ابو القاسم محمود بن عمرو (ت: 538هـ/ 1144م):

98- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، ط3، دار الكتاب العربي (بيروت: 1407هـ / 1986م).

99- الفائق في غريب الحديث والأثر، تحقيق: علي محمد البجاوي، محمد أبو الفضل إبراهيم، ط2، دار المعرفة (لبنان: د.ت).

100- ربيع الأبرار ونصوص الأخبار، تحقيق: عبد الأمير مهنا، مؤسسة الأعلمي (بيروت :1412 هـ / 1992 م).

سبط ابن الجوزي، شمس الدين يوسف بن قزأوغلي بن عبد الله (ت:581هـ/654م):

101- مرآة الزمان في تواريخ الاعيان، تح: محمد بركات وابراهيم الزيبق وآخرون، ط1، دار الرسالة (دمشق، 1434هـ - 2013م)

102-تذكرةالخواص،ط1،تحقيق:حسين تقي،المجمع العالمي لأهل البيت(عليهم السلام)(د.م:1426هـ/2005م).

. ابن سعد، ابو عبد الله محمد بن سعد بن منيع الزهري (ت: 230هـ /844م):

103- الطبقات الكبرى، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر (بيروت: 1968م).

104- متمم طبقات الصحابة، تحقيق: محمد بن صامل السلمي، مكتبة الصديق(الطائف: 1414هـ/ 1993م).

سليم بن قيس، ابا صادق الهلالي (ت76هـ /695م) :

105- كتاب سليم بن قيس الهلالي، تح: محمد باقر الانصاري، ط1، الهادي (قم، 1420هـ).

السمرقندي، ابو الليث نصر بن محمد (ت: 373هـ/983م):

106- بحر العلوم، (د م /د ت).

السمعاني، ابو المظهر، منصور بن محمد بن عبد الجبار الشافعي (ت:489هـ/1095م):

107- الأنساب، تحقيق: عبدالرحمن بن يحيى، ط1، دار المعارف العثمانية (حيدر اباد: 1382هـ / 1962م).

السمهودي، نور الدين علي بن أحمد (ت: 911هـ / 1506م):

108- خلاصة الوفا بأخبار دار المصطفى، تحقيق: محمد امين محمد محمود،(د.م: د.ت).

السهيلي، ابو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله (ت: 581هـ / 1185م):

109-الروض الأنف في تفسير السيرة النبوية لإبن هشام، تحقيق: عمر عبد السلام السلامي، ط1، (بيروت: 1421/ 2000م).

ابن سيد الناس، محمد بن محمد بن محمد بن احمد اليعمري الربعي (ت: 734هـ / 1333م):

110- عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير، تعليق: ابراهيم محمد رمضان، ط1، دار القلم (بيروت: 1414هـ / 1993م).

السيوطي، جلال الدين أبو الفضل عبد الرحمن بن أبي بكر (ت: 911هـ / 1505م):

111- الدر المنثور، دار الفكر،(بيروت، د.ت).

112- بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية (لبنان: د.ت).

الشافعي، أبو عبد الله محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان المطلبي القرشي (ت: 204هـ/ 820م):

113- مسند الإمام الشافعي، رتبه: سنجر بن عبد الله الجاولي، أبو سعيد، علم الدين (ت: 745هـ)، تحقيق: ماهر ياسين فحل،ط 1، شركة غراس للنشر والتوزيع،(الكويت: 1425 هـ /2004 م).

114- الأم، ط2، دار الفكر (بيروت: 1403 هـ/ 1983 م).

ابن شبه النميري، أبو زيد عمر بن شبه البصري (ت: 262هـ / 875م):

115- تاريخ المدينة المنورة، تحقيق: فهيم محمد شلتوت ، (جدة: 1399هـ).

ابن شهر آشوب، ابو عبد الله محمد بن علي المازندراني (588هـ/ 1192م):

116- مناقب ال ابي طالب، تحقيق: لجنة من اساتذة النجف، المكتبة الحيدرية (النجف: 1376هـ/ 1956م).

ابن أبي شيبة، عبد الله بن محمد بن إبراهيم الكوفي (ت: 235هـ / 849م):

116- المصنف، تحقيق: كمال يوسف الحوت، ط1، مكتبة الرشيد (الرياض: 1409هـ / 1988م).

117-**الشريف الرضي، أبي الحسن محمد بن الحسين بن موسى الموسوي البغدادي (ت: 406هـ /1015م):**

118-نهج البلاغة، تحقيق:عزيز الله العطاردي، مؤسسة نهج البلاغة (1372هـ:د.م).

119- خصائص الأئمة عليهم السلام (خصائص أمير المؤمنين عليه السلام)، تحقيق: محمد هادي الأميني، مجمع البحوث الإسلامية.. الآستانة الرضوية المقدسة (مشهد المقدسة: 1406هـ /1986م).

الشريف المرتضى، ابو القاسم علي بن الحسين بن موسى بن محمد (ت436هـ/ 1044م)

120- أمالي المرتضى، تح: محمد بدر الدين النعساني الحلبي، ط1، منشورات مكتب آية الله مرعشي (قم، 1325هـ). الشافي في الإمامة، تحقيق: عبد الزهراء الحسيني الخطيب، مراجعة: فاضل الميلاني، ط1، مؤسسة الصادق (طهران، 1307هـ / 1986م)

121- تنزيه الأنبياء، ط2، الناشر: دار الأضواء (بيروت: 1409هـ/1989م).

122- رسائل الشريف المرتضى، تحقيق: السيد أحمد الحسيني / إعداد: السيد مهدي الرجائي، نشردار القرآن الكريم (قم المقدسة: 1405 هـ/ 1985م).

ابن شهر أشوب، ابو جعفر محمد بن علي السروي المازندراني (ت588هـ - 1292م)

123- مناقب آل ابي طالب، تح: يوسف البقاعي، د. ط، دار الاضواء (د. م، د. ت).

الشهرستاني ابو الفتح محمد بن عبد الكريم بن ابي بكر (ت548هـ/1153م):

124- الملل والنحل، د. ط، مؤسسة الحلبي (د. م، د. ت) .

الصدوق، أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي (ت: 381هـ/991م):

125- الخصال، تصحيح وتعليق: علي اكبر الغفاري، مؤسسة النشر الاسلامي (قم: 1403هـ /1982م).

126- الأمالي، ط1، مؤسسة البعثة (قم المقدسة: ١٤١٧هـ / 1997م).

127- علل الشرايع، تحقيق:محمد صادق بحر العلوم، المكتبة الحيدرية (النجف الأشرف: ١٣٨٥ / ١٩٦٦م).

128- معاني الأخبار،تحقيق:علي أكبر الغفاري،مؤسسة النشر الإسلامي(قم المقدسة:١٣٧٩هـ/ ١٣٣٨م).

الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله (ت764هـ / 1362م):

129- الوافي بالوفيات، تحقيق: أحمد الأرناؤوط، تركي مصطفى،دار أحياء التراث (1420هـ / 2000م).

ابو الصلاح الحلبي، تقي بن نجم (ت: ٤٤٧هـ / 1055م):

130- تقريب المعارف، تحقيق: فارس تبريزيان الحسون، (د.م: د.م).

الصنعاني، أبو بكر عبد الرزاق بن همام بن نافع (ت: 211هـ/ 827 م):

131- المصنف، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي،المجلس العلمي(الهند: 1403هـ/1983م).

الضبي، سيف بن عمر الأسدي التَّمِيمي (ت: أواخر القرن الأول الهجري):

132- الفتنة ووقعة الجمل تحقيق: أحمد راتب عرموش، ط7، دار النفائس (د.م: 1413هـ/1993م).

133- الجمل ومسير عائشة وعلي (ع)، تحقيق: قاسم السامرائي،ط2، دار أمية للطباعة والنشر(الرياض: 1418هـ/ 1997م).

ابن طاووس، أبو القاسم علي بن موسى بن جعفر بن طاووس الحسني (ت 664 هـ/ 1266م):

134- طرف من الأنباء والمناقب في شرف سيد الأنبياء وعترته الأطائب وطرف من تصريحه بالوصية بالخلافة لعلي بن أبي طالب تحقيق: قيس العطار، تاسوعا (مشهد المقدسة: ١٤٢٠ هـ).

الطبراني، أبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب (ت: 360هـ / 970م):

135- المعجم الكبير، تحقيق: حمدي بن المجيد السلفي، ط2، دار أحياء التراث العربي (القاهرة: د ت).

وطبعة أخرى تحقيق: فريق من الباحثين بإشراف وعناية: د/ سعد بن عبد الله الحميد و د/ خالد بن عبد الرحمن الجريسي، ط1، (د.م: 1427هـ / 2006 م).

136- المعجم الأوسط، تحقيق: طارق بن عوض الله، عبد المحسن الحسيني، دار الحرفيين (القاهرة: 1415هـ / 1995م).

137- المعجم الصغير، تحقيق: محمد شكور الحاج أمرير، المكتب الإسلامي (بيروت: 1405هـ /1985م).

138- مسند الشاميين، تحقيق:حمدي بن عبدالمجيد السلفي، مؤسسة الرسالة(بيروت: 1405هـ /1984م).

الطبرسي، أبو علي الفضل بن الحسن بن الفضل (ت: 548هـ / 1153م):

139- أعلام الورى بأعلام الهدى، ط1، مؤسسة آل البيت لأحياء التراث (قم: 1417هـ / 1997م).

الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير (ت: 310هـ / 922م):

140- تاريخ الرسل والملوك، راجعه وصححه: نخبة من العلماء، مؤسسة الأعلمي (بيروت:1403هـ/ 1983م).

141-جامع البيان في تأويل القرآن، تحقيق: احمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة (د م: 1420هـ / 2000م)

الطبري الشيعي، أبو جعفر محمد بن جرير بن رستم، من أعلام القرن الخامس الهجري:

142- دلائل الإمامة، تحقيق: مؤسسة البعثة(قم المقدسة: 1413هـ).

الطوسي، أبو جعفر محمد بن الحسن بن علي (ت: 460هـ / 1067م):

143- التبيان في تفسير القرآن، تحقيق: احمد العاملي، دار احياء التراث العربي، (بيروت: د ت).

144- الخلاف، تحقيق جماعة من المؤلفين، مؤسسة النشر الإسلامي (قم المقدسة: 1407هـ/ 1986 م).

145- رجال الطوسي، تحقيق: جواد الفيومي، مؤسسة النشر الإسلامي (قم: 1415هـ / 1994م).

146- تلخيص الشافي في الإمامة،ط1،مؤسسة انتشارات المحبين (قم: د.ت).

147- تهذيب الأحكام، ط3، تحقيق: حسن الموسوي الخرسان ،دار الكتب الاسلامية (طهران:د.ت).

148- اختيار معرفة الرجال المعروف برجال الكشي، تحقيق السيد مهدي الرجائي، مؤسسة آل البيت عليهم السلام (قم المقدسة: 1404هـ/ 1984م).

149- الغيبة، تحقيق: الشيخ عباد الله الطهراني،مؤسسة المعارف (قم المقدسة : 1411هـ/1990م).

ابن طيفور، ابي الفضل بن أبي طاهر(ت: 380هـ / 990م):

150- بلاغات النساء، مكتبة بصيرتي (قم المقدسة: د. ت).

العاملي، يوسف بن حاتم بن فوز بن مهند الشامي المشغري (ت: ٦٦٤هـ/1266م).

151- الدر النظيم، مؤسسة النشر الاسلامي (قم المقدسة: د.ت).

ابن عبد البر القرطبي، يوسف بن عبد الله بن محمد النمري (ت: 463هـ / 1070م):

152- الاستيعاب في معرفة الأصحاب،تحقيق: علي محمد البجاوي، دار الجيل (بيروت: 1412هـ /1992م).

العجلي، أبو الحسن أحمد بن عبد الله بن صالح الكوفي (ت: 261هـ / 874م):

153- معرفة الثقات، تحقيق:عبد العليم البستوي، ط1، مكتبة الدار (المدينة المنورة: 1405هـ / 1985م).

ابن عساكر، ابو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله (ت:571هـ /1175 م) :

154- تاريخ مدينة دمشق، تحقيق: عمرو بن غرامه العمروي، دار الفكر (بيروت: 1415هـ / 1995م).

الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد (ت 505هـ / 1111م):

155- سر العالمين وكشف ما في الدارين، تحقيق: محمد حسن محمد حسن إسماعيل وأحمد فريد المزيدي، دار الكتب العلمية (بيروت : 1424 هـ /2003 م).

أبو الفداء، المؤيد عماد الدين إسماعيل (ت: 732هـ / 1331م):

156- المختصر في أخبار أخبار البشر، دار المعرفة (بيروت: د.ت).

الفراهيدي، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد (ت: 175هـ / 795م):

157- كتاب العين، تحقيق: مهدي المخزومي، إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال (د. م: د.ت).

الفيروز آبادي، مجد الدين ابو طاهر محمد بن يعقوب (ت: 817هـ / 1414م):

158- القاموس المحيط، تحقيق: مكتب تحقيق التراث، مؤسسة الرسالة (بيروت: 1426هـ/2005م).

القاضي النعمان، أبو حنيفة بن محمد التميمي المغربي (ت 363 هـ / 975 م):

159- شرح الأخبار،تحقيق:محمد الجلالي، مؤسسة النشر الاسلامي (قم المقدسة: 1414هـ/ 1993م).

160- المناقب والمثالب، تحقيق: ماجد بن أحمد العطية، مؤسسة الأعلمي (بيروت:1423هـ /2002 م).

ابن قانع، عبد الباقي بن قانع البغدادي (ت 351هـ/962م):

161- معجم الصحابة، تحقيق: صلاح المصراني،مكتبة الغرباء (المدينة المنورة: 1418هـ/1997م).

ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم الدينوري (ت: 276هـ / 889م):

162- الإمامة والسياسة، تحقيق: علي شيري، إنتشارات الشريف الرضي (د.م: ١٤١٣ هـ/ ١٣٧١ م)

عيون الأخبار،تحقيق، يوسف علي طويل،ط3، دار الكتب العلمية(بيروت:2003 م / 1424 هـ).

القرطبي ابو عبد الله محمد بن احمد الانصاري(ت: 671 هـ/1273م):

163- تفسير القرطبي = الجامع لاحكام القرآن، تحقيق:احمد البردوني،ابراهيم اطفيش،ط2،دار الكتب المصرية (القاهرة:1384هـ/ 1964م).

ابن قيم الجوزية ، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين (ت: 751هـ/ 1350م) :

164- زاد المعاد في هدي خير العباد، مؤسسة الرسالة (بيروت : 1415هـ /1994م).

ابن عبد ربه، ابو عمر شهاب الدين أحمد بن محمد (ت328هـ - 939م)

165- العقد الفريد، ط1، دار الكتب العلمية (بيروت، 1404هـ)

أبو عبيدة ، القاسم بن سلام الهروي (ت: 224هـ / 838م):

166- غريب الحديث، تحقيق: محمد عبد المعيد خان، دار المعارف العثمانية(حيدر اباد: 1384هـ/ 1964م).

167- الاموال، تحقيق: خليل محمد هراس، دار الفكر (بيروت: ١٤٠٨ هـ / ١٩٩٨ م).

العراقي ،أبو الفضل زين الدين عبد الرحيم بن الحسين (ت: 806هـ/ 1404م) :

168- طرح التثريب في شرح التقريب، الطبعة المصرية القديمة (د.م: د.ت).

ابن العربي، القاضي محمد بن عبد الله أبو بكر المعافري الإشبيلي المالكي (ت: 543هـ/):

169- العواصم من القواصم في تحقيق مواقف الصحابة ، تحقيق: محب الدين الخطيب ومحمود مهدي الاستانبولي،ط2،: دار الجيل (بيروت: 1407هـ /1987م).

170- أحكام القرآن، دار الكتب العلمية(بيروت: 1424 هـ / 2003 م).

العياشي، ابو النضر محمد بن مسعود بن عياش السمرقندي (ت320هـ /932م):

171- تفسير العياشي، تحقيق: هاشم الرسول ، د. ط، المكتبة العلمية (طهران، د. ت).

العيني، بدر الدين ابو محمد محمود بن احمد بن حسين الغيتابي (ت855هـ / 1451م) :

172- عمدة القارئ شرح صحيح البخاري، د. ط، دار احياء التراث العربي (بيروت، د. ت).

فرات بن إبراهيم الكوفي (ت:352هـ) :

173- تفسير فرات الكوفي، تحقيق: محمد الكاظم، مؤسسة الطبع والنشر التابعة لوزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي (طهران: ١٤١٠ /١٩٩٠).

ابو الفرج الاصفهاني،علي بن الحسين بن محمد بن احمد المرواني الاموي (ت356هـ /966م) :

174- مقاتل الطالبين، تحقيق: احمد الصقر، دار المعرفة (بيروت، د. ت) .

175- الأغاني، دار إحياء التراث العربي (بيروت: 1414 هـ/ 1994 م).

الفسوي، يعقوب بن سفيان بن جوان الفارسي ابو يوسف (ت277هـ/ 890م) :

176- المعرفة والتاريخ، تح: اكرم ضياء العمري، ط2، مؤسسة الرسالة (بيروت، 1401هـ - 1981م).

الفيومي، أحمد بن محمد بن علي المقري، (ت 770هـ):

177- المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي، دار الفكر (د.م: د.ت).

ابن قدامة، قدامة بن جعفر بن قدامة بن زياد البغدادي (ت: 337هـ / 948م):

178- الخراج وصناعة الكتابة، ط1، دار الرشيد للنشر،(بغداد: 1401هـ /1981م).

القزويني ، زكريا بن محمد بن محمود (ت: 682هـ / 1283م):

179- آثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر (بيروت :د.ت).

القسطلاني احمد بن محمد بن ابي بكر بن عبد الملك ابو العباس (ت 923هـ / 1518م) :

180- ارشاد الساري لشرح صحيح البخاري، ط7، المطبعة الكبرى الاميرية (مصر: 1323هـ).

القمي، لأبي الحسن علي بن إبراهيم (من أعلام قرني الثالث والرابع الهجري):

181- تفسير القمي، تحقيق: طيب الموسوي الجزائري، ط3، دار الكتاب (قم المقدسة 1404هـ).

ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير (ت: 774هـ / 1372م):

182- البداية والنهاية، تحقيق: علي شيري، ط1، دار أحياء التراث العربي (بيروت: 1408هـ / 1988م).

183- تفسير ابن كثير= تفسير القرآن العظيم: تحقيق :سامي بن محمد سلامة، ط2، دار طيبة (د. م:1420هـ 1999م).

الكلبي، أبو المنذر هشام بن محمد أبي النضر ابن السائب (ت 204 هـ/819 م):

184- جمهرة النسب، تحقيق: حسن، ناجى،ط1، عام الكتب (بيروت: 1407هـ / 1986 م).

الكليني، ابو جعفر محمد بن يعقوب بن اسحاق (329هـ/940م)

185- الاصول من الكافي،تحقيق:علي اكبر الغفاري،ط3، دار الكتب الاسلامية (طهران، 1388هـ).

الكندي، محمد بن يوسف بن يعقوب المصري (ت: بعد 355هـ/966م):

186- كتاب الولاة القضاة، تحقيق: : محمد حسن محمد حسن إسماعيل، وأحمد فريد المزيدي، دار الكتب العلمية، (لبنان: 1424 هـ / 2003 م).

الكوفي، ابو عقدة الكوفي (ت: 333هـ/ 944م):

187- فضائل امير المؤمنين (عليه السلام) ،جمعه ورتبه وقدم له: عبد الرزاق محمد حسين فيض الدين، ط1،مطبعة نگارش (قم المقدسة: 1424هـ).

ابن ماجة، أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني (ت: 273هـ / 886م):

188- سنن ابن ماجة، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار احياء الكتب العلمية (د م:د ت)

المالقي، أبو عبد الله محمد بن يحيى الأشعري لأندلسي (ت: 741هـ/ 1340م):

189- التمهيد والبيان في مقتل الشهيد عثمان، تحقيق: محمود يوسف زايد، ط1، دار الثقافة (الدوحة: 1405هـ /1985م).

المتقي الهندي، علاء الدين علي بن حسام الدين ابن قاضي خان القادري (ت 975هـ /1567م)

190- كنز العمال في سنن الاقوال والافعال، تح: بكري حياني وصفوة السقا، ط5، مؤسسة الرسالة (د. م، 1401هـ / 1981م)، وطبعة أخرى (1409هـ /1989م).

المحب الطبري ،محب الدين،احمد بن عبد الله (ت 694هـ / 1295م).

191- الرياض النضرة في مناقب العشرة، ط2، دار الكتب العلمية (بيروت: د. ت).

192- ذخائر العقبى في مناقب ذوى القربى (عليهم السلام)، تحقيق: سامي العزيزي، مؤسسه دار الكتاب الاسلامي(قم المقدسة: 1428 هـ / 2007 م).

ابن مردويه، ابو بكر احمد بن موسى الاصفهاني (ت 410هـ /1019م):

193- مناقب علي بن ابي طالب عليه السلام وما نزل من القرآن في علي عليه السلام، تح: عبد الرزاق محمد حسين حرز الدين، ط2، دار الحديث (قم، د.ت).

المزي، أبو الحجاج، يوسف بن عبد الرحمن بن يوسف (ت: 742هـ / 1341م):

194- تهذيب الكمال في أسماء الرجال، تحقيق: بشار عواد معروف،ط1، مؤسسة الرسالة (بيروت: 1400 هـ/ 1980م).

المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسين بن علي (ت: 346هـ / 957م):

195- مروج الذهب ومعادن الجوهر، ط2 منشورات دار الهجرة (قم المقدسة:1404هـ/ 1984م).

مسلم النيسابوري، أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري (ت: 261هـ / 874م):

196- صحيح مسلم، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار احياء التراث العربي، (بيروت: د ت).

ابن مسكويه، ابو علي احمد بن محمد بن يعقوب (ت421هـ /1030م)

197- تجارب الامم وتعاقب الهمم، تح: ابو القاسم امامي، ط2، سرويش (طهران، 2000م)

ابن المطهر الحلي، الحسن بن يوسف بن علي بن محمد (ت: 648هـ / 1250م) :

- نهج الحق وكشف الصدق، تقديم: السيد رضا الصدر ،تعليق: الشيخ عين الله الحسني الأرموي، مؤسسة الطباعة والنشر دار الهجرة (قم المقدسة: 1421هـ /2001م).

198- خلاصة الأقوال في معرفة الرجال، ط1، تحقيق جواد القيومي، مؤسسة النشر الاسلامي (د. م: 1417هـ/ 1997م).

المعتزلي، عبد الجبار بن احمد بن عبد الجبار (ت: 415هـ/ 1024م):

199- تثبيت دلائل النبوة، دار المصطفى، القاهرة، د ت.

ابن المغازلي،علي بن محمد بن محمد بن الطيب بن ابي يعلى ابو الحسن الواسطي (ت483هـ/1090م):

299- مناقب أمير المؤمنين علي بن ابي طالب عليه السلام، تحقيق: ابو عبد الرحمن تركي بن عبد الله، ط1، دار الآثار (صنعاء، 1424هـ / 2003م).

المفضل الضبي، أبو العباس محمد بن يعلي بن عامر (ت نحو168هـ / 784م):

201- أمثال العرب، ط 1، دار ومكتبة الهلال (بيروت: 1424 هـ/ 2003م).

المفيد، محمد بن محمد بن النعمان البغدادي (ت: 413هـ / 1022م):

202- الجمل ، مكتبة الداوري (د.ت: قم المقدسة . إيران) .

203- الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد، تحقيق: مؤسسة آل البيت (ع)، ط2، دار المفيد للطباعة والنشر (بيروت:1414هـ/1993م).

205-الاختصاص،صححه و علق عليه:علي أكبر الغفاري، ط2، دار المفيد(بيروت :1414هـ /1993م).

206-الأمالي،تحقيق: حسين الأستاد ولي، علي أكبر الغفاري، ط2،دار المفيد(بيروت:1414هـ/1993م).

207-الكافئة في إبطال توبة الخاطئة، تحقيق: علي أكبر زماني نژاد،ط2، دار المفيد (بيروت:1414هـ/1993م)

208- الرسائل السرروية، تحقيق: صائب عبد الحميد، ط2، دار المفيد،(بيروت:1993م).

مقاتل بن سليمان، أبو الحسن بن بشير الأزدي البلخى (المتوفى: 150هـ/ 767م):

209- تفسير مقاتل بن سليمان، تحقيق: عبد الله محمود شحاته،ط1، دار إحياء التراث (بيروت: 1423هـ/ 2002م).

المقدسي، المطهر بن طاهر (ت:355هـ/ 965م) :

210- البدء والتاريخ، مكتبة الثقافة الدينية، (بور سعيد :د ت).

المقريزي، تقي الدين أبو محمد أحمد بن علي بن عبد القادر (ت: 845هـ / 1441م):

211- إمتاع الأسماع بما للنبي (صلى الله عليه وسلم) من الأحوال والأموال والحفدة والمتاع، تحقيق وتعليق: محمد عبد الحميد النميمسي، ط1، دار صادر (بيروت: 1420هـ / 1999م)

212- المقفى الكبير، تحقيق: يعلاوي محمد، ط2، دار المغرب الإسلامي(بيروت: 1427هـ ./2006م)

.

ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين بن مكرم (ت: 711هـ / 1311م):

213- لسان العرب، ط3، دار أحياء التراث العربي (بيروت: 1414هـ / 1993م).

المنقري، نصر بن مزاحم (ت: 212هـ /827 م):

214- وقعة صفين، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، المؤسسة العربية (القاهرة: 1382هـ /1962 م).

ابن ميثم البحراني ، كمال الدين ميثم بن علي (ت: 679 هـ / 1297م):

216- شرح نهج البلاغة، ط1، مكتب الاعلام الاسلامي للحوزة العلمية (قم المقدسة: د.ت).

ابن النديم، أبو الفرج محمد بن إسحاق بن محمد (ت: 385هـ / 995م):

218- الفهرست، تحقيق: إبراهيم رمضان،ط2، دار المعرفة (بيروت: 1417 هـ /1997 م).

النسائي، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب علي (ت: 303هـ / 915م):

219- السنن الكبرى، تحقيق: حسن عبد المنعم شبلي، ط1، مؤسسة الرسالة (د. م: 1421هـ / 2001م).

220- خصائص أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام)، تحقيق: أحمد ميرين البلوشي، مكتبة المعلا (الكويت: 1406هـ/ 1986م)

221- فضائل الصحابة، دار الكتب العلمية (بيروت: ط1405،1هـ/ 1985م).

النسفي، أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين (المتوفى: 710هـ /1310م) :

222- مدارك التنزيل وحقائق التأويل، تحقيق: يوسف علي بديوي، دار الكلم الطيب (بيروت: 1419هـ).

النيسابوري، أبو الفضل أحمد بن محمد بن إبراهيم الميداني (ت: 518هـ/ 1124 م):

223 مجمع الأمثال، تحقيق: محمد محيى الدين عبد الحميد، دار المعرفة –(بيروت:د.ت).

نشوان الحميري ،ابن سعيد اليمني (ت: 573هـ/ 1178 م):

224- شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم، تحقيق: حسين بن عبد الله العمري، وآخرون، ط1: دار الفكر المعاصر(بيروت: 1420هـ/ 1999م).

النووي ، محيي الدين أبو زكريا يحيى بن شرف الشافعي (ت: 676هـ/ 1278م):

225- المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج ، دار إحياء التراث العربي (بيروت: د.ت).

النويري، أحمد بن عبد الوهاب بن محمد بن عبد الدائم القرشي التيمي البكري (ت: 733هـ/1332م)

226- نهاية الأرب في فنون الأدب، دار الكتب والوثائق القومية (القاهرة: 1423 هـ/2002م).

ابن هشام، أبو محمد عبد الملك بن أيوب الحميري(ت: 218هـ / 833م):

227- السيرة النبوية، تحقيق: مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ الشلبي،ط2، مطبعة الحلبي وأولاده (مصر: 1375هـ / 1955 م).

أبو هلال العسكري ، الحسن بن عبد اللّه بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران (ت:395هـ/1005 م):

228- الأوائل، تحقيق : محمد السيد الوكيل،ط1، دار البشير (طنطا:1408هـ /1987م).

الهيثمي، نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان (المتوفى: 807هـ/1404م) :

229- كشف الأستار عن زوائد البزار، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، مؤسسة الرسالة، (بيروت: 1399 هـ /1979 م) .

230- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، تحقيق: حسام الدين القدسي، مكتبة القدسي(القاهرة : 1414هـ/ 1994م).

الواسطي، أبي الحسن علي بن محمد الليثي(من أعلام القرن السادس الهجري/ الحادي عشر ميلادي):

231- عيون الحكم والمواعظ، تحقيق: لشيخ حسين الحسني البيرجندي، دار الحديث (قم المقدسة:د.ت).

ابن وردي، عمر بن مظفر بن عمر ابو النوارس (ت: 749هـ/ 1348م):

232- تاريخ ابن وردي،ط1، دار الكتب العلمية (بيروت: 1417هـ/1996م)

وكيع، ابو بكر محمد بن خلف بن حيان بن صدقة الضبي البغدادي (ت306هـ - 918م):

234- اخبار القضاة، تحقيق: عبد العزيز مصطفى المراغي، عالم الكتب (بيروت، 1366هـ -1947م)

اليافعي، ابو محمد عفيف الدين عبد الله(ت: 768هـ/ 1365م):

235- مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان، تحقيق: خليل منصور، دار الكتب العلمية (بيروت:1417 هـ / 1997م).

اليعقوبي، أحمد بن إسحاق بن جعفر بن وهب بن واضح البغدادي (ت: 292هـ / 904م)

236- البلدان، دار الكتب العلمية،ط2، (بيروت: 1422هـ/2001م).

237- تاريخ اليعقوبي، دار صادر (بيروت: د. ت).

أبو يعلى، أحمد بن علي بن المثنى التميمي الموصلي (ت: 307هـ / 957م):

238- مسند أبي يعلى، تحقيق: حسين سليم أسد، دار المأمون للتراث (دمشق، 1404هـ/ 1984م).

أبو يعلى الخليلي، خليل بن عبد الله بن أحمد بن إبراهيم بن الخليل القزويني (ت: 446هـ/ 1054م):

239- الإرشاد في معرفة علماء الحديث ، تحقيق: محمد سعيد عمر إدريس،ط1، مكتبة الرشد (الرياض: 1409هـ/ 1989م).

أبو يوسف، يعقوب بن ابراهيم بن حبيب بن سعد بن حبتة الأنصاري (ت 183هـ / 798 م) :

240- الخراج، دار المعرفة (بيروت: ١٣٩٩هـ/١٩٧٩ م).

قائمة المراجع :

الآلوسي، أبو الفضل شهاب الدين محمود (1270هـ /1854م) :

241- روح المعاني في تفسير القرآن و السبع المثاني، تحقيق : علي عبد الباري عطية،ط1، دار الكتب العلمية (بيروت : 1415 هـ/ 1994م) .

242-مختصر التحفة الاثني عشرية للدهلوي، تحقيق : محب الدين الخطيب، المطبعة السلفية (القاهرة : 1373هـ) .

إبراهيم ،أيمن:

243- الإسلام والسلطان والملك، ط1، دار الحصاد(دمشق:1420هـ/1998م).

الأفغاني، سعيد :

244- عائشة والسياسة، مطبعة لجنة التأليف والنشر (القاهرة: 1336هـ/ 1947م) .

الألباني، محمد ناصر الدين، الأشقودري :

245- سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها ،ط1،مكتبة المعارف (الرياض : د.ت) .

246- سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة، دار المعارف، (الرياض: 1412 هـ / 1992 م) .

امين، احمد :

247- يوم الاسلام، مكبة ودار النهضة المصرية (القاهرة : د. ت).

الأمين، حسن:

248- مستدركات أعيان الشيعة، دار التعارف للمطبوعات، ط2 (بيروت : 1417هـ/ 1997م) .

الأمين، محسن (ت 1371هـ)

249- أعيان الشيعة، تحقيق حسن الأمين، دار التعارف للمطبوعات (بيروت: د.ت).

الأميني، عبد الحسين(ت 1392هـ):

250- الغدير في الكتاب والسنة والأدب، ط4، دار الكتب العربي (بيروت: 1397هـ/ 1977م) .

أيوب، سعد :

251- زوجات النبي، دار الهادي للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، بيروت : 1417هـ / 1997 م .

252- معالم الفتن، ط1، مجمع إحياء الثقافة الإسلامية، (د.م: 1414هـ/ 1993م) .

253- الإنحرافات الكبرى، ط1، دار الهادي للطباعة والنشر والتوزيع (1412هـ /1992 م).

البحراني، هاشم الحسيني (ت : 1107 هـ / 1186م) :

245- البرهان في تفسير القرآن، تحقيق : قسم الدراسات الاسلامية مؤسسة البعثة (قم المقدسة: د.ت).

255-غاية المرام وحجة الخصام في تعيين الإمام من طريق الخاص والعام، تحقيق:علي عاشور(د. م : د. ت) .

البدري، سامي :

256- المدخل إلى دراسة مصادر السيرة النبوية و التاريخ الإسلامي، دار الفقه، (قم المقدسة / د. ت)

البكري، عبد الرحمن احمد :

257- من حياة الخليفة عمر بن الخطاب، ط7، الإرشاد للطباعة و النشر (بيروت : 2002 م).

البياتي، صباح علي :

258- الصحوة، رحلتي الى الثقلين، المجمع العالمي لأهل البيت (ع) (قم المقدسة: د. ت).

بيضون، إبراهيم :

259- ملامح التيارات السياسية في القرن الأول الهجري ،دار النهضة العربية(بيروت:1979م) .

260- من دولة عمر إلى دولة عبد الملك دراسة في تكوين الاتجاهات السياسية في القرن الأول الهجري، دار النهضة العربية (بيروت: 1411هـ/ 1991م) .

261- الإمام علي (عليه السلام) في رؤية النهج و رواية التاريخ، بيسان للنشر، (بيروت: 2009 م) .

التستري، محمد تقي :

262- قاموس الرجال،ط2، مؤسسة النشر الإسلامي (قم المقدسة :1410هـ/ 1990م) .

263- بهج الصباغة في شرح نهج البلاغة، تحقيق : مؤسسة نهج البلاغة، ط1، دار امير كبير للنشر(طهران : 1418 هـ / 1997 م) .

264- الأوائل، تحقيق : قيس آل قيس، مؤسسه مطالعات و تحقيقات فرهنگي طهران : د. ت).

265- النجعة في شرح اللمعة،تحقيق:على أكبر الغفاري نشر مكتبة الصدوق(طهران : 1406هـ/1986م)

التستري، نور الله الحسيني المرعشي :

266-شرح أحقاق الحق، تعليق : شهاب الدين المرعشي ،مكتبة المرعشي (قم المقدسة: د.ت) .

التيجاني : محمد :

267- فاسألوا أهل الذكر، تحقيق وتعليق : مركز الأبحاث العقائدية (قم المقدسة:1420هـ).

الجبالي، صقر وآخرون:

268-قاموس المصطلحات المدنية والسياسية، مركز اعلام حقوق الانسان والديمقراطية (رام الله:2014م).

جعيط، هشام :

269- الفتنة جدلية الدين والسياسة في الاسلام المبكر، ط4،دار الطليعة (بيروت :1995م).

جرداق، جورج :

270- روائع نهج البلاغة، مركز الغدير للدراسات الإسلامية، ط2 (بيروت : 1997م) .

271- الإمام علي (ع) صوت العدالة الإنسانية، تحقيق حسن حميد السنيد،ط1، دار الأندلس (النجف الأشرف : 1423هـ /2010 م) .

الجلالي، محمد باقر الحسيني

272- فدك والعوالي ، (قم المقدسة : ١٤٢٦هـ/2010م) .

الحربي، عاتق بن غيث البلادي :

273- معالم مكة التأريخية والأثرية، ط1، دار مكة للنشر والتوزيع (د،م : 1400 هـ / 1980 م) .

الحر العاملي، حمد بن الحسن بن علي بن الحسين :

274- تفصيل وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة، ط2، مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث (قم المقدسة : 1414 هـ /1993م) .

275- إثبات الهداة بالنصوص والمعجزات، قدم له : السيد شهاب الدين المرعشي النّجفي، خرّج أحاديثه علاء الدّين الأعلمي، مؤسسة الأعلمي (بيروت : 1425 هـ / 2004 م) .

الحسيني، إدريس هاني :

276- محنة التراث الآخر،ط1، مؤسسة الغدير للدراسات والنشر (بيروت : 1419هـ/ 1998م) .

الحسيني، محمد طه حسين:

277- التنظيم المالي للدولة منذ صدر الأسلام حتى سقوط الدولة العثمانية، المركز العربي للدراسات والبحوث (القاهرة :1438هـ /2017م) .

حسين، طه :

278- الفتنة الكبرى، ط12، دار المعارف (مصر: د. ت) .

279- علي وبنوه، مؤسسة هنداوي (القاهرة :د،ت).

الحلبي، أبو الفرج علي بن إبراهيم بن أحمد (ت: 1044هـ/1635 م) :

280- السيرة الحلبية = إنسان العيون في سيرة الأمين المأمون ط2،دار الكتب العلمية(بيروت: 1427هـ)

حمود، هادي حسين :

281- منهج المسعودي في بحث العقائد والفرق الدينية، دار القادسية للطباعة (بغداد: 1489هـ/1984م)

حوى، سعيد :

282- الأساس في السنة وفقهها، تحقيق : عبد الحميد الأحدب، دار السلام ،(القاهرة:د.ت).

الخرسان، محمد مهدي السيد حسن الموسوي :

283- موسوعة عبد الله بن عباس ،ط1،مركز الأبحاث العقائدية (النجف الأشرف : 1428 هـ/ 2008م).

الخطيب، عبد الكريم :

284- علي بقية النبوة وخاتم الخلافة،ط2، دار المعرفة (بيروت : 1395هـ / 1975م) .

الخطاوي، وسام :

285- المناهج الروائية عند الشريف المرتضى، دار الحديث (قم المقدسة : 1427هـ / 2006م) .

الخفاجي، أياد عبد الحسين صيهود :

286- مصطلحات مستحدثة في الرواية التاريخية ، ط1، دار الرياحين (بابل:1441هـ/2020م).

الخوئي، أبو القاسم الموسوي :

287- معجم رجال الحديث و تفصيل طبقات الرواة، ط5 (د.م : 1413 هـ / م1992م) .

الريشهري: محمد، وآخرون:

288- موسوعة الإمام علي(عليه السلام) في الكتاب و السنة و التاريخ، ط2، دار الحديث (قم المقدسة:1425هـ /2005م) .

الزَّبيدي، محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني (ت: 1205هـ /1145م):

289- تاج العروس من جواهر القاموس تحقيق : مجموعة من المحققين، دار الهداية (د.م: د.ت).

290- إتحاف السادة المتقين بشرح إحياء علوم الدين،ط3، دار الكتب العلمية (بيروت : 1426 هـ/ 2005 م) .

الزركلي، خير الدين :

291- الاعلام، ط15، دار العلم للملايين (بيروت :2002م).

الزيات وآخرون :

292- المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، دار الدعوة (القاهرة :د. ت).

السبحاني، جعفر :

294- الإلهيات على هدى الكتاب والسنة والعقل،ط3، المركز العالمي للدراسات الإسلامية (قم المقدسة : 1412هـ/1992م).

سلمان، أحمد:

295- الصندوق الأسود لأحداث رحيل نبي الإسلام(صلى الله عليه وآله)، (العتبة الحسينية المقدسة:1422هـ)

السند، محمد :

296- الحداثة، العولمة، الإرهاب في ميزان النهضة الحسينية، تحقيق : علي الأسدي ط1، مكتبة فدك للطباعة والنشر (قم المقدسة : 2006 م /1427 هـ) .

297- بحوث معاصرة في الساحة الدولية، مركز الأبحاث العقائدية (قم المقدسة : 1428 هـ/ 2005م)

الشاكري، حسين :

298- ربع قرن مع العلامة الأميني، (قم المقدسة : 1417 هـ / 1998م) .

299- ثم عقر الجمل، ط1، مطبعة ستارة (قم المقدسة: 1418 هـ / 1997م).

الشاهرودي، علي النمازي :

300- مستدركات علم رجال الحديث، مطبعة شفق، الناشر : أبن المؤلف، ط1 (طهران – 1412هـ)

301- مستدرك سفينة البحار، تحقيق : حسن النمازي، مؤسسة النشر الاسلامي (قم المقدسة : د.ت)

شحاته، حسام :

302- قريش وعلي، الدار الاسلامية للطباعة والنشر، بيروت / 2006م .

ابن شدقم، ضامن بن علي الحسيني المدني (ت : بعد 1082 هـ/ 1672م):

303- وقعة الجمل، تحقيق : السيد تحسين آل شبيب الموسوي،(د.م : 1420 هـ / 1999م) .

شريعتي، علي :

304- دين ضد دين، ترجمة : حيدر مجيد، مؤسسة العطارد الثقافية (د.م : 1423هـ / 2007م) .

شمس الدين : محمد مهدي .

305- ثورة الحسين وظروفها الإجتماعية وآثارها الإنسانية،ط7، مؤسسة الدوليّة للدراسات (د.م 1997م)

306- دراسات في نهج البلاغة، ط2، دار الزهراء (بيروت: 1973م) .

الشوكاني : محمد بن علي أبن محمد (ت 1255هـ / 1839م) .

307- فتح القدير الجامع بين فني الرواية و الدراية من علم التفسير، ط1، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب (دمشق، بيروت : 1414هـ/ 1993م) .

الشيرازي، صدر الدين السيد على خان المدني الحسيني(ت 1120 /هـ 1708 م):

308- الدرجات الرفيعة في طبقات الشيعة، ط2،قدم له السيد محمد صادق بحر العلوم ،منشورات مكتبة بصيرتي(قم المقدسة:1397هـ).

الصدر : محمد باقر:

309- فدك في التاريخ، تحقيق عبد الجبار شرارة، مركز الغدير للدراسات الإسلامية(1415هـ/ ١٩٩٤ م)

310- اقتصادنا، تحقيق: مكتب الإعلام الإسلامي، ط2 (قم المقدسة: 1425هـ).

الصغير، محمد حسين علي :

311- الإمام علي (عليه السلام) سيرت وقيادته، ط1، مؤسسة البلاغ (بيروت : 1433هـ/ 2012م).

الصَّلاَّبي، عَلي محمد :

312- أسمى المطالب في سيرة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (رض) مكتبة الصحابة (الشارقة : 1425 هـ / 2004 م) .

الطباطبائي، محمد حسين :

313- الميزان في تفسير القرآن، منشورات جماعة المدرسين في الحوزة العلمية، (قم المقدسة : د. ت).

طقوش، محمد سهيل :

314- تاريخ الخلفاء الراشدين الفتوحات والإنجازات السياسية، ط1، دار النفائس،1424هـ /2003م

الطهراني، أقا برزك .

315- الذريعة في تصانيف الشيعة، دار الأضواء، ط3 (بيروت / 1983 م) .

طهماز، عبد الحميد محمود :

316- السيدة عائشة أم المؤمنين وعالمة نساء الإسلام، ط5، دار القلم (دمشق : 1415هـ / 1994م).

العاملي، جعفر مرتضى :

317- الحياة السياسية للإمام الحسن (عليه السلام) في عهد الرسول (صلى الله عليه وآله) والخلفاء الثلاثة بعده، ط1، دار السيرة (بيروت: 1994م /1414 هـ).

318-علي(عليه السلام) والخوارج، المركز الإسلامي للدراسات (بيروت :1423هـ/2002 م)

319- أهل البيت (ع) في آية التطهير،ط2، المركز الإسلامي للدراسات (بيروت :1423هـ/2002 م)

320- الصحيح من سيرة النبي الأعظم (ص)،مؤسسة دار الحديث (قم المقدسة : 1426هـ /2005م)

321- الصحيح من سيرة الأمام علي (عليه السلام)، المركز الإسلامي للدراسات (1429هـ / 2009م)

322- حديث الإفك،ط2،المركز الإسلامي للدراسات (بيروت :د.ت) .

عبدة، محمد :

323- شرح نهج البلاغة، دار المعرفة (د.م :د. ت) .

عرفة، محمد سليم:

324- إفادات من ملفّات التاريخ، مركز الأبحاث العقائدية (قم المقدسة: 1427 هـ/2006م).

العسكري، مرتضى :

325- أحاديث أم المؤمنين عائشة،ط7، كلية أصول الدين (طهران: 1425هـ/ 2004 م).

326- عبد الله بن سبأ وأساطير أخرى، المجمع العلمي (طهران :1417هـ/1997م).

327- خمسون ومائة صحابي مختلق، ط7، كلية أصول الدين (طهران : 1426هـ/2006م)

328- الأسطورة السبئية، ط1، المجمع العلمي لأهل البيت (ع) (د .م : 1424 هـ /2003م) .

329- الجبر والتفويض والقضاء والقدر(**د.م:د.ت**).

330- معالم المدرستين، مؤسسة النعمان (بيروت:1410هـ/ 1990م) .

العصامي، عبد الملك بن حسين بن عبد الملك المكي (ت: 1111هـ/1700م) :

331- سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي، تحقيق : عادل أحمد عبد الموجود و علي محمد معوض، دار الكتب العلمية (بيروت : 1419 هـ /1998 م).

العطاردي،عزيز الله :

332- مسند الإمام أبي محمد الحسن بن علي عليهم السلام، منشورات عطارد (طهران : د. ت)

333- مسند الإمام السجاد عليه السلام،ط1، منشورات عطارد (طهران : د. ت)

334-مسند الإمام الكاظم (عليه السلام)، ط1، نشر المؤتمر العالمي للإمام الرضا عليه السلام (مشهد المقدسة : 1409هـ / 1988م)

العقاد، عباس محمود :

335-الصديقة بنت الصديق،مؤسسة هنداوي (القاهرة : 1433هـ/ 2012م) .

336- عبقرية الإمام علي (ع)، مؤسسة هنداوي (القاهرة :1433هـ /2012م).

337- معاوية بن أبي سفيان،(القاهرة :2014م/ 1435هـ) .

العلايلي، عبد الله :

338- الامام الحسين (عليه السلام)،ط2،دار مكتبة التربية (بيروت، 1407هـ/ 1986م).

339- تاريخ الحسين، نقد وتحليل، ط2، دار الجديد (بيروت : 1415هـ / 1994م) .

العلوي، السيد محمد بن عقيل بن عبد الله بن عمر بن يحيى :

340- النصائح الكافية لمن يتولى معاوية، ط1، دار الثقافة (قم المقدسة : 1412 هـ/ 1992م) .

ابن العماد الحنبلي، عبد الحي بن أحمد بن محمد العَكري (ت: 1089هـ/ 1679م):

341- شذرات من ذهب في أخبار من ذهب، تحقيق: عبد القادر الأرناؤوط ومحمود الأرناؤوط دار ابن كثير (دمشق:1406هـ / 1986 م) .

عمر،أحمد مختار عبد الحميد:

342- معجم اللغة العربية المعاصرة، عالم الكتب (1429 هـ / 2008 م).

غبان الصبحي، محمد بن عبد الله :

343- فتنة مقتل عثمان بن عفان، ط2، نشر عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية (المدينة المنورة:1424هـ/2003م) .

الغروي، محمد هادي اليوسفي :

344- موسوعة التاريخ الإسلامي، مجمع الفكر الإسلامي، ط1 (قم المقدسة: 1417هـ/ 1996م) .

الغزاوي، محمود:

345- مقتل عثمان بن عفان،ط2، مطبعة مجلتي (د.م :1354 هـ/1936م) .

فلهاوزن، يوليوس:

346- تاريخ الدولة العربية من ظهور الاسلام الى نهاية الدولة الاموية، تحقيق : حسين مؤنس، (القاهرة : 1968م).

القبانچي، حسن :

347- مسند الإمام علي (ع)، تحقيق :طاهر السلامي، مؤسسة الأعلمي (بيروت:1421هـ/ 2000 م)

قدورة، زاهية :

348- عائشة أم المؤمنين، لجنة البيان العربي (القاهرة :1366هـ/ 1946م) .

القرشي، باقر شريف :

349- موسوعة الأمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب(عليهما السلام)، مؤسسة الكوثر للمعارف الإسلامية (د.م : 1423 هـ / 2002 م).

350- حياة الإمام الحسن بن علي عليه السلام،ط1، دار البلاغة (1413 هـ /1993 م) .

قلعجي، محمد رواس، قنيبي، حامد صادق :

351- معجم لغة الفقهاء، ط2،دار النفائس (1408 هـ /1988 م) .

القمي الشيرازي، محمد طاهر بن محمد حسين النجفي (ت : 1098هـ/ 1686م) :

352- الأربعين في امامة الأئمة الطاهرين، تحقيق : السيد مهدي الرجائي، مطبعة الأمير(قم المقدسة : ١٤١٨هـ/ 1997م) .

القمي، عباس بن محمد رضا:

353- الكنى والألقاب، تقديم : محمد هادي الأميني، مكتبة الصدر (طهران : د.ت) .

354- كحل البصر في سيرة سيد البشر صلى الله عليه وآله ، تحقيق: عبد الرزاق حريزي نژاد، مؤسسة البلاغ(بيروت: 1429 هـ /2008 م).

الكوراني العاملي، علي :

355- جواهر التاريخ، ط2، (د.م :1438 هـ/ 2017 م) .

356- سيرة أمير المؤمنين عليه السلام، دار المعروف (قم المقدسة : 1439هـ / 2018م)

اللنكراني، محمد الفاضل، الإشراقي شهاب الدين :

357- آية التطهير رؤية مبتكرة، تحقيق مركز فقه الأئمة الأطهار عليهم السلام ط3، (قم المقدسة: 1424هـ)

المالكي، حسن بن فرحان :

358- نحو إنقاذ التاريخ، مؤسسة اليمامة الصحفية (الرياض : 1418 هـ / 1997م) .

المجلسي : محمد باقر (ت 1111 هـ / 1700 م):

359- بحار الأنوار الجامعة لدرر الأخبار الأئمة الأطهار، تحقيق : يحيى العابدي الزنجاني عبد الرحيم الرباني الشيرازي، ط2، مؤسسة الوفاء (بيروت : 1403هـ/ 1983م).

مجموعة من المؤلفين:

360- أعلام الهداية، المجمع العالمي لأهل البيت (عليهم السلام) (قم المقدسة : ١٤٢٥ هـ/ 2005م) .

مجموعة من المؤلفين :

361- مع الركب الحسيني، نشر مديرية دراسات عاشوراء في مركز الدراسات الإسلامية (قم المقدسة :1428هـ / 2008 م) .

مجموعة من المؤلفين :

362- موسوعة من حياة المستبصرين (قم المقدسة : 1424هـ/ 2003م) .

محمديان، محمد :

363- حياة أمير المؤمنين عليه السلام عن لسانه، مؤسسة النشر الإسلامي (قم المقدسة : 1417هـ / 1997م)

المحمودي، محمد باقر .

364- نهج السعادة في مستدرك نهج البلاغة، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات (بيروت : د.ت).

المظفر، محمد حسن :

365- دلائل الصدق لنهج الحق،تحقيق، مؤسسة أل البيت لأحيار التراث (دمشق : 1430هـ/2009 م) .

مغنية، محمد جواد :

366- في ضلال نهج البلاغة،ط1،مؤسسة انتشارات كلمة الحق (د.م : 1427 هـ/ 2006م).

مكي، محمد علي :

367-الجمل، قراءة نقدية فيما جنى وما حمل، دار المحجة البيضاء (بيروت: 1429هـ/ 2008م) .

الملاح، هاشم يحيى :

368- الوسيط في السيرة النبوية والخلافة الراشدة،المكتبة الوطنية (بغداد:1991م).

ملحم، عدنان محمد:

369- المؤرخون العرب والفتنة الكبرى، دار الطليعة (بيروت : 2001م).

المودودي، أبو الأعلى :

370- الخلافة والملك، تعريب أحمد إدريس، ط1، دار القلم (الكويت: 1398هـ/ 1978م) .

الموسوي، عبد الحسين شرف الدين :

371- النص والاجتهاد، ط1، مطبعة سيد الشهداء عليه السلام (قم المقدسة: 1404 هـ/1985م).

المياحي، حسن :

372- النظرية السبئية في منظار ابن تيمية (دراسة نقدية في شخصية ابن سبأ ودوره المزعوم في الفتنة)، مركز الأبحاث العقائدية (قم المقدسة: 1435هـ /2014م) .

الميلاني، علي الحسيني :

373- الرسائل العشر في الأحاديث الموضوعة في كتب السنة، مطبعة ياران (قم المقدسة : 1418هـ/ 1997م) .

374- الامامة في أهم الكتب الكلامية، منشورات الشريف الرضي(د.م: 1413هـ/1992م).

الميلاني، محمد هادي الحسيني :

375- قادتنا كيف نعرفهم، ط1، مطبعة شريعت (قم المقدسة : 1426هـ/ 2006م).

الميانجي، علي الأحمدي :

376- مواقف الشيعة، ط1، مؤسسة النشر الإسلامي (قم المقدسة : 1416هـ / 1996م) .

378- الأسير في الإسلام، ط2،مؤسّسة النشر الإسلامي (قم المقدسة : 1430هـ/ 2009 م) .

379- مكاتيب الأئمة (عليهم السلام)،دار الحديث (قم المقدسة : 1426هـ/2006م) .

النجمي، محمد صادق :

380-أضواءعلى الصحيحين، تحقيق: يحيى البحراني، مؤسسة المعارف(قم المقدسة :1419هـ/1998م).

أبو النصر، عمر:

381- علي وعائشة، دار إحياء الكتب العربية (القاهرة : 1366هـ /1947م) .

الهاشمي، نور الدين:

382- تاريخ الشيعة بين المؤرخ والحقيقة ،مركز الأبحاث العقائدية (قم المقدسة: 1428 هـ/2008).

الهندي، ناصر حسين الموسوي:

383- إفحام الأعداء والخصوم بتكذيب ما أفتروه على السيدة أم كلثوم ، تحقيق: محمد هادي الأميني، مكتبة نينوى الحديثة (طهران :د.ت).

الورداني، صالح :

384- السيف والسياسة في الصراع بين الإسلام النبوي والإسلام الأموي، دار الجسام (القاهرة : 1996 م)

نبيلة، داوود:

385- نشأة الشيعة الإمامية، دار المؤرخ العربي(بيروت: 1415 ه /1994م)

نعمة الله الجزائري ،ابن السيد عبد اللّه بن السيد محمد الحسيني(ت: 1112 ه):

386- الأنوار النعمانية ، دار القارئ للطباعة والنشر(بيروت: 1429 ه /2008 م) .

الرسائل والاطاريح:

التميمي، عبير عبد الرسول :

1- سياسة توازن السوق في الدولة العربية الاسلامية حتى نهاية العصر الراشدي عام 41ه/661م ، أطروحة دكتوراه مقدمة لكلية التربية (جامعة كربلاء : 1436ه/2015) .

الخريشة، رعد عودة عبطان :

2- الموارد التاريخية للمسعودي في كتابه مروج الذهب ومعادن الجوهر للفترة الأموية، رسالة ماجستير مقدمة لكلية الدراسات العليا (الجامعة الأردنية : 1430ه/ 2009).

الزيدي، سامي جودة بعيد :

3- فدك حتى نهاية العصر العباسي، رسالة ماجستير مقدمة لكلية تربية ابن رشد (جامعة بغداد:1427ه/ 2006م).

الغيث، خالد بن محمد:

4- استشهاد عثمان ووقعة الجمل في مرويات سيف بن عمر، ط2، رسالة ماجستير (جامعة أم القرى . المملكة العربية السعودية، نسخة الكترونية عل شبكة الآلوكة الألكتروني، (1436ه / 2015م)

اليحيى، يحيى بن إبراهيم بن علي :

5- مرويات أبي مخنف في تاريخ الطبري عصر الخلافة الراشدة دراسة نقديه، رسالة ماجستير مقدمة للجامعة الإسلامية شعبة السيرة والتاريخ (المدينة المنورة :1408ه/1987م).

الإبحاث والمقالات العلمية :

البدري، حسين:

1- جهود العلامة العسكري في مناقشة الأسطورة السبئية، بحث منشور في مجلة فجر عاشوراء، العدد 6و7،(مركز فجر عاشوراء الثقافي التابع للعتبة الحسينية المقدسة : ربيع الاول 1440هـ/ 2018م).

الخالدي، كاظم باجي وناس:

2- ابن سبأ (دراسة تاريخية). بحث منشور في مجلة واسط للعلوم الإنسانية، المجلد: 11، العدد:3، السنة: (1435هـ /2015م) .

شراد، علي منفي :

3- موقف أم المؤمنين عائشة تجاه الحكام الأمويين، بحث منشور في مجلة أوروك للعلوم الإنسانية، المجلد: 6، العدد :3، السنة: (1433هـ/2013م).

العلي، جواد :

4- سيف بن عمر، بحث منشور في مجلة الرسالة، العدد 856 (القاهرة: صفر، 1369/ 28نوفمبرسنة 1949م) .

5- موارد تاريخ الطبري، بحث منشور في مجلة المجمع العلمي العراقي، العدد 1:، مطبعة الفيض(بغداد : 1369هـ/ 1950م) . والعدد :8 مطبعة المجمع العلمي العراقي (1380هـ/ 1961م).

علي، محمد:

6- الزبيريون وحرب الحمل، بحث منشور في مجلة رسالة القلم، العدد: 32، (قم المقدسة : 1433هـ /2012م) .

المياحي : شكري ناصر عبد الحسن :

7- معركة الجمل دراسة في تحديد الموقع، بحث منشور في مجلة دراسات البصرة، العدد 13/ 2012م).

CONCLUSION

The Battle of the Camel had extremely negative effects that were seen in both the immediate and long-term reality of the nation, whether on the political level, such as legitimizing rebellion against the legitimate ruler and the use of force to seize power, or on the intellectual and religious level. Also, the emergence of several opinions and parties that are divided in ideas and beliefs, such as the Kharijites, Fatalism, and Mu'tazila. As a result, those beliefs had a definite influence on the way historical narratives were constructed in accordance with whims and dogmatic and political affiliations.

The historical legacy of the historical narratives that present the events of early Islam in general and the period of the government of Imam Ali (PBUH) in particular is characterized by duality and contradiction in a way that makes it difficult for the researcher to interpret these events in order to reach the truth or approach it. Therefore, that legacy must be subject to historical criticism and comparison of these events within multiple sources, employing reason, logic, and inference from the texts of the Holy Qur'an, and the consecutive Sunnah, away from the Sindhi laws set to weaken hadiths and narratives according to whims and political and intellectual tendencies.

Throughout tracing the texts and historical news of the course of events, the study found that the opposition to the government of the Imam Ali (PBUH) and the rebellion against him, whether the wife of the Prophet (PBUH) or the leaders of the Camel, the betrayals, as the Prophet (PBUH) called them, and those who supported them from Ummayyads and others; It is part and complementary circle to an old project planned by the Qurayshi headship since the death of the Prophet (PBUH), and the incidents of Al-Saqeefa, to exclude Imam Ali and his sons from the descendants of the Prophet Muhammad (PBUH), from their legitimate right to assume the position of Ummah Imamate for worldly, authoritarian and tribal reasons.

The study also found that the antagonism of Aisha, the wife of the Prophet (PBUH) with Imam Ali (PBUH) and her played role in the Battle of the Camel, and her support for Qurashi line was not born out of the events of the sedition of

Othman bin Affan's murder. So many sources indicate that this dispute was rooted from an early time since the honorable prophetic era, and the subsequent incidents and conflicts over the position of Caliphate.

Since earliest periods of writing the historical narration, the pens of the authority and its authors have been working to obliterate and falsify the facts, including replacing and overturning the facts in explaining the events of the sedition and the Battle of the Camel, to exonerate and justify the negative roles of the real actors in that sedition, and that is from the viewpoint of defending the theory of the Companions' Justice.

Among the most hazardous things that have been propagated in this concern is the claim that those dangerous events that ravaged the Ummah and tore it apart were the result of the conspiracy of an innovative Jewish figure (Abdullah bin Saba), who suddenly appeared in Islamic circles, and not only that, as the narrator of the story of Saif bin Omar established to involve the first generation of the Prophet's Companions, who were known for their Alawi line, such as Abu Dhar and Ammar bin Yasser (may God be pleased with them) and others who were known for their Shiism to Imam Ali (PBUH) and claim his right to the Caliphate, so the narrator spread suspicions about their beliefs and claimed that they belonged to Jewish exaggerated the movement of Ibn Saba and were influenced by his thoughts and beliefs. But the real purpose of the narrator behind these fabrications is to strike at the entire doctrine of Shiism and to question its origins and beliefs, such as the will and the command of the Imamate, and to link them to Jewish beliefs and other religions, and that they are the creation of a hateful Jew!

The study has proven in more than one place that the story of Ibn Saba' and the Saba'iyyah ,as theorized by Saif bin Omar, is completely contradictory to the consecutive news and narrations that are universally agreed upon in the considered historical sources, just as it does not stand up to comparison, criticism and historical inference. Definitely, this fact refutes Saif bin Omar's narration of lies and suspicions. In addition to what the scholars of the Science of Invalidation and Rectification have agreed on concerning that narrator's lack of credibility and fairness as a result of Omar's fabrication of the false hadith on behalf of the Messenger of God (PBUH). Furthermore, it is impossible for whoever fabricates hadiths and narrates false news on behalf of the most honorable of human beings

(PBUH), to be believed. Particularly given that this news touches on essential and dogmatic issues in Islamic thought

.

Despite the weakness of Saif bin Omar's narrations in text and attribution, the story of Ibn Saba' and the claimed Saba'iyah became the main focus and the semi-official narration for many writers and historians to explain the events of the sedition, and perhaps the main cause is that it was passed in historical circles and the Islamic heritage through one of its most significant sources, which is Al-Tabari's History of the Prophets and Kings.

Many authors of histories counted Al-Tabari's History of the Prophets and Kings as one of the most reliable sources and relied on it for the trustworthiness of its author, as they themselves stated as Ibn al-Atheer, Ibn Katheer and Ibn Khaldun, so they transmitted it despite its defects. Likewise, several authors of modern studies followed them in that, and we say that this succession in adopting Saif bin Omar's narratives and stories and ignoring their criticism, in fact, was not a deficiency in the knowledge of the weak and the lean from the fat from the narrations and news among those historians throughout the ages, but some were falling under the influence of tribal or sectarian affiliations and the prevailing public opinion in his society. Perhaps the most important reason is that these narrations agree with the ruling authorities' visions and ideologies throughout the ages and times, and the evidence is that some ignored or undervalued the importance of the narrations that stand in opposition to Saif bin Omar's narrations, such as those that came from Abi Mikhnaf and Al-Waqidi Khalifa Ibn Khayyat, and perhaps this is the reason that made Al-Tabari and those who quoted him present the narration of Saif bin Omar about the events of sedition as highly reliable, compared to the brief narrations from other narrators, and this, if anything, indicates Al-Tabari' selective approach.

Openly, the study approves that many fabricated and distorted narrations came to root the theory of the Companions' Justice and to honest them from what may wrong them. Most scholars of Public School consent to this Theory which hypothesize the inadmissibility of charging the first Generation, who lived with

Companions in the era of spreading [1333] the Messenger of God (PBUH) and his the Prophet's Message, with embracing mistaken beliefs. Because they are all just and have the right of discretion in passing a judgment (ijtihad) in the events that occurred between them, and that both the disputant parties (the wrong and the right) will be rewarded for his (ijtihad). Of course, this is not based on logic or reason at all and it is contrary to the clear heavenly texts.

Among the other goals of adopting the Theory of the Companions Justice is the legitimization of the system of political succession and the characters that succeeded in ruling it, as well as the goal of justifying the negative roles of the characters opponent to the government of Imam Ali (PBUH), whether in the first phase (Al-Saqifah events and the Consultative Council) or during his rule, which was embodied in the rebellion of the Prophet's wife Aisha, Talha and Al-Zubayr in the Battle of the Camel, and then Muawiya bin Abi Sufyan in the War of Siffin. Their revolt against Imam Ali (PBUH), after giving him the pledge of allegiance, is considered a revolution against the ruler of Muslims and the legitimate ruler who must be obeyed as God Almighty commanded in His Holy Book.

[1333] Al-Ali, Resources of the History of al-Tabari, Journal of the International Assembly, Issue: 1, p. 182, Issue: 8, p. 48.

Research

Kerbala University

College of Education for Human Sciences

Department of History

Narrations of the march of Aisha bint Abi Bakr to the war of the camel (A.H 36/656A H

by:

Ehsan Jabber Radi Obaid

A Thesis Submitted to the Council of College of Education for

Human Sciences / Kerbala University as a Partial Fulfillment for

the Requirements of Master Degree in Islamic History.

. Lect. Dr. Abeer Abdul Rasool Mohammed Al - Tamimi

(A.D. –2023) (A.H. – 1445)